

ملکۃ الحاجیہ
ابو عثمان غنیہ و بن بحر الحاجیہ

200 - 100

الكتاب الأول

[نال هذا الكتاب الجائزة الأولى للنشر
والتحقيق العلمى فى المسابقات الأدبية التى
نظمها المجمع اللغوى ١٩٤٩ - ١٩٥٠]

الجزء الثاني

الطبعة الثانية

شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر

ع. پاس و محمد محمود اکبابی و شرکاءم خلفاء.

كتاب الحسين

تأليف

أبي عثمان عمرو بن بجير الجاحظ

الجزء الثاني

بتحقيق

عبد السلام محمد هارون

الطبعة الثانية

جميع الحقوق محفوظة

١٣٨٥ هـ = ١٩٦٥ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

باب

احتجاج ضاحب الكلب بالأشعار المعروفة والأمثال السائرة ، والأخبار الصحيحة والأحاديث المأثورة ، وما أوجد العيان فيها ، وما استخرجت التجارب منها من أصناف المنافع والمرافق ، وعن مواضع أخلاقها الحمودة وأفعالها المرادة .

ونبدأ بقول العرب : إِنَّ دِمَاءَ الْمُلُوكِ شِفَاءٌ مِنْ دَاءِ الْكَلْبِ ، ثُمَّ نذكر الأبوابَ لِمَا قَدَّمْنَا فِي صَدْرِ كَلَامِنَا هَذَا . قَالَ بَعْضُ الْمُرِّيِّينَ (١) :

أَرَى الْخِلَانَ بَعْدَ أَبِي عُمَيْرٍ (٢) مُحَجَّرٍ فِي لِقَائِهِمْ جَفَاءُ
مِنْ الْبَيْضِ الْوُجُوهِ بَنَى سَنَانٌ لَوْ أَنَّكَ تَسْتَضِيءُ بِهِمْ أَضَاءُ
لَهُمْ شَمْسُ النَّهَارِ إِذَا اسْتَقَلَّتْ وَنُورٌ مَا يَغِيبُهُ الْعَمَاءُ (٣)
بُنَاةٌ مَكَارِمٌ وَأَسَاةٌ كَلَمٌ (٤) دِمَاؤُهُمْ مِنْ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ

(١) هو أبو البرج القاسم بن حنبل المري ، والشعر يقوله في زفر بن أبي هاشم ابن مسعود بن سنان ، عامل اليمامة . (الحماسة ٢ : ٣٠٤) و (المؤلف والمختلف ٦٢) و (معجم المرزباني ٣٠٣) . وأبو البرج قال فيه صاحب القاموس : إنه شاعر إسلامي . والبيت الأخير مروي في عدة أبيات منسوبة إلى أمية بن أبي الصلت في ديوانه ص ١٧ . و « المريين » هي في الأصل : « المزنيين » محرفة ، إذ أن « أبو البرج » من بني سهم بن مرة .

(٢) في ديوان الحماسة ، والمؤتلف ، والمعجم : « أبي حبيب » ، وهي كنية زفر كما في المؤلف .
(٣) استقلت الشمس : ارتفعت ، وهي مثل استقل الطائر إذا ذهب عالياً في الجو .
العماء : السحاب المرتفع ، وقيل الكثيف . وقال أبو زيد : هو شبه الدخان يركب رؤوس الجبال .

(٤) في الأصل : « حلم » وإنما هو « الكلام » بمعنى الجرح ، كما في الحماسة والمؤتلف والمعجم . والأساة : جمع آس ، والآسى : الذي يداوى الجرح ، أو هو الطبيب .

وقال الفرزدق :

مِن الدارميين الذين دماؤهم شفاءٌ من الداءِ المحنةِ والحبلِ^(١)

وقال عبدُ الله بنُ قيسِ الرقيّاتِ^(٢) :

عاودني النكسُ فاشتفتيت كما تشفى دماءُ الملوكِ من كلبِ^(٣)

وقال ابنُ عيَّاش^(٤) السكندىُّ لبني أسدٍ في قتلهم حُجْرَ بنِ عمرو :

(١) في اللسان : ويقال به جنة وجنون ومحنة . وأنشد البيت ولم ينسبه . والبيت في عيون الأخبار : ٢ : ٧٩ منسوب إلى الفرزدق ، وهو في الأغاني ١٤ : ٧٢ منسوب إلى المتلمس . وفي مروج الذهب ٢ : ٩٥ منسوب إلى البعيث .

(٢) كان لقيس ولدان ، عبد الله وعبيد الله ، واختلفوا في الشاعر منهما . فقال ابن قتيبة والمبرد في « الكامل » : هو عبد الله ، وقال المرزبان في « معجمه » : هو عبيد الله بالتصغير . قال : ومن الرواة من يقول : للشاعر عبد الله ، وهو خطأ . وقال ابن السيد فيما كتب على الكامل : ذكر المبرد أن اسمه عبد الله بن قيس ، وكذلك قال فيه ابن سلام والجاحظ وابن قتيبة . وقال غيرهم : هو عبيد الله . حكاه أبو عبيد عن الأصمعي وغيره ، ومنهم السكلي ، وكذلك قال المصعب الزيري في أنساب قريش . هذا ما كتبه البغدادي في تحقيق الاسم . وأضيف إليه أن أبا الفرج رواه بالتصغير . وكتب له ترجمة مسبهة في الأغاني ٤ : ١٥٤ - ١٦٦ وأما البغدادي فقد ترجم له وكتب تحقيقاً ممهاً فيمن لقيه « الرقيات » أهو الشاعر أم أبوه ، كما ذكر سيب اللقب . وانظر الخزانة ٣ : ٢٦٦ - ٢٦٩ وانظر كذلك ابن قتيبة في الشعراء ٥٢٣ - ٥٢٥ .

(٣) كذا جاء البيت ، ولم أجده في ديوان ابن قيس الرقيات ، ورأيت بيتاً آخر شبيهاً به ص ٨١ من الديوان :

فدلفا الحب فاشتفتيت كما تشفى دماء الملوك من كلبه

قال السكري : « الهاء للكلب - يريد بكسر اللام - وإن لم يذكره » أي تشفى دماء الملوك المكلوب من كلبه .

(٤) كذا في م . وفي ط و س : « ابن عباس » ولعله « حكيم بن عيَّاش » الذي ترجم له ياقوت في معجمه ١٠ : ٢٤٧ وذكر أنه كان بينه وبين السكيت ابن زيد الأسدي مفاخرة .

عبيد العصا جئتم بقتل رئيسكم تُريقون تاموراً شفاءً من السكلب^(١)

٣

وقال الفرزدق :

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها وذو الخبل الذى هو أدنف^(٢)

وذاك أنهم يزعمون أن دماء الأشراف والملوك تشفى من عضة

الكلب السكلب ، وتشفى من الجنون أيضاً ، كما قال الفرزدق :

ولو تشرب الكلبى المراض دماءنا شفتها

ثم قال : « وذو الخبل الذى هو أدنف^(٢) » .

وقد قال ذلك عاصم بن القرية^(٣) ، وهو جاهلى :

وداويته مما به من محنة دم ابن كهال والنطاسى واقف^(٤)

وقلدته دهرأ تميمة جدّه وليس لشيء كاده الله صارف^(٥)

وكان أصحابنا يزعمون أن قوهم دماء الملوك شفاءً من السكلب ، على

(١) عبيد العصا : لقب لزم بنى أسد ، قال ابن قتيبة : « ولما ملك حجر على بنى أسد كان يأخذ منهم شيئاً معلوماً ، فامتنعوا منه ، فصار إليهم فأخذ سرواتهم فقتلهم بالعصى » .

كذا فى خزانة البغدادى ١ : ٣٠٠ سلفية . والميداني فى الأمثال ١ : ٤٢٦ يروى لهذا المثل سببا طويلا ويقول : « هذا المثل يضرب للذليل الذى نفقه فى ضره ، وعزه فى إهانته » . أما الثعالبي (فى النثر ٥٠٤) فيرى أن هذا مثل يضرب للقوم إذا استذلوا . . . والتامور : دم القلب أو هو كل دم .

(٢) السكلبى : جمع كليب ، وهو المصاب بداء السكلب . وأما السكلب بكسر اللام فجمعه كلبون . والأدنف : من اللدنف ، وهو المرض . وفى الأصل : « أدلف » ولم أجد له وجها . وأثبت رواية الديوان ٢ : ٥٦٣ .

(٣) كذا فى س ، م - وفى المطبوعة : « القرية » بالفاء . . ولم أقف له على خبر .

(٤) المحنة : الجنون . وفى س : « دم ابن الكهال » .

(٥) كاده الله : أراده . ومثله قول الأودى :

فإن تجمع أوتاد وأعمدة وساكن بلغوا الأمر الذى كادوا

معنى أن الدَّم الكريم هو الثَّأْرُ المُنِيم ، وأنَّ داء الكلب ^(١) على معنى قول الشاعر ^(٢) :

كَلْبٌ مِنْ حِسٍّ مَاقِدَ مَسَّهُ وَأَفَانِينَ فُؤَادٍ مُخْتَبِلٌ ^(٣)
وعلى معنى قوله ^(٤) :

* كَلْبٌ يَضْرِبُ بِجَاهِمٍ وَرِقَابٍ ^(٥) *

فإذا كَلِبَ من الغيظ والغضب فأدرك ثأره فذلك هو الشفاء من الكلب ، وليس أن هناك دماً في الحقيقة يُشْرَبُ .

ولولا قول عاصم بن القرية ^(٦) : « والنَّطَاسِيُّ واقِفٌ » . لكان ذلك التأويل جائزاً . وقول عوف بن الأحوص ^(٧) :

(١) في ط : « الكلاب » ، وصوابه في س ، م .

(٢) هو النابتة الجعدى ، كما في اللسان (حل) والمعاني الكبير ١١٣٣ .

(٣) أفانين فؤاد : أى ضروب نشاطه . ورواية اللسان : « محتمل » قال ابن منظور : « احتمل الرجل - بالبناء للمجهول - : غضب » .

(٤) في الأصل : « قولهم » . والآق عجز بيت حصين بن القعقاع يرثى عتيبة بن الحارث ابن شهاب . كما مر في الجزء الأول ص ٣١٦ ، وصدر البيت : * يوم الحليس بذى الفقار كأنه *

(٥) في ط : « كلب يضرب » ، وصوابه في س .

(٦) كذا في س ، م - وفي المطبوعة : « القرية » بالفاء .

(٧) هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب ، وقد سماه لبيد بن ربيعة « صاحب ملحوب » في قوله :

وصاحب ملحوب فجعلنا بموته وعند الرذاع بيت آخر كور

انظر السيرة ٢٦١ جوتنجن ، ومعجم البلدان برسم (ملحوب) . ولموف هذا خبر في يوم شعب جيلة ، الأغاني ١٠ : ٣٣ . ويوم شعب جيلة كان قبل الإسلام بأربعين سنة ؛ وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم (العقد : ١٤١ لجنة التأليف) . وصواب إنشاد البيت الآق « أو العنقاء » لأن قبله كما في المفضليات ١٧٥ :

فهل لك في بني حجر بن عمرو فتعلمه وأجهله ولاء

ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو دِمَاءُ الْقَوْمِ لِلْكَلْبِيِّ شِفَاءُ
وفي الكلب يقول الأعشى :

أُرَانِي وَعَمْرًا بَيْنَنَا دُقَّ مَنَشِمٌ^(١) فلم يبق إلا أن يُجَنَّ وَأَكْلِبَا^(٢)

ألا ترى أنه فرّق بينهما ، ولو كان كما قال ليبد بن ربيعة :

يَسْعَى خُزَيْمَةُ فِي قَوْمٍ لِيَهْلِكَهُمْ عَلَى الْحِمَالَةِ هَلْ بِالْمَرْءِ مِنْ كَلْبٍ^(٣)

لكان ذلك على تأويل مذهبوا إليه جائزاً . وقال الآخر :

وَأَمْرَ أَمِيرِي قَدْ أَطْعَمَ فَلَيْتَمَا كَوَاهُ بَنَارٍ بَيْنَ عَيْنَيْهِ مُكَلْبٌ^(٤)

وهذا عندي لا يدخل في الباب الأول ، وقد جعلوه منه . ٤

(من طباع الكلب المعجبة)

قال صاحبُ الكلب : وزعمتم أنه يبلغ من فضل قوة طباع الدّيك
في الإلفاح ، أنه متى سَفِدَ دجاجةٌ وقد احتشت بيضاً صِغاراً من نتاج الرّيح

(١) ط : « رق منشم » ، وصوابه في س ، م والديوان ٩٠ . مثل قول زهير :

تداركتما عيسا وذبيان بعدما تفتانوا ودقوا بينهم عطر منشم
الشعالي في النّار ٢٤٦ « الأقاويل فيه كثيرة . قال ابن قتيبة : أحسن ما سمعت فيه
أن منشم امرأة كانت تبيع العطر والحنوط فقبل للقوم إذا تحاربوا وتفتانوا : دقوا بينهم
عطر منشم » . انظر الميداني في الأمثال ١ : ٨٣ ، ٣٤٨ وشرح القصائد السبع
الطوال ٢٦١ .

(٢) كذا في م ، س ، وفي ط : « وأكلب » وهو تحريف . والبيت من قصيدة
في ديوان الأعشى ٨٨ - ٩١ مطلعها :

كنى بالذى تولينه لو تجنبا شفاء لسقم بعدما كان أشيبا

(٣) الحالة : الدية يحملها قوم عن قوم . وفي ط : « الجهالة » وصوابه في س ، م .

(٤) إنما يكوى بين عيني الكلب إذا أصابه الكدى ، وهو داء يأخذ الجراء خاصة يصيبها منه
قوة وإسهال ، فإذا كوى ذهب عنه ذلك . انظر اللسان (كذا) وهذا الجزء من
الحيوان ص ٤٩ .

والتراب ، قلبها كلها حيواناً ولو لم يكن سفدها إلا مرة واحدة ، وجعلتموه في ذلك بغاية الفحلة ، فطباع الكلب أعجب إلحاقاً وأثقب ، وأقوى وأبعد ؛ لأن الكلب إذا عض إنساناً ، فأول ذلك أن يُحمّله نباحاً مثله ، وينقله إلى طباعه ، فصار ينبج ، ثم يُحمّله ويلقحه بأجراً صغار يبولها علّقاً في صور الكلاب ، على بُعد ما بين العُصيرين والطّبعين والجنسين . والذي يتولّد في أرحام الدجاج ، أقرب مشاكلة إلى طباع الديك . فالكلب هو ^(١) العجب العجيب ، لأنّه أحبل ذكراً من خلاف جنسه ، ولأنّه مع الإحبال والإلقاح ، أحاله نباحاً مثله . فتلك الأدراص ^(٢) وتلك الكلاب الصغار ، أولاد ونتاج ، وإن كان لا يبق .

وقد تعلمون أنّ أولاد البغلات من البغال لا تبق ، وأن اللقاح قد يقع ، وإنّما منع البغل من البغلة بهذه العلة .

(أسرة تتوارث دواء الكلب)

قال أبو اليقظان ^(٣) وغيره : كان الأسود بن أوس بن الحمرة ، أتي النّجاشيّ ومعه امرأته ، وهى بنت الحارث أحد بنى عاصم بن عبيد بن

(١) في الأصل : « والكلب وهو » وذلك تحريف .

(٢) الأدراص : جمع درص بفتح الدال وكسرهما ، وهو ولد القنفذ والأرنب واليربوع والفأرة والهرة ونحوها .

(٣) هو عامر بن حفص ، ولقبه سحيم ، وبلقبه هذا يذكره الجاحظ في البيان في مواضع كثيرة . والمدائني في كتبه يذكره بثمانية ألقاب وأسماء . انظر الفهرست ٩٤ لبسك و ١٣٨ مصر . قال ابن النديم : كان عالماً بالأخبار والأنساب والمآثر والمثالب ، ثقة فيما يرويه ، وتوفى سنة ١٩٠ .

ثعلبة ، فقال النجاشي : لأعطينك شيئاً يشفى من داء الكلب^(١) . فأقبل حتى إذا كان ببعض الطريق أتاه الموت ، فأوصى امرأته أن تزوج ابنه قدامة ابن الأسود ، وأن تعلمه دواء الكلب ؛ ولا يخرج ذلك منهم إلى أحد ، فزوجه نيكاح مقت^(٢) ، وعلمته دواء الكلب ، فهو إلى اليوم فيهم .

فولد الأسود قدامة ، وولد قدامة المحلل - وأمه بنت الحارث - فكان المحلل يداوى من الكلب . فولد المحلل عتبة وعمراً ، فداوى ابن المحلل^(٣) عتبية^(٤) بن مرداس ؛ وهو ابن فسوة الشاعر^(٥) فبال مثل أجراء الكلب علّقاً ، ومثل صور النمل والأدراص^(٦) فقال ابن فسوة حين برى :

ولولا دواء ابن المحلل وعلمه هَرَرْتُ إذا ما الناس هَرَّ كلابها

- (١) مثل هذا الكلام عند ابن قتيبة في العيون ٢ : ٨٠ والشعراء ٣٣٢ .
 (٢) نكاح المقت : أن يتزوج الرجل امرأة أبيه بعده ، وقد نص القرآن الكريم على تحريمه في قوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلا ما قد سلف » ، وقد سرد ابن قتيبة في المعارف ص ٥٠ أسماء طائفة من الرجال الذين خلفوا على زوجات آبائهم ، منهم كنانة بن خزيمة ، وهاشم بن عبد مناف ، وعمرو بن نفيل .
 (٣) في عيون الأخبار أنه (المحلل) ، وفي الشعراء وفق ما هنا .
 (٤) في الأصل : « عينة » ، وتصحيحه من العيون والشعراء .
 (٥) قال أبو الفرج : هو أحد بني عمرو بن كعب بن عمرو بن تميم ، وهو شاعر مقل غير معدود في الفحول ، مخضرم من أدرك الجاهلية والإسلام ، هجاء خبيث اللسان بلوى . . . وكان لا يزال يأتي أمراء البصرة فيمدحهم فيعطونه ويخافون لسانه . وقد روى أبو الفرج حديثاً طويلاً له مع ابن عباس وهو عامل على البصرة لعل ابن أبي طالب . وكان حليفاً لجميل بن معمر ، وفيه يقول :
 فلو كنت من زهران لم ينس حاجتي ولكنني مولو جميل بن معمر
 وترجمته مسهية في الأغاني (١٩ : ١٤٢ - ١٤٦) .

- (٦) في الأصل : « الأضراس » ، وإنما هي « الأدراص » كما سبق في ص ١٠ .

وأُخْرِجَ عَبْدُ اللَّهِ أَوْلَادَ زَارِعٍ^(١) مُوَلَّعَةً أَكْتَافَهَا وَجُنُوبَهَا^(٢)

وأولاد زارع : الكلاب .

وأما قوله :

ولولا دواء ابن المجلِّ وعلمه هررتُ

فإنَّما ذهبَ إلى أنَّ الذي يَعَصُّهُ الكَلْبُ الكَلْبُ ، ينبَحُ نُبَاحُ الكلاب
ويهرُّ هريرها .

(أعراض الكلب)

وقال محمد بن حفص ، وهو أبو عبيد الله بن محمد ؛ ابن عائشة^(٣) :
عضَّ رجلاً [من بَلْعَنْبَرٍ]^(٤) كلبٌ كلب فأصابه داءُ الكلب ، فبال علقاً
في صورة الكلاب ؛ فقالت بنت المستنر^(٥) :

(١) في الأصل : « وأجزع » وليس له وجه ، وصوابه في العيون والشعراء . وفيهما
كذلك : « بعد الله » موضع : « عبد الله » .

(٢) المولعة : التي بها سواد وبياض مستطيلان .

(٣) في الأصل : « وهو أبو محمد بن محمد بن عائشة » وهو تحريف وخطأ ، صوابه في البيان
(١ : ١٠٢ ، ٢٣٩) وفي المعارف لابن قتيبة ٢٢٨ . وابن عائشة : كنية
متنازعة بين الوالد وابنه ، يقال لكل منهما « ابن عائشة » . وللوالد خبر طريف
في البيان . أما ابنه فقد عده ابن قتيبة في المحدثين أي رجال الحديث ، وقال : « توفي
بالبصرة سنة ثمان وعشرين ومائتين » . ويقول فيه الجاحظ (١ : ١٠٢)
« وكان كثير العلم والسباح . متصرفاً في الخبر والأثر . وكان من أجود قریش ،
وكان لا يكاد يسكت ، وهو في ذلك كثير الفوائد » . يريد أنه من الفصحاء الأبيناء
الذين في كثرة كلامهم فائدة وخير .

(٤) الزيادة من س ، م وعيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٥) في العيون : « فقالت امرأته » .

أَبَاكَ أَدْرَاصاً وَأَوْلَادَ زَارِعٍ . وَتِلْكَ لِعُمْرَى نُهْيَةَ الْمُتَعَجِّبِ (١)
وَحَدَّثَنِي أَبُو الصَّهْبَاءِ عَنْ رَجَالٍ مِنْ بَنِي سَعْدٍ ، مِنْهُمْ عَبْدُ الرَّحْمَنِ
ابْنُ شَيْبٍ ، قَالُوا :

عَضَّ سَنْجِيرَ الْكَلْبِ الْكَلْبُ ، فَكَانَ يَعْطَشُ وَيَطْلُبُ الْمَاءَ بِأَشَدِّ الطَّلَبِ ،
فَإِذَا أَتَوْهُ بِهِ صَاحَ عِنْدَ مَعَايِنَتِهِ : لَا ، لَا أُرِيدُ !

وَهَكَذَا يَصِيبُ صَاحِبَ تِلْكَ الْعَضَّةِ . وَذَلِكَ أَنَّهُ يَعْطَشُ عَنْهَا أَشَدَّ الْعَطَشِ
وَيَطْلُبُ الْمَاءَ أَشَدَّ الطَّلَبِ ، فَإِذَا أَتَوْهُ بِهِ هَرَبَ مِنْهُ أَشَدَّ الْهَرَبِ ، فَقَالَ دَلَمَ (٢)
وَهُوَ عَبْدُ لَبْنَى سَعْدٍ :

لَقَدْ جِئْتُ يَاسَنْجِيرَ أَجْلُو مَلَقَةٍ إِبَاؤُكَ لِلشَّيْءِ الَّذِي أَنْتَ طَالِبُ (٣)
وَهِيَ أَيْبَاتٌ لَمْ أَحْفَظْ مِنْهَا إِلَّا هَذَا الْبَيْتَ .

(نَشْرَةُ طَبِئَةِ زِيَاد)

وَذَكَرَ مَسْلَمَةُ بْنُ مَحَارِبٍ ، وَعَلِيُّ بْنُ مُحَمَّدٍ عَنْ رَجَالِهِ ، أَنَّ زِيَاداً كَتَبَ
دَوَاءَ الْكَلْبِ ، وَعَلَّقَهُ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ الْأَعْظَمِ (٤) ، لِيَعْرِفَهُ جَمِيعُ النَّاسِ .

(١) ط : « نُهْيَةُ الْمُتَعَجِّبِ » ، وَفِي م : « نُهْيَةُ الْمُتَعَجِّبِ » ، وَصَوَابُهُ مِنْ س وَعِيُونَ
الْأَخْبَارِ . وَالنُّهْيَةُ بِالضَّمِّ : غَايَةُ الشَّيْءِ وَآخِرُهُ كَالنَّهْيَةِ .

(٢) اشْتِقَاقُ هَذَا الْعَلَمِ مِنَ « الدَّلَمِ » بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ شَيْءٌ شَبَّ الْحَيَةِ يَكُونُ فِي الْحِجَازِ
وَمِنْهُ الْمَثَلُ ، وَهُوَ « أَشَدُّ مِنَ الدَّلَمِ » .

(٣) فِي م : « أَحْلُو فَلَقَةٍ » وَفِي س : « أَحْلُو مَلَقَةٍ » ، وَفِي الْبَيْتِ تَحْرِيفٌ .

(٤) هُوَ مَسْجِدُ الْبَصْرَةِ . وَكَانَ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ مَبْنِياً بِالنَّقْصِ ، وَلَمَّا وَلِيَ الْبَصْرَةَ أَبُو مُوسَى
الْأَشْعَرِيُّ بَنَاهُ بِاللِّبْنِ . وَلَمَّا اسْتَعْمَلَ مَعَاوِيَةُ زِيَاداً عَلَى الْبَصْرَةِ بَنَى زِيَادُ الْمَسْجِدَ بِالْجِصِّ
وَسَقَفَهُ بِالسَّاجِ ، وَجَعَلَ لَهُ سَوَارِيَ اجْتَلَبَهَا مِنَ الْأَهْوَازِ . وَكَانَتْ أَرْضُ الْمَسْجِدِ تَرَبَةً
فَكَانُوا إِذَا فَرَّغُوا مِنَ الصَّلَاةِ نَفَضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ التُّرَابِ ، فَلَمَّا رَأَى زِيَادُ ذَلِكَ قَالَ
لَا أَمْنُ أَنْ يَظُنَّ النَّاسُ عَلَى طَوْلِ الْأَيَّامِ أَنَّ نَفْضَ الْيَدِ فِي الصَّلَاةِ سُنَّةٌ . فَأَمَرَ بِجَمْعِ
الْحَصَى وَإِلْقَائِهِ فِي الْمَسْجِدِ .

(ردُّ على ما زعموا من أعراض الكلب)

وأنا، حفظك الله تعالى ، رأيتُ كلباً مرّةً في الحَيِّ ونحنُ في الكتّاب ،
فعرّضَ له صبيٌّ يسمّى مهديّاً من أولاد القصّابين ، وهو قائمٌ يحوِّ لُوْحَهُ
فعرّضَ وجهه فنقعَ ثَنِيَّتُهُ دونَ موضعِ الجفنِ من عينه اليسرى ، فخرقَ اللحمَ
الذى دونَ العظمِ إلى شطرِ خَدِّه ، فرمى به ملقياً على وجهه وجانبِ
شِدْقِهِ ؟ وتركَ مُقْلَتَهُ صحيحةً ؛ وخرَجَ منه مِنَ الدَّمِ ما ظننتُ أَنَّهُ لا يعيشُ
معه ، وبقي الغلامُ مبهوتاً قائماً^(١) لا ينبسُ ، وأسكته الفرعُ وبقي طائرُ القلبِ ،
ثمَّ خِيطَ ذلكَ الموضعُ ؛ ورأيتُه بعدَ ذلكَ بشهرٍ وقد عادَ إلى الكُتّابِ ،
وليسَ في وجهه من الشُّرِّ^(٢) إلّا موضعُ الخِيطِ الذى خِيطَ ؛ فلمَ ينبَحْ إلى
أَنِّ برئَ ، ولا هَرَّ ، ولا دعا بماءٍ ، حتّى إذا رآه صاح : رُدُّوه ! ولا بال
جرواً ولا علقاً ، ولا أصابه ممّا يقولون قليل ولا كثير . ولم أجذْ أحداً من
تلكَ المشايخِ ؛ يشكُّ أَنَّهُمْ لم يَروا كلباً قطُّ أكلَبَ ولا أفسَدَ طبعاً منه .
٦ فهذا الذى عاينت .

وأما الذى بلغنى عن هؤلاء الثقات فهو الذى قد كتبتُه لك .

(١) كذا . ولعلها « غائبا » .

(٢) الشُّر : اللقطة .

(مما قيل في الكلب الكلب)

وفي الكلب الكلب أنشد الأعرابي :

حَيَّاكُمْ اللَّهُ فَإِنِّي مَنْقَلَبٌ وَإِنَّمَا الشَّاعِرُ مَجْنُونٌ كَلْبٌ
 * أَكْثَرُ مَا يَأْتِي عَلَى فِيهِ الْكَذِبُ *
 إِمَّا أَنْ يَكُونَ الشَّعْرُ لِهَيْمَانَ^(١) وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ لِلزُّفْيَانِ^(٢). وأنشدني:
 فَإِنْ كُنْتُمْ كَلَبِي فَعَنْدِي شِفَاؤُكُمْ وَفِي الْجَنِّ إِنْ كَانَ اعْتِرَاكَ جُنُونٌ^(٣)
 وأنشدني :
 وما أدرى إذا لاقيتُ عَمْرًا أَكَلَبِي آلُ عَمْرِو أَمْ صِحَّاحُ
 قال : فَأَمَّا الْمَكْلَبُ الَّذِي يَصِيبُ كَلَابَهَ دَاءٌ فِي رُغُوسِهَا يَسْمَى الْجَحَامُ^(٤)
 فَتُكْوَى بَيْنَ أَعْيُنِهَا .

(مسألة كلامية)

وسنذكر مسألة كلامية ، وإنَّما نذكرها لكثرة من يعترض في هذا
 ممن ليس له علم بالكلام .
 ولو كان أعلم الناس باللغة ، لم ينفعك في باب الدين حتى يكون
 عالماً بالكلام !
 وقد اعترض معترضون في قوله عز وجل : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي

(١) هو هيمان بن قحامة ، راجز محسن إسلامي ، وكان في الدولة الأموية . المؤتلف والمختلف للآمدي ١٩٧ .

(٢) ط : « للرقيات » وهو تصحيف ، صوابه في س . والزفیان شاعر إسلامي ، واسمه عطاء ابن أسيد ، وله ترجمة في المؤتلف والمختلف ١٣٣ وفي معجم المرزبان ٢٩٨ .

(٣) البيت لجريز في ديوانه ٥٨٩ والخزانة ٢ : ٣٩٥ بولاق .

(٤) الجحام كغراب : داء يصيب الإنسان في عينه فترم ، وقيل داء يصيب الكلب ، وقيل يصيب الكلب في رأسه . وفي الأصل : « الجحام » بتقديم الحاء . وهو تصحيف .

آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَسَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ . وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَفَتَلَهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴿ فَرَعَمُوا أَنَّ هَذَا الْمَثَلَ لَا يَجُوزُ أَنْ يُضْرَبَ لِهَذَا الْمَذْكَورِ فِي صَدْرِ هَذَا الْكَلَامِ ، لَأَنَّهُ قَالَ : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا ﴾ . فَمَا يُشَبِّهِ حَالُ مَنْ أُعْطِيَ شَيْئًا فَلَمْ يَقْبَلْهُ - وَلَمْ يَذْكُرْ غَيْرَ ذَلِكَ ^(١) - بِالْكَلْبِ الَّذِي إِنْ حَمَلَتْ عَلَيْهِ نَبَحَ وَوَلَّى ذَاهِبًا ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ شَدَّ عَلَيْكَ وَنَبَحَ . مَعَ أَنَّ قَوْلَهُ : يَلْهَثُ ، لَمْ يَقَعْ فِي مَوْضِعِهِ ، وَإِنَّمَا يَلْهَثُ الْكَلْبُ مِنْ عَطَشٍ شَدِيدٍ وَحَرٍّ شَدِيدٍ ، وَمِنْ تَعَبٍ ، وَأَمَّا النَّبَاحُ وَالصِّيَّاحُ فَمِنْ شَيْءٍ آخَرَ .

قلنا له : إِنْ قَالَ ﴿ ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا ﴾ فَقَدْ يَسْتَقِيمُ أَنْ يَكُونَ الرَّادُّ ^(٢) لَا يَسْمَى مَكْذُوبًا ، وَلَا يَقَالُ لَهُمْ كَذَبُوا إِلَّا وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ مِنْهُمْ مِرَارًا ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَلَيْسَ بِبَعِيدٍ أَنْ يُشَبِّهَ الَّذِي أَوْتِيَ الْآيَاتِ وَالْأَعَاجِيبَ وَالْبُرْهَانَاتِ وَالْكَرَامَاتِ ، فِي بَدْءِ حَرْصِهِ عَلَيْهَا وَطَلْبِهِ لَهَا ، بِالْكَلْبِ فِي حَرْصِهِ وَطَلْبِهِ ؛ فَإِنَّ الْكَلْبَ يُعْطَى الْجِدَّ وَالْجُهْدَ مِنْ نَفْسِهِ فِي كُلِّ حَالَةٍ مِنَ الْحَالَاتِ . وَشَبَّهَ رَفْضَهُ وَقَذْفَهُ لَهَا مِنْ يَدَيْهِ ، وَرَدَّهُ لَهَا ، بَعْدَ الْحَرْصِ عَلَيْهَا وَفَرَطِ الرِّغْبَةِ فِيهَا ، بِالْكَلْبِ إِذَا رَجَعَ يَنْبَحُ بَعْدَ

(١) م : « ولم تذكر غير ذلك » وليس بشيء ، والمعنى أنه لم يذكر من حال المشبه في الآية غير صورة عرض الآيات عليهم وعدم قبولهم إياها .
(٢) في ط : « المراد » ، وصوابه في س ، م .

إطرادك له . وواجب أن يكون رفض قبول الأشياء الخطيرة النفيسة في وزن طلبهم والحرص عليها .

والكلب إذا أتعب نفسه في شدة التباح مقبلاً إليك ومدبراً عنك ، لهث واعتراه ما يعتريه عند التعب والعطش .

وعلى أننا ما نرمي بأبصارنا إلى كلابنا وهي رابضة وادعة ؛ إلا وهي تلهث ؛ من غير أن تكون هناك إلا حرارة أجوافها ، والذي طُبعت عليه من شأنها ، إلا أن هَثَ الكلب يختلف بالشدة واللين !

(كرم الكلاب)

وقال صاحب الكلب : ليس الديك من الكلب في شيء ، فن الكلاب ذواتُ الأسماء المعروفة والألقاب المشهورة . ولكرامها وجوارحها وكواسبها ، وأحرارها وعتاقها ، أنساب قائمة ، ودواوين مخلدة ، وأعراق محفوظة ، ومواليد مُحْصاة ، مثل كلب جذعان^(١) ، وهو السَّلهبُ بن البراق ابن يحيى بن وثاب بن مظفر بن مُحَارِش .

(شعر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقد ذكر العرب أسماءها وأنسابها .

قال مزرد بن ضرار :

(١) لعله : « جذعان » .

فَعَدَّ قَرِيضَ الشَّعْرِ إِنْ كُنْتَ مُغْزِرًا فَإِنْ غَزِيرَ الشَّعْرَ مَا شَاءَ قَائِلٌ (١)
لَنَعْتَ صُبَاحِي طَوِيلَ شَقَاؤِهِ لَهُ رَقِيَّاتٌ وَصَفَرَاءُ ذَابِلٌ (٢)
بَقِينَ لَهُ مِمَّا يَبْرَى وَأَكْلِبِ تَقَلُّقُ فِي أَعْنَاقِهِنَّ السَّلَاسِلُ (٣)
سُخَامٌ، وَمِقْلَاءُ الْقَنِيصِ، وَسُلْهَبٌ وَجَذَلَاءٌ، وَالسَّرْحَانُ، وَالْمُتَنَاوِلُ (٤)
بَنَاتِ سُلُوقِيَّيْنِ كَانَا حَيَاتِهِ فَتَاتَا فَأَوْدَى شَخْصُهُ فَهُوَ خَامِلٌ (٥)
وَأَيُّقْنَ إِذْ مَاتَا بِجُوعٍ وَخَلَّةٍ وَقَالَ لَهُ الشَّيْطَانُ : إِنَّكَ عَائِلٌ (٦)
فَطَوَّفَ فِي أَصْحَابِهِ يَسْتَنبِئُهُمْ فَآبَ وَقَدْ أَكَدْتَ عَلَيْهِ الْمَسَائِلُ (٧)
إِلَى صَبِيَّةٍ مِثْلَ الْمَغَالَى وَخِرْمَلٍ رَوَادٍ، وَمِنْ شَرِّ النِّسَاءِ الْخِرَامِلُ (٨)
فَقَالَ لَهَا : هَلْ مِنْ طَعَامٍ فَإِنِّي أَذْمُ لِيْلِكَ النَّاسَ ، أَمْ لِكَ هَابِلٌ (٩)

- (١) أغزر الشيء : جعله غزيراً . وفي ط : « معذراً » .
(٢) الصباحي : رجل من بني صباح كان ضيقاً له . وفي ط ، م : « ضباحي » .
والرقيات : سهام منسوبة إلى « الرقم » بالتحريك : موضع بالمدينة . « وصفراء ذابل » : قوس
قطع عودها وطرحت في الشمس حتى ذهب ماؤها .
(٣) تقلل : تتقلقل . وأراد بالسلاسل القلائد . « بقين » هي في الأصل : « يقين »
وتصحيحها من المفضليات بشرح ابن الأنباري ١٨٠ .
(٤) ط : « ومقلا والقنيص » وتصحيحه من القاموس و س ، م - وفي ط : « وجذلان »
وصوابه من س والقاموس .
(٥) في الأصل : « فات فأودى » . الخ ، والوجه ما أثبت من المفضليات بشرح
ابن الأنباري . قال : كانا حياته : أي كانا يصيدان له في حياته . وأرى أنه غنى أنهما
سبب حياته ومصدر رزقه .
(٦) الخلعة : الفقر والحاجة . والعائل : الفقير .
(٧) يستنبهم : يطلب ثوابهم ومعروفهم . وأكدي : طلب فلم يجد .
(٨) قال ابن الأنباري : المغالي : سهام يغلب بها في الهواء لانتصال لها . يريد أن صيانه
في ضعفهم وسوء حالهم ونحوهم مثل هذه السهام . أما الخرملة فهي العجوز المهتمة .
والرواد : الحمقاء الهوجاء ، من قولهم : ربح رواد : هوجاء نجى وتذهب .
(٩) هبلته أمه : ثكثته وفقدته .

- فَقَالَتْ : نَعَمْ ، هَذَا الطَّوِيُّ وَمَاؤُهُ وَتَحْتَرَقُ مِنْ حَائِلِ الْجِلْدِ قَاحِلُ^(١) ٨
 فَلَمَّا تَنَاهَتْ نَفْسُهُ مِنْ طَعَامِهِ وَأَمْسَى طَلِيحًا مَا يُعَانِيهِ بَاطِلُ^(٢)
 تَغَشَّى ، يَرِيدُ النَّوْمَ ، فَضَلَّ رَدَائِهِ فَأَعْيَا عَلَى الْعَيْنِ الرَّقَادَ الْبَلَابِلُ^(٣)
 فَفَكَّرَ فِي هَذَا الشَّعْرِ ، وَقَفَّ^(٤) عَلَى فُصُولِهِ ، حَتَّى تَعْرِفَ غَنَاءَ الْكِلَابِ
 عِنْدَهُمْ^(٥) ، وَكَسَبَهَا عَلَيْهِمْ ، وَمَوْقِعَهَا مِنْهُمْ .
 وَقَالَ لِيَبْدُ فِي ذِكْرِهَا وَذِكْرَ أَسْمَاءِهَا :

لَتَذُودَهُنَّ وَأَيَقَنْتَ إِنْ لَمْ تَذُدْ أَنْ قَدْ أَحَمَّ مِنَ الْخَتُوفِ حَمَامُهَا^(٦)
 فَتَقَصَّدَتْ مِنْهَا كَسَابٍ وَضُرِّجَتْ بَدَمٍ وَغُودِرَ فِي الْمَكْرِ سَخَامُهَا^(٧)

- (١) الطوى : البئر . وتحترق : بال عتيق ، يعنى السقاء . والحائل : المتغير ، أو الذى أتى عليه الحول . وفى ط : « خائل » وليس بشئ .
 (٢) تناهت نفسه من طعامه : قطع أمه منه ، إذ لم يجد إلا الماء . والطلح : المهزول المجهد . مايعانيه باطل : يقول كأن سعيه عبث عابث .
 (٣) تغشى رداءه : تغطى به .
 (٤) فى الأصل : « ووقف » .
 (٥) ط : « عنهم » وهو تحريف صوابه فى س ، م .
 (٦) لتذودهن : لتدفعهن . وفى ط : « لتزودهن » وصوابه فى س ، م ، وشرح القصائد العشر للتبريزى ص ١٥٢ ، قال التبريزى : حان حمامها وحتمها من بين الختوف .
 (٧) تقصده : قصده أو قتله . من قولهم : رماه فأقصده أى قتله مكانه . وكساب : اسم كلية ، وهذا الاسم يصح فيه البناء على الكسر ، والإعراب مع منع الصرف ، وهو مذهب سيبويه كما نقل التبريزى . وأما سخام فاسم كلب ، وإطاء فى سخامها راجعة إلى السكلاب فى بيت قبل السابق ، وهو :
 حتى إذا ينس الرماة وأرساوا غصفا دواجن قافلا أعصها
 وسخامها هى فى ط ، م : « سجامها » وفى س : « سخامها » وصوابها فى القاموس وشرح القصائد .

(عادة الشعراء حين يذكرون الكلاب والبقر في الشعر)

ومن عادة الشعراء إذا كان الشعر مَرثِيَّةً أو موعظةً ، أن تكون الكلابُ التي تقتلُ بقرَ الوحش . وإذا كان الشعرُ مديحاً ، وقال كأن^(١) ناقتي بقرة من صفتها كذا ، أن تكون الكلابُ هي المقتولة ، ليس على أن ذلك حكاية عن قصّة بعينها ، ولكن الثيرانَ ربّما جرحت الكلاب وربّما قتلتهما ، وأمّا في أكثر ذلك فإنّها تكون هي المصابة ، والكلاب هي السالمة والظافرة ، وصاحبها الغنم .

(شعر آخر فيه ذكر لبعض أسماء الكلاب)

وقال لبيدٌ في هذا القول الثاني غير القول الأوّل ، وذلك على معنى ما فسّرتُ لك ، فقال في ذلك وذكر أسماءها :

فأصبحَ وانشقَّ الضَّبَابُ وَهَاجَهُ أَخُو قَفْرَةٍ يُشَلِي رِكَاحاً وَسَائِلًا^(٢)

(١) في ط : « كانت » ، وصوابه في س ، م .

(٢) ينعت لبيد في هذا الشعر ثوراً . انشق الضباب : تبدد . وأخو القفرة : عني به الصائد ، وأشلي الكلب : دعاه ، قالوا : وما يفلط فيه الناس تأويل أشلي بمعنى أغرى ، نص على ذلك ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٣٦ ، واستشهد بقول الراجز :

« أشليت عنزى ومسحت قعبي »

يريد أنه دعا عنزه ليحلبها . فأما إغراء الكلب بالصيد فهو الإيساد ، تقول : آسده وأوسدته : إذا أغريته ، لكن في اللسان بحثاً طويلاً في تصحيح هذه الكلمة ، يجوز أن يكون أشلي بمعنى أغرى الكلب بالصيد ، مع تخريج واستشهاد ، فانظر . وهي في الأصل : « يسلي » وتصحيحه من الديوان ص ٣٠ . و « ركاح » بوزن كتاب ، وهي في الأصل : « وكاحا » وصوابه في الديوان والقاموس .

عوايس كالنُشَاب تَدْمَى نَحْوُهَا^(١) يَرَيْنَ دِمَاءَ الْهَادِيَاتِ نَوَافِلًا^(٢)

ومن أسمائها قولهم : « على أهلها جَنَتْ بَرَاقِش » .

ومن أسمائها قول الآخر^(٣) : ضَبَّار :

سَفَرْتُ فَقُلْتُ لَهَا هَجٍ فَتَبَرَّقَعْتُ فَذَكَرْتُ حِينَ تَبَرَّقَعْتُ ضَبَّارًا^(٤)

وقال الكُمَيْتُ الْأُسْدِيُّ :

فَبَاتَ وَبَاتَتْ عَلَيْهِ السَّمَاءُ مِنْ كُلِّ حَايِيَةٍ تَهْطُلُ^(٥)

مُكَبِّبًا كَمَا اجْتَنَحَ الْهَالِكِيُّ عَلَى النَّصْلِ إِذْ طُبِعَ الْمُنْصَلُ^(٦)

ثم ذكر أسماء الكلاب فقال :

وَفِي ضَبْنٍ حِقْفٍ يَرَى حِقْفَهُ^(٧) خَطَافٍ وَسَرَحَةٌ وَالْأَحْدَلُ^(٨)

(١) شبهها بالنشَاب ، وهي المهبام ، لصدق إصابتها وسرعتها . وفي الأصل : « عرائس كالنشاب ترمى نحوها » ، وهو تحريف ظاهر ، صوابه في الديوان .

(٢) الهاديَات : أوائل الوحش . والنوافل : الغنائم . و« يرين » هي في ط ، س « يرى » وصوابها في الديوان ، م .

(٣) هو الحارث بن الخزرج الحفاجي ، كما في تاج العروس . وانظر الجزء الأول ص ٢٥٩ .

(٤) هج : زجر . للكلب ، يقال : هج هج بتسكين الجيم ، وبكسرهما مع التنوين ، وهجاهجا بترك التنوين . وبعد هذا البيت :

وتزينت لتروعي بجمالها فكأنما كسى الخمار نخارا

فخرجت أعثر في قوادم جيتي لولا الحياء أطرتها إحضارا

(٥) الحيو : امتلاء السحاب بالماء . حبا يحبو : امتلأ . ويقال حبا يحبو : إذا دنا وقرب . وفي ط ، س : « جانبية » ، وفي م : « جانبية » والصواب ما أثبت .

(٦) الهالكى : الحداد ، قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ص ٥٤ : « لأن أول من عمل الحديد الهالك بن عمرو بن أسد بن خزيمه ، ولذلك قيل لبني أسد القيون » .

(٧) الضبن ، بالكسر : اللناحية . وفي الأصل : « ضبن حقف تراجعته » ، صوابه في ٧ : ٢٠١ .

(٨) في الأصل : « والأجذل » وتصحيحه من القاموس .

٩ وأربعة كقداح السرا ۞ لا عانيات ولا عبِلٌ^(١)

وقال الآخر :

بِتْنَا وَبَاتَ جَلِيدُ اللَّيْلِ يَضْرِبُنَا بَيْنَ الْبَيْوتِ قِرَانًا نَبِّحُ دِرَواسِ^(٢)

إِذَا مَلَأَ بَطْنَهُ أَلْبَانُهَا حَلْبًا بَاتَتْ تَغْنِيهِ وَضُرَى ذَاتُ إِجْرَاسِ^(٣)

وَدِرَواس : اسم كلب . والوضرى : استه . وغناؤها : الضراط .

وقال ضابي بن الحارث في ذلك :

فَرَمَلْتُ بِدَمٍ قَدَامٍ وَقَدْ أَوْفَى اللَّحَاقُ وَحَانَ مَصْرَعُهُ^(٤)

وقال الآخر^(٥) :

وَلَوْ هَيَّا لَهُ اللَّهُ مِنَ التَّوْفِيقِ أَسْبَابًا

لَسَمَّى نَفْسَهُ عَمْرًا وَسَمَّى الْكَلْبَ وَثَابًا

ومثل هذا كثير .

(١) البقدح بالكسر : المسم قبل أن يراش وينصل . والمرء : ضرب من الشجر تتخذ منه القسي والسهام . قال زهير :

ثَلَاثَ كَأَقْوَاسِ السَّرَاءِ وَمَسْحَلٍ قَدْ اخْضَرَ مِنْ لَسِ الْغَمِيرِ جِحَافِلَهُ

و « السراء » هي في الأصل « السواء » بالواو ، محرفة .

(٢) في اللسان (ندل) : « عند الندول » ، وهي المرأة الوسخة .

(٣) الإجراس : التصويت . . وفي ط ، م : « ملا بطنها » وتصحيحه من س .

(٤) ترملت : تطلخت . و « قدام » : اسم كلبية ، وهي في الأصل « فراح » محرفة وتصحيحها من اللسان (قدم) . والكلام هنا في تعداد أسماء الكلاب .

(٥) هو أبو محجن كما في محاضرات الراغب (٢ : ٢٩٥) قاله في رجل يسمى وثابا

ويسمى كلبه عمراً . والشعر سميده الجاحظ في ص ١٩٤ من هذا الجزء . وقد

ذكر الراغب الشعر أيضاً في ٢ : ١٥٣ منسوباً إلى ابن أبي عتيق ، فهما روايتان في النسبة .

(أحرص الكلاب)

والكلبُ أشدُّ ما يكونُ حرصاً إذا كان خطمُهُ يمسُّ عَجَبَ ذَنبِ
الظبي والأرنب والثور وغير ذلك ، مما هو من صيده . ولذلك
قال الشاعر (١) :

رَمَّا أَغْدُو مَعِيَ كَلْبِي طَالِباً لِلصَّيْدِ فِي صَحْبِي (٢)
فَسَمَوْنَا لِلْقَيْنِصِ مَعاً فَدَفَعَنَاهُ إِلَى أَظْبِ (٣)
فَاسْتَدْرَتُهُ فَدَرَّ لَهَا يَلْطُمُ الرُّفْعَيْنِ بِالتُّرْبِ (٤)
فَادْرَأَهَا وَهِيَ لَاهِيَةٌ فِي جَمِيمِ الْحَاجِ وَالْغَرْبِ (٥)
فَفَرَى جُمَاعَهُنَّ كَمَا قَدْ مَخْلُولَانِ مِنْ عَصَبِ (٦)

(١) هو أبو نواس . والقصيد في ديوانه (ص ٢١٢) .

(٢) في الأصل : « صحب » ، والأشبه ما أثبت من الديوان .

(٣) السامى : هو الصائد ، أو الصائد الذى يلبس جوربى شعر ، ويعدو خلف الصيد نصف النهار ، ليقه الجوربان حر الرمضاء ، فذلك معنى « سمونا » . وفي ط : « شمونا » وفي س ، م : « سمونا » والوجه ما أثبت من الديوان ، والرواية فيه « فسمونا للحزير به » . والحزير : ما غلظ من الأرض . . والأظبي : جمع ظبي .

(٤) « فاستدترته فدر لها » أى استدترت جريه هو بشدة عدوها فهو يتبعها شدا ليلحق بها ، وهو يضرب رفقيه ، أى إبطيه ، بالأرض ، يريد كأنه يسبح في الأرض من شدة عدوه .

(٥) ادراها : ختلها ومكر بها . والجميم : الكثير المتكاثف . والحاج : شجر . انظر اللسان (حيج) وتأويل مختلف الحديث ١٧٣ . والغرب : شجرة حجازية ضخمة شاكّة ، قيل : ومنه « لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق » . وقد جاء البيت مصحفاً كما يأتى - وأثبت صوابه من الديوان - :

فادرا وهى لاهية فى حير الحاج والقرب

(٦) فرى جماعهن : شق جمعهن وفرقه وجعلهن كثوين يمينين مشقوقين قطعهما قاطع .

ثم قال ^(١) :

غير يَعْفُورٍ أَهْلٌ بِهِ جَافَ دَفِيهِ عَنِ الْقَلْبِ ^(٢)
 ضَمَّ لَحْيَيْهِ بِمَخْطَمِهِ ضَمَّكَ الْكَسْرَيْنِ بِالشَّعْبِ ^(٣)
 وَانْتَحَى لِلْبَاقِيَاتِ كَمَا كَسَرْتَ شَغَوَاءَ مِنْ لُحْبِ ^(٤)
 فَتَعَايَا التَّيْسُ حِينَ كَبَأَ وَدَنَا قُوَّةً مِنَ الْعَجَبِ ^(٥)
 ظَلَّ بِالْوَعْسَاءِ يَنْفُضُهُ آرِمًا مِنْهُ عَلَى الصُّلْبِ ^(٦)
 تِلْكَ لَذَاتِي وَكُنْتُ فَنَى لَمْ أَقُلْ مِنْ لَذَّةِ حَسْبِي

(الإهلال والاستهلال)

وأما قوله : « غير يعفور أهل به » ، فالإهلال الذي ذكر هو شيء
 ١٠ يعتريه . في ذلك ، يخرج من جوفه صوتٌ شبيه بالعواء [الخفيف] ^(٧) ، وهو

-
- (١) الشعر متصل في الديوان ، فاليبت الآتي لا يفصل بينه وبين السابق شعر .
 (٢) اليعفور : الطيبى ، أو ولده . والدقان : الجنان . وجاف : بلغ بالطعنة الجوف .
 وفي الديوان : « جاب » ، وهى رواية اللسان (مادة هلل) .
 (٣) الشعب : إصلاح المكسور ونحوه .
 (٤) الشغواء : العقاب ، وفي الديوان : « فتخاء » وهما بمعنى . وفى ط : « شغواء »
 وهو تصحيف « شغواء » . وكسرت : ضمت جناحيها للهبوط . واللهب :
 مهواة مايين كل جبلين .
 (٥) التيس : عنى به هنا الذكر من الظباء . وكبا : سقط لوجهه . والعجب :
 أصل الذئب .
 (٦) الوعساء : رابية من رمل لينة . ينفضه : يحركه ، وفي الديوان « ينفضه » . و « آرما »
 من أرم عليه : غص . وفي الديوان : « آزما » وهما بمعنى .
 (٧) الزيادة من اللسان .

ما بين الغواء والأنين ، وذلك من حاق الحرص^(١) ، وشدة الطلب ، وخوف القوات . ويقال : أهلت السماء ، إذا صببت ، واستهات : إذا ارتفع صوت وقعها ؛ ومنه الإهلال بالحق . وقال ابن أحر^(٢) :

يَهْلُ بالفرقد رُكبانها كما يَهْلُ الراكبُ المعتمر^(٣)

ومنه استهلال الصبي . ولذلك قال الأعرابي^(٤) : أ رأيتَ من لا شربَ ولا أكلَ^(٥) ولا صاح واستهل ، أليس ذلك يُطل^(٥) ؟ !

(١) في الأصل : « من خلق الحرص » ، وما أثبت هو الوجه وهو الأشبه بلغة الجاحظ ، ولهذا العبارة شبهة في نهاية ص ٥٥ . وحاق الحرص : شدته وقوته . ثم وجدت صاحب اللسان قد نقل تفسير الجاحظ للإهلال من أوله إلى كلمة « القوات » ولم يصرح بنسبة القول إلى الجاحظ . وفي اللسان : « حاق الحرص » كما أثبت .

(٢) في اللسان (مادة هلل) : « وقال الراجز ؟ ! وليس الكلام وجزأ وإنما هو شعر ، فاهنا ضوابه ، وقد جاء البيت في (مادة عمر) منسوباً إلى ابن أحر .

(٣) قال ابن منظور : « فيه قولان : قال الأصمى : إذا انجلى لهم السحاب عن الفرقد أهلوا أى رفعوا أصواتهم بالتكبير كما يهل الراكب الذى يريد عمرة الحج ؛ لأنهم كانوا يهتدون بالفرقد . وقال غيره : يريد أنهم في مفازة بعيدة من المياه فإذا رأوا فرقداً - وهو ولد البقرة الوحشية - أهلوا أى كبروا لأنهم قد علموا أنهم قد قربوا من الماء » اهـ . وانظر اللسان (ركب) . والفرقد في القول الأول هو الفرقدان : نجمان في السماء لا يغربان ، وقيل كوكبان قريبان من القطب ، وقيل كوكبان في بنات نمش الصغرى . قال ابن منظور : « وقد قالوا فيهما الفراقده . . . وربما قالت لهما العرب الفرقد » .

(٤) في الأصل : « من لا أكل ولا شرب » وبذلك يفوت السجع . وكلام الأعرابي هذا سجع ، وقد ذكره الجاحظ في باب السجع من البيان ١ : ٢٨٧ . والأعرابي قال هذا القول عند رسول الله صلى الله عليه وسلم حين قضى في الجنين إذا سقط ميتاً بغرة - الغرة : عبد ، أو أمة - وقد قال له الرسول الكريم بعد أن سمع كلامه : « أسجما كسجع الجاهلية » .

(٥) في الأصل : « بطل » . وإنما هو « يطل » أى يذهب دمه هدراً ، كما في البيان ١ : ٢٨٧ واللسان ونهاية ابن الأثير .

(تخريق الكلب أذنيه)

وإذا ضَبَعَ الكلبُ ، وهو أن يمدَّ ضَبْعَهُ كُلَّهُ ، ولا يكون كالحمار الضيق
الإبطين - والكلبُ في افتراش ذراعيه وبَسْطَ رجليه حتَّى يصيب قَصَّهُ
الأرضَ ، أكثر من الفرس - وعند ذلك ما يَنْشِطُ أذنيه حتَّى يَدْمِيَهُمَا .
ولذلك قال الحسنُ بن هانئ ، وقد طال سانبَعَتَ بهما (١) :

فانصاعَ كالسكوكبِ في انحداره لَفَتَ المشيرَ مُوهِنًا بناره (٢)
شَدًّا إذا أَحْصَفَ في إحضاره (٣) خَرَقَ أذنيه شَبًّا أظفاره
وأول هذه الأرجوزة :

لما غَدَا الثَّعلبُ من وِجارِهِ يَلْتَمِسُ الكَسْبَ على صغارِهِ

(١) كذا .

(٢) الموهن : نحو من نصف الليل أو بعد ساعة منه . قال الزبيدي في تاج العروس
« والموهن كحسن » وقد ضبط بفتح الميم ضبطا بالقلم لا بالانص في نسخ القاموس
واللسان وأساس البلاغة . و « بناره » هي في الأصل : « بشاره » وصوابه
في الديوان ٢١٢ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٣ والصناعتين ٧٩ ، وديوان المعاني
٢ : ١٣٣ .

ولأبي نواس من طردية أخرى في صفة حمام يعفور البصرى (الديوان ٢٣٣) :

* أو لفت نار بيد المشير *

(٣) الإحضار : شدة العدو . وأحصف : اشتد وأسرع . وهي في ط : « أحصف »
وهما بمعنى عند الليث ، وأبو منصور الأزهرى يرى « أحصف » بالخاء من
تصحيف الليث . وهي بالخاء في س ، م ، وبالحاء في نهاية الأرب والديوان . والرواية
فيه : « حتَّى إذا أَحْصَفَ » .

(معرفة أبي نواس بالكلاب ، وجودة شعره)

وأنا كتبتُ لك رَجَزَه في هذا الباب ، لأنَّه كان عالماً راوية ، وكان قد لعب بالكلاب زماناً ، وعَرَفَ منها ما لا تعرفه الأعراب . وذلك موجود في شعره ، وصفاتُ الكلاب مُستَقْصاة في أراجيزه . هذا مع جودة الطبع وجودة السبك ، والحدق بالصنعة . وإن تأملتَ شِعْرَه فَضَّلْتَهُ ، إلا أن تعترض عليك فيه العصبية ، أو ترى أن أهلَ البدو أبداً أشعرُ ، وأنَّ المولَّدين لا يقاربونهم في شيء . فإن اعترض هذا البابُ عليك فإنَّك لا تبصِّر الحقَّ من الباطل ، ما دمتَ مغلوباً .

(طردية لأبي نواس)

قال الحسن بن هاني :

لما غدا الثعلبُ من وِجَارِهِ يلتَمِسُ الكسبَ على صغاره
عارضُهُ في سَنَنِ امتيَّارِهِ^(١) مضمرٌ يَمُوجُ في صِدَارِهِ^(٢)

(١) امتيَّاره : طلبه الميرة ، أى الطعام . والسنن بالتحريك : الطريق . وفي ط : « شتن » وفي س : « سنن » .

(٢) في الأصل : « سدَّاره » وإنما هي « صداره » ، ويعنى بالصدار هنا : جلده الواسع . وسعة الجلد محمودة في الكلاب كما في ديوان المعاني ٢ : ١٣٣ . ورواية « شواره » كما في الديوان ، صحيحة جيدة . والشوار : اللباس ، عني به أيضاً الجلد . و « يموج » هي في الأصل : « يملح » وفي الديوان : « يمرح » . وقال أبو نواس في طردية أخرى (الديوان ٢١٧) :

* بأغصف يموج في شواره *

- ١١ في خَلَقِ الصُّفْرَ وفي أَسْيَارِهِ منضَمَّةً قُصْرَاهُ من إضْمَارِهِ (١)
 قد نَحَتَ التَّسْهِيمُ من أَقْطَارِهِ (٢) من بعد ما كان إلى أَصْبَارِهِ (٣)
 غَضًّا غَذَتْهُ الْخُورُ من عِشَارِهِ (٤) أَيَّامٌ لَا يُحْجَبُ عن أَظَارِهِ
 وهو طَلًّا لم يَدْنُ من إِشْغَارِهِ (٥) في مَنْزِلٍ يُحْجَبُ عن زُورِهِ
 يُسَاسُ فِيهِ طَرَفُ نَهَارِهِ حَتَّى إِذَا أَحْمَدَ في اخْتِبَارِهِ (٦)
 وَأَخَصَ مِثْلَ الْقَلْبِ من نُضَارِهِ (٧) كَأَنَّ خَلْفَ مَلْتَقَى أَشْفَارِهِ (٨)
 جَمَرَ غَضَى يَدْمِنُ في اسْتِعَارِهِ كَأَنَّ لَحْيَيْهِ لَدَى افْتِرَارِهِ

(١) القصرى : أسفل الأضلاع . كما القصيرى أعلى الأضلاع .

(٢) التسهيم : الضمور . وفي الديوان : « التلويح » ، وهما بمعنى . وأقطاره : نواحيه .

(٣) كان إلى أصباره : كان ممتلئاً بديننا . هو من قولهم : مَلَأَ الْكَأْسَ إلى أَصْبَارِهَا : أى رأسها .

(٤) الخور : النوق الغزيرات اللبن ، مفردها خوارة . وهذا المَثْبُت هو رواية الديوان
 وفي ط ، م :

* نَحَتَا كَسْتَهُ الْخُورُ من عِشَارِهِ *

وفي س : نَحَتَا كَسْتَهُ . . . الخ .

و « غَذَتْهُ » هى فى الديوان « كَسْتَهُ » والصواب ما أثبت . ولأبى نواس فى
 مثل هذا المعنى من طردية أخرى :

* غَذَتْهُ أَظَارُ من اللقاح *

(٥) طلا : صغير . وفى الأصل « طلى » وهو خطأ كتابى إذ الكلمة واوية .
 والإشغار فسرهُ الجاحظ فى ص ٣٢ . وفى الأصل : « أَشْفَارِهِ » وفى الديوان :
 « شْفَارِهِ » وهما تحريف ما أثبت .

(٦) أحمد : استحق الحمد . و « اختباره » هى فى الأصل « اختباره » ، وفى الديوان :
 « ابتباره » . والابتيار والاختبار بمعنى . وأما الاختيار فلا وجه له .

(٧) القلب بالضم : السوار . والنضار : الذهب . . فى س : « فى نضاره » .

(٨) الأشفار : حافات الجفون . وفى الأصل : « أشعاره » وهى على الصواب الذى أثبت
 فى الديوان . وفى ط : « خلق » موضع : « خلف » وتصحيحه من س ، م
 والديوان . وقد شبه عيني الكلب فى البيت التالى بجمر الغضى حرة وبصيصاً .

- شكٌ مَسَامِيرَ عَلَى طَوَارِهِ (١) يَضْمُ قُطْرِيَهُ مِنْ اضْطِبَارِهِ (٢)
وَلِنْ تَمْطَى تَمَّ فِي أَشْبَارِهِ (٣) عَشْرُ إِذَا قَدَّرَ فِي اقْتِدَارِهِ (٤)
سَمِعُ إِذَا اسْتَرْوَحَ لَمْ تُثْمَرِهِ (٥) إِلَّا بَأْنَ يُطْلَقَ مِنْ عِذَارِهِ
فَانْصَاعَ كَالْكُوكَبِ فِي انْحِدَارِهِ لَفَتَ الْمُسِيرَ مُوهِنًا بِنَارِهِ (٦)
شَدًّا إِذَا أَحْصَفَ فِي إِحْضَارِهِ (٧) خَرَّقَ أُذُنِيهِ شَبَا أَظْفَارِهِ (٨)
حَتَّى إِذَا مَا انْسَابَ فِي غُبَارِهِ (٩) عَافَرَهُ أَخْرَقُ فِي عِفَارِهِ (١٠)

(١) الشك بمعنى النظم . وفي الأصل : « سك » ، وتصحيحه من الديوان ونهاية الأرب (٩ : ٢٦٢) . وطواره : أراد بها حده .

(٢) اضطباره : من الضبر ، وهو أن يجمع قوائمه ويثبت . والكلمة بهذا الرسم في م فقط ، وفي الديوان : « انضباره » . وفي س ، ط : « اضطارره » . وهذا تحريف . وفي الوساطة ٣٠٠ : « انضباره » . وقطريه : طرفيه . ويرى صاحب الوساطة أن المتنبي أخذ هذا المعنى فقال :

يكاد في العدو من التفتل يجمع بين منته والكلكل
وبين أعلاه وبين الأسفل

(٣) م : « تم في أشيائه » .

(٤) كذا في الديوان ، وفي الأصل :

عشرا إذا أقدر في اقتداره

يقول : إذا تمطى تم له من الطول عشر أشبار ، وذلك إذا ضيق في قدرته على التملط ، فما بالك به إذا ترك لنفسه العنان في ذلك ؟ !

(٥) السمع : ولد الذئب من الضبع . والاسترواح : أن يتشم الهواء بحثاً عن الفريسة . والمأارة : التكنيب . يقول : هو كالذئب في قوة شمه — زعموا أنه يدرك المشوم من فرسخ — وأنه في ذلك صادق لا تخطئ فراسته .

(٦) في الأصل : « بشاره » ، قد تقدم التنبيه على تصحيحه ص ٢٧ .

(٧) سبق شرح هذا البيت وتصحيحه ص ٢٧ .

(٨) في الأصل : « عينيه » وهو تحريف . وقد سبق البيت صحيحاً ص ٢٧ .

(٩) في الديوان : « انشام » ، بمعنى دخل .

(١٠) عافره : غالبه ليجمله في العفر أى التراب ، وما أثبت هو رواية الديوان . وفي التيمورية : « عافره أخرق في غضاره » . وفي ط ، س ، م : « عافره ما أخرق في عفاره » .

فَتَلْتَلِ الْمَفْصِلَ مِنْ فَقَارِهِ ^(١) وَشَقَّ عَنْهُ جَانِبِي صِدَارِهِ
* مَا خَيْرَ لِلثَّعْلِبِ فِي ابْتِكَارِهِ ^(٢) *

(طردية ثانية لأبي نواس)

وقال في كلب سليمان بن داود الهاشمي - وكان الكلبُ يسمى زُبُوراً :-
إذا الشياطينُ رأتْ زُبُوراً قدْ قُلِّدَ الحُلُقَةَ والسُّيُورَا
دَعَتْ نَحْزَانَ الْفَلَا ثُبُوراً ^(٣) أَدَقَى تَرَى فِي شِدْقِهِ تَأْخِيرَا ^(٤)
تَرَى إِذَا عَارِضَتْهُ مَفْرُورَا ^(٥) خَنَاجِرَا قدْ نَبَتَتْ سَطُورَا ^(٦)

(١) تلتل هنا : في معنى شد ونزع .

(٢) يقول : لم يوفق الثعلب في خروجه مبكراً ، لأنه سيكون غنيمة لهذا الكلب .

(٣) الثبور : الهلاك ، ودعا الثبور قال : واثبوره ! . وهذه العبارة قرآنية قال تعالى : « لا تدعوا اليوم ثبوراً واحداً وادعوا ثبوراً كثيراً » . . . والخزان جمع خنز بضم ففتح ، وهو الذكر من الأرانب . و « الفلا » : جمع فلاة . وهي في ط : « الغلا » وصوابها في س ، م والتميمورية والديوان . و « دعت » هي في جميع الأصول « بكت » وأثبت رواية الديوان الصحيحة ، وإنما تدعو الشياطين الثبور لفقد الأرانب التي صرعاها الكلب ثمانية بها . وذلك أن الأرانب فيما تزعم الأعراب - ليست من مطايا الجن ، وأن الجن تهرب منها (الحيوان ٦ : ٤٦ ، ٢٣٨) والدميري (١ : ٣٠) .

(٤) الأدق : الذي أقبلت إحدى أذنيه على الأخرى حتى تكاد أطرافهما تماس في انحدار قبل الجبهة . أو الأدق الذي يمشي إلى جانب ، وذلك أسرع له . وفي الأصل . « أدى » وأثبت ما بالديوان . و « في شدقيه تأخيرا » يقول هو واسع الفم .

(٥) مفرورا : من فر الدابة ، كشف عن أسنانها لينظر ماسنها . وفي ط : « مضرورا » وفي الديوان « مغرورا » وهما تحريف ما أثبت من س ، م .

(٦) إنما اختار « نبتت » ليدل على أصالتها وشدة تمسكها ، وأما « ثبتت » بأى وضع من أوضاعها كان ، فلا تنال قوة « نبتت » .

- مُشْتَبَكَاتٍ تَنْظُمُ السُّحُورَا (١) أَحْسِنَ فِي تَأْدِيهِ صَغِيرَا
حَتَّى تَوَفَّى السَّبْعَةَ الشُّهُورَا (٢) مِنْ سِنِّهِ وَبَلَغَ الشُّغُورَا (٣)
وَعَرَفَ الْإِيحَاءَ وَالصَّفِيرَا وَالْكَفَّ أَنْ تَوَمَّى أَوْ تُشِيرَا
يُعْطِيكَ أَقْصَى حُضْرِهِ الْمَذْخُورَا (٤) شَدَّاءَ تَرَى مِنْ هَمَزِهِ الْأَظْفُورَا (٥)
مُنْتَشِطًا مِنْ أُذْنِهِ سَيُورَا (٦) فَمَا يَزَالُ وَالْغَا تَامُورَا (٧)
مِنْ ثَعْلَبٍ غَادَرَهُ مَجْزُورَا أَوْ أَرْنَبٍ كَوَّرَهَا تَكْوِيرَا (٨)
أَوْ ظَلِيَّةٍ تَقْرُو رَشَاءً غَرِيرَا (٩) غَادَرَهَا دُونَ الطَّلَا عَقِيرَا (١٠)
فَأَمْتَعَ اللَّهُ بِهِ الْأَمِيرَا رَبِّي، وَلَا زَالَ بِهِ مَسْرُورَا (١١)
وقد قال كما ترى :

شَدَّاءَ تَرَى مِنْ هَمَزِهِ الْأَظْفُورَا مُنْتَشِطًا مِنْ أُذْنِهِ سَيُورَا

- (١) السُّحُور : جمع سحر بالفتح أو التحريك أو الضم ، وهو الرثة ، وأراد سحور الصيد .
(٢) تَوَفَّى الْأَشْهُر : أَكَلَهَا وَأَمْتَهَا .
(٣) كَذَا فِي الدِّيَوَان ، وَفِي الْأَصْل : « مِنْ سِنَةٍ » . وَ « الشُّغُور » سَيْفُورُهُ الْجَاهِظُ قَرِيبًا .
(٤) الْحُضْرُ بِالضَّم : شِدَّةُ الْجَرَى ، وَفِي ط : « حَصْرُهُ » مُحَرَفَةٌ ، وَ « الْمَذْخُورَا » هِيَ فِي الدِّيَوَان : « الْمَوْفُورَا » . وَمِثْلُهُ قَوْلُ ذِي الرِّمَّةِ فِي دِيَوَانِهِ ٣٣ وَدِيَوَانِ الْمُعَانِي : ٢ : ١٣٣ :

لَا يَذْخُرَانِ مِنَ الْإِيغَالِ بَاقِيَةٌ حَتَّى تَكَادَ تَقْرَى بَيْنَهَا الْأَهْبُ

- (٥) الْهَمَز : الضَّغْطُ وَالْغَمَزُ .
(٦) يَقُولُ : هُوَ يَنْتَزِعُ بِالْأُظْفَارِ سَيُورًا مِنْ أُذْنِهِ .
(٧) وَالْغَا تَامُورَا : شَارِبًا لِلْدَّمِ بِطَرَفِ لِسَانِهِ . وَفِي ط : « وَالْغَا » وَهُوَ عَلَى الصَّوَابِ فِي س ، م وَالدِّيَوَانِ .
(٨) كَوَّرَهَا : صَرَعَهَا . وَفِي الدِّيَوَانِ : « وَجُورَهَا » ، وَهِيَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ وَزَنَةٍ وَاحِدَةٍ .
(٩) تَقْرُوهُ : تَقْصِدُ إِلَيْهِ . وَفِي ط : « تَغْرُو » وَهُوَ تَصْغِيفٌ مَا فِي س ، م .
وَالرَّشَاءُ الْغَرِيرُ : الظَّبْيُ الصَّغِيرُ .
(١٠) الطَّلَا : وَلَدُ الظَّلِيَّةِ . عَقِيرًا : صَرِيحًا . وَفِي الدِّيَوَانِ : « عَقِيرَا » .
(١١) فِي الدِّيَوَانِ : « وَلَا يَزَالُ فَرَحًا مَسْرُورًا » .

بإثر قوله (١) :

حَتَّى تَوَفَّى السَّبْعَةَ الشُّهُورَ (٢) مِنْ سِنِّهِ وَبَلَغَ الشُّغُورَ (٣)
فَإِنَّ السَّكْلَبَ إِذَا شَعَرَ بِرَجْلِهِ وَبَالَ ، فَذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَمَامِ بُلُوغِهِ
لِلْإِلْقَاحِ ، وَهُوَ مِنَ الْحَيَوَانِ الَّذِي لَا يَحْتَلِمُ (٤) .

(أمارات البلوغ في الغلمان والجواري)

وأما احتلام الغلام فيعرف بأمور : منها انفراقُ طَرَفِ الأُرْبَةِ ،
ومنها تَغْيِيرُ رِيحِ إِبْطِيهِ ، ومنها الأَنْيَابُ (٥) ، ومنها غَلْظُ الصَّوْتِ .
ومن الغلمان من لا يحتلم ، وفي الجواري جَوَارٍ لَا يَحِضُنَ ، وذلك
في النساء عيب ، وليس مثله من الرجال عيباً . وقد رأيت رجالاً يوصفون
بالقُوَّةِ عَلَى النِّسَاءِ ، وبعضهم لم يحتلم إِلَّا مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ، وبعضهم لم
يحتلم أَبَتَةً .

(طردية ثالثة لأبي نواس)

وقد قال الحسن بن هانئٌ مثلاً ذلك ، في أرجوزة أخرى :
يَمْرَى إِذَا كَانَ الْجُرَاءُ عَبْطًا (٦) بَرَاثِنَا سُحْمَ الْأَثَافِي مُلْطًا (٧)

(١) في الأصل : « يَأْبَى قَوْلُهُ » .

(٢) في الأصل : « حَتَّى يَوْفَى » .

(٣) في الأصل : « مِنْ سِتَّةِ » . وقد سبق التنبيه عليه ص ٣١ .

(٤) في الأصل : « لَمْ » .

(٥) كَذَا .

(٦) مَرَى الشَّيْءُ : اسْتَخْرَجَهُ وَأَظْهَرَهُ ، وَفِي الدِّيَوَانِ : « يَفْرَى » . وَالْجُرَاءُ مُصْدَرُ كَالْجُرَى .
وَهَذِهِ رَوَايَةُ الدِّيَوَانِ . وَفِي الْأَصْلِ : « الْجَزَاءُ » . وَالْعَبْطُ : أَنْ يَجْرَى الرَّجُلُ
الدَّابَّةَ حَتَّى تَعْرِقَ .

(٧) الْأَثَافِي : عَنَى بِهَا الْهَنَاتُ لِلنَّاتِئَةِ فِي كَفِّ السَّكْلَبِ . وَالسُّحْمُ : السُّودُ ، جَمْعُ أُسْحَمٍ .
وَالْمُلْطُ : الْحَالِيَةُ مِنَ الشَّعْرِ ، جَمْعُ أَمْلَطَ .

* يَنْشِطُ أُذْنِيهِ بَيْنَ نَشْطَا * .

وهذه الأرجوزة أولها :

عَدَدْتُ كَلْبًا لِلطَّرَادِ سَلْطًا (١) مَقْلَدًا قَلَانِدًا وَمَقْطًا (٢)
 فَهُوَ الْجَمِيلُ وَالْحَسِيبُ رَهْطًا (٣) تَرَى لَهُ شِدْقَيْنِ خُطًّا خَطًّا (٤)
 يَمْرَى إِذَا كَانَ الْجِرَاءُ عَبْطًا (٥) بَرَانْنَا سَحْمَ الْأَثَا فِي مُلْطًا
 يَنْشِطُ أُذْنِيهِ بَيْنَ نَشْطَا تَخَالُ مَا دَمِينٍ مِنْهَا شَرْطًا (٦)
 مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا فَرَطًا (٧) كَأَنَّمَا يُعْجِلِينَ شَيْئًا لَقْطًا
 أَعْجَلَ مِنْ قَوْلِ قَطَاةٍ قَطًّا (٨) فَاجْتَاخَ خِزَّانَ الصَّحَارَى الرَّقْطًا (٩)

- (١) عددته ، بالتشديد : جعلته عدة . وفي الديوان : « أعددت » ، بمعنى هيات .
 والسلط : الشديد .
 (٢) المقط : الحبل .
 (٣) عني بالرهط هنا العشيرة . وفي الديوان : « فهو النجيب » الخ .
 (٤) في الديوان : « ترى له خطين خطا خطا » .
 (٥) سبق القول فيه ص ٣٢ ، وكذلك في البيتين التاليين .
 (٦) رواية الديوان : « نخال مأزمين منه شرطًا » ، وما هنا صوابه . ودمى :
 ظهر منه الدم .
 (٧) إلا فرطًا : إلا في النادر ، فهو كأنه سابح في الهواء . وقد أخذ المعنى من
 قول أبي النجم :

* فَا يَمْسُ الْأَرْضَ مِنْهُ حَافِرُهُ *

- (٨) « قَطَا » هي حكاية صوت القطاة . وفي الموشع ٢٧٣ : « أَخَذَ عَلَى بَنِ الْمُبَارَكِ
 عَلَى أَبِي نَوَاسٍ فِي شَعْرِهِ حَرْفَيْنِ : قَوْلُهُ :
 * أَسْرَعَ مِنْ قَوْلِ قَطَاةٍ قَطًّا *

كَانَ يَنْهَى أَنْ يَقُولَ : « قَطَا » بِالتَّخْفِيفِ . وَقَوْلُهُ :

كَانَ الشَّنَانُ فِيهِ لَنَا كَكَمُونِ النَّارِ فِي حَجَرِهِ

وَأِنَّمَا كَانَ يَنْهَى أَنْ يَقُولَ : فِي حَجَرِهَا هـ . وَفِي الْأَصْلِ : « مِنْ قَوْلِ قَطَاةٍ »
 وَلَيْسَ بِشَيْءٍ .

- (٩) اجتاحها : أهلكها واستأصلها . وفي الأصل : « احتاج » وليس يتجه . وفي
 الديوان : « يكتال » . والخزان : جمع خزز ، وهو ذكر الأرناب . والرقط : جمع
 أرقط ، وهو الأسود يخالط لونه نقط بيض .

يَلْقَيْنِ مِنْهُ حَكَمًا مُشْتَبًا^(١) لِلْعَظْمِ حَطًّا وَالْأَدِيمِ عَطًّا^(٢)

(شعر في نعت سرعة القوائم)

والشعراء إذا أرادوا سرعة القوائم قالوا كما قال^(٣) :

يَخْفَى الثَّرَابَ بِأُظْلَافِ ثَمَانِيَةٍ وَمُسْنَنِ إِذَا أَقْبَلْنَ تَحْلِيلُ^(٤)

وقال الآخر^(٥) :

-
- (١) مشتطاً : جائراً . وفي الديوان : « يلقين منه حاكماً » ، والحكم والحاكم بمعنى .
 (٢) الأديم : الجلد . والعط : الشق بلا بينونة . وفي الديوان : « عبطاً » موضع « عطا » ، وهما سيان .
 (٣) القائل هو عبدة بن الطبيب يذكر ثوراً يحفر كناساً ويستخرج ترابه فيظهره (المفضليات ١٤٠ والأضداد ٨٠ والصناعتين ٧٨ ونوادر أبي زيد ٩) .
 (٤) يخفى : تحرف من الأضداد يكون بمعنى السر والتغطية ، ويكون بمعنى الإظهار ، والإبداء كما في هذا البيت ، وكما في قول امرئ القيس بن عابس الكندي :
 فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا تَخْفَهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا تَقْعُدُ
 وأخفى الشيء يخفيه هو كذلك تحرف من الأضداد . وقرئ قوله تعالى :
 « إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أَخْفِيهَا » بفتح الهمزة وضمها ، مع تأويل الفعل في كل من القراءتين بمعنى الإظهار مرة ، وبمعنى الإخفاء أخرى . والتحليل من تحلة التبيين أي الاستثناء في الحلف ، وهي أن يقول الخالف إثر حلفه : إن شاء الله . قال العسكري : يقول إن مواصلة هذا الثور بين خطواته كواصلة الخالف بالتحلة يمينه من غير تراخ . وقال ابن منظور في شرح هذا البيت : إن « تحليل » بمعنى قليل هين يسير . . والرواية المشهورة في عجز البيت :
 * فِي أَرْبَعِ مَسْنَنِ الْأَرْضِ تَحْلِيلُ *

يريد بثمانية أظلاف في أربع قوائم .

(٥) هو خلف الأحمر كما في الصناعتين ٧٩ ، وديوان المعاني ٢ : ١٣٤ . والبيت الآتي في وصف ثور .

وَكَاثِمًا جَهَدَتْ أَلَيْتُهُ أَنْ لَا تَمَسَّ الْأَرْضَ أَرْبَعَةً^(١)

فأفرط المولّدون^(٢) في صفة السرعة - وليس ذلك بأجود - فقال شاعرٌ منهم يصف كَلْبَةً بِسرعة العَدُو :
 * كَاثِمًا تَرْفَعُ مَا لَمْ يُوضَعَ^(٣) *

وقال الحسن [بن هاني^(٤)] :

* مَا إِنْ يَقَعَنَّ الْأَرْضَ إِلَّا فَرَطًا *

(طردية رابعة لأبي نواس)

وقال الحسن بن هاني في نعت كلب^(٥) :

أَنْعَتُ كَلْبًا أَهْلُهُ فِي كَدِّهِ^(٦) قَدْ سَعِدْتُ جَدُودُهُمْ بِجَدِّهِ^(٧)

(١) جهد ، من باب قطع : جد وبالع . والآية : اليقين والقسم . و « أربعة » أى قوائمه الأربع . وهى فى الأصل : « أربعة » ، وهو تحريف . وقبل البيت :

كالكوكب الدرى منصلتا شدا يفوت الطرف أسرع

(٢) فى ط : « الولد » ، وصوابه فى س ، م .

(٣) هذا ما فى مب . وفى سائر النسخ : « يرفع بما لا يضع » ، تحريف . و الرواية فى الصناعتين ٧٩ وكذا فى محاضرات الراغب ٢ : ٢٨٥ .

* كَاثِمًا يَرْفَعَنَّ مَا لَمْ يُوضَعَ *

وقد جعله الراغب فى نعوت الخيل لا الكلاب .

(٤) التكملة من مب .

(٥) فى نعت كلب ، ساقط من مب .

(٦) « فى كده » : من كده . وفى ط : « فى وده » ، وصوابه فى س ، م ، مب . وفى الديوان : « من كده » ورواية الديرى ٢ : ٤٠٢ ومحاضرات الراغب ٢ : ٢٩٦ « فى كده » .

(٧) الجلود : جمع جد ، بفتح الجيم ، وهو الحظ والزرق ، والجد بالكسر : الاجتهاد .

فكلُّ خيرٍ عندهم من عنده يظلُّ مولاة له كعبده
 بيتٌ أدنى صاحب من مهده (١) وإن عرى جلله بئرده (٢)
 ذو غرة محجلٌ بزنده (٣) تلذُّ منه العينُ حسنَ قدّه (٤)
 يا حُسنَ شدقيه وطولَ خدّه تلقى الأطباءُ عنتاً من طرده (٥)
 يشربُ كأساً شدها في شده بالك من كلب نسيجٍ وخذّه (٦)

(طردية خامسة لأبي نواس)

وقال في صفاتها [وأسمائها] (٧) وسماتها، وأنسابها، وألقابها، وتفدية (٨)
 أربابها لها كما ذكرنا قبل ذلك — :
 قد أغتدي والطيرُ في مشواتها (٩) لم تُعرب الأفواه عن لغاتها (١٠)

(١) يقول : يبيت صاحبه شديد الدنو من موضع نومه .
 (٢) جلله : غطاه . وفي « عرى » ضرورة تسكين الياء ، أو هو يفتح الراء على لغة طيية
 في فتح عين الفعل المعتل اللام . وهى رواية الديوان . وفي مب : « عدا » وفي سائر
 النسخ : « غدا » . وقد جاء مثل هذا المعنى في طردية أخرى لأبي نواس ، يقول فيها
 (الديوان ٢١٧) :

* وإن عرى جلل في رداثه *

(٣) مب : « ذا غرة محجلا » .
 (٤) ماعدا مب : « يلذ » .
 (٥) عنتا : شدة وهلاك . وفي الديوان : « عبتا » . والطرود : الصيد والقتص .
 (٦) نسيج وحده ، يضرب مثلاً لكل من بولغ في مدحه ، كقوالم لا نظير له ، قال
 ابن منظور مبينا أصل المثل : « ومعناه أن الثوب إذا كان كريماً لم ينسج على منواله
 غيره لدقته ، وإذا لم يكن نفيساً دقيقاً عمل على منواله سدى عدة أثواب » .
 (٧) التكلمة من مب .

(٨) ط : « تغذية » والصواب في س ، م ، ومب .

(٩) أراد بالمشواة الموضع التي تسكن فيه وتقيم .

(١٠) يقول : هى نائمة فلا يبين صوت أحدها .

بأكلب تمرح^(١) في قِدَائِهَا تَعُدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ من أَقْوَاتِهَا^(٢)
 قد نَحَتَ التَّقْرِيحَ وَاِرِيَاتِهَا^(٣) من شِدَّةِ التَّسْهِيمِ واَقْتِنَاتِهَا^(٤)
 وَأَشْفَقَ الْفَانَصُ من حَفَاتِهَا^(٥) وَقَلْتُ قد أَحْكَمْتَهَا فَهَاتِهَا
 وَأُذِنَ لِلصَّيْدِ مُعْلَمَاتِهَا^(٦) وَاَرْفَعُ لَنَا نِسْبَةَ أُمَّهَاتِهَا^(٧)
 فِجَاءُ يُزْجِيهَا عَلَى شِيَاتِهَا^(٨) شُمَّ الْعَرَاقِيبِ مُؤَنَّفَاتِهَا^(٩)
 غُرَّ الْوَجْوهَ وَمَحْجَلَاتِهَا مُشْرِفَةَ الْأَكْنَافِ مُؤَفِّيَاتِهَا^(١٠)

(١) القدة ، بكسر الأول وتشديد الثاني : سير يقدر من جلد غير مدبوغ ، جمعه قذات .
 وهذه الكلمة جاءت محرفة في الأصل فهي في ط : « فراتها » وفي س : « قراتها »
 وفي م : « قذاتها » . والصواب في مب والديوان .

(٢) العين : جمع أعين ، وهو الواسع العين . وعنى به هنا البقر . وفي الموشح ٢٨٢
 كلام في هذا البيت .

(٣) التقريح : أثر انهماكها في الصيد . والواريات : السمينات . ورواية الديوان :
 قد لوح التقديح وارياتها

(٤) التمهيم : الضمور . و « اقتناتها » طلبها القوت . ورواية الديوان :
 من شدة التلويح و « اقتناتها »

(٥) الحافى : الذى رق قدمه من كثرة السير والعدو . جمعه حفاة . وفي الديوان : « من
 حقاتها » ، وهو تصحيف . وهذا البيت في الديوان متقدم على سابقه .
 (٦) يقول : اذكر لنا نسبها .

(٧) كذا في مب والديوان وديوان المعاني ٢ : ١٣٣ : « فجاء يزجيا » بمعنى « يسوقها » .
 وفي سائر النسخ : « يزهاها » . والشيات : جمع شية ، وهى الأثر والعلامة .

(٨) العروقب من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في يدها . شم : مرتفعات . والمؤنف :
 الحداد أو المسوى . وهذه رواية مب والديوان وديوان المعاني ٢ : ١٣٣ . وفي سائر
 النسخ : « مؤنقاتها » .

(٩) مشرفة الأكفاف : عالية النواحي . و « مشرفة » رواية مب ، والديوان وديوان المعاني .
 وفي سائر النسخ : « مشرفة » تحريف . وفي الديوان وديوان المعاني : « الأكفاف »
 تحريف . والمؤنفيات : المشرفات .

- قُود الخراطيم مُخَرَطَاتِهَا^(١) سوداً وصُفْراً وَخَلَنَجِيَّاتِهَا^(٢)
 مُسَمَّيَاتٍ وَمُلَقَّبَاتِهَا^(٣) حُمْراً وَبَيْضاً وَمَطْوَقَاتِهَا
 ١٤ مَخْتَبَرَاتٍ مِنْ سَلُوقِيَّاتِهَا كَأَنَّ أَقَاراً عَلَى لَبَّاتِهَا^(٤)
 تَرَى عَلَى أَفْخَاذِهَا سِمَاتِهَا مُفَدَّيَاتٍ وَمُحْمَيَّاتِهَا^(٥)
 مفروشة الأيدي شَرَنْبَثَاتِهَا^(٦) شُمَّ الْعَرَاقِيبِ مؤلفاتها^(٧)
 حَيْدَ الْأَظَاغِيرِ مُكْعَبَرَاتِهَا^(٨) زُلَّ الْمَاخِيرِ عَمَلَسَاتِهَا^(٩)
 * تَسْمَعُ فِي الْآثَارِ مِنْ وَحَاتِهَا^(١٠) *

- (١) قود : جمع أقود : أى طويل . هى فى ط ، م : « قوذ » محرفة ، وعلى الصواب فى س ومب والديوان . والمخرطم ، قال أبو هلال العسكري فى ديوان المعاني ٢ : ١٣٣ : خرطوم مخرطم مثل ليل أليل اه . يعنى للشدة . وانظر نظائر (ليل أليل) فى فقه اللغة ٢٥٦ . والأشطار بعده إلى « مكعبراتها » ساقط من مب .
 (٢) الخلنجى : أصفر خفيف تعلوه غيرة . مبادئ اللغة ١٤٢ .
 (٣) فى ط ، س والديوان : « مقلباتها » ، وفى م : « ملقياتها » ، والصواب من مب . وانظر مثل هذا البيت فى ص ٢٠٢ .
 (٤) وصفها ببياض النحور .
 (٥) المفدى : الذى يفديه صاحبه . وفى الديوان : « منديات » ، وهو تحريف . والمحميات من الحماية والحفظ .
 (٦) مفروشة الأيدي : مبسوطها . والشرنبت : الغليظ .
 (٧) هذا البيت مكرر معاد ، وفيه تحريف . وانظر الحاشية رقم ٨ من ص ٣٧ .
 (٨) الأحيد : المائل أو المقوس ، جمعه « حيد » . وفى الأصل : « حد » ، والصواب ما أثبت . والبيت ليس فى ديوان أبي نواس . والمكعبرات : الشديدة .
 (٩) الماخير : جمع مؤخر ، وهى فى الأصل : « المواخير » ولا وجه له ، والصواب فى الديوان وديوان المعاني . وزل : جمع أزل ، بمعنى الخفيف اللحم . وفى الديوان : « ذل » وما هنا صوابه . العملىس : القوى السريع . وقد وقع بعد هذا البيت فى الأصل هذا البيت الآتى ، ولأنه مكرر حذفته . وهو :
 * تعد عين الوحش من أقواتها *
 (١٠) يقول : إن صوتها يسمع بعد مرورها وجريها كما يسمع وقت جريها ، وذلك لظهوره . والوحاة : الصوت ، مثل الوحى بإسكان الحاء ، والوحى بالقصر . وفى الأصل : « راحاتها » ، وأثبت رواية الديوان .

مِنْ نَهْمِ الْحَرَصِ وَمِنْ خَوَاتِمِهَا^(١) لِنَفْسِ الْأَرْنبِ عَنْ حَيَاتِهَا^(٢)
 إِنَّ حَيَاةَ الْكَلْبِ فِي وَفَاتِهَا حَتَّى تَرَى الْقِدْرَ عَلَى مَثْفَاتِهَا^(٣)
 كَثِيرَةَ الضَّيْفَانِ مِنْ عُفَاتِهَا^(٤) تَقْدِفُ جَالَاهَا بِجَوْزَى شَاتِهَا^(٥)
 فَقَدْ قَالَ كَمَا تَرَى :

تَسْمَعُ فِي الْأَثَارِ مِنْ وَحَاتِهَا^(٦) مِنْ نَهْمِ الْحَرَصِ وَمِنْ خَوَاتِمِهَا^(٧)
 وَهَذَا هُوَ مَعْنَاهَا الْأَوَّلُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ :

* تَعُدُّ عَيْنَ الْوَحْشِ مِنْ أَقْوَاتِهَا *

فَعَلَى قَوْلِ أَبِي النَّجْمِ :

* تَعُدُّ عَانَاتِ اللَّوْى مِنْ مَالِهَا^(٨) *

وَزَعَمُوا أَنَّ قَوْلَهُ :

[كَطَلْعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جَلْبَابِهِ

(١) هذا ما في ميب والديوان . وفي سائر النسخ : « من نهم الصيد » . والخوات ، بالفتح : اللوى والصوت .

(٢) الأرنب : اسم جنس يطلق على الذكر والأنثى ، وقد عني به هنا الأنثى . والجاحظ يرى أن « أرنب » لا تطلق إلا على الأنثى ، كما أن « العقاب » لا يكون إلا للأنثى (السميري ٢ : ٣٠) . وتفتأ الأرنب عن حياتها : تكفها وتمنعها ، أى تقتلها . وفي الأصل : « تقشأ » ، وصوابه في الديوان ، وديوان المعاني .

(٣) عني بالمشقة موضع الأثافي ، وهى الحجارة تنصب عليها للقدر . وفي الديوان : « على شفاتها » محرفة .

(٤) العفاة : جمع عاف ، وهو الضيف وطالب الرزق .

(٥) الجال : الجانب . والجوز : وسط الشيء أو معظمه . وقد نطق بالثنى وأراد الجمع عني أجوازها . انظر مع الهوامع ١ : ٥٠ . وفي الديوان : « بجوز شاتها » ، على الإفراد .

(٦) سبق الكلام في هذا الشطر قريبا ، وكذلك فيما بعده .

(٧) ماعدا ميب : « نهم الصيد » .

(٨) المانات : جماعات حمر الوحش ، وقد ذكر البيت السابق أبو عبيد الله المرزبانى في الموشح ٢٨٢ وقال : أحذه من قول أبي النجم . ولم يذكر بيت أبي النجم ، فلمل ما هنا ساد لسقط هناك .

هو قول الأول^(١) [:

* كَطْلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ كَسَائِهِ *

وهو كما قال الآخر :

* كَطْلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ بُرْدٍ سَمَلٍ^(٢) *

(طردية سادسة لأبي نواس)

وقال الحسن بن هانئ :

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ كَطْلَعَةِ الْأَشْمَطِ مِنْ جَلْبَابِهِ
وَانْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ هِجْنًا بِكَلْبٍ طَالَمَا هِجْنًا بِهِ^(٣)
خَرَطُهُ الْقَانِصُ وَاعْتَدَى بِهِ^(٤) يَعْزُهُ طَوْرًا عَلَى اسْتِصْعَابِهِ^(٥)
[وَتَارَةً يَنْصَبُ لِانْصِبَائِهِ]^(٦) فَاَنْصَاعَ لِلصَّوْتِ الَّذِي يَعْنِي بِهِ^(٧)

كَلَمَعَانَ الْبَرْقِ مِنْ سَحَابِهِ

(١) التكملة من مب ، ونحوها في الموشح ٢٨٢ وما في أخبار أبي نواس لابن منظور ٧٤ مع التصريح بأن الشطر التالي لأبي النجم .

(٢) السمل : الخلق البالي .

(٣) في الأصل : « هجنه كلب » ، وله وجه لو كان في سوى هذا الشعر . وأثبت رواية مب والديوان والراغب الأصفهاني في المحاضرات ٢ : ٢٩٦ ونهاية الأرب ٩ : ٢٦٢ . ولأبي نواس مثل هذا المعنى في طردية أخرى (الديوان ٢٠٧) وهو :

* هجنابه وهاج من نشاطه *

(٤) خرطه : أرسله ، ولم يرو هذا البيت وكذا السبعة التالية حزة بن الحسن الأصبهاني جامع ديوان أبي نواس .

(٥) عزه يعزه : غلبه . واستصعب : صاب صعب المقادة .

(٦) ينصب : ينحدر ، يقول : هو حيناً يغلب كلبه ويستطيع قوده إلى حيث يريد ، وحيناً يهزمه الكلب ويجذبه إلى حيث يريه هو . وقد زدت هذا البيت من الحيوان ص ٦٦ ليكمل المعنى .

(٧) ما عدا مب : « عنى به » .

- كَأَنَّ عَيْنِيهِ لَدَى ارْتِيَابِهِ فَصًّا عَقِيقٍ قَدْ تَقَابَلَا بِهِ
 حَتَّى إِذَا عَفَّرَهُ هَاهَا بِهِ ^(١) بَابًا بِهِ يَابَعُدُ مَا بَابًا بِهِ ^(٢)
 يَنْتَسِفُ الْمَسْقُودُ مِنْ جِدَابِهِ ^(٣) مِنْ مَرَحٍ يَغْلُو إِذَا اغْلُولِي بِهِ ^(٤)
 وَمِيعَةً تُعَرِّفُ مِنْ شَبَابِهِ ^(٥) كَأَنَّ مَتْنِيهِ لَدَى انْسِلَابِهِ ^(٦)
 مَتْنًا شُجَاعٍ لَجَّ فِي انْسِيَابِهِ ^(٧) كَأَنَّمَا الْأُظْفُورُ فِي قِنَابِهِ ^(٨) ١٥

- (١) عفره : جذبه ، وهاها به : خفف هأها به : زجره .
 (٢) بآبأ به : فداه تفدية وقال : بآي أنت . وهذا الشطر والشطر قبله ساقط من مب .
 (٣) ينتسف : ينتزع . وفي س : « ينتفس » وفي ط : « ينتس » ، وفي المحاضرات :
 « ينشف » ، وأثبت ما في م والديوان ، وهو صواب هذه المحرفات . و « من جذابه » :
 بسبب مجاذبته ، فالباء سببية . وهذه هي رواية الديوان والتويرى في نهاية الأرب
 (٩ : ٢٦٢) والمحاضرات الراغب . وفي س : « جزابه » ، وفي ط : « جرابه » ،
 وفي م : « جذابه » ، وكل ذلك تحريف ما أثبت من مب .

- (٤) يغلو المرح : يزداد ويرتفع ، ومنه قول ذى الرمة :
 فبا زال يغلو حب مية عندنا ويزداد حتى لم نجد ما زيدها
 وفي جمهور النسخ : « يملو » وهما بمعنى ، وأثبت رواية مب والديوان ، لتساوقها
 مع بقية البيت . واغلولي : ارتفع . ماعدا مب : « غلا به » ، من غلا بالسهم يغلو ،
 إذا رفع يده به يريد به أقصى الغاية . والضمير في « غلا » عائد إلى القانص . وأثبت رواية
 مب والديوان .

- (٥) مِيعَةُ الشَّبَابِ : أوله .
 (٦) متنا الظاهر : مكتنفا الصلب ، س : « انسرا به » . وفي ط : و م : « اسرا به » وفي
 المحاضرات : « أسلا به » ، وهذه تحريف ما أثبت من مب ، والديوان ونهاية الأرب .
 وانسلابه ، بمعنى إسراعه في السير .
 (٧) الشجاع : الحية أو الذكر من الحيات ، وقد شبه أحمد بن زياد بن أبي كريمة متون الكلاب
 بالخيزران فقال (الحيوان ٢ : ٣٧١) :

- كَأَنَّ غُصُونِ الْخِيزْرَانِ مَعُونَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي طَرَادِ الثَّعَالِبِ
 (٨) القناب : غطاء الظفر . وفي الأصل : « قرابه » والوجه ما أثبت من مب ، والديوان
 ونهاية الأرب والمحاضرات الراغب والموشح ٢٧٣ وديوان المعاني (٢ : ١٣٣) .

مُوسَى صَنَاعٍ رُدَّ فِي نِصَابِهِ (١) يَثْرُدُ وَجْهَ الْأَرْضِ فِي ذَهَابِهِ (٢)
كَأَنَّ نَسْرًا مَاتَوْكَ لَنَا بِهِ (٣) يَعْفُو عَلَى مَا جَرَّ مِنْ ثِيَابِهِ
إِلَّا الَّذِي أَثَّرَ مِنْ هُدَابِهِ (٤) تَرَى سَوَامَ الْوَحْشِ يُحْتَوَى بِهِ (٥)
* يَرُحْنَ أَسْرَى ظُفْرِهِ وَنَابِهِ (٦) *

(١) قال المظفر بن يحيى : غلط أبو نواس في قوله يصف الكلب :

* كَأَنَّما الْأُظْفُورُ فِي قَنَابِهِ *

* موسى صناع رد في نصابه *

لأنه ظن أن مخلب الكلب كمخلب الأسد والسنور الذي ينسرت إذا أراد أن لا يتبيننا ،
وعند حاجتهما تخرج الخالب حجتنا محددة يفتريسان بها . والكلب مبسوط اليد أبداً غير
منقبض . انظر الموشح .

(٢) يثرد وجه الأرض : يشقه ويمزقه ، وهى في جمهور النسخ : « يثرط » وفي مبالديوان :
« يترك » . وفي الديوان : « إلهابه » موضع « ذهابه » والإلهاب : شدة العدو . . . ولأبي
نواس مثل هذا المعنى في طردية أخرى (الديوان ٢٠٨) :

* يقشر جلد الأرض من بلاطه *

والبلاط بالكسر : الفرار أو الاجتهاد في السباحة .

(٣) يقول : كأن هذا الكلب الذي اعتمدنا عليه في صيدنا نسر من النسور .

والنسر أشد الطيور طياراً وأقواها جناحاً . وفي الأصل : « كأن نسرانا » وفي مبال ،
والديوان : « نشوانا » ، والأول تحريف ، والثاني لا يصح إلا بتكلف شديد ، تكلفه
شارح ديوان أبي نواس . وأبو نواس يشبه الكلب كذلك بالصقر ، قال :

* ومر كالصقر على الصيد اشتمل *

وقال :

* كالصقر ينقض على غطاطه *

(٤) يقول : هو يعفو أثر سيره بجسمه على الأرض فلا يبقى إلا أثر يسير كأثر هدايب

الثوب ، فإن الهواء المتدفع خلفه يسوى الأرض التي مزقتها ولا يعجز إلا عن القليل .
و « أثر » هو مافي مبال ، م ، وفي ط : « أثر » وهو تصحيف ، وفي س والديوان :
« آثر » ، ولم أجد له وجهاً .

(٥) سوام الوحش : ما رعى في الفلوات . وتحتوى به : تجمع وتحرز . وما أثبت
هو رواية الديوان . وفي الأصل : « يرى سوام الوحش . . . » الخ . ورواية
النويرى في نهاية الأرب :

* ترى سوام الوحش إذ تحوى به *

(٦) هذا الشطر ليس في الديوان ، وهو الذي قبله ساقطان من مبال . وهو في الأصل محرف هكذا :

* وعين أسد ظفره ونابيه *

والله واثب ما أثبت من نهاية الأرب .

(صفة أبي نواس لشعلب أفلت منه مراراً)

وقال في ثعلب [كان قد ^(١)] أَفَلَتَ مِنْهُ مَرَارًا :

قد طالما أفلتَ يا ثعلاباً ^(٢) وطالما وطالما وطالما
جُلتَ بكابى يومك الأجوالاً ^(٣) ما طَلَّتْ مَنْ لَا يَسْأُمُ المِطالاً ^(٤)
[حتى إذا اليومُ حداً الآصالاً ^(٥) أتاك حينٌ يقدمُ الآجالاً ^(٦)]

(طاردية سابعة لأبي نواس)

وقال أبو نواس أيضاً :

ياربَّ بيتٍ بفضاءٍ سَبَسَبِ ^(٧) بَعِيدِ بَيْنَ السَّمَكِ والمِطْنَبِ ^(٨)
لِفِتْيَةٍ قد بَكَّرُوا بِأَكْلِبِ ^(٩) قد أدَّبوها أحسنَ التَّدْبِ

(١) التكلة من مب .

(٢) ثعلاباً : ترخيم ثعلابة ، والألف للإطلاق . وثعلابة : علم جنس للثعلب ، كما أن أسامة علم للأسد ، وهي في ط ، م : « ثعلاباً » وصوابه في س ، مب والديوان ٢١٤ .

(٣) كذا في مب والديوان ، وفي سائر النسخ : « المجالاً » . وفي مب : « خلفك » .

(٤) المطال هنا : بمعنى المرافعة .

(٥) الآصال : جمع أصيل ، وهو الوقت بعد للعصر إلى المغرب ، وحدا اليوم الآصال كناية عن حلول وقت الأصيل ، فيما أرى .

(٦) الحين : الهلاك ، والأجل : العمر . يقول : إن الكلب قد قضى على حياة الثعلب الذي سبق هلاكه أجله . وهذا البيت وما قبله ليسا بالأصل ، وقد كتبتهما من الديوان .

(٧) السبب : الأرض المستوية البعيدة . وفي جمهور النسخ : « لفضاء سبب » ، والوجه ما أثبت من مب ، والديوان .

(٨) السمك ، بالفتح : السقف . والمطنب : موضع الطنب ، والمطنب بضمين : جبل يشد به سرادق البيت ، أو التود .

(٩) في ط ، م : « لقيته » ، وصوابه في س ، ومب والديوان .

مِنْ كُلِّ أَدْفَى مَيْسَانِ الْمُنْكَبِ (١) يَشْبُ فِي الْقَوْدِ شِبَابَ الْمُقَرَّبِ (٢)
يَنْشِطُ أُذُنِيهِ بِجِدِّ الْمِخْلَبِ (٣) فَمَا تَنَى وَشِيقَةً مِنْ أَرْنَبِ (٤)

(١) الأدفى : هو مثل عقاب دفواء : معوجة المنقار ، فالمراد به أنه معوج الخطم ، وهو مقدم الأنف والقم . واعوجاج الخطم من صفة الكلاب الجياد ، ومنه قول الراجز (أنشده أبو زيد في النوادر ٥١) :

قد أغتدى قبل طلوع الشمس للصيد في يوم قليل النحس
بأحجن الخطم كى النفس

النحس : الغبار . والأحجن : المعقف . و « أدفى » هى فى جمهور النسخ « أوفى » محرفة ، وهى على الصواب الذى أثبت فى مب والديوان . ولأبى نواس من طردية أخرى سبقت قريباً :

* أَدْفَى تَرَى فِى شِدْقِهِ تَأْخِرَا *

ورواية العسكري فى ديوان المعانى ٢ : ١٣٣ : « أخلى » ، وهى تصحيف « أخلى » بمعنى المسترخى الأذن . والميسان : المتبخر . قال العسكري :
أبى من سعة جلده يمس منكبه . والبيت فى الأصل هكذا :

* مِنْ كُلِّ أَوْفَى مَسْتَبَانِ الْمُنْكَبِ *

واعتمدت فى إصلاحه على مب ، والديوان وديوان المعانى .

(٢) يشب : يرفع يديه . والمصدر الشباب بالكسر والشبوب بالضم ، وجاءت الرواية بالآخر فى الديوان وديوان المعانى . والقود : نقيض السوق . وهى فى جمهور النسخ : « الغور » وليس له وجه ، والوجه فى مب ، والديوان وديوان المعانى . والمقرب : الكريم من الخيل ، يشد لسكره يقرب البيوت . وهو فيما عدا مب : « المعرب » ، وهو تحريف ما أثبت من مب ، والمرجعين السابقين .

(٣) ينشط : يجذب . وفى ديوان المعانى والديوان : « يلحق » .

(٤) يقال : لاينى يفعل كذا وكذا ، بمعنى لايزال ، كما فى قول الشاعر :

فأينون إذا طافوا بحجهم يهتكون لبيت الله أستاذ

مأعدا مب : « فائى » ، والوجه ما أثبت من مب ، والديوان . والشيقة : لحم يقدد حتى ييبس ، أو يغلى لإغلاء ثم يقدد ويحمل فى الأسفار ، وهو أبهى قديد . وفى ط : « وثيقة » ، وصوابه فى سائر النسخ والديوان .

وجِلْدَةٌ مَسْلُوبَةٌ مِنْ ثَعْلَبٍ ^(١) مَقْلُوبَةٌ الْقَرَوَةُ أَوْ لَمْ تَقْلَبِ ^(٢)
وَعَيْرُ عَانَاتٍ وَأُمُّ التَّوَلَبِ ^(٣) وَمِرْجَلٌ يَهْدِرُ هَذِرَ الْمُصْعَبِ ^(٤)

[يَقْذِفُ جَالَاهُ بِحُوزِ الْقَرْهَبِ ^(٥)]

(صفة ما يستدل به على فراهية الكلاب وشياتها ومسياساتها)

قال بعضُ مَنْ خَبَرَ ذَلِكَ ^(٦) : إِنَّ طَوْلَ مَا بَيْنَ يَدَيِ الْكَلْبِ وَرَجْلَيْهِ -
بعد أن يكونَ قصيرَ الظهر - مِنْ علامةِ السُّرْعَةِ .

(١) البيت ساقط من م ب ، كما سقط من الطبعة الأولى ، وهو في سائر النسخ .

(٢) في الديوان :

وفروة مسلوبة من ثعلب مقلوبة الجلدة أو لم تقلب

ولا تنافر بين الروايتين ، وهما يؤيدان مؤدى واحداً . وأنا أستحسن رواية الجاحظ .

(٣) العير : الحمار الوحشي . والعانات : جماعات الخمر الوحشية . وفي الأصل : « وجعش عانات » ، والجمعش : الصغير من الحمر . والعرب لا تقول جعش عانة ، وإنما تقول عير عانة ، يعنون بذلك أنه رئيسها « الذي يوردها ويصدرها وتنفض بهوضه ويقعن بوقوعه » . الحيوان ٥ : ٤٢٢ حيث تكلم الجاحظ في رؤساء الحيوان . وقد جاءت الرواية على الصواب الذي أثبتته في ديوان أبي نواس . و « أم التولب » هي الأتان : أنثى الحمار الوحشي ، والتولب ولدها . وفي الأصل : « لأم التولب » ، والوجه ما كتبت من الديوان .

(٤) المرجل : القدر يطبخ فيها . يهدر : يظهر له صوت من شدة غليان ما فيه . والمصعب : الفحل من الإبل .

(٥) التكلة من م ب ، وليست في الديوان . وجالا المرجل : جانباه . والجوز : الوسط . والقَرْهَب من الثيران : الكبير الضخم .

(٦) م ب : « غير » ، وفي سائر النسخ : « يجيد » ، ولعل الصواب ما أثبت .

قال : ويصفونه بأن يكونَ صَغِيرَ الرَّأْسِ ، طَوِيلَ العُنُقِ غَلِيظَها^(١) ،
وأن يُشَبِّهَ بعضُ خَلْقِهِ بعضاً ، وأن يكونَ أَغْضَفَ [الأذنين]^(٢) مُفْرَطَ
الغَضَفِ ، ويكونَ بَعِيدَ ما بينهما^(٣) ، ويكونَ أَزْرَقَ العَيْنَيْنِ ، طَوِيلَ
المُقْلَتَيْنِ^(٤) ، نَاتِيءَ الحَدَقَةِ^(٥) ، طَوِيلَ الخَطَمِ^(٦) ، واسِعَ الشَّدَقَيْنِ ، نَاتِيءَ
الجَبْهَةِ عَرِيضَها ، وأن يكونَ الشَّعْرُ الَّذِي تَحْتَ حَنَكِهِ كَأَنَّهُ طَاقَةٌ^(٧) ويكونَ
غَلِيظاً ، وكذلك شَعْرُ خَدَّيْهِ ، ويكونَ قَصِيرَ اليَدَيْنِ ، طَوِيلَ الرَّجْلَيْنِ ؛ لِأَنَّهُ
إذا كان كذلك كان أَسْرَعَ في الصُّعُودِ بِمَنْزِلَةِ الأَرْنَبِ . ١٦

قالوا : ولا يكاد يَلْحَقُ الأَرْنَبَ في الصُّعُودِ ، إِلَّا كُلُّ كَلْبٍ قَصِيرِ
اليَدَيْنِ ، طَوِيلِ الرَّجْلَيْنِ .

وينبغي أن يكونَ طَوِيلَ الصَّدْرِ غَلِيظاً ، ويكونَ ما يَلِي الأَرْضَ من
صَدْرِهِ عَرِيضاً ، وأن يكونَ غَلِيظَ العَضْدَيْنِ ، مُسْتَقِيمَ اليَدَيْنِ ، مُضْمُومَ
الأَصَابِعِ بَعْضُها إلى بعضٍ ، إذا^(٨) مشى أو عدا ، وهو أَجْدَرُ أَلَّا يَصِيرَ
بينها من الطَّيْنِ وغيرِ ذلك ما يَفْسُدُها^(٩) ، ويكونَ ذِكْيُ الفَوَادِ نَشِيطاً ؛
ويكونَ عَرِيضَ الظَّهْرِ ، عَرِيضَ ما بين مفاصل عظامه ، عَرِيضَ ما بين

(١) في الأصل : « غليظهما » وصوابه من عيون الأخبار (٢ : ٨٠) .

(٢) كلمة يحتاج إليها الكلام . والأغصف : المسترخى الأذن .

(٣) وذلك بأن يكون عريض الجبهة . وانظر نهاية الأرب (٩ : ٢٦٠) .

(٤) المقلة : شحمة العين التي تجمع البياض والسواد .

(٥) الحدقة : سواد العين .

(٦) الخطم : مقدم الفم والأنف .

(٧) الطاقة : الحزمة من الريحان ونحوه . وفي عيون الأخبار : « وأن يكون الشعر الذي تحت حنكه طاقة طاقة » .

(٨) في الأصل : « وإذا » .

(٩) في ط : « أو هو جدران لا يصير » الخ ، والصواب في س ، م .

عَظْمَى أَصْلُ الْفَخْذَيْنِ الَّذِينَ يَصْبِيَانِ أَصْلَ الذَّنْبِ ، وَطَوِيلَ الْفَخْذَيْنِ غَلِظَهُمَا شَدِيدَ لَحْمِهِمَا ، وَيَكُونُ رَزِينُ الْمُحْزَمِ ^(١) ، رَقِيقَ الْوَسْطِ طَوِيلَ الْجِلْدَةِ الَّتِي بَيْنَ أَصْلِ الْفَخْذَيْنِ وَالصُّدْرِ ، وَمُسْتَقِيمَ الرَّجْلَيْنِ ، وَيَكُونُ فِي رَكْبَتِهِ انْخِنَاءٌ ^(٢) وَيَصِيرُ قَصِيرَ السَّاقَيْنِ دَقِيقَهُمَا ، كَأَنَّهُمَا خَشْبَةٌ مِنْ صَلَابَتِهِمَا .

وَلَيْسَ يُكْرَهُ أَنْ تَكُونَ الْإِنَاثُ طَوَالَ الْأَذْنَابِ . وَيَكْرَهُ ذَلِكَ لِلذَّكَوَرِ . وَلَيْنُ شَعْرُهُمَا يَدُلُّ عَلَى الْقُوَّةِ .

وَقَدْ يَرُغَبُ ذَلِكَ فِي جَمِيعِ الْجَوَارِحِ مِنَ الطَّيْرِ وَذَوَاتِ الْأَرْبَعِ ، مِنْ لَيْنِ الرَّيْشِ لَذَوَاتِ الرَّيْشِ .

وَلَيْنُ الشَّعْرِ لَذَوَاتِ الشَّعْرِ مِنْ عِتَاقِ الْخَيْلِ عِلَامَةٌ صَالِحَةٌ .

قَالَ : وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْكَلْبُ شَدِيدَ الْمَنَازَعَةِ لِلْمَقْوَدِ وَالسَّلْسِلَةِ ، وَأَنْ يَكُونَ الْعَظْمُ الَّذِي يَلِي الْجَنْبَيْنِ مِنْ عِظَامِ الْجَنْبَيْنِ صَغِيرًا فِي قَدَرِ ثَلَاثِ أَصَابِعٍ .

وَزَعِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ : إِنَّ السُّودَ مِنْهَا أَقْلُهُمَا صَبْرًا عَلَى الْبَرْدِ وَالْحَرِّ ، وَإِنَّ الْبَيْضَ أَفْرَهُ إِذَا كُنَّ سُودَ الْعَيُونِ .

قَالَ : وَمِنْ عِلَامَةِ الْفَرَةِ الَّتِي لَيْسَ بَعْدَهَا شَيْءٌ ، أَنْ يَكُونَ عَلَى سَاقِيهِ

(١) الْحَزْمُ : مَوْضِعُ الْحَزَامِ مِنَ الدَّابَّةِ . وَهِيَ فِي الْأَصْلِ : « الْحَمْلُ » وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ . وَالرَّزِينُ : الثَّقِيلُ .

وَعَنْتَرَةُ بَنُ شَدَادٍ قَدْ جَعَلَ هَذِهِ الصِّفَةَ أَيْضًا مِنْ نَعْتِ الْفَرَسِ الْجَيِّدِ ، قَالَ فِي مَعْلَقَتِهِ :

وَحَشِيْقِي مَرْجٍ عَلَى عِبْلِ الشَّوْىِ نَهْدَ مَرَاكِلِهِ نَبِيلُ الْحَزْمِ

(٢) فِي ط ، م : « وَلَا يَكُونُ فِي رَكْبَتِهِ إِغْنَاءٌ » ، وَفِي س : « وَلَا يَكُونُ فِي رَكْبَتِهِ

انْخِنَاءٌ » ، وَأَصْلَحَتِ الْعِبَارَةُ بِمَا تَرَى مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٨١) .

أو على إحداهما^(١) أو على رأس الذنب مخلب ، وينبغي أن يُقَطَّع من السَّاقين ،
لئلا يَمْنَعَهُ^(٢) من العدو .

(خير غذاء للكلب)

وذكرَ أن خير الأشياء التي تُطْعَمُهَا الكلبُ^(٣) الخبزُ الذي قد يَبَسُّ ،
ويَكُونُ الماءُ الَّذِي يُسْقَاهُ يُصَبُّ عليه شيءٌ من زيت ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَالْقَتِّ^(٤)
المحض للخيول ، ويشتدُّ عليه عدوُّه .

(خير طعام لإسمان الكلاب)

وقال : خير الطعام في إسمان الكلاب رأسٌ مطبوخٌ ، وأكارعُ
بشعرها ، من غير أن تُطْعَمَ من عظامها شيئاً . والسَّمنُ إذا طَعِمَ منه قدرُ
ثلاثِ سُكَّرَجَاتٍ^(٥) مرتين أو ثلاثَ مَرَّاتٍ فَإِنَّ ذَلِكَ مما يسمِّنه ، ويقالُ إِنَّهُ

(١) في الأصل وكذا في عيون الأخبار : « أحدهما » . والساق مؤنثة .

(٢) في ط : « ما يمنعه » وفي س ، م : « لا يمنعه » ، وصوابهما ما أثبت . والذي
يقطع من الساقين هو المخلب .

(٣) في الأصل : « تطعمه الكلاب » .

(٤) في اللسان والقاموس : « القت الفصنصة » . وقد رجعت في تفسير « الفصنصة »
إلى تذكرة داود الطبيب فوجدته يقول : إنها تعرف في مصر بالبرسيم ا هـ . وفي ط :
« كالقت » وهو تحريف صوابه في س .

(٥) قال الخفاجي في شفاء الغليل : « سكرجة بضم السين والكاف وفتح الراء
المشددة ، ومنهم من ضمها والصواب الفتح ، معرب . ومعناه مقرب الخل »
وفي اللسان : « إناء صغير يؤكل فيه الشيء القليل من الأدم ، وهي فارسية ،
وأكثر ما يوضع فيها الكوامخ » . وقد ذكر لها الإسكافي (في مبادئ
اللغة ٥٧) اسماً عربياً هو « المصبغة » التي يجعل فيها الصبغ بالكمرة ،
أي الإدام .

يُعِيدُ أَهْلَهُمْ شَابًا ، حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ فِي الصَّيْدِ وَفِي الْمَنْظَرِ . وَالْعَظْمُ وَالْثَرِيدُ
مِنْ أَرْدِي مَا تَأْكُلُهُ لِلْعَدُوِّ .

(من علاج الكلب)

وَمَّا يَكُونُ غِذَاءً وَمِنْ خَيْرِ شَيْءٍ يُدَاوَى بِهِ الْكَلْبُ مِنْ وَجَعِ الْبَطْنِ
وَالْدِيدَانِ ، أَنْ يُطْعَمَ قِطْعَةً أَلْيَةً وَصُوفَ شَاةٍ مَعْجُونًا بِسَمَنِ الْبَقَرِ ، فَإِنَّهُ ١٧
يُلْقِي كُلَّ دُودٍ وَقَذَرٍ فِي بَطْنِهِ .

وخير ما يعالج به الحفا^(١) أَنْ يُدَهَّنَ أَسْتُهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ، وَيُجَمَّ فِيهَا
وَلَا يَسْتَعْمَلَ ؛ أَوْ يَمَسَحَ عَلَى يَدَيْهِ وَرَجْلَيْهِ الْقَطِرَانُ .

وَذُكِرَ عَنْ خَزِيمَةَ بْنِ طَرْخَانَ الْأَسَدِيِّ ، مِنْ أَهْلِ هَمْدَانَ^(٢) ، أَنَّهُ
قَالَ : لَيْسَ مِنْ عِلَاجِ الْكَلْبِ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُخْفَنَ .

(كدي، وأكدي، والكذبة)

وَقَالَ : يُقَالُ كَدَى الْجُرُؤُ يَكْدَى كَدَى^(٣) وَهُوَ دَاءٌ يَأْخُذُ الْجِرَاءَ
خَاصَّةً ، يَصِيبُهَا مِنْهُ قَيْءٌ وَسَعَالٌ ، حَتَّى تَكُونَ بَيْنَ عَيْنَيْهَا^(٤) . وَيُقَالُ أَكْدَى

(١) فِي الْأَصْلِ : « الْحَفَا » ، وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ٨١) : « وَإِذَا حَقَى دَهْنَتِ اسْتِهِ »
وَالْحَفَا : رَقَّةُ الْقَدَمِ .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « هَمْدَان » ، وَهَمْدَانُ : قَبِيلَةٌ يَمَنِيَّةٌ . وَإِنَّمَا هُوَ « هَمْدَان » بِلَدِّ بَدِيعِ الزَّمَانِ .

(٣) ط : « كَدَاءٌ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ سِ وَالْمَخْصَصِ ٨ : ٨٢ .

(٤) مَب : « يَكُونُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ » .

الرجل إكداء : إذا لم يظفر بجاحته . والكُدَيَّة من الأرض : ارتفاعٌ
في صلابة . ويقال في الماء : حفرَ فأكدى .

(علاج الكلاب لأنفسها)

وزعم صاحبُ المنطق أنَّ الكلابَ إذا كان في أجوافها دُود ، أكلت
سنبِلَ القمح فتبرأ .

وزعم أنَّ الكلابَ تمرض فتأق حشيشة^(١) تعرفُها بعينها ، فتأكل
منها فتبرأ .

(عداوة بعض الحيوان لبعض)

وزعم صاحب المنطق أنَّ العقابَ تأكلُ الحياتِ ، وأنَّ بينهما عداوةً ؛
لأنَّ الحيةَ أيضاً تطلبُ بيضَها وفراخها .

قال : والغداف يقاتل البومة ، لأنَّ الغدافَ يَخْطِفُ بيضَ البومة^(٢)
نهاراً . وتشدُّ البومةُ على بيض الغداف ليلاً فتأكله ؛ لأنَّ البومةَ ذليلةٌ
بالأرديَّة النظر^(٣) ، وإذا كان اللَّيْلُ لم يَقوَ عليها شيءٌ من الطير .
والطير كلُّها تعرفُ البومةَ بذلك وصنيعَها [بالليل^(٤)] ، فهي تطير حولَ
البومة^(٥) وتضرُّبُها وتنتِفِ ريشها . ومن أجل ذلك صارَ الصيَّادون
ينصبونها للطير^(٦) .

والغداف يقاتل ابنَ عرسٍ ؛ لأنه يأكل بيضَه وفراخه^(٧) .

(١) هذا ما في مب . وفي سائر النسخ : « أن الكلاب تأق حشيشة » .

(٢) مب : « والغداف يخطف بيض البومة » فقط .

(٣) في مب : « البصر » .

(٤) ط : « وضعها فإذا رأيَها » وتصحيحه من س ، ومب .

(٥) ط : « حولها البومة » وصوابه في س ، ومب .

(٦) مب : « ولحرصها ذلك صار الصياد ينصب للطير بالبومة » .

(٧) هذا الصواب من مب . وفي سائر النسخ : « ليأكل بيضه وفراخه » .

قال : وبين الحِدَاة والغُداف قتالٌ ؛ لأنَّ الحِدَاةَ تَخْطِفُ ببيض الغُداف ؛ لأنها أشدُّ مَخَالِبَ وأسرَعُ طيراناً .

وبين الأَطْرُغَلَّةُ ^(١) والشَّقْرَاقُ ^(٢) قتال ؛ لأنه يقتل الأَطْرُغَلَّةُ ^(١) ويُطالِبُها ^(٣) .

وبين العنكبوت والعَظَايَةِ ^(٤) عداوة ، والعَظَايَةِ تأكل العنكبوت .
وعصفور الشوك يعبَثُ بالحمار ، وعبَثَ ذلك قتال له ؛ لأنَّ الحمارَ إذا مرَّ بالشوك وكانت به دَبْرَةٌ ^(٥) أو جَرَبٌ تحكَّكَ بِهِ ، ولذلك متى نَهَقَ الحمار سقط بيضُ عصفور الشوك ، [وجعلتُ ^(٦)] فراخه تخرج من عَشِّها . ولهذا العِلَّةُ يطيرُ العصفورُ وراءَ الحمار وينقرُ رأسه .

وَالذئبُ مَخَالِفٌ لِلثَّورِ والحمارِ والثعلبِ جميعاً ، لأنه يأكل اللحم النَّيَّءَ ^(٧) ولذلك يقع على البقر والحمير والثعالبِ .

(١) الأَطْرُغَلَّةُ : اسم يقع على الدبسية ، والقمرية ، والفاخته المطوقة . انظر القاموس (الأَطْرُغَلَات) و (صلل) .

(٢) الشَّقْرَاقُ يفتح الشين وكسرهما : طائر صغير يسمى الأخیل ، وهو أخضر مليح بقدر الحمامة ، وخضرته حسنة مشبعة ، وفي أجنحته سواد ، والعرب تتشاهم به . وقال الجاحظ : إنه نوع من الغربان ، وفي طبعه العفة عن السفاد ، وهو كثير الاستغاثة ، إذا ضاربه طائر ضربه وصاح كأنه المضروب . الديمري .

(٣) في الأصل : « يطالبه » .

(٤) قال الأزهرى : هي دويبة ملساء تعدو وتتردد كثيراً ، تشبه سام أبرص ، إلا أنها أحسن منه ولا تؤذي ، وتسمى شحمة الأرض . الديمري .

(٥) الدبرة بالتحريك : قرحة الدابة والبعير ، والجمع دبر وأدبار ، مثل شجرة وشجر وأشجار . وهي في ط : « بدرة » ، وصوابها في س . وانظر نهاية الأرب ١٠ : ١٧ .

(٦) أحسب هذه الكلمة ساقطة من الأصل .

(٧) في الأصل : « الني » ، وإنما هو « النيء » .

وبين الثعالب والزُرَق^(١) خلافٌ لهذه العلة ؛ لأنهما جميعاً
يأكلان اللحم .

والغراب يُخالف الثَّورَ ؛ ويُخالف الحمارَ جميعاً ، ويطير حولها ، وربما
نَقَرَ عيونَهُما . وقال الشاعر :

عَادَيْتُنَا لَا زِلْتَ فِي تَبَابٍ عَدَاوَةَ الْحِمَارِ لِلْغُرَابِ
ولا أعرف هذا من قول صاحب المنطق ؛ لأنَّ الثعلبَ لا يجوزُ أن يُعَادِيَ مِنْ
بينِ أحرارِ الطيرِ وجوارِحِها الزُّرَقَ وحده ، وغيرُ الزُّرَقِ آكِلُ اللَّحْمِ . وإن
كان سببُ عداوته له اجتماعُهُما على أَكْلِ اللَّحْمِ ، فليُبْغِضِ العقابَ من
الطيرِ ، وأذْثَبَ من ذوات الأربعِ ؛ فَإِنَّهَا آكِلُ اللَّحْمِ . والثعلبُ إلى أن
يَحْسُدَ ما هو [كذلك] أقربُ ، وأولى في القياس^(٢) ، فلو زعم أنه يَعُمُّ أَكْلَةَ
اللَّحْمِ بالعداوة ، حَتَّى يُعْطَى الزُّرَقُ من ذلك نصيبه ، كان ذلك أَجْوَزَ^(٣) .
ولعلَّ المترجم قد أساء في الإخبار عنه .

قال : والحية تقاتل الخنزيرَ ، وتقاتل ابنَ عِرسٍ ، وإنَّما تقاتلُ
ابْنَ عِرسٍ إِذْ كان مأواهما في بيتٍ واحدٍ ، [وتقاتلُ الخنزيرَ]^(٤) لأنَّ
الخنزيرَ يأكلُ الحياتِ . ويزعمون أنَّ أَلَذَى يأكلُ الحياتِ القنافذُ ،
والأوعالُ ، والخنزيرُ ، والعقبان .

قال : فالحية تعرف هذا من الخنزير ، فهي تُطالِبُه .

(١) الزرق ، كسكر : طائرٌ يصاد به ، بين البازي والباشق .
(٢) في الأصل : « والثعلب إلى أن يحسد ما هو أقرب وذلك أولى في القياس » ، وقد
عدلت القول وأكلمته بما ترى .
(٣) ط ، م : « أجور » ، والصواب في س .
(٤) زدت هذه الجملة ليتزن الكلام .

قال : والغراب مصادقٌ للثعلب ، والثعلبُ مصادقٌ للحية^(١) ، والأسد والنمر مختلفان .

قال : وبين الفيلة اختلافٌ شديد ، وكذلك ذكورها وإناثها ، وهي تستعمل الأنياب إذا قاتل بعضها بعضاً ، وتعتمد بها على الحيطان فتهدمها ، وترحم النخلة بمنجها فتصرعها .

(تذليل الفيل والبعير)

وإذا صعب من ذكورها شيء احتالوا له حتى يكوم^(٢) [ذكر] آخر ، فإذا كامه خضع أبداً . وإذا اشتد خلقه وصعب عصّبوا رجليه فسكن .
ويقال إن البعير إذا صعب وخافه القوم ، استعانوا عليه فأبركوه^(٣) وعقلوه حتى يكوم فحل آخر ، فإذا فعل ذلك به ذل !

(الفيل والسنور)

وأما أصحابنا فتحكوا وجوه العداوة التي بين الفيل والسنور - وهذا أعجب - وذهبوا إلى فزع الفيل من السنور ، ولم يروه يفزع مما هو أشد وأضخم . وهذا الباب على خلاف الأول ؛ كأن أكثر ذلك الباب بُني على عداوة الأكلفاء .

(١) ماعداً مب : « الثعلب . . . الحية » .

(٢) يكومه : يعتليه اعتلاء ذكورة الحيوان لإناثها . والتكلمة بعده من مب .

(٣) في الأصل : « فبركوه » .

(الشاة والذئب)

والشاةُ من الذئب أشدُّ فرَقاً منها من الأسد ، وإن كانت تعلم أن
الأسد يأكلها .

(الحمام والشاهين)

وكذلك الحمام يعتريه من الشاهين ما لا يعتريه من العقاب
والبازي والصقر .

(أعداء الفأرة)

وكذلك الفأرة من السَّور ، وقد يأكلها ابنُ عَرَس . وأكثر ذلك
[أن ^(١)] يقتلها ولا يأكلها . وهى من السَّور أشدُّ فرَقاً .

(الثعلب والدجاج)

والدَّجاجة تأكلها أصناف من السباع ، والثعلب يطالبها مُطالبةً شديدة ،
ولو أن دجاجاً على رفٍّ مرتفع ، أو كُنَّ على أغصان شجرة شاهقة ، ثم مرَّ
تحتها كلُّ صنفٍ مما يأكلها ، فإنَّها تسكون مستمسكةً بها معتصمةً بالأغصان
التي [هى] عليها . فإذا مرَّ تحتها ابنُ آوى وهنَّ ألفٌ ، لم تَبَقْ واحدةٌ منهنَّ
إلا رمَتْ بنفسها إليه ^(٢) .

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل .

(٢) انظر ماسياتى فى ٦ : ٣٧٦ .

(ما يأباه بعض الحيوان من الطعام)

والسبع لا يأكل الحارَّ ، والسَّتور لا يذوقُ الحموضة ، ويَجْزَعُ من الطَّعام الحارَّ . والله تعالى أعلم .

(ما أشبه فيه الكلب الأسود والإنسان)

ثمَّ رَجَعَ بنا القولُ إلى مفاخر الكلب ، ونبدأ بكلِّ ما أشبه فيه الكلبُ الأسودَ والإنسانَ ؛ وبشيءٍ من صفات العظال^(١) .

قال صاحب المنطق (في كتابه الذي يقال له الحيوان ، في موضعٍ ذكرَ فيه الأسد) قال : إذا ضربَ الأسدُ بمخالبه ، رأيتَ موضعَ آثارِ مخالبه في أقدار شرط الحجَّام أو أزيد قليلاً ، إلّا أنَّه من داخلٍ أوسعُ خرزاً ، كأنَّ الجلدَ ينضمُّ على سمِّ مخالبه^(٢) ، فيأكل ما هنالك . فأما عضته فإنَّ دوائها دواءُ عضَّةِ الكلب .

قال : ومما أشبه فيه الكلبُ الأسدَ انطباقُ أسنانه . ومما أشبه فيه الكلبُ الأسدَ النَّهْمُ ، فإنَّ الأسدَ يأكل أكلاً شديداً ، ويَمَضَغُ مَضْغاً متداركاً ، وبينما البَضْعُ الكبار^(٣) ، من حاقِّ الرغبة^(٤) ومن الحرص ،

(١) العظال : الملازمة في السفاد من الكلاب والجراد وغيره مما ينشب .

(٢) كذا .

(٣) البضع بالفتح ، وكعب ، ومصاف ، وتمرات : جمع بضعة بالفتح وقد تكسر ، وهي القطعة من اللحم .

(٤) حاقِّ الرغبة : شدتها وصدقها . وفي ط : « خاق » ، وصوابها في س .

وكالذى يخاف الفوت . ولما نازع السَّوَر من شَبَّهِه^(١) صار إذا ألقيت له
قِطعة لحم فإمّا أن يحملها أو يأكلها حيث لا تراه ؛ وإمّا أن يأكلها وهو
يكتر التلقُّت ، وإن لم يكن بحضرته سَنُور ينارعه . والكابُ يعَضُّ على
العَظم إِرْضَه ، فإن مانعه شيء وكان مما يُسيغه ، ابتَلَعَه وهو واثق بأنّه
يستمرّيه ويُسيغه .

والنَّهْم يعرض للحيات ، والحية لاتمضغُ ، وإنما تبتلعُ ذوات
الرَّاسات^(٢) ، وهى غير ذوات الأنياب ، فإنّها تمضغُ المضغَة والمضغتين^(٣)
وإن ابتلعت شيئاً فيه عظم أتتْ عوداً شاخصاً فالتوت عليه ، فحطمت العظم .
والحية قويّة جدّاً .

قال : والأسد وإن كان ممّا لا يفارق الغياض [و]^(٣) لا يفارق الماء
فإنّه قليلُ الشرب للماء ، وليس يُلقي رَجْعَه إلّا مرةً فى اليوم ، وربّما كان
فى اليومين والثلاثة . ورجعه يابس شديد اليُبْس متعلّق ، شبهه برجيع
الكلب . ويشبهه أيضاً من جهة أخرى وذلك أنّهما جميعاً إذا بالَا
شَغَرا^(٤) .

والكلب من أسماء الأسد ، لقراية ما بينه وبين الكلب .
والكلب يُشبهه الخنزير ، فإنّ الخنزير يسمّن فى أسبوع ، وإن جاع
أيّاماً ثم شبع شبعةً تبين ذلك تبيّناً ظاهراً . ألا تراه ينزع إلى محامن الحيوان ،
ويُشبه أشراف السباع وكرائم البهائم ؟!

(١) ط : « شبه » ، وأثبت ما فى س . والمعنى يصح بكل منهما .

(٢) لم أو هذا الجمع إلا للجاحظ . والرأس يجمع على رؤوس وأرؤس .

(٣) زدتها ليستقيم الكلام .

(٤) شفر : رفع إحدى رجله .

(عظام الكلاب)

ويقال : ليس في الأرض فحلٌّ من جميع أجناسِ الحيوانِ لِذَكَرِهِ حجمٌ ٢٠
ظاهر إلاَّ الإنسان والكلب . وليس في الأرض شيثان يتشابهانِ من فَرْطِ
إرادةٍ كلٍّ واحدٍ منهما لطباع صاحبه ، حتى يلتحم عضوُ الذكر بعضو الأنثى
حتى يصير التحامُهما التحامَ الخَلقة والبَنية ، لا كالتحامِ الملامسةِ
والملازمة^(١) ، إلاَّ كما يُوجد [من^(٢)] التحامِ قضيبِ الكلب
بثفَر^(٣) الكلبة .

وقد يلزقُ القُرَاد ، وَيَغْمِسُ العَلَس^(٤) مقاديمه في جوف اللحم ، حتى
يُرى صاحبُ القُرَاد كأنه [صَاحِبٌ] ثُوْلُول^(٥) . وما القُرَاد المضروبُ به
المثلُ في الالتحامِ إلاَّ دونَ التحامِ الكلبين . ولذلك إذا ضربوا المثل
للمتباضيعين بالسُّيوف ، والمَلْتَقِيَيْنِ للصُّراع ، فالتفَّ بعضهم ببعض ، قالوا :

(١) في الأصل : « كالتحامِ الملامسة والملازمة » ، وهو تحريف .

(٢) حرف يتطلبه الكلام .

(٣) في الأصل : « لثفر » .

(٤) العلس ، بالتحريك : القُرَاد الضخم ، وهي في الأصل : « العلق » . والعلق : دود
أسود وأمر يكون بالماء يعلق بالبدن ويمص الدم ، وهو من أدوية الخلق
والأورام الدموية . كذا قال الهميري . . قلت : ولا يزال كثير من العامة بمصر
في زمانهاذا يعالجون أنفهم به . وليس مراداً هنا .

(٥) الثؤلؤل : بثر صغير صلب مستدير على صور شئ . وفي الأصل : « حتى يرى
صاحب القُرَاد أنه ثؤلؤل » . والقُرَاد لا يصيب الناس ، وهو موكل بالإبل .
وانظر القول في ولوعها بالإبل في الحيوان ٦ : ٣٨ و ٧ : ١٥ .

كأنهم الكلاب المتعاطلة^(١) . وليس هذا النوع من السفاد إلا للكلاب .
وزعم^(٢) صاحب المنطق وغيره ، أن الذباب في ذلك كالكلب .

(إسماعيل بن غزوان وجارية موسى بن عمران)

وكان إسماعيل بن غزوان^(٣) قد تعشق جارية كانت لمويس بن عمران^(٤) ، وكانت إذا وقعت وقعة إليه لم تمكث عنده إلا بقدر ما يقع عليها ، فإذا فرغ لبست خفها وطار ، وكان إسماعيل يشتهي المعاودة

(١) من أيام العرب المعروفة يوم العظالي ، وهو يوم بين بكر وتميم ، سمي بذلك لركوب الناس فيه بعضهم بعضاً . وقال الأصمعي : ركب فيه الثلاثة والاثنان الدابة الواحدة .
وقيل : سمي بذلك لأنه تعاطل فيه على الرياسة بسطام بن قيس ، وهاني بن قبيصة ، ومفروق بن عمرو ، والخوفزان .
(٢) في الأصل : « فزعم » .

(٣) إسماعيل بن غزوان هذا من ردد الجاحظ ذكرهم في كتابه « البخلاء » ، وكثيراً ما يقرنه بسهل بن هارون ، وكان ممسكاً شديداً للبخل ، يحتاج للبخل بكلام عجيب ، فن ذلك قوله للأسخياء : « تنعمم بالطعام الطيب وبالثياب الفاخرة ، وبالشراب الرقيق ، وبالفناء المطرب ، وتنعمنا بجز الثروة ، وبصواب النظر في العاقبة ، وبكثرة المال ، والأمن من سوء الحال ، ومن ذل الرغبة إلى الرجال ، والعجز عن مصلحة العيال ، فلك لذتكم وهذه لذتنا » . (البخلاء ١٣٠) . ومن كلامه : « لاتنفق درهما حتى تراه » (البيان ٣ : ٢١٢) . وكان إسماعيل يوصف بحسن الفهم وجودة الاستماع . (البيان ٣ : ١٦٣) .

(٤) موسى بن عمران ، كان من بخلاء الناس ، وأحد من احتج للبخل ، وهو من معاصري الجاحظ ، « سئل عنه أبو شعيب القتال ، فزعم أنه لم يرق قط أشج منه على الطعام . قيل : وكيف ؟ قال : يدلك على ذلك أنه يصنعه صنعة ، ويهيئه تهيئة من لا يريد أن يمس . . وكيف يجسرى الضرر على إفساد ذلك الحسن ، ونقص ذلك النظم ، وعلى تفريق ذلك التأليف . . فلو كان سخياً لم يمنع منه بهذا السلاح ولم يجعل دونه الجسن ، فحول إحسانه إساءة ، وبذله منعا ، واستدعاه إليه نيباً . » البخلاء ٥٨ . وفي الأصل : « موسى بن عمران » وإنما هو « موسى » كما في ستة مواضع من البخلاء ، وكما في القاموس . وكان موسى من المتكلمين .

وَأَنْ يُطِيلَ الْحَدِيثَ ، وَيُرِيدُ الْقَرَصَ وَالشَّمَّ وَالتَّقْيِيلَ وَالتَّجْرِيدَ ، وَيَعْلَمُ^(١) أَنَّهُ فِي الْكَوْنِ الثَّانِي وَالثَّلَاثِ أَجْدَرُ أَنْ يُنْظَرَ^(٢) ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَشْتَقَى . فَكَانَ رَبِّمَا ضَجِرَ وَيَذْكُرُهَا بِقَلْبِهِ وَهُوَ فِي الْمَجْلِسِ ، فَيَقُولُ : يَا رَبُّ امسْخِنِي وَإِيَّاهَا كَلْبَيْنِ سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ أَوْ النَّهَارِ^(٣) ، حَتَّى يَشْغَلَهَا الْإِلْتِحَامُ عَنِ التَّفَكِيرِ فِي غَضَبِ مَوْلَاتِهَا إِنْ احْتَبَسَتْ !!

(من أعاجيب الكلاب)

وَفِي الْكَلْبَةِ أَعْجُوبَةٌ أُخْرَى : وَذَلِكَ أَنَّهُ يَسْفِدُهَا كَلْبٌ أَبْقَعُ وَكَلْبٌ أَسْوَدُ وَكَلْبٌ أَيْضُ وَكَلْبٌ أَصْفَرُ ، فَتَوَدَّى إِلَى كُلِّ سَافِدٍ شِكْلُهُ وَشَبِيهِهِ ، فِي أَكْثَرِ مَا يَكُونُ ذَلِكَ .

(تأويل الظالغ في شعر الخطيئة)

وَأَمَّا تَأْوِيلُ (الظالغ) فِي قَوْلِ الْخَطِيئَةِ :

تَسْدِيئُهَا مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ ظَالِمٌ أَلْ كَلَابِ وَأُخْبِيَ نَارُهُ كُلُّ مُوقِدٍ^(٤)

(١) فِي ط ، س : « وَلِيَعْلَمَ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ مِنْ م .

(٢) هُوَ بِالْبِنَاءِ لِلْمَجْهُولِ ، مِنْ أَنْظَرَهُ بِمَعْنَى أَمْهَلَهُ . وَهُوَ يَعْنِي بِذَلِكَ الْمَطَاوِلَةَ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَالنَّهَارَ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ .

(٤) تَسْدَاهَا : عَلاَهَا . وَلَمْ أَجِدْ هَذَا الْبَيْتَ فِي دِيْوَانِ الْخَطِيئَةِ بِرَوَايَةِ السَّكْرِيِّ ، وَهُوَ

فِي أَمْثَالِ الْمِيدَانِيِّ ١ : ٢٤ بِرَوَايَةِ : « أَلَا طَرَقْنَا بَعْدَ . . . » . وَقَالَ الْمِيدَانِيُّ :

« يَضْرِبُ مِثْلًا فِي تَأْخِيرِ قَضَاءِ الْحَاجَةِ » . وَالرَّوَايَةُ فِي اللِّسَانِ (ظَلَعَ) :

« تَسْدِيئَتِنَا » بِنَاءِ الْمُخَاطَبِ ، وَقَالَ : « يَخَاطَبُ خَيَالَ امْرَأَةٍ طَرَقَهُ » .

قال الأصمعيّ : يظلع الكلبُ لبعض ما يعرض للكلاب ، فلا يمنع .
ذلك من أن يهيجَ في زمن هيج الكلاب ، فإذا رأى السكبة المستحرمة^(١)
لم يطمع في معاظلتها والكلابُ منتبهةٌ تنبح ، فلا يزال ينتظر^(٢) وقت
فترة الكلاب ونومها ، وذلك من آخر الليل .

وقال أحيحة بن الجلاح^(٣) :

[ياليتني ليلةً إذا هجع الناس ونام الكلابُ صاحبها]^(٤)

(طردية ثامنة لأبي نواس)

ومما قيل في الكلاب من الرجز [قول أبي نواس^(٥)] :

(١) استحرمت السكبة : اشتهد .

(٢) في الأصل : « فلا تزال تنتظر » ! وصوابه ما أثبت .

(٣) كان أحيحة سيد الأوس في الجاهلية ، وكانت سلمى أم عبد المطلب بن هاشم
تحتة ، وهي كانت لا تنكح الرجال إلا وأمرها بيدها ، فتركته لغيره كرهته منه
فتزوجها هاشم فولدت له عبد المطلب . وكان أحيحة كثير المال شحيحاً عليه ،
يبيع بيع الربا بالمدينة حتى كاد يحيط بأموالهم ، وكان له تسع وتسعون بئراً .
هذا موجز مما في الخزانة ٣ : ٣٢٧ سلفية والأغانى ١٣ : ١١٤ - ١٢٢ .

(٤) هذا البيت ساقط من الأصل ، وأثبتته اعتماداً على ما في الحيوان (١ : ٣٦٨)
والخزانة (٣ : ٣٢١ سلفية) والأغانى (١٣ : ١١٥) . والعبارة في الأصل :
« وقال أحيحة بن الجلاح مما قيل في الكلاب من الرجز » !!

(٥) زيادة يقتضيها الكلام ، وسيتبع الجاحظ هذه الأرجوزة بعبارة « وقال أيضاً »
ثم يروى أرجوزتين أخريين لأبي نواس مرويتين في ديوانه . أما هذه الأرجوزة
الأولى فليست مما اختار حمزة بن حسن الأصبهاني .

- ٢١ وَفِتْنَةٍ مِنْ آلِ ذُهْلٍ فِي الذَّرَى مِنَ الرَّقَاشِيِّينَ فِي أَعْلَى الْعُلَا^(١)
 بَيْضٍ بِهَالِيلٍ كَرَامٍ الْمُتَمَتَّى بَاتُوا يَسِيرُونَ إِلَى صُوحِ اللُّوَى^(٢)
 يَنْفُونَ عَنْ أَعْيُنِهِمْ طَيْبَ الْكَرَى إِلَّا غَشَّاشًا بَعْدَ مَا طَالَ السَّرَى^(٣)
 يَعْدِينَ إِبْلَاءَ الْفَتَى عَلَى الْفَتَى^(٤) حَتَّى إِذَا مَا كَوَّكَبُ الصُّبْحِ بَدَا
 مَا جُوبِغُضْفٍ كَالْيَعَاسِيبِ خَسَا^(٥) ثَلَاثَةٌ يَقْطَعْنَ حُزْنَ الصَّوَى^(٦)

(١) قال أبو الفرج في الأغاني ٢٠ : ٧٣ : « بنو رقاش ثلاثة نفر ينسبون إلى أمهم ، واسمها رقاش . وهم مالك ، وزيد مائة ، وعامر ، بنو شيان بن ذهل ابن ثعلبة بن عكابة بن صعب بن علي بن بكر بن وائل » . ويدور في الكتب ذكر الفضل بن عبد الصمد الرقاشي ، وهو شاعر أديب ، وليس من الرقاشيين بل هو من مواليهم . الأغاني ١٥ : ٣٤ . وقد لجج الهجاء بينه وبين أبي نواس ، انظر الديوان ص ١٧٦ - ١٧٩ وتاريخ بغداد ١٢ : ٣٤٥ والخلاء ١٩١ . وفي هجوه أبي نواس للرقاشيين نعت قبورهم بالنظافة والبياض والصغر حتى ضرب بها المثل فقيل « قدر الرقاشي » . انظر ثمار القلوب ٤٩١ ، والوساطة ٣١٧ . ولا مناقضة بين رفع أبي نواس من شأن الرقاشيين في هذا الرجز ، وهجوه إياهم أقذع الهجاء ؛ فأبو نواس لا يكاد أحد من أصحابه يسلم من هجائه ، والفضل الرقاشي هذا كان من خلطائه ونداماه ، كما في أخبار أبي نواس لابن منظور ١٢٨ - ١٣٣ .

(٢) الصوح : جمع صاحة ، وهي الأرض لاتنبت شيئاً . واللوى : مالتوى من الرمل . وفي س ، م :

* باتوا بغيران إلى صوح اللوى *

(٣) الغشاش : النوم القليل ، والسرى : سير عامة الليل . (٤) كذا .

(٥) ماجواها : جعلوا يعدون بها بين ارتفاع وانخفاض ، فيكون لذلك شبه الموج ، أو لعل صوابها « هاجوا » بمعنى ثاروا . وأبو نواس يستعمل هذه الكلمة في مثل هذا الموضع : قال في طردية له سبقت في هذا الجزء من الحيوان ص ٤٠

* هجنا بكلب طالما هجنا به *

وقال في طردية أخرى بالديوان ٢٠٧ :

* هجنا به وهاج من نشاطه *

وقال في غيرها بالديوان ٢٢٢ :

* هجنا به فهاج للنزال *

واليعاسيب : جمع يعسوب ، وهو أمير النحل . وشبههن باليعاسيب في دقة خصورهن . وخسا : أى فردا ، أراد عددا فرديا ، فسرّه بالثلاثة في البيت بعده . وفي اللسان : وتخاصى الرجلان : تلاعبا بالزوج والفرد ، يقال خسا أو زكا : أى فرد أو زوج ؛ وروى شواهد للكيت ورؤبة .

(٦) الحزان بضم الحاء وكسرهما : جمع حزير ، وهو الأرض الصلبة الغليظة المرتفعة قليلا =

- رجية الأشداق غُضِفَ فِي دَفَا^(١) تَلَوَى بِأَذْنَابِ قَلِيلَاتِ اللَّحَا^(٢)
 سَمِعَمَاعَاتِ الضُّمْرِ مِنْ طُولِ الطَّوَى^(٣) مِنْ كُلِّ مَضْبُورٍ الْقَرَاغَارَى النَّسَا^(٤)
 مَحْمَلَجِ الْمَتْنَيْنِ مَنَحُوضِ الشَّوَى^(٥) شَرَنْبَثِ الْبُرْنِ خَفَاقِ الْحَشَا^(٦)

= وقال أبو نواس من طردية سبقت له ص ٢٣ :

فسمونا للحزير به فدفعناه على أظب

والصوى : ماغلظ من الأرض وارتفع ولم يبلغ أن يكون جبلا . وفى ط :
 « تقلص حزان الصوى » . وقلص فى جميع صوره واشتقاقاته فعل لا يتعدى ، فصورابه
 ما أثبت من س ، ومب .

- (١) رجية : واسعة ، وفى ط ، م : « وجية » وفى س : « رجية » تحريف
 ما أثبت من مب . والغضف : جمع الأغضف ، وهو المسترخى الأذن . وهى فى الأصل :
 « عصف » ، صوابه فى مب . والدفا : إقبال إحدى الأذنين على الأخرى حتى تكاد
 أطرافهما تماس فى انحدار قبل الجبهة . وهى فى الأصل : « رقا » ، وفى مب : « رفا »
 ولا وجه له . ولأبى نواس فى مثل هذا المعنى قوله (ص ٣٠ من هذا الجزء) :
 * أدقى ترى فى شدقه تأخيرا *

- (٢) ألوت الكلاب بأذنانها : حركتها . واللحا : مقصور اللحاء . وعنى به هنا ما يحيط
 بعظم الذنب من اللحم . وانظر الحيوان ٢ : ١٦٨ .

- (٣) السمعع : الخفيف اللحم . و « الضمر » أى بسبب الضمر . والطوى : الجوع . وكان
 العرب يجوعون كلاب الصيد ليكون ذلك أضرى لها . قال امرؤ القيس :
 مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيحاء نوار عضم
 مغرثة : مجوعة . وقال عبدة بن الطبيب كما فى المفضليات ١٣٩ :

يشل ضواري أشباها مجوعة فليس منها إذا أمكن تهليل

- (٤) المضبور : المكتنز اللحم . والقرا : الظهر من مركب العنق إلى علوة الذنب .
 والنسا ، قال ابن قتبية : عرق يستبطن الفخذين حتى يعصير إلى حافر الدابة ، فإذا
 هزلت الدابة ماجت فخذها فحقى ، وإذا سمت انفلقت فخذها فجرى بينهما واستبان
 كأنه حية . ومثل ذلك فى اللسان عن الأصمى .

- (٥) يقول : هو مكتنز اللحم الذى يكتنف صلبه ، كما أنه قليل لحم اليمين والرجلين .
 (٦) الشرنبث : الغليظ . والبرن : الكف مع أصابعها . وخفاق الحشا : ضامر
 البطن .

- تَخَالُ مِنْهُ الْقَصَّ مِنْ غَيْرِ جَنَّا^(١) مَسَدَتَا صَفَوَاءَ فِي حَيْدَى صَفَا^(٢)
يَلْتَهَبُ الْغَائِطُ مِنْهُ إِنْ عَدَا^(٣) يُقَادِحُ الْمَرَوْ وَشَذَانَ الْحَصَا^(٤)
حَتَّى إِذَا اسْتَسَحَرَ فِي رَأْدِ الضُّحَى^(٥) بِمَرْبَا أَوْفَى بِهِ عَلَى الرَّبَا^(٦)
أَرَانِبًا مِنْ دُونِهَا سِرْبًا ظَبَا^(٧) نَوَاشِرًا مِنْ أَنْسٍ إِلَى خَلَا^(٨)

(١) القص والقصص : الصدر أو عظمه . والجنأ : انكباب الصدر إلى الظهر .

(٢) المسنة : اسم مكان من السن بمعنى الصب . مب : « مشبتا » ، وفي سائر النسخ : « مسنة » والوجه ما أثبت من الجمع بينهما . الصفواء : اللساء . وهى فيما عدا مب : « صفراء » ، تحريف . وأبو نواس حين شبه صدر الكلب فى صلابته وملامته بالمسنة الصفواء ، نظر إلى امرئ القيس فى تشبيهه متن فرسه بالصفواء ، إذ يقول فى معلقته :

كَيْتَ يَزِلُّ اللَّبْدَ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفَوَاءُ بِالْمَتْنِزْلِ

ماعداء مب : « جيد صفا » تحريف . والحيد ، بوزن سهم : ماشخص من الجبل .
واللصفا : الحجارة اللساء .

(٣) الغائط : المطنئن الواسع من الأرض . و « منه » هى فى ط ، م : « من غد » ، وهو تحريف . وفى س موضع هذه الكلمة بياض ، وإثباته من مب .

(٤) المرو : حجارة بيض براقة تورى النار ، والكلب يقادح المرو : أى يجمل بعضه يحك بعضاً فتظهر لذلك نار . وشذان الحصى ، بالفتح وتشديد الذال : ماتطير منه . ولأحمد بن زياد بن أبى كريمة فى مثل هذا المعنى :
إِذَا افْتَرَشْتَ خَبْتَا أَثَارَتِ بَمَتِّهِ عَجَاجًا وَبِالْكَذَانِ نَارَ الْحَبَابِ
وقول أبى نواس أشرف وأقوى .

(٥) ماعداء مب : « استحس » وهو تحريف لا وجه له . ورأد الضحى : الوقت بعد انبساط الشمس ، وارتفاع النهار .

(٦) المربأ : المرقب . والربوة : ما ارتفع من الأرض ، جمعها « ربا » . وأوفى به على الربا : أشرف عليها . والبيت فى الأصل محرف ، فهو فى ط :
* مر بأوفى علم به الربا *

وفى س ، م : « بمربأ أوفى به على الربا » ، صوابه فى سائر النسخ .

(٧) « أرانبا » هو مفعول « استسحر » .

(٨) نشر من المكان : خرج منه . وفى ط ، م : « نواشظا » . والوجه فيه ما كتبت . وفى مب : « نواشرا » ، وهو تحريف . والأنس بالتحريك : الجماعة الكثيرة ، أو الخى المقيمون . والخلا : مقصور الخلا . يقول : لما أحس الصيد بقرب الأنس منه ، عن له أن يخلص بنفسه إلى الخلا ، فنشط إلى ماحسبه مأمنا له .

فَوْضَى يُدْعَثِرْنَ أَفَاحِيصَ الْقَطَا^(١) لَعَلَّنَ وَاسْتَلْهَثْنَ مِنْ غَيْرِ ظِلِّ^(٢)
مِبَالِغَاتٍ فِي نَهْمٍ وَصَايَ^(٣) كَأَنَّمَا أَعْيُنُهَا جَمْرُ الْغَضَى^(٤)
ثُمَّ تَطْلَعْنَ مَعًا كَالْبَرْقِ لَا فِي الْأَرْضِ يَهْوِينَ وَلَا لَوْحِ الْهَوَا^(٥)
كَأَنَّمَا فِي شَرْطِهَا لَمَّا انْبَرَى^(٦) كَوَاكِبُ يُرْمَى الشَّيَاطِينُ يَهَا

- (١) فوضى : متفرقات أو مختلط بعضها ببعض . يدعثرن : يهللن ويفسدن .
وأفاحيص القطا : جمع أفحوصة ، وهي مجثم القطاة تضع فيه بيضها ، يكون في
التراب ، سمي بذلك ، لأنها تفحصه أي تبحثه وتحفره . والأفحوص خاص بالقطاة ،
قال ابن سيده : وقد يكون الأفحوص للنعام .
(٢) يقول : قد أدلعت هذه الكلاب ألسنتها وأخرجتها ، فعل الظمان ، وما بها
من ظمأ ، وإنما هو فرط رغبته في الصيد .
(٣) النهيم : الصوت . وفي اللسان : « صأى الطائر ، والفرخ ، والفار ، والخنزير ،
والسنور ، والكلب ، والفيل ، بوزن صعى ؛ يصأى صئيا وصئيا - أي بفتح
الصاد وكسرها مع تشديد الياء - وتصأى أى صاح » وزاد في القاموس صئيا
بضم الصاد ، إذ جعله مثلث الصاد . ولم أجد فيها « الصأى » .
(٤) الغضى : شجر دائم الخضرة ينبت بالرمسل . وجره - أى ناره - بطيئة
الانطفاء . ومن نعت الكلب الجيد أن يكون أزرق العين ، والزرقة : الخضرة
في سواد العين . أما نعتها بالخمرة ، كما في هذا البيت ، وكما في قول
امرئ القيس :

مغرثة زرقا كأن عيونها من الذمر والإيساد نوار عقرس
ونوار العقرس أحمر قاني . وكما في قول أحمد بن زياد بن أبي كريمة :
تدير عيوننا ركبت في براطل كجمر الغضى خزرا ذراب الأنابيب
وقول أبي نواس أيضا :

- كأنما يطرف من بين الهدب بجمرق نار بكف مختضب
فليس يتنافى مع وصفها بالزرقة ، وإنما تلك الحمرة في بياض العين لافى سوادها
وترداد الحمرة وتشدد حينها يهاج الكلب ويغرى بالصيد .
(٥) في ط : « في أرض هوى » وصوابه في س ، م ، مب . وفي اللسان : « اللوح
بالضم : الهواء بين السماء والأرض . وقال الحياني : هو اللوح ، واللوحي لم يحل فيه
الفتح غيره » . جعلها في عدوها كأنما تسبح فوق سطح الأرض ، فلا هي
تمس أديم الأرض ، ولا هي تملو في الجو ، يخيل ذلك للتأخر من شدة سرعتها
وهذا تصوير دقيق عجيب .

(٦) في ط ، م : « من شرطها » ، صوابه في ش ، ومب .

يَذْمَرْنَ بِالْإِيْسَادِ ذَمْرًا وَأَيًّا^(١) حتى إذا ما كنَّ مِنْهُنَّ كَهَا^(٢)
 دَارَتْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْمَوْتِ رَحَى تجذبنَّ بِجَدِيدَاتِ الشَّبَا^(٣)
 شَوَامِذُ يَلْعَطُنْ مَعْبُوطَ الدِّمَا^(٤) بين خَلِيعِ الزُّورِ مَرُضُوصِ الصَّلَا^(٥)
 وَبَيْنَ مَفْرَى النِّيَاطِ قَدْ شَصَا^(٦) كأنَّه مَبْتَهَلٌ إِذَا دَعَا

(١) ذمر الكلب : حضه على الصيد . ماعدا مب : « يذمرن » ، وهو تحريف .
 والإيساد : إغراء الكلب بالصيد ، وفي ط : « بالإيسار » وهى على الصواب
 فى س ، م ، مب . و « ذمرا » هى فى الأصل : « زمرا » وصوابه مأثبت .
 و « أيا » كلمة يزجر بها . وفى مب : « من مرباوبا » .

(٢) « كهها » بمعنى مثلها . ودخول الكاف على مثل هذا الضمير ضرورة شعرية . انظر
 سيويه ١ : ٢٧٤ والخزانة ٤ : ٢٧٤ بولاق .

(٣) الشبا : جمع شباة ، وهو الحد . ماعدا مب : « تخربين ومخدين » .

(٤) شوامذ : رافعات أذناها من شدة المرح والنشاط . وقد جاءت هذه الكلمة
 فى ط برسم « نوامذ » ؛ وفى مب : « شوامدا » . وهو تحريف صوابه فى
 س ، م . و « يلعطن » من اللط وهو اللحم ؛ ولم أجد نصا صريحا لمعنى هذه
 الكلمة ؛ إلا ما يفهم من عبارة القاموس فى مادة (لعت) قال : « وكقعد : كل
 مكان يلعط نباته أى يلحس » . وأما « اللطع » بتقديم الطاء فقد صرح ابن منظور
 والفيروزبادى بأنه اللحم . وهى فى ط ، م : « يطلعن » وفى مب : « ينطقن »
 ولا وجه له ؛ والوجه مأثبت من س . والدم العبيط والمعبوط : الطرى اللين .

(٥) الزور : وسط الصدر ؛ أو ما ارتفع منه إلى الكتفين ؛ أو ملتقى أطراف عظام
 الصدر حيث اجتمعت . وفى جمهور النسخ : « الروض » ولا وجه له ، وفى مب :
 « حريق الروق » . وأبو نواس فى طردية أخرى يقرن بين الزور والعجب - والمعجب
 أصل الذنب . والصلأ المذكور فى البيت : مكتنفا الذنب - قال أبو نواس :
 حتى انثنى مختضبا وما اختضب من مغرز الزور إلى عجب الذنب

(٦) مفرى : مشقوق . ماعدا مب « مفرى » محرفة . والنياط : القلب ؛ أو العرق
 من العروق الرئيسة . وشصا : قطعت رجله فارتفعت مفاصله . وفى ط ، م :
 « فلسطا » ، وفى س : « سطا » ، وكلاهما تحريف مأثبت من مب .

ومائلِ الفَوْدَيْنِ مجلوز القفا^(١) يُقْفَيْنَ بالأكبادِ منها والكلَى^(٢)

* وبالقلوبِ وكَرَاديسِ الطُّلى^(٣) *

٢٢

(طردية تاسعة لأبي نواس)

وقال أيضاً :

لَمَّا تَبَدَّى الصُّبْحُ مِنْ حِجَابِهِ وَاِنْعَدَلَ اللَّيْلُ إِلَى مَائِهِ
خَرَطَهُ الْقَانِصُ وَاعْتَدَى بِهِ^(٤) فِي مِقْوَدٍ يَرْدَعُ مِنْ جَذَابِهِ^(٥)
يَعُزُّهُ طَوْرًا عَلَى اسْتِصْعَابِهِ^(٦) وَتَارَةً يَنْصَبُ لِانْصِبَابِهِ
كَأَنَّمَا يَفْتَرُّ مِنْ أَنْبِيَاهِ عَنْ مَرَهَفَاتِ السَّنِّ مِنْ حِرَابِهِ^(٧)
يَرْتُمُ أَنْفَ الْأَرْضِ فِي ذَهَابِهِ^(٨) حَتَّى إِذَا أَشْرَفَ مِنْ حِدَابِهِ^(٩)

(١) الفودان : جانبا الرأس . والجلز : الطلى ، أو الى ، أو الله ، أو النزع .

و « القفا » هي فيما عدا مب : « القنا » تحريف ؛ وفي مب : « مخلوق القفا » .

(٢) يقفين ، من قوطم : أقفاه بطعام : آثره به . ش ، م : « يقعر » ، وفي ط : « يقمر » ، صوابها في مب .

(٣) الكرديوس ، بضم الكاف والذال : كل عظيمين التقيا في مفصل . وفي س ، م : « كواديس » مخرفة صوابها في ط ، مب . والطللى : جمع طلية بالضم ، [وهي العنق أو أصلها .

(٤) خرطه : أرسله .

(٥) جذابه : جذبه . وفي الأصل : « جذابه » ؛ والوجه ما أثبت .

(٦) سبق شرح هذا البيت وما بعده في ص ٤٠ من هذا الجزء .

(٧) عنى بالمرهف السيف القاطع . ماعدا مب : « عن مرهف ألس » تحريف . ط ، م : « من جرابه » صوابه في ش ، ومب .

(٨) رثم أنفه : كسره ؛ وعنى أن الكلب يقشر وجه الأرض من شدة عدوه .

(٩) أشرف : علا شرفا ، أى مكانا مرتفعا . والحدايب بالكسر ، والأحداب كذلك : جمع حذب بالتحريك ؛ وهو الأكمة ، أو ما ارتفع وغلظ من الأرض .

بعد انحدار الطَّرف وانقلابه بروضة القاع إلى أعجابه (١)
 أرسله كالسهم إذ غالى به (٢) يكاد أن ينسل من إهابه (٣)
 كلمعان البرق في سحابه حتى إذا ما كاد أو حدا به (٤)
 وانصات للصوت الذى يدعى به (٥) كأنما أدمج في خضابه (٦)
 ما بين لحييه إلى أقرابه (٧) مشهر الغدو في إياه (٨)

(١) القاع : أرض سهلة مطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام . وروضة القاع :
 الموضع الذى يجتمع إليه الماء فيكثر نبتة . وأعجاب القاع : أطرافه ونهاياته ،
 مفردة عجب بالفتح . و « بروضة » هى فى ط : م : « بروضته » ،
 والصواب فى س ، ومب .
 (٢) الرواية فى الصناعتين ص ٨٠ :

* أرسله كالسهم إذ غلا به *

يقال غلا بالسهم ، وغلاؤه ، وغالى به : رى به أبعد ما يقدر عليه .
 فالروايتان صحيحتان .

(٣) ينسل من إهابه : يخرج من جلده . قال العسكرى فى الصناعتين : مأخوذ من قول
 ذى الرمة :

لا يذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب
 وقول كثير :

إذا جرى معتمداً لأمه يكاد يفرى جلده عن لحمه

(٤) فى ط : « حارابه » وفى س ، م : « حادى به » ، صوابهما فى مب .

(٥) انصات للصوت : أجابه . ماعدامب : « فانصاع » .

(٦) ماعدا مب : « إحصابه » ، وإنما المراد خضابه من دماء الصيد .

(٧) الأقرباب : جمع قرب بالضم وبضميتين ، وهو الحاصرة ، أو من الشاكلة إلى
 مراق البطن .

(٨) المشهر : المعروف المتعالم . ماعدا مب : « مشهر الغدوة » تحريف .

(طردية عاشرة لأبي نواس)

وقال أيضاً^(١) :

ما البرقُ في ذى عارضٍ لَمَّاحٍ^(٢) ولا انقضاضُ الكوكبِ المنصاح^(٣)
ولا انبتات الدلو بالمتاح^(٤) ولا أنسيابُ الحوتِ بالمتداح^(٥)

(١) هذه الطردية مثبتة في ديوان أبي نواس ٢١٦ . وقبلها سبعة أشطار منها لم يروها الجاحظ ، وهي :

قد أغتدى في فلق الإصباح
بمطعم يوجر في سراح
مؤيد بالنصر والنجاح
غذته أطارٌ من اللقاح
فهو كميشٌ ذربُ السلاح
لا يسأمُ الدهرُ من الضباح
منجذٌ يأسرُ للصباح

الكميش : السريع . والذرب : الحاد . والضباح : الصباح ، وهو في الأصل للشعلب . والمنجد والمنجد أيضاً : المحرب ، بتشديد الراء المفتوحة . يأسر للصباح : ينشط عند صياح الصائد به .

(٢) العارض : السحاب يعترض الأفق .

(٣) المنصاح : المستنير .

(٤) انبتات الدلو : انقطاع حبلها . والمتاح : الذى ينتزع الدلو .

(٥) المتداح : عنى به البحر الواسع . وبديل هذا الشطر مع سابقه في مبد :
* إلا انثناء الحوت بالمتداح *

- حين دنا من راحة السَّبَّاحِ (١) أَجَدَّ في السُّرْعَةِ من سِرِّياحِ (٢)
يَكَادُ عِنْدَ تَمَلُّلِ المِرَّاحِ (٣) إِذَا سَمَّا الخَاتِلُ للأَشْبَاحِ (٤)
يَطِيرُ في الجَوِّ بلا جَنَاحِ (٥) يَفْتَرُّ عن مِثْلِ شَبَا الرِّمَّاحِ (٦)
فَكَمَ وَكَمَ ذِي جُدَّة لَيَّاحِ (٧) وَنَازِبٍ أَعْفَرَ ذِي طِمَاحِ (٨)

(١) أى حين قرب من كف السابح . و « حين » هى فيما عدا مب : « حتى » ، وقوة المعنى تستدعى « حين » ، إذ المراد سرعة الحوت حين يشتد في فراره من يد السابح . و « السباح » هى كذلك في س ، م والتمورية . وفى ط : « السباح » وفى مب : « המתاح » محرفة ، وهذا الشطر والشطر قبله هما في الديوان اثنان فحسب ، والرواية فيه هكذا :

ولا انبتاتُ الحَوَّابِ المنداحِ

حين دنا من راحة المتَّاحِ

- والحوَّاب المنداح : الدلو الواسع .
(٢) سرياح بالكسر : اسم كلب ، وهى فى الأصول : « سرباح » بالباء ، وتصحيحه من الديوان والقاموس مادة (سرح) .
(٣) « يكاد » فيما عدا مب « فكاد » ، والوجه ما أثبت مطابقاً للديوان . والمثل ، بالتحريك : السكر ونشوته . ماعدا مب : « تمل » محرفة . والمراح بالكسر : النشاط والأثر ، وهى فى الأصل : « المزاح » ، ولا وجه له ، والصواب ما أثبت من مب ، والديوان .
(٤) سما للصيد : خرج طالباً له يتعين شخوصه . والخاتل : الخادع . ماعدا مب : « أرى الخاتل » وفى مب : « سنا الخاتل » ، وفى الديوان : « سما الخاتل » ولعل الوجه ما أثبت . والأشباح : الشخوص ، يعنى شخوص الصيد .
(٥) الجو : الهواء . مب : « جو » ماعدا مب : « الجد » والصواب من الديوان .
(٦) شبا الرماح : حدودها ، جمع شبة .
(٧) الجدة : الخطة السوداء فى متن الحار . واللياح ، كسحاب وكتاب : الأبيض .
(٨) النازب : عنى به الظبي ، والنازب : صوته . والأعفر من الظباء : ما يعلو بياضه حمرة ، أو الذى فى سراته حمرة وأقرا به بيض ، أو الأبيض ليس بالشديد البياض . والطماح بالكسر : الجماع .

* غَادَرَهُ مُضَرَّجُ الصَّفَاحِ (١) *

باب آخر في الكلب وشأنه

٢٣

(تفسير بعض ما قيل من الشعر في الكلاب)

قال طُفَيْلُ الْغَنَوِيِّ :

أناس إذا ما أنكر الكلبُ أهلهُ حَمَوُا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِعٍ (٢)
يقول : إذا تكفروا في السَّلاحِ لَمْ تَعْرِفَهُمْ كَلَابُهُمْ .

ولم يَدْعُ جَمِيعُ أَصْحَابِ الْمَعَارِفِ إِلَّا أَنَّ الْكَلْبَ أَشَدُّ ثِبَاتًا (٣) ، وَأَصْدَقُ حِسًّا . وفي ذلك يقول الآخر :

فلا تَرْفَعِي صَوْتًا وَكُونِي قَصِيَّةً إِذَا ثَوَّبَ الدَّاعِي وَأَنْكَرَنِي كَلْبِي (٤)
يقول : إِيَّاكَ وَالصُّرَاخَ (٥) إِذَا عَايَنْتِ الْجِيْشَ .

(١) يقول : تركه مضرج الجوانب بالدم .

(٢) هذا البيت رواه أبو علي في الأمل (١ : ٥٥) بهذه الرواية : مطابقا لديوانه ٢٨ :

أناس إذا ما أنكر الكلب أهله حَمَوُا جَارَهُمْ مِنْ كُلِّ شَنْعَاءٍ مُظْلِعٍ
قال أبو علي : « و يروى مفضل » قال : ومضلج : شديدة ، يقال أضلجني الأمر : إذا اشتد على وغلبني اه . وقال في اللسان ، ولم يرو البيت : « وداهية مضلعة تنقل الأضلاع وتكسرهما » . فيظهر أن ما هنا عن س ، م رواية ثالثة في البيت ، وفي ط : « تطلع » وهي ظاهرة التحريف . و « مطلق » : تجعل صاحبها يطلع : أى يمرج . وجاء في الحديث : « الحمل المضلع ، والشر الذي لا ينقطع ، إظهار البدع » فقال ابن الأثير : « ولو روى بالطاء من التطلع : العرج والغمز ، لكان وجهها » . و « الشنعاء » قال أبو علي : هي الداهية المشهورة .

(٣) مب : « ولم يدع ذكر جميع » . وحسبت أن « ثباتا » محرفة عن « إثباتا » - والإثبات بمعنى المعرفة - ثم وجدت في القاموس واللسان : « وثابته وأثبتته : عرفه حق المعرفة » . فكلمة « ثباتا » مصدر « ثابته » كما أن « إثباتا » مصدر « أثبته » .

(٤) القصيدة : البعيدة . والداعي : الذى يدعو الناس إلى القتال . ثوب : دعا مرة بعد أخرى .

ماعدا مب : « صوت » .

(٥) ماعدا مب : « الصياح » .

وقوله : « أنكرني كلبى » ، يخبر أن سلاحه تام من الدرع والمغفر والبيضة^(١) . فإذا تكفر بسلاحه أنكره كلبه فنبحه^(٢) .

وأما قوله :

إذا خرس الفحل وسط الحجور^(٣) وصاح الكلاب وعق الولد
فأما قوله : إذا خرس الفحل ، فإن الفحل إذا عاين الجيش وبوارق
السيوف ، لم يلتفت لفت الحجور^(٣) .

وأما قوله : وصاح الكلاب ، فإن الكلاب فى تلك الحالة تنبح أربابها
كما تنبح سرعان الخيل إليهم^(٤) ؛ لأنها لا تعرفهم من عدوهم .

وأما قوله : وعق الولد ، فإن المرأة إذا صبحت الخيل ، ونادى الرجال
يا صباحاه ! ذهلت عن ولدها ، وشغلها الرعب عن كل شيء . فجعل تركها
احتمال ولدها والعطف عليه فى تلك الحالة ، عقوقاً منها ، وهو قولهم : نزلت
بهم أمور لا ينادى وليدها^(٥) ، وإنما استعاروا هذه الكلمة فصيروها فى هذا
الموضع من هذا المكان .

وقد ذكر ذلك مزرد بن ضرار وغيره ، فقال :

(١) المغفر ، كنبير وسحاب وكتابة : زرد يلبس تحت البيضة ويغطي العنق ، وقيل حلق يتقنع به المتسلح . والبيضة : غطاء حديدى للرأس .

(٢) تكفر بسلاحه : دخل فيه فاستترت هيئته ، ماعدا مب : « فينبحه » .

(٣) ماعدا مب : « الحجور » ، وهو تحريف صوابه ما أثبت . والحجور كالحجورة والأحجار : جمع حجر بالكسر ، وهى الأثني من الخيل .

(٤) سرعان الخيل بالتحريك : أوائلها ، وقد يسكن .

(٥) وقال أبو عبيد : معناه أمر عظيم لا ينادى فيه الصغار ، وإنما يدعى فيه الكهول والكبار . وقال الكلابى : هذا مثل يقوله القوم إذا أخصبوا وكثرت أموالهم ، فإذا أهوى الصبى إلى شيء ليأخذه لم ينه عن أخذه ، ولم يصح به ، لكثرة عندهم . الميدانى (٢ : ٣١٢) . وقال أبو العميث : الصبيان إذا رأوا شيئاً عجيباً تحشدوا له ، مثل القراد والحاوى ، فلا ينادون ولكن يتركون يفرحون . أدب الكاتب ٤٨ - ٤٩ .

تَبَرَّأْتُ مِنْ شَتَمِ الرِّجَالِ بِتَوْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْى لَا يُنَادَى وَلِيَدُهَا^(١)
وقال الآخر :

ظَهَرْتُ عَلَى الْأَحْرَارِ مِنْ بَعْدِ ذَلَّةٍ وَشِقْوَةِ عَيْشٍ لَا يُنَادَى وَلِيَدُهَا^(٢)
والذى يُخْرِسُهُ إِفْرَاطُ الْبَرْدِ ، وَإِلْحَاحُ الْمَطَرِ ، كما قال الهذلي^(٣) :

وَلَيْلَةٌ يَصْطَلِي بِالْفَرْثِ جَازِرُهَا يَخْتَصُّ بِالنَّقَرَى الْمُتَرِينَ دَاعِيَهَا^(٤)
لَا يَنْبَحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ مِنْ الصَّقِيعِ ، وَلَا تَسْرَى أَفَاعِيهَا
وقال ابن هرمة :

وَأَسْأَلُ الْجَارَ وَالْمَعْصَبَ وَالْأَضْيَا فِ وَهْنًا إِذَا تَحَيَّوْا لَدِيًّا^(٥)
كَيْفَ يَلْقَوْنَنِي إِذَا نَبَحَ السُّكْلُ بُ وَرَاءَ الْكُسُورِ نَبَحًا خَفِيًّا
وقال آخر :

إِذَا عَمِيَ الْكَلْبُ فِي دِيْمَةٍ وَأُخْرِسَهُ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ صِرٍّ^(٦)
يقول : الْكَلْبُ وَإِنْ أُخْرِسَهُ الْبَرْدُ الَّذِي يَكُونُ مَعَ الْمَطَرِ وَالرَّيْحِ الَّتِي
تَمْطُرُ^(٧) بِالصَّحَارَى الْمَطِيْرَةِ فَتَبْرُدُ ، فَإِنَّ الْكَلْبَ وَإِنْ نَالَ ذَلِكَ فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ
خِصْبٍ ؛ وَلَيْسَ ذَلِكَ مِنْ صِرٍّ^(٨) .

(١) مثل هذه الرواية في اللسان (ولد) مع النسبة إلى ضرار . والبيت في الميداني (٢ : ٣١٣)
غير منسوب ، والرواية فيه هكذا :

فَأَقْصَرْتُ عَنْ ذِكْرِ الْغَوَافِ بِتَوْبَةٍ إِلَى اللَّهِ مِنْى لَا يُنَادَى وَلِيَدُهَا

(٢) ومن هذا المعنى ما أنشده الميداني (٢ : ٣١٣) من قول الآخر :

لَقَدْ شَرَعْتُ كَمَا يَزِيدُ بْنُ مَزِيدٍ شَرَائِعَ جُودٍ لَا يُنَادَى وَلِيَدُهَا

(٣) هو جنوب أخت عمرو ذي الكلب . ديوان الهذليين (٣ : ١٢٦) . وقد سبق في ١ : ٣٨٨ .

(٤) يقال دعا النقرى : إذا خض بدعوته ، والجفل : إذا عم في دعوته .

(٥) سبق الكلام في هذا الشعر بالجزء الأول ص ٣٨٨ .

(٦) الديمة : المطر الدائم . والصر : البرد الشديد . وهذا البيت في الأصل مقحم ظلماً .

بين بيتي « تبرأت من شتم الرجال » و « ظهرتم على الأحرار » في أول هذه

الصفحة . فرددته إلى موضعه الطبيعي ، والكلام الآتي خاص بمعنى هذا البيت .

(٧) ط : « تمطر » والوجه ما أثبت من س .

(٨) قد يرى القارى تناقضاً في هذا القول ، وليس به ، وبخاصة إذا عرف أن الصر أقوى
من البرد .

(نبح الكلاب السحاب)

والكلب إذا ألحّت عليه السحاب بالأمطار في أيام الشتاء لقيَ جَنَّةً^(١)
فهي أبصرَ غيماً نبحه ؛ لأنه قد عَرَفَ ما يُلقَى من مثله . وفي المثل : « لَا يَضُرُّ
السَّحَابُ نُبَاحُ الكلاب^(٢) » ، فقال الشاعر :

ومالَى لَا أَغْزُو وَلِلدَّهْرِ كَرَّةٌ وقد نَبَحْتُ نَحْوَ السَّمَاءِ كَلَابُهَا
يقول : قد كنت أدعُ الغزو مخافة العطش على الخيل والأنفس ، فما
عُذِرَ اليوم والغدران كثيرة ، ومَنَاقِعُ المياه موفورة^(٣) .
والكلابُ لا تنبَحُ السحاب إلا من إلحاح المطر وتراذفه .

وقال الأفوه الأودِيّ ، في نبح الكلاب السحاب ، وذلك من
وصف الغيم :

له هَيْدَبٌ دَانٍ وَرَعْدٌ وَجَّةٌ وِبرقٌ تَرَاهُ سَاطِعاً يَنْبَلِجُ^(٤)
فبَاتَتْ كِلَابُ الْحَيِّ يَنْبَحْنَ مُزْنَهُ وَأَضْحَتْ بَنَاتُ الْمَاءِ فِيهَا تَعْمِجُ^(٥)

(١) الجنة : الجنون . وواضح أن هذا القول غير القول الأول ، فلعل وجه الكلام « وقيل :
الكلب إذا ألحّت عليه السحاب . . . » الخ .

(٢) المثل عند الميداني (٢ : ١٤٨) وقال : « يضرب لمن ينال من إنسان بما لا يضره » .

(٣) في الأصل : « موجودة » ، وما كتبت أشبه بالكلام .

(٤) الهيدب : السحاب المتدلى ، أو ذيله . واللجة ، بالفتح : الجلبة .

(٥) تعمج : تسبح في الماء أو تتثنى . وهذا ماقى س . وفي ط : « تمعج » أى
تلوى وتثنى . وبنات الماء عنى بها السمك . وهناك ضرب من السمك يسمى
« بنات الماء » وهو عجيب الحلقة - زعموا - وليس يريده الشاعر . الظر الدمي .

(قول أبي حية النيرى في السكاب)

وقال أبو خالد النيرى : وذكروا^(١) فرعون ذا الأوتاد عند أبي حية النيرى ، فقال أبو حية : السكاب خير منه وأحزم ! قال : فقبل له كيف خَصَصْتَ السكابَ بذلك ؟ قال : لأنَّ الشاعر يقول :

ومالٍ لا أغزو وللدهر كَرَّةٌ وقد نبحت نحو السماء كلابها
وقال الفرزدق :

فإنَّك إن تهجو حنيفةً سادراً وقبلك قد فاتوا يدَ المتناول^(٢)
كفِرَعَوْنَ إذ يرمى السماءَ بسهمِهِ فرُدَّ عليه السهمُ أفوقَ ناصلي^(٣)
فهذا يرمى السماءَ بجهله ، وهذا ينبح السحابَ من جَوْدَةِ فِطنته .

٢٥

(تعصّب فهد الأحزم للسكاب)

وزعم فهد الأحزم^(٤) أنَّ السكابَ إنما عَرَفَ مخرَجَ ذلك الشيء المؤذى له حتَّى نبحه بالقياس ، لأنَّه إنما نبحه بعد أن توالى عليه الأذى من تلك الجهة . وكان فهد^(٥) يتعصّب للسكاب ، فقلت له : وكذلك الحمار

(١) في الأصل : « وذكر » ، والوجه ما أثبت .

(٢) لم أجد البيتين في ديوان الفرزدق . وفيهما إقواء .

(٣) س : « ناصل » . ط ، م : « ناضل » صوابهما من التنبيه على الحماسة لابن جني (مصورة معهد المخطوطات) عند قول الحماسي : « كساق الجراداة أو أحشى » والسهم الأفوق : المكسور الفوق بالضم ، وهو موضع الوتر من السهم . والناصل : الذي خرج سهمه . قال ابن جني : « أى أفوق ناصلياً » .

(٤) هذا ما في س . وفي م : « الأخرم » موضع « الأحزم » وفي ط : « فهدا جزم » وهو تحريف ظاهر .

(٥) ط : « وكان فهدا » ، وهو تحريف ما في س وم .

إذا رفعت عليه السَّوط مرَّ من تحتك مرًّا حثيثًا . فالقياس علَّمهُ (١) أنَّ السَّوط متى رُفِعَ حُطَّ ، ومتى حُطَّ أصابَهُ ، ومتى أصابَهُ ألم . فما فضلُ الكلب في هذا الموضوع على الحمار ، والحمارُ هو الموصوف بالجهل ؟ !
(مما قيل في نباح الكلاب)

قال الفرزدق :

وقد نَبَّحَ الكلبُ السحابَ ودُونَهَا مَهَامِهِ تَغْشَى نَظْرَةَ التَّامِّلِ
وقال الآخر :

مَالِكَ لَا تَنْبَحُ يَا كَلْبَ الدَّوْمِ قَدْ كُنْتَ نَبَّاحًا فَمَا بَالُ الْيَوْمِ
قال : كان هذا رجلٌ ينتظر عَيْرًا له تَقَدَّمَ ، فكان إذا جاءت العيرُ
نبح ، فاحتبست عليه العيرُ ، فقال كالتمننى وكالمنتظر المستبطن : مالك
لا تنبح ؟ أى مالليعر لا تأتى .

(فراصة إياس بن معاوية في الكلاب)

وقال : خرج (٢) إياس بن معاوية ، فسمع نباح كلب فقال : هذا كلبٌ
مشدود . ثم سمع نباحه فقال : قد أُرسِل . فأنتهوا إلى الماء فسألوهم فكان كما
قال . فقال له غيلان أبو مروان (٣) : كيف علمت أنه موثق وأنه أُطلق ؟ قال :

(١) في الأصل : « علم »

(٢) في الأصل : « حج » .

(٣) قال ابن النديم في شأنه : « وقد استقصيت خبره في مقالة المتكلمين في أخبار المرجئة . ولرسائله مجموع نحو أثنى ورقة » . والظاهر أن ابن النديم لم يف بوعده أول لعل كلامه ضاع فيما سقط من الكتاب ، وقد عده في الكتاب المترسلين بعد عبد الحميد الكاتب . وقد قرنه الجاحظ في البيان بابن المقفع وسهل بن هارون وعبد الحميد (البيان ٣ : ٢٩) . وهو القائل : « إذا أردت أن تتعلم الدعاء فاسمع دعاء الأعراب » البيان ٢ : ١٦٤ . وقد أثبت له ابن قتيبة نموذجاً من رائع كلامه في عيون الأخبار ٢ : ٣٥٤ . وانظر ترجمته في المعارف ٢١٢ وآراءه في « الفرق بين الفرق » .

كان نبأه وهو موثق يُسمع من مكانٍ واحد ، فلما أُطلق سمعته يقرب مرةً ويبعد مرةً ، ويتصرف في ذلك .

وقالوا : مرَّ إياس بن معاوية ذات ليلة بماء ، فقال : أسمع صوت كلبٍ غريب . قيل له : كيف عرفت ذلك ؟ قال : بخضوع صوته وشدة نباح الآخر . فسألوا فإذا هو غريب مربوط والكلاب تنبّحه .

(استطراد لغويّ)

وقال بعض العلماء : كلب أبقع ، وفرس أبلق ، وكبش أملح^(١) ، وتيس أبرق ، وثور أشيه^(٢) .

ويقال كلب و كلاب و كليب ، ومَعَز وماعِز ومَعِيز . وقال لبيد :

فَبِتْنَا حَيْثُ أَمْسَيْنَا قَرِيْبًا عَلَى جَسَدَاءَ تَنْبَحِنَا الْكَلِيبُ^(٣) ٢٦

(١) الأملح : الأبيض يخالط لونه سواد . وفي س : « أخرج » وهما بمعنى ، وجاء في فقه اللغة ص ٥٧ ما يأتي : « فصل في تقسيم السواد والبياض على ما يجتمعان فيه : فرس أبلق ، تيس أخرج ، كبش أملح ، ثور أشيه ، جبل أبرق ، ابنوس ملمع ، صحاب أتمر ، أفعوان أرقش ، دجاجة رقطاء » .

(٢) لا تجدد هذه الكلمة في مادة « شيه » أو « شوه » وإنما هي من مادة « وثنى » . قال في اللسان : « والشية سواد في بياض أو بياض في سواد ، الجوهرى وغيره : الشية كل لون يخالف معظم لون الفرس وغيره ، وأصله من الوثنى ، والهاء عوض من الواو الذاهبة من أوله ، كالأزنة والوزن ، والجمع شيات . ويقال ثور أشيه ، كما يقال : فرس أبلق ، وتيس أذرا » .

(٣) « جسداء » قال ياقوت : بالتحريك والمد ، ويروى بضم الجيم . وفي القاموس : « جسداء » وضبطت بالقلم فقط بفتح الأول . وهو موضع يبطن جلذان ، وجلذان : موضع قرب الطائف . وفي الأصل : « جسدين » وهو تحريف صوابه في الديوان ص ٤٩ ومعجم البلدان . و « تنبّحنا » هي في الأصل : « تنبّحنا » وصوابها في المصدرين السابقين . وروايته في معجم البلدان واللسان (ثاد ، فرم) « الكلاب » ، صوابه ماهنا وهو مائ الديوان ٢٤٩ ونوادر أبي زيد ص ٦٨ . ويعمده في النوادر والديوان :

نقلنا سبيهم صرما فصرما إلى صرم كما نقل النصيب

وقال علقمة بن عبدة^(١) :

وَتُصْبِحُ عَنْ غِيبِ السُّرَى وَكَأَنَّهَا مُوَلَّعَةٌ تَخْشَى الْقَنِيصَ شُبُوبُ^(٢)
تَعَفَّقُ بِالْأَرطَى لَهَا وَأَرَادَهَا رَجَالٌ فَبَذَتْ نَبْلَهُمْ وَكَلِيبُ^(٣)

وقال عبادة بن محبّر السعدي^(٤) :

فَنَ لِلْخَيْلِ بَعْدَ أَبِي سَرَّاجٍ إِذَا مَا أَشْنَجَ الصَّرُّ الْكَلِيبَا^(٥)
وهؤلاء كلهم جاهليّون .

(١) من قصيدته المشهورة التي اختارها المفضل الضبي في المفضليات ٣٩١ - ٣٩٦ . وهي في الديوان ص ١٣١ من خمسة دواوين العرب . وهذه القصيدة مدح بها علقمة الحارث الوهاب ، سيد بني غسان وملك الشام ؛ وهي وقصيدة أخرى عرضها علقمة على قريش في عامين متتاليين فقالوا : هاتان سمطا الدهر . ومطلعها :
طحا بك قلب في الحسان طروب بعيد الشباب عصر حان مشيب

(٢) يقول : هذه الناقة في نشاطها بعد سراها الليل ؛ كأنها بقرة وحشية تتوثب نشاطا .

(٣) أبو حنيفة : « الأَرطَى : هو شبيه بالغضى ، ينبت عصيا من أصل واحد يطول قدر قامة » اه . يقول : قد لاذ هؤلاء الرجال بالأرطى من المطر والبرد . كذا في اللسان . وعندي أنهم لاذوا بالأرطى لتحين الفرصة لصيدها . وبذت نبلهم : سبقت سهامهم .

(٤) في ط : « عبادة بن محبّر » وفي م : « عبادة بن محبّر » وفي س : « عبادة بن محبّر » وصوابها ما أثبت من نوادر أبي زيد ٦٩ . وهو فيما روى أبو زيد : « عياذ ابن محبّر » ؛ وصححه أبو حاتم في روايته مما كتبت . وعبادة هذا : شاعر جاهلي كما في النوادر .

(٥) « الصر » بمعنى البرد الشديد كما في النوادر ؛ وهي في الأصل : « الصر » . و « أشنج » هي في النوادر « ألبأ » ؛ وفي س : « أشجا » ؛ وهذه تحريف ماقى النوادر .

(رأى لمؤوية الحريبي في بقع الكلاب وسودها)

وقال مؤوية الحريبي ^(١) وأنشدوه ^(٢) :

كَأَنَّكَ بِالْمُبَارَكِ بَعْدَ حِينٍ تَخُوضُ غِمَارَهُ بُقْعَ الْكِلابِ ^(٣)
وأنشدوه :

أرسلت أسداً على سود الكلاب فقدت أمسى شريدُهُم في الأرضِ فُللاً ^(٤)
فقال : لاخير في بُقْعِ الكلابِ ألبتة، وسود الكلاب أكثرها عقوراً.

(خير الكلاب والسنانير)

وخيرُ الكلاب ما كان لونه يذهب إلى ألوان الأسد من الصفرة
والحمرة . والتبقيع هُجْنة .

وخيرُ السنانير الخَلَنْجِيَّةُ ، وخير كلاب الصَّيْدِ البَيضُ .
قالوا : إِنَّ الْأَسَدَ لِلْهَرَّاشِ الْحُمْرِ وَالصُّفْرِ ، وَالسُّودُ لِلذَّنَّابِ ، وَهِيَ شُرُّهَا ،

(١) الحريبي : نسبة إلى الحريية : موضع بالبصرة . وفي ط : الخريسي « وفي س :
« الحربي » ، وصوابهما ما أثبت من م .

(٢) في الأصل : « وأنشدني » ، وسياق الكلام يطلب ما أثبت .

(٣) المبارك : نهر بالبصرة احتفروه خالد القمري لهشام بن عبد الملك . والغمار : جمع
غمر بالفتح ، وهو الماء الكثير ، وفي ط ، م : « عمارة » ، وهو تصحيف صوابه
في س ، ومعجم البلدان . وقد سبق هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٦١ .
وبقع الكلاب : جمع أبقع ، وهو ماخالط بياضه سواد .

(٤) سبق الكلام في هذا البيت بالجزء الأول ص ٢٦٢ .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لَوْلَا أَنَّ الْكِلَابَ أُمَّةٌ مِنَ الْأُمَمِ
لَأَمَرْتُ بِقَتْلِهَا . وَلَكِنْ اقْتُلُوا مِنْهَا كُلَّ أَسْوَدَ بِهِمْ » .

(القوة في السُّود من الحيوان)

وكلُّ شئٍ من الحيوان إذا اسودَّ شعرُهُ أو جلدهُ ، أو صوفه ، كان
أقْوَى لَبْدَنِهِ ولم تكن ^(١) معرفته بالمحمودة .

(خير الحمام)

وزعم ^(٢) أَنَّ الحمامَ الْهَدَاءَ ^(٣) إِنَّمَا هُوَ فِي الْخَضِرِ وَالنَّمْرِ ^(٤) ، فَإِذَا اسْوَدَّ
الْحَمَامُ حَتَّى يَدْخُلَ فِي الْإِحْتِرَاقِ صَارَ مِثْلَ الزَّنَجِيِّ الشَّدِيدِ الْبَطْشِ ، الْقَلِيلِ
الْمَعْرِفَةِ . وَالْأَسْوَدُ لَا يَجِيءُ مِنَ الْبَعْدِ ؛ لِسُوءِ هِدَايَتِهِ . وَالْأَبْيَضُ وَمَا ضَرَبَ
فِيهِ الْبَيَاضُ لَا يَجِيءُ مِنَ الْغَايَةِ ، لَضَعْفِ قَوَاهِ . وَعَلَى قَدَرِ مَا يَعْتَرِيهِ مِنَ
الْبَيَاضِ يَعْتَرِيهِ مِنَ الضَّعْفِ .

(١) في الأصل : « ولا تكن » . وانظر ١ : ٢٦٢ .

(٢) لعله : « وزعم مثنى بن زهير » ، وقد كان أخبر الناس بالحمام ، والجاحظ يروى
عنه كثيرا فيما يختص بالحمام .

(٣) كذا في المخصص ٨ : ١٧٠ وقال : « الواحد الهادي » : ويقال هداه فاهتدى
وهدى أيضاً : أى صار مهتديا . وهذه الكلمة في الأصل رسمت هكذا « الهدا » .
وقد سبقت في الجزء الأول ص ٩٧ برسم « الهدى » كما سيأتى في الجزء الثالث
ص ٢١٣ ، ٢١٧ . ويظهر أن القصر والمدة لفتان جائزتان فيها . وهى من
الجمع الشاذ ، فإن فاعلا معتل الباء لا يجمع على « فعل » بضم الفاء وتشديد العين ،
ولا « فعال » بالضم وتشديد العين ؛ وإنما قياسه أن يجمع على « فعلة » بضم الفاء وفتح
العين كقضاة ورماة ، فى قاض ورام . التوضيح ٢ : ٢٢٤ - ٢٢٥ . قال ابن سيده :
« وهن اللاتي يدرين ويرفعن من مرحل إلى مرحل حتى يجهن من البعد من بلاد الروم
وعريش مصر وذون ذلك ، من مواضع كثيرة ممعة » . وأقول : هو حمام الزجل
أو الزاجل . وانظر له الحيوان ٣ : ٢١٢ - ٢٢٧ .

(٤) النمر : أجمع أنمر ، وهو ما فيه نمرة بيضاء وأخرى سوداء .

فالكلب هو الأصفر والأحمر، والحمام هو الأخضر والأحمر، والسُّنور هو الخُلنَجِيُّ العَسَّال ، وسائر الألوان عيب .

وقد يكون فيها ومنها الخارجى^(١) كما يكون من الخيل ، ولكنه لا يكادُ ينجب ، ولا تعدُّ الأمورُ المحمودَةُ منه رأسه ، وقد يكون ربَّما أشبهَ وقرب من النِّجَابَةِ ؛ فإذا كان كذلك [كان]^(٢) كهذه الأمهات والآباء المنجبة^(٣) ، إِلَّا أَنْ ذَلِكَ لَا يَتِمُّ مِنْهَا إِلَّا بَعْدَ بَطْنٍ عِدَّةٍ . ٢٧

(استطراد لغوى)

وقال أبو يزيد : قال رَدَّاد^(٤) : أقول للرجل الَّذِي إِذَا رَكِبَ الْإِبِلَ فَعَقَرَ ظُهُورَهَا من إِتْعَابِهِ ، هذا رجلٌ مِعْقَرٌ ، وكذلك السَّرْجُ والقَتَبُ ، ولا يقال للكلب إِلَّا عَقُور . ويقال هو ضَرَوْ للكلب الضارى على الصيد ؛ وضروءة للكلبة^(٥) ، وهذا ضَرَاءٌ كثيرة ، وكلب ضارٍ ، وكلاب ضَوَارٍ . وقد ضَرَيْتُ أَشَدَّ الضراوة . وقال ذو الرُّمَّة :

مَقْرَعٌ أَطْلَسَ الْأَطْمَارِ لَيْسَ لَهُ إِلَّا الضَّرَاءُ وَإِلَّا صَيَّدَهَا نَشَبُ^(٦)
وقال طفيل الغنوى :

(١) الخارجى : المجهول النسب .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) فى الأصل : « المنجبة » .

(٤) هو رداد الكلابى . من فصحاء العرب المشهورين الذين سمع منهم العلماء ، ذكره ابن النديم فى الفهرس ٤٧ ليسك ، ٧٠ مصر .

(٥) فى الأصل : « وضروءة الكلبة » .

(٦) المقزع : السريع الخفيف . وأطلس الأطمار : خلق الثياب . والنشب : المال ناطقه وصامته . وقد عنى ذو الرمة بقوله صفة صائد يصيد بالكلاب . والبيت أنشده صاحب اللسان فى ثلاثة مواضع (قزع ، طلس ، ضرو) .

تُبَارَى مَرَاحِيهَا الزَّجَاجَ كَأَنَّهَا ضِرَاءٌ أَحَسَّتْ نَبَأَهُ مِنْ مَكْلَبٍ (١)

ومنه قيل : إناء ضار (٢)

وقد قال عمر رضى الله تعالى عنه : « إِنِّي أَمْ وَهَذِهِ الْمَجَازِرَ فَإِنَّ لَهَا ضِرَاوَةً كَضِرَاوَةِ الْحَمْرِ » (٣) .

وقال الأصمعي : كلب أَبْقَعُ وكلبة بَقْعَاءُ ، وفرس أَبْلَقُ وفرس بَلْقَاءُ ، وَتَيْسٌ أَبْرَقُ وَعَنْزٌ بَرْقَاءُ ، وكذلك جَبَلٌ أَبْرَقُ وكَسَاءٌ أَبْرَقُ وكلبٌ أَبْرَقُ .

(١) سبق الكلام على هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٧٦ . وفي ط : « الدجاج » مكان « الزجاج » وتصحيحه من س وما سبق في الجزء الأول . ونحوه قول المثلث البلوى في المؤتلف والمختلف ١٨٢ :

تبارى مراحيا الرياح كأنها ضراء دوان من جدية حلب

(٢) جاء في اللسان : « وفي حديث على كرم الله وجهه : أنه نهى عن الشرب في الإناء الضارى ، هو الذى ضرى بالخمر وعود بها ، فإذا جعل فيه النبيذ صار مسكراً ، وأصله من الضراوة وهى الدربة والعادة » . و « إناء » هى فى الأصل : « أتاء » وهو تصحيف كما رأيت . . . وكما يقال « إناء ضار » يقال « سقاء ضار باللبن » أى باق فيه أثر اللبن ، فإذا وضع فيه لبن حديث اكتسب منه طعماً ورائحة خاصة . ويقال « جرة ضارية بالخل والنبيذ » كذلك .

(٣) المجازر : مواضع الجزارين التى تنحر فيها الإبل وتذبح البقر والشاة وتباع لحماؤها . قال فى اللسان : « وإنما نهاهم عنها لأنه كره لهم إدمان أكل اللحوم . وجعل لها ضراوة كضراوة الخمر : أى عادة كماداتها ؛ لأن من اعتاد أكل اللحوم أسرف فى النفقة ، فجعل العادة فى أكل اللحوم كالعادة فى شرب الخمر ، لما فى الدوام عليها من سرف النفقة والفساد » . وقال الجوهري فى الصحاح : « قال الأصمعي : المجازر يعنى ندى القوم ، وهو مجتمعهم ، لأن الجزور إنما تنحر عند جمع الناس » . وقال ابن الأثير فى النهاية : « نهى عن أماكن الذبح لأن إلفها ومدامه النظر إليها ومشاهدة ذبح الحيوان ، مما يقسى القلب ويذهب الرحمة منه ، وقيل إنما أراد بالمجازر إدمان أكل اللحوم ، فكفى عنها بأمكنتها » .

(الغلام الشاعر)

وقال ابن داحية^(١) : نزل عندنا أعرابيٌّ ومعه ابنان له صغيران ، وكان أحدهما مستهتراً^(٢) باللَّعب بالكلاب ، وكان الآخر مستهتراً^(٣) بالحمelan ، فقال الأعرابيُّ لصاحب الكلب :

مالي أراك مع الكلاب جَنِيبةً وأرى أخاك جَنِيبةَ الحَمَلانِ^(٤)
قال : فردَّ عليه الغلام :

لولا الكلابُ وهرشُها مَنْ دُونِها كَانَ الوقيرُ فَرِيسةَ الذُّؤْيَانِ^(٥)
والوقير : اسم للغنم الكثيرة السائمة مع ما فيها مِنَ الحمير وغير ذلك^(٦) .
وقال الشماخُ بنُ ضَرَّارٍ :

فأورَدَهْنٌ تَقْرِيباً وشَدًّا شَرَّاعَ لم يَكْدُرْها الوقيرُ^(٦)

(١) لم أعر على ترجمة له . وقد ذكره الجاحظ في البيان ١ : ٨٤ باسم إبراهيم بن داحية مع جماعة من الرجال ، ثم قال : « وهؤلاء جميعاً من مشايخ الشيع » أى الشيعة ، وهو فى الأصل بالراء . وأثبت ما فى البيان والحيوان ٢ : ١٥٣ .

(٢) استهتر بالشيء - بالبناء للمجهول - : أولع به ، فهو مستهتر . وفى الأصل : « مستهتراً » من الشهرة . وهو تحريف .

(٣) الجنينة : الدابة تقاد . وعنى بقوله استهتاره بالحمelan .

(٤) الهراش : تحريش الكلاب . . . فى ط : « فراسة لذئاب » وفى م : « فراسة الذؤيان » وصوابهما ، ما أثبت من س .

(٥) فى اللسان : « قال الرمادى : دخلت على الأصمى فى مرضه الذى مات فيه ، فقلت يا أبا سعيد ، ما الوقير ؟ فأجابنى بضعف صوت فقال : الوقير الغنم بكلها وحارها وراعيها . لا يكون وقيراً إلا كذلك » فهذا يفسر ما عنى الجاحظ .

(٦) عنى حماراً من حمر الوحش ، قد تقدم جماعة الحمير ليوردها الماء الصافى ، وهو فى ذلك يعلو ويشد فى علوه . وحمر الوحش من الحيوانات التى تمتنع الرياسة لأحدها .
لنظر الحيوان ٥ : ٤١٩ .

(مما قيل من الشعر في نفع الكلاب)

وقال الشاعر - في تثبيت ما قال الغلام - :

تَعْدُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي صَوْلَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي^(١)
وقال الآخر :

إِنَّ الذَّنَابَ تَرَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي حَوْزَةَ الْمُسْتَشْفِرِ الْحَامِي^(٢)

(عفة عمر بن أبي ربيعة وابن أبي عتيق)

٢٨

وقال محمد بن إبراهيم : قَدِمَتِ امْرَأَةٌ إِلَى مَكَّةَ ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ
وَعَفَافٍ وَبَرَاءَةٍ وَشَارَةٍ ، فَأَعْجَبَتْ ابْنَ أَبِي رَبِيعَةَ ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا فَخَافَتْ
شِعْرَهُ ، فَلَمَّا أَرَادَتْ الطَّوْفَ قَالَتْ لِأَخِيهَا : اخْرُجْ مَعِيَ . فَخَرَجَ مَعَهَا ،
وَعَرَضَ لَهَا عُمَرُ فَلَمَّا رَأَى أَحَاها أَعْرَضَ عَنْهَا ، فَأَنْشَدَتْ قَوْلَ جَرِيرِ^(٣) :
تَعْلُو الذَّنَابُ عَلَى مَنْ لَا كِلَابَ لَهُ وَتَتَّقِي حَوْزَةَ الْمُسْتَأْسِدِ الضَّارِي^(٤)

(١) كذا في ط ، م . وفي س : « مريض المستشفر الحامي » .

(٢) الاستشفار ، أن يدخل الإنسان إزاره بين فخذه ملوياً ثم يخرج به فيشده طرفيه في

حجزته ، وذلك حين الصراع . وفي ط ، م : « المستشفر » وتصحيحه من س .

(٣) كذا ، ومثله في الأغاني ١ : ٣٥ . والخبر فيه عن الهيثم بن عدي وفيه بسط وزيادة .

(٤) والخبر كذلك في عيون الأخبار ٤ : ١٠٩ عن محمد بن علي . ورواية البيت فيه :

تعدو الذئاب على من لا كلاب له وتتقى مريض المستأسد الحامي

والبيت برواية ابن قتيبة هذه منسوب إلى النابغة ، كما في اللسان وحسانة البحري

٢٦٤ وشرح الأشعار الستة للشتنري مخطوطة دار الكتب من قصيدة مطلعها :

قالت بنو عامر خالوا بني أسد يابؤس للجهل ضرارا لأقوام

وفي س : « وتتقى حوزة المستشفر الحامي » . والبيت في شعر الزبرقان بن بدر

أيضاً كما في المؤلفات والمختلَف ص ١٢٨ . قال يونس : « هو للنابغة : أظن الزبرقان

استزاده في شعره كالمثل » ، انظر المزهري ١ : ١١٠ .

هذا حديث أبي الحسن ، وأما بنو مخزوم فيزعمون أن ابن أبي ربيعة لم يحلّ إزاره على حرام قط ، وإنما كان يذهب في نسيبه إلى أخلاق ابن أبي عتيق ؛ فإن ابن أبي عتيق كان من أهل الطهارة والعفاف ، وكان من سمع كلامه توهم أنه من أجرا الناس على فاحشة .

وما يشبهه الذي يقول بنو مخزوم مذكروا عن قريش والمهاجرين ؛ فإنهم يقولون : إن عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة إنما سُمي بعمر بن الخطاب (١) وإنه ولد ليلة مات عمر . فلما كان بعد ذلك ذكروا فساد هذا وصلاح ذلك فقالوا : أي باطل وضع ، وأي حق رفع !!
ومثل هذا الكلام لا يقال لمن يوصف بالعفة الثابتة .

(وصية شريح لمعلم ولده)

ولبغض (٢) المزاح في لعب الصبيان بالكِلاب واستهتارهم بها ، كتب شريح إلى معلم ولد له كان يدع الكتاب ويلعب بالكِلاب (٣) :
ترك الصلاة لأكل يلهو بها طلب الهراش مع الغواة الرجس (٤)

(١) ط : « يسمى » ، والوجه ما في س .

(٢) في الأصل : « لبغض » ، والوجه ما أثبت .

(٣) الأبيات الآتية في ثمار القلوب ١٧٣ ، وعيون الأخبار ٢ : ١٦٧ ، والعمدة ١ : ١٧ والعقد ١ : ٣٦٣ والمحاسن للبيهقي ٢ : ٢١٦ والشرشي ٢ : ٣٨١ .

(٤) في المراجع : « يسمى بها » موضع « يلهو بها » . وفي انبار أيضاً : « نحو الهراش » وفي العهد : « طلب الهراش » .

- ولياتينك غادياً بصحيفةٍ يَغْدُو بها كصحيفة المتلمس^(١)
 فإذا خلوتَ فعَضَّهُ بِمَلَامَةٍ أو عِظَهُ مَوْعِظَةَ الأديب الأكيـس^(٢)
 وإذا هممت بضربه فيدِرَّةً وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحسِـس^(٣)
 واعلم بأنك ما فعلت فإنه مَعَ مَا يُجَرِّعُنِي أعزُّ الأنفـس^(٤)

وهذا الشعر عندنا^(٥) لأعشى بنى سليم في ابن له . وقد رأيتُ ابنه هذا شيخاً كبيراً ، وهو يقول الشعر^(٦) وله أحاديثٌ كثيرةٌ ظريفة .

(١) هذا البيت لم يروه ابن عبد ربه ولا ابن قتيبة في كتابيهما . وصحيفة المتلمس مثل في الشؤم . وأصله أن المتلمس ، وابن أخته طرفة بن العبد ، كانا يتادمان عمرو ابن هند ، فنمى إليه أنهما يهجوانه ، فاحتال لقتلهما بأن دفع إلى كل منهما كتاباً إلى عامله بالبحرين ، وأوهمهما أنهما بالكتابين يحصلان على الجوائز ، فضيا حتى إذا كانا بنهر الحيرة مرا على غلمان يلعبون ، فأما المتلمس فدفع كتابه إلى غلام فقرأه ففهم منه الشر الذي أضمره الملك ، وألقى كتابه في الماء ، وأما طرفة فقد لعب برأسه الطمع فاحتفظ بكتابه ، ومضى بكتابه إلى العامل ، فقادته إلى الحين رجلاه .

(٢) في عيون الأخبار فقط : « فإذا خلوت » . وفي الثمار فقط : « فضضه بملامة » . وأما الشطر الثاني للبيت فهو في الثمار : « وأنله موعظة اليبب » ، وفي العيون : « وعظنه وعظلك للأريب » ، وفي العقد : « وعظنه موعظة الأديب » .

(٣) الدرة بالكسر : السوط ، كما في المصباح . وهي في ط : « بذرة » محرفة وصوابها في س والمراجع المتقدمة . وفي الأصل أيضاً : « وإذا ضربت به » والضمير عائذ إلى « الدرة » فالصواب ما أثبت من الثمار . وفي العقد : « وإذا بلغت ثلاثة لك » ، وفي العيون : « وإذا بلغت بها ثلاثاً » ، وفي الشريشي : « وإذا بلغت به ثلاثاً » .

(٤) « فإنه » هي في معظم المراجع : « فنفسه » . وما هنا سائق لابس به .

(٥) ط فقط : « عندي » .

(٦) ط : « بشعر » وصوابه في س ، م .

(من دلائل كرم الكلب)

وقال صاحب الكلب : ومما يدلُّ على قَدْرِ الكلب كثرةُ ^(١) مايجرى على ألسنة الناس من مَدْحِه بالخير والشرِّ ، وبالحمد وبالذمِّ ، حتَّى ذكر في القرآن مرَّةً بالحمد ومرَّةً بالذمِّ . وبمثل ذلك ذِكر في الحديث ، وكذلك في الأشعار والأمثال ، حتَّى استعمل في الاشتقاقات ، وجرى في طريق النُعال والطَّيرة ، وفي ذكر الرؤيا والأحلام ، ومع الجنِّ والجنِّ ^(٢) والسَّباع والبهائم . فإن كنتم إئمَّا قضيتُم عليه بالشرِّ والنقص ، وباللؤم وبالسقوط لأنَّ ذلك كلُّه قد قيلَ فيه ، فالذى قيلَ فيه من الخير أكثرُ ، ومن الخصال المحمودة أشهرُ . وليسَ شيءٌ أجمعَ لخصال النقص من الحمل ، لأنَّ تلك الخصال المخالفة لذلك ، تُعطى من النَّباهة وتُقيم من الذكر على قَدْرِ المذكور من ذلك . وكما لا تكون الخصال التي تُورث الحمل مورثةً للنَّباهة فكذلك ^(٣) خِصال النَّباهة في مجانبة الحمل ؛ لأنَّ الملوِّم أفضلُ من الحامل :

(١) ط : « كثيرًا » ، والصواب في س ، م .

(٢) قالوا : الجن : ضعاف الجن .

(٣) ط : « كما لا تكون . . . فلذلك » ، والتعديل من س .

(الترجمان بن هريم والحارث بن شريح)

وسمع الترجمان بن هريم^(١) [عند يزيد بن عمر^(٢)] بن هبيرة ، رجلاً يقول : ما جاء الحارث بن شريح بيوم خير قط . قال الترجمان : إلا يكن^(٣) جاء بيوم خير فقد جاء بيوم شر^(٤) .

(سياسة الحزم)

وبعد فأى رئيس كان خيرُهُ محضاً عَدِمَ الهَيْبَةُ . وَمَنْ لم يَعْمَلْ بِإِقَامَةِ
جزاء السيئة والحسنة ، وقتل في موضع القتل ، وأحياناً في موضع الإحياء ،
وعفواً في موضع العفو ، وعاقبَ في موضع العقوبة ، وَمَنَعَ ساعة المنع ، وأعطى
ساعة الإعطاء ، خالفَ الرَّبَّ في تدبيره ، وظنَّ أن رحمته فوق رحمةِ ربه .

(١) الترجمان بن هريم : قال ابن قتيبة في المعارف ١٨٤ : إنه كان على الأهواز :
وعلى بنى حنظلة في فتنة ابن سهل . وأبوه هريم بن أبي طحمة كان شجاعاً كيساً ،
وكان مع المهلب في قتال الأزارقة ، ومع عدى بن أرمطة في قتال يزيد بن المهلب .
وكبر هريم فحول اسمه في أعوان الديوان ، ففيل له : إنك لاتحسن أن تكتب !
فقال : إلا أكتب فإني أخو الصحف ! في الأصل : « الترجمان بن هريم » ونصحيحه
من المعارف والبيان ١ : ١٩٩ .

(٢) التكملة من البيان : ويزيد هذا أمير قائد من ولاية الدولة الأموية . ولما قنشرين
للوليد بن يزيد ، ثم جمعت له ولاية المراقين في أيام مروان بن محمد . ولما ظهر
أمر العباسيين أرسل السفاح أخاه المنصور لحربه فأعياه أمره . ثم بعث إليه السفاح
من قتله بقصر واسط سنة ١٣٢ .

(٣) في الأصل : « إن لا يكون » ، صوابه من البيان .

(٤) قال الجاحظ في البيان : ذهب الترجمان إلى مثل معنى قول الشاعر :

وما خلقت بنو زمان إلا أخيراً بعد خلق للناس طراً

وما فعلت بنو زمان خيراً ولا فعلت بنو زمان شراً

أقول : زمان بكسر الزاي وتشديد الميم قبيلة منها الفتد الزمانى الشاعر .

وقد قالوا : بعضُ القتلِ إحياءٌ للجميع . وبعضُ العفوِ إغراء ، كما أنَّ بعضَ المنعِ إعطاء ، ولا خيرَ فيمن كان خيرُهُ محضاً ، وشرُّه منه مَنْ كان شرُّه صرفاً . ولكنْ أخلطِ الوعدَ بالوعيد ، والبشرَ بالعبوس ، والإعطاءَ بالمنع ، والحلمَ بالإيقاع ؛ فإنَّ الناسَ لا يهابون ولا يصلحون إلَّا على الثواب والعقاب ، والإطاعة والإخافة . ومَنْ أَخَافَ ولم يُوقِعْ^(١) وعُرِفَ بذلك ، كَانَ كَمَنْ أَطْمَعَ ولم يُنَجِزْ وعُرِفَ بذلك ، ومَنْ عُرِفَ بذلك دخلَ عليه بحسبِ ما عُرِفَ منه . فخيرُ الخيرِ ما كان ممزُوجاً ، وشرُّ الشرِّ ما كان صرفاً ، ولو كَانَ النَّاسُ يصلحون على الخيرِ وحده لَسَكَانَ اللهُ عزَّ وجلَّ أولى بذلك الحكم .

وفي إطباق جميع الملوك وجميع الأئمة في جميع الأقطار وفي جميع الأعصار على استعمال المكروه والمحبوب ، دليل على أنَّ الصواب فيه دون غيره . وإذا كَانَ النَّاسُ إنما يصلحون^(٢) على الشدَّة واللين ، وعلى العفو والانتقام وعلى البذل والمنع ، وعلى الخير والشرِّ ، عاد ذلك الشرُّ خيراً وذلك المنع إعطاءً وذلك المكروه محبوباً . وإنَّما الشأنُ في العواقب ، وفيما يدوم ولا ينقطع وفيما هو أذوم ، ومن الانقطاع أبعدُ .

(١) ق ط : « يقع » ، والصواب في س .

(٢) في الأصل : « يصلحون » والوجه ما أثبت .

شعر في الحزم

وقال الشاعر ، وهو يمدح قوماً^(١) :

إِنْ يُسْأَلُوا الْخَيْرَ يُعْطُوهُ وَإِنْ جُهِدُوا فَالْجُهْدُ يُخْرِجُ مِنْهُمْ طَيْبَ أَخْبَارٍ^(٢)
وإن تَوَدَّدَتْهُمْ لَانُوا وَإِنْ شُهِمُوا كَشَفَتْ أَذْمَارَ حَرْبٍ غَيْرَ أَغْمَارٍ^(٣)
وقال العتبي^(٤) :

ولكن^(٥) بنو خيرٍ وشر كليهما جميعاً ومَعْرُوفٍ أَلَمٌ وَمُنْكَرٍ

(١) الشاعر هو عبيد بن العرنس الكلابي ، كما في الكامل ٤٧ وتنبية البكري ٧٣ .
والشعر رواه أبو تمام في الحماسة ٢ : ٢٦٩ والقالي في الأمالي ١ :
٢٣٩ والمرزباني في المعجم ٣٠٦ ، ونسبه كل منهم إلى العرنس الكلابي لا إلى
عبيد . وقد نبه البكري على هذا الخطأ . والشعر رواه أيضاً العسكري في
ديوان المعاني ١ : ٤١ غير منسوب . أما القوم الذين مدحهم عبيد بن العرنس
فهم بنو عمرو الغنويون . وكان أبو عبيدة يقول : « هذا الحال ، كلابي يمدح
غنويا ! » . قال البكري في تفسير ذلك : « وإنما أنكر أن يكون كلابي يمدح غنويا ،
لأن فزارة كانت قد أوقعت بيني أبي بكر بن كلاب وجيرانهم من محارب وقعة عظيمة ،
ثم أدركتهم غنى فاستنقذتهم ، فلما قتلت طيساً قيس النسداي الغنوي ، وقتلت عبس
هريم بن سنان الغنوي ، استغاثت غنى بيني أبي بكر وبين محارب ليكاثفهم بيدهم
عندهم ، فقموا عنهم فلم يجيبوهم ، فلم يزالوا بعد ذلك متدابرين » .

(٢) جهدوا : أصابهم الجهد ، وهو شدة الزمان .

(٣) توددتهم : طلبت مودتهم . شهموا ، بالبناء للمفعول : من شهمت الفرس إذا حركتها
لتسرع . يقول : إذا حركوا على سبيل الإخافة لم يكن عندهم لين . التبريزي في شرح
الحماسة ٤ : ٧٢ . . والأذمار : جمع ذمر بالكسر ، وهو الشجاع . والأغمار :
جمع غمر بالثلاثين ويحرك ، وهو الذي لم يجرب الأمور .

(٤) سبقت ترجمته في شرح الجزء الأول ص ٥٣ - ٥٤ .

(٥) كذا في ط . وهي في س ، م : « أولاك » بمعنى « أولئك » .

وقال بعضُ من ارتجز يومَ جَبَلَة^(١) :

أنا الغَلامُ الأعسرُ الخيرُ في الشرِّ

* والشرُّ في أكثرِ *

وقال عبدُ الملك بن مروانَ لزُفر بن الحارث - وقد دخل عليه في رجالاتِ

قيس : ألسْتَ امرأً من كندة ؟ قال : وما خيرُ مَنْ لا يُتَّقَى حَسَداً ،
ويُدعى رغبة .

وقال ثُمّامة : الشُّهرة بالشرِّ خيرٌ من أن لا أعرفَ بخيرٍ ولا شرِّ .

(أمارات النباهة)

وكان يقال : يُسْتَدَلُّ على نباهة الرجلِ من المـاضين بنبأين

الناس فيه .

وقال : ألا ترى أنَّ عليّاً - رضى الله تعالى عنه - قال : يَهْلِكُ في فُتْتان^(٢) :

حُبٌّ مُفْرِطٌ ، ومبغِضٌ مُفْرِطٌ .

وهذه صفةُ أنبهِ الناسِ ، وأبعدِهِم غايةً في مراتبِ الدِّينِ وشرفِ الدنيا^٣

ألا ترى أنَّ الشاعر يقول :

(١) يوم جيلة أحد الأيام الثلاثة العظيمة عند العرب ، وهي : يوم الكلاب ، ويوم جيلة ، ويوم ذي قار . وهو مفصل في الأغاني ١٠ : ٣٣ - ٤٥ . وكان قبل الإسلام بأربعين سنة ، وهو عام ولد النبي صلى الله عليه وسلم ، كما في العقد ٣ : ٣٠٧ . وقاتل للشعر هو معاوية بن عباد بن عقييل ، وكان أعسر ، كما في الأغاني . والأعسر : الذي يعمل بشماله .

(٢) في الأصل : « فتیان » .

أَرَى الْعِلْبَاءَ كَالْعِلْبَا ۚ لَا حُلُوْ وَلَا مَرٌ^(١)
شَيْخٌ مِّنْ بَنِي الْجَارُو دِرَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌ

وقال الآخر :

عَيَّرَنِي يَا ثَكْلَتْنِي أُمِّي^(٢) أَسْوَدَ مِثْلَ الْجَعَلِ الْأَحْمَ^(٣)
يَنْطَحُ عُرْضَ الْجَبَلِ الْأَصَمِّ لَيْسَ بَذَى الْقَرْنِ وَلَا الْأَجَمِّ

وإذا كان الرجل أبرع الناس براعة ، وأظهرهم فضلاً ، وأجمعهم
لحصال الشرف ، ثم كانت كل خصلة مساوية لأختها في التمام ، ولم تغلب
عليه خصلة واحدة ، فإن هذا الرجل لا يكاد يوصف إلا بالسيادة والرياسة
خاصة إذا لم يكن له مسند^(٤) عما^(٥) يكون هو الغالب عليه .

وقالوا فيما يشبه ما ذكرنا ، وإن لم يكن هو بعينه . قال الشاعر^(٥) :

(١) كلمة « العلباء » الأولى ، المراد بها « علباء بن حبيب » كما سبق في الجزء الأول
من الحيوان ص ٣٦١ . وأما « العلباء » الثانية فالمراد بها عصب عتق البمير .
يقول : هو تافه فسل . والعلباء بكسر العين .

(٢) ثكلته أمه : فقدته . وفي ط : « شككتني » وصوابه في س ، م . وقد حذف الراجز
المنادى هنا بعد الياء ، كما في بيت الشماخ :

ألا يا سقياني قبل غارة سنجال وقبل منايا قد حضرن وأوجال
أى يا صاحبي اسقياني . وكقول الآخر ، وهو من أبيات الكتاب ١ :
٣٢٠ بولاق :

يا ، لعنة الله والأقوام كلهم والصالحين على سمعان من جار
أى يا قوم ، أو يا هؤلاء . ولعنة الله ، بالرفع على الإبتداء .
(٣) الجمل : دوية تألف الأماكن القذرة . وفي ط : « الحمل » ، وصوابها
في س ، م .

(٤) كذا في س ، ط . وفي م : « مسندهما » ، وفي العبارة اضطراب .

(٥) هو عبيد بن المرندس الكلابي . وقد سبق بيتان من قصيدة الشعر الآتي في ص ٨٩
من هذا الجزء .

٣١ هَيِّنُونَ لَيِّنُونَ أَيْسَارُ ذُو وَيُسِرُّ سَوَاسَ مَكْرُمَةٍ أَبْنَاءُ أَيْسَارٍ (١)
 مَنْ تَلَقَّ مِنْهُمْ تَقَلَّ لَا قَيْتُ سَيِّدِهِمْ مِثْلُ النُّجُومِ الَّتِي يَسِرُّ بِهَا السَّارَى
 وقد قال مِثْلَ الَّذِي وَصَفْنَا جَعْفَرُ الضَّبِّيُّ (٢) فِي الْفَضْلِ بْنِ سَهْلٍ (٣) :
 أَيُّهَا الْأَمِيرُ أَسْكَنْتَنِي عَنْ وَصْفِكَ تَسَاوَى أَفْعَالِكَ فِي السُّودَدِ ، وَحَبَّرَنِي فِيهَا
 كَثْرَةُ عَدَدِهَا ، فَلَيْسَ إِلَى ذِكْرِ جَمِيعِهَا سَبِيلٌ ، وَإِنْ أَرَدْتُ وَصْفَ وَاحِدَةٍ
 اعْتَرَضَتْ أُخْتَهَا ؛ إِذْ لَمْ تَكُنِ الْأُولَى أَحَقَّ بِالذِّكْرِ . وَلَسْتُ أَصِفُهَا إِلَّا بِإِظْهَارِ
 الْعَجْزِ عَنْ وَصْفِهَا .

ولذلك قالوا : « أَحْلَمُ مِنَ الْأَخْنَفِ » ، و « مَا هُوَ إِلَّا فِي حِلْمٍ مَعَاوِيَةٍ »
 و « أَحْلَمُ مِنْ قَيْسِ بْنِ عَاصِمٍ » ، وَلَمْ يَقُولُوا : أَحْلَمَ مِنْ عَبْدِ الْمُطَّلَبِ ، وَلَا هُوَ
 أَحْلَمُ مِنْ هَاشِمٍ ؛ لِأَنَّ الْحِلْمَ خَصْلَةٌ مِنْ خِصَالِهِ كِتَامُ حِلْمِهِ ، فَلَمَّا كَانَتْ خِصَالُهُ
 مُتَسَاوِيَةً ، وَخِلَالُهُ مُشْرِفَةً (٤) مُتَوَازِيَةً ، وَكُلُّهَا كَانَتْ غَالِبًا ظَاهِرًا ، وَقَاهِرًا
 غَامِرًا ، سَمِّيَ (٥) بِاجْتِمَاعِ الْأَشْيَاءِ وَلَمْ يُسَمَّ بِالْخِصْلَةِ الْوَاحِدَةِ ، فَيَسْتَدِلُّ بِذَلِكَ عَلَى
 أَنَّهَا كَانَتْ أَغْلَبَ خِصَالِ الْخَيْرِ عَلَيْهِ .

(١) المشهور في رواية البيت « ذُو كَرَمٍ » ، وما هنا رواية صحيحة كما في شرح التبريزي
 للحماسة ٤ : ٧٢ قال : « يَعْنِي فِي أَخْلَاقِهِمْ يَسِرُّ » . وقال أيضاً : « سَوَاسَ
 مَكْرُمَةٍ : أَيْ يَرُوضُونَ الْمَكَارِمَ وَيَلُونُ أَمْرَهَا » . وقال إنهم أَيْسَارُ أَبْنَاءِ أَيْسَارٍ
 أَيْ لِنَهْمٍ عَرِيقُونَ فِي الْكِرَامِ . وَالْأَيْسَارُ ، جَمْعُ يَسِرُّ بِالتَّحْرِيكِ ، وَهُوَ الْمَقَامَرُ .
 وَالْقَابَرُ مَا يَتَدَحُّ بِهِ الْعَرَبُ ، وَكَانُوا يَعْمُونَ مِنْ لَا يَدْخُلُ فِي الْمَيْسَرِ
 « بِرَمَا » ، قَالَ : وَلَا بِرَمَا تَهْدِي النِّسَاءَ لِعَرْسِهِ إِذَا الْقَشْعُ مِنْ بَرْدِ الشِّتَاءِ تَقَعَّقَا
 (٢) فِي الْبَيَانِ ٢ : ١٧٣ وَ ٣ : ١٦٠ وَالْأَغَانِي ٧ : ٥ ، ١١ مِنْ يَدَعِي « جَعْفَرُ
 ابْنُ سُلَيْمَانَ الضَّبْعِيُّ » ، فَلَمْلَهُ هَذَا .

(٣) هُوَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ السَّرْعَسِيُّ ، كَانَ وَزِيرًا لِلْمَأْمُونِ ، اتَّصَلَ بِهِ فِي صَبَاهُ
 وَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ سَنَةَ ١٩٠ هـ . وَصَحْبُهُ قَبْلَ أَنْ يَلِيَ الْخِلَافَةَ ، فَلَمَّا وَلِيَهَا جَعَلَ
 لَهُ الْوِزَارَةَ وَقِيَادَةَ الْجَيْشِ ، فَكَانَ يَلْقَبُ بِذِي الرِّيَاسَتَيْنِ . وَلَدَ سَنَةَ ١٥٤
 وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٠٢ .

(٤) يَعْنِي عَالِيَةً ظَاهِرًا عُلُوًّا . (٥) فِي الْأَصْلِ : « تَسْمَى » .

(هجاء الشعراء للأشراف)

وإذا بلغ السيد في السُّودِدِ الكمال ، حسده من الأشراف من يُظُنُّ أنه
الأحقُّ به ، وفخرت به عشيرته ، فلا يزال سفيه^(١) من شعراء تلك القبائل
قد غاظه ارتفاعه على مرتبة سيد عشيرته فهجاه . ومن طلب عيباً وجده .
فإن لم يجد عيباً وجد بعض ما إذا ذكره ، وجد من يغلط فيه ويحمله عنه .
ولذلك هُجِيَ حصن بن حذيفة ، وهُجِيَ زُرارة بن عدس ، وهُجِيَ عبد الله
ابن جُدعان ، وهُجِيَ حاجب بن زرارة .

وإنما ذكرت لك هؤلاء لأنهم من سُودِدِهِم وطاعة القبيلة لهم ، لم يذهبوا
فيمن تحت أيديهم من قومهم ، ومن حلفائهم وجيرانهم ، مذهب كليب بن
ربيع ، ولا مذهب حذيفة بن بدر ، ولا مذهب عينة بن حصن ، ولا مذهب
لقيط بن زُرارة ؛ ولأن لقيطاً لم يأمر بسحب ضمرة بن ضمرة^(٢) إلا وهو
لو بقي لجاوز ظلم كليب وتهكم عينة^(٣) ، فإن هؤلاء وإن كانوا سادة فقد كانوا
يظلمون ، وكانوا^(٤) بين أن يظلموا وبين أن يظلموا ظلماً ممن ظلمهم . ولا بد
من الاحتمال كما لا بد من الانتصار .

وقد قال عز وجل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ . وإلى هذا المعنى
رجع قول الحكيم الأول : « بعض القتل إحياء للجميع » .

(١) ط ، م : « سيفه » ، والصواب من س .

(٢) في الأصل : « صخرة بن ضمرة » ، تحريف . وانظر البيان ١ : ١٧١ ، ٢٣٧ ،

٢٣٨ ، ٢٩٠ .

(٣) التَّهْكُم : التكبر ، واشتداد الغضب والحق .

(٤) في ط : « وكان » ، والصواب في س ، م .

(حزم السادة)

وعامة هؤلاء السادة لم يكن شأنهم أن يرُدُّوا الناسَ إلى أهوائهم ،
٣٢ وإلى الانسياق لهم بعنف السوق ، وبالحرب في القود . بل كانوا لا يؤثرون
الترهيبَ على الترغيب . والحشونة على التلين . وهم مع ذلك قد هُجُوا
بأقبح الهجاء .

ومتى أحبَّ السيدُ الجامع ، والرئيسَ الكاملَ قومه أشدَّ الحبِّ وحاطهم
على حسب حبه لهم ، كان بغضُ أعدائهم له على حسب حبِّ قومه له . هذا
إذا لم يتوثَّب إليه ولم يعترض عليه من بنى عمه وإخوته مَنْ قد أطمعته الحال
باللحاق به . وحسدُ الأقاربِ أشدُّ ، وعداوتهم على حسب حسدِهم .
وقد قال الأولون : رضا الناس شيء لا ينال .

وقد قيل لبعض العرب : مَنْ السيدُ فيكم ؟ قال : الذي إذا أقبل هيناه ،
وإذا أدبر اغتبناه !

وقد قال الأول : بغضاء السوق ^(١) ، ووصولة بالماوك والسادة ، وتجري في
الحاشية مجرى الملوكة .

(صعوبة سياسة العوام)

وليس في الأرض عملٌ أكدرَ لأهله من سياسة العوام . وقد قال الهذلي ^(٢)
يصف صعوبة السياسة :

(١) السوق : جمع سوقة . والسوقة : الرعية . وفي ط : « السوء » ، والوجه
ما في س ، م .

(٢) هو الأعمى الهذلي ، كما في حواشي البيان .

وإن سياسة الأَقوامِ فاعلم لها صَعْدَاءُ مَطْلَبُهَا طَوِيلٌ^(١)

وقال آخرُ في شبيهه^(٢) بهذا المعنى :

وَدُونَ النَّدى فِي كُلِّ قَلْبٍ ثَنِيَّةٌ لَهَا مَصْعَدٌ حَزَنٌ وَمُنْحَدَرٌ سَهْلٌ
وَوَدَّ الْفَتَى فِي كُلِّ نَيْلٍ يُنْزِلُهُ إِذَا مَا انْقَضَى ، لَوْ أَنَّ نَائِلَهُ جَزُلٌ

وقال عامر بن الطفيل^(٣) :

وإِنِّي وَإِنْ كُنْتُ ابْنَ سَيِّدِ عَامِرٍ وَفَارِسِهَا الْمَشْهُورِ فِي كُلِّ مَوْكِبٍ
فَمَا سَوَّدَنِي عَامِرٌ مِنْ وَرَاثَةٍ^(٤) أَبِي اللَّهِ أَنْ أَسْمُو بِأُمٍّ وَلَا أَبٍ
وَلَكِنِّي أَحْمَى حِمَاهَا وَأَتَّقِي أَذَاهَا وَأَرْمِي مَنْ رَمَاهَا بِمَنْكِبٍ

وقال زياد بن ظبيان لابنه عبيد الله بن زياد^(٥) وزيادٌ يُغْرِغُ بِنَفْسِهِ^(٦) :

(١) وهذه الرواية أيضاً هي رواية اللسان . وقد رواه الجاحظ في البيان (١ : ٢٧٥ و ٢ : ٣٥٢ و ٣ : ٢٨١) وكذا ابن قتيبة في عيون الأخبار (٥ : ٢٢٦) : « وإن سيادة الأَقوامِ فاعلم » . والصعداء ، بالفتح : المشقة .

(٢) هو إسحاق بن حسان بن قوهي ، كما في البيان ٢ : ٣٥٢ .

(٣) س فقط : « عباس بن الطفيل » وهو تحريف . والأبيات في العقد (٢ : ٢٥٩) و « عيون الأخبار » (١ : ٢٢٧) وأمالى القالي (٣ : ١١٨) وأمالى المرتضى ١ : ١٠ . وهذا الشعر مما تحتج به الشعوبية على العرب . انظر العقد .

(٤) المشهور في الرواية : « عن وراثة » كما في المراجع المتقدمة .

(٥) لم أهد إلى ترجمة زياد بن ظبيان . وأما ابنه عبيد الله فقد كان فاتكاً من الشجعان وكان مقرباً من عبد الملك بن مروان ، وهو الذى قتل مصعب بن الزبير وحل رأسه إلى عبد الملك ، ثم خرج على الحجاج مع ابن الجارود ، فلما قتل ابن الجارود لجأ إلى عمان حيث لاقى منيته سنة ٧٥ . كذا في معجم الزركلى عن كتاب لمصنف مجهول يظن أنه أنساب الأشراف للبلاذرى . ووجدت النويرى ذكر في المؤلفات والمختلف من رجال التاريخ عبيد الله هذا مع عبيد الله بن زياد ابن أبيه ، وقال : وخبرهما يشبه مسائل الدور ، فإن عبيد الله بن زياد بن أبيه قتله المختار ، والمختار قتله مصعب ، ومصعب قتله عبيد الله بن زياد بن ظبيان نهاية الأرب (٩ : ٢١٦) . وانظر الخبر برواية أخرى في أمالى المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٦) يقال غرغرت الروح : ترددت في الحلق عند الموت .

أَلَا أُوصِي بِكَ الْأَمِيرَ ؟ قال : لا . قال : ولم ؟ قال : إذا لم [يَكُنْ] ^(١) للاحِ
إِلَّا وَصِيَّةُ ^(٢) الْمَيِّتِ ، فَالْحَيُّ هُوَ الْمَيِّتُ .

وقال آخر في هذا المعنى :

* والعزُّ لا يأتى بغير تطلُّبٍ *

وقال بشامة بن العدير ^(٣) في خلاف ذلك ، وأن يثبت أن يكون .

منه كان ^(٤) :

وَجَدْتُ أَبِي فِيهِمْ وَجَدْتِي كِلَيْهِمَا يُطَاعُ وَيُوتَى أَمْرُهُ وَهُوَ مُحْتَبَى
٣٣ فَلَمْ أَتَعَمَلْ لِلسِّيَادَةِ فِيهِمْ وَلَكِنْ أَتَنَّى طَائِعًا غَيْرَ مُتَعَبٍ

(بحث في السعادة)

ومن الناس من يقول : إن العيشَ كُلَّهُ في كثرة المال ، وصحة البدن ،

وخمول الذكر .

(١) هذه الكلمة ساقطة من ط ، م ، ، وقد ترك لها فراغ ، وبدلها في س :

« أوص » ويغلب على ظني أنها من وضع الناسخ ، إذ بها لا يتناسق الكلام .

واعتمدت في إثبات ما أثبت على ما في عيون الأخبار (١ : ٢٣٥) وأمالى

المرتضى ١ : ٢٠٠ .

(٢) في الأصل : « بوصية » .

(٣) بشامة بن العدير هو خال أبي سلمى والد زهير ، وكان زهير منقطعا إليه ،

معجبا بشعره . وكان بشامة أحزم الناس رأيا ، وكانت غطفان تستشيريه وتصدر

عن رأيه . (الأغاني ٩ : ١٤٩) . و « العدير » هي في ط ، م :

« القدير » ، وهو تصحيف ما في س .

(٤) كذا .

وقال مَنْ يخالفه : لا يخلو صاحب البدن الصحيح والمال الكثير ،
مِنْ أن يكون بالأُمور عالماً ، أو يكون بها جاهلاً . فإن كان بها عالماً فعلمه
بها لا يتركه حتى يكون له من القول والعمل على حسب علمه ؛ لأنَّ المعرفة
لا تكون كعدمها ؛ لأنَّها لو كانت موجودةً غيرَ عاملةٍ لكانت المعرفة كعدمها ،
وفى القول والعمل ما أوجب النَّباهة ، وأدنى حالاته أن تُخرجه من حدِّ
الحمول ، ومتى أخرجته من حدِّ الحمل فقد صار معرضاً لمن يقدر على سلبه .
وكما أن المعرفة لا بدَّ لها من عملٍ ، ولا بدَّ للعمل من أن يكون قولاً
أو فعلاً ، والقول لا يكون قولاً إلاَّ وهناك مَقُول له ، والفعل لا يكون فعلاً
إلاَّ وهناك مفعول له ، وفى ذلك ما أخرج من الحمل وعُرف به الفاعل .

وإذا كانت المعرفة هذا عملها فى التنبيه على نفسها ، فالمال الكثير
أحقُّ بأنَّ عمله الدَّلالة على مكانه ، والسَّعاية على أهله . والمالُ أحقُّ
بالنِّيمة ، وأولى بالشكر ، وأخذع لصاحبه ، بل يكون له أشدَّ قهراً ، ولحيه
أشدَّ فساداً^(١) .

وإن كانت معرفته ناقصةً فبقدر نقصانها يجهل مواضع اللذة . وإن كانت
تامةً فبقدر تمامها ينسئ الحمل ويَجلبُ الذِّكر .

وبعدُ فليس يفهم فضيلة السلامة ، وحقائق رُشدِ العافية ، الذين ليس
لهم من المعرفة إلاَّ الشَّدو ، وإلاَّ خلاق أوساطِ الناس^(٢) . ومتى كان ذلك

(١) كذا .

(٢) الشَّدو : القليل من كل كثير . وهى فى ط : « التَّشْدق » وفى س : « الشد »
وصوابها من م . والخلاق : الخط والنصيب . وفى الأصل : « والأخلال » ،
وقد أراد بأوساط الناس : مادون الخاصة .

كذلك ، لم يُعرَف المدخل الذى من أجله يكره ذو المال الشهرة . ومن عَرَفَ ذلك على حقِّه وصدقِه ، لم يدعُه فهمُه لذلك حتَّى يدلَّ على فهمه . وعلى أنَّه لا يفهم هذا الموضع حتَّى يفهم كلَّ ما كان فى طبقته من العلم . وفى أقلِّ من ذلك ما يبيِّن به حالُه من حال الخامل .

وشروط الأمانى غيرُ شروط جوازِ الأفعال وإمكانِ الأمور . وليس شىءٌ ألدَّ ولا أضرُّ من عِزِّ الأمرِ والنهى ، ومن الظَّفَرِ بالأعداء ، ومن عَقْدِ المِنِّ فى أعناق الرجال ، والسرورِ بالرِّئاسة وبثمرة السيادة ؛ لأنَّ هذه الأمورَ هى نصيبُ الرُّوح ، وحِطُّ الذهن ، وقِسْمُ النَّفس^(١) . فأما المطعم والمشرب والمنكح والمشمَّة ، وكلُّ ما كان من نصيبِ الحواسِّ ، فقد علمنا أنَّ كلَّ ما كان أشدَّ نَهْماً وأرغبَ ؛ كَانَ أتمَّ لوجدانه الطعم . وذلك قياسٌ على مواقع الطَّعم من الجائع ، والشرابِ من العطشان^(٢) .

ولكنَّا إذا ميَّلنا^(٣) بين الفضيلة التى مع السرور ، وبين لذة الطعام ، وما يُحدثُ الشرُّ له من ألمِ السهر والالتهابِ والقلقِ وشدةِ الكَلْبِ ، رأينا أنَّ صاحبَه مفضولٌ غيرُ فاضل . هذا مع ما يُسبِّبُ به^(٤) ، ومع حملة له على القبيح ، وعلى أنَّ نعمته متى زالت لم يكن أحدٌ أشقى منه . هذا مع سرور العالم بما وهبَ الله له^(٥) من السلامة من آفة الشرِّه ، ومن فسَادِ الأخلاق . وبعدُ فلا يخلو صاحبُ الثَّروة والصامتِ الكثيرِ^(٦) ، الخاملُ الذكر من أن يكونَ ممَّن يَرغبُ فى المركبِ الفارِه ، والثوبِ اللينِ ، والجاريةِ

(١) القسم ، بالكسر ؛ النصيب والحصَّة .

(٢) فى الأصل : « وبين لذة الطعام وبين ما يحدث له الشره » .

(٣) ميل بين الأمرين : رجح ووازن . وفى الأصل : « مثلنا » .

(٤) تحتل أن تكون « يسببه » أى يحدثه .

(٥) ط ، م : « لهم » ، والصواب ما أثبت من س .

(٦) للصامت من المال : الذهب والفضة . والناطق منه : الإبل .

الحسنة ، والدار الجيدة ، والمطعم الطيب ؛ أو يكون ممن لا يرغب في شيء من ذلك . فإن كان لا يرغب في هذا النوع كله ، ولا يعمل في ماله للدار الآخرة ، ولا يُعجب بالأجدوثة الحسنة ، ويكون ممن لا تعدو لذته أن يكون كثير الصامت ؛ فإنّ هذا حمارٌ أو أفسد طبعاً من الحمار ، وأجهل من الحمار ؛ وقد رضى أن يكون في ماله أسوأ حالاً من الوكيل .

وبعد فلا بُدَّ للمال الكثير من الحراسة الشديدة ، ومن الخوف عليه ، فإن أعمل الحراسة له ، وتعب في حفظه [وَ] ^(١) حسب الخوف ، خرج عليه فضلٌ . فإن هو لم يخف عليه — ولا يكون [ذلك] ^(٢) في سبيل التوكل ^(٣) — فهو في طباع الحمار وفي جهله . والذي أوجب له الحمول ليؤديه إلى سلامة المال له ، قد أعطاه من الجهل ^(٤) مالا يكون معه إلا مثل مقدار لذة [البهيمه] ^(٥) في أكل الحبط ^(٦) .

وإن هو ابتاع فرّة الدواب ، وفرّة الخدم والجواري ، واتخذ الدار الجيدة ، والطعام الطيب والثوب اللين وأشباه ذلك ، فقد دلّ على ماله . ومن كان كذلك ثمّ ظهرت له ضيعة فاشية ، أو تجارة مربحة ، يحتمل مثل ذلك الذي يظهر من نفقته . وإلا فإنه سيوجد في اللصوص عند أول من يقطع عليه ، أو مكابرة تكون ، أو تعب يؤخذ لأهله ^(٧) المال العظيم .

(١) ليست بالأصل ، وزدتها ليستقيم القول .

(٢) كلمة يحتاج إليها .

(٣) فإن التوكل المطلوب في الدين ما كان معه الحيلة والأخذ بأسباب السلامة ، على نحو ما جاء في الحديث : « اعقلها وتوكل » انظر هذا الجزء ص ١١٥ .

(٤) في الأصل : « قد أعطاه الله تعالى من الجهل » ، وعدلت العبارة بما ترى .

(٥) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها ، أو إلى مثلها .

(٦) الحبط ، بالتحريك : ورق الشجر يخبط بالمصافئ كاله الدواب والإبل .

(٧) العبارة من مبدل « وإلا فإنه سيوجد » بها اضطراب .

ولو عني بقوله الخمول وصحة البدن والمال ، فذهب إلى مقدارٍ من المال مقبولا^(١) ولكن ما لمن كان ماله لا يجاوز هذا المقدارَ يَهَيَأُ^(٢) الخمول^(٣) .

(طبقات الخمول)

ولعمري إنّ الخمولَ لَيَكُونُ في طبقاتٍ كثيرة ، قال أبو نخيلة^(٤) :
شكرْتُكَ إنّ الشُّكْرَ حَبْلٌ من التُّقَى

وما كُلُّ مَنْ أَقْرَضَتْهُ نِعْمَةٌ يَقْضِي

فأُحْيِيَتْ من ذكرى وما كان خاملاً ٣٥

ولكنَّ بعضَ الذكرِ أنبَه من بعضٍ

قالوا : ولسقوط الحامل من عُيُون الناس ، قالت الأعرابية لابنها : إذا
جلست مع الناسِ فَإِنْ أَحْسَنْتَ أَنْ تَقُولَ كما يقولون فَقُلْ ، وإلاَّ فخالِفْ
تَذَكَّر !

(١) لعل العبارة « مقدار من المال يسير كان ذلك مقبولا » .

(٢) في ط : « مَهَيَّو » وهو تحريف صوابه في س ، م .

(٣) لعل العبارة « ما لمن كان ماله يجاوز هذا المقدار » . الخ .

(٤) هو أبو نخيلة الراجز السعدي . قال أبو الفرج (الأغاني ١٨ : ١٣٩) :

« أبو نخيلة اسمه لاكنيته » وقال ابن قتيبة في الشعراء : « اسمه يعمر » .
كان أبو نخيلة من صنائع مسلمة بن عبد الملك بالشام ومدح الأمويين ، ثم انقطع
إلى الهاشمين فهجا الأمويين . وقد صنع في المنصور أرجوزة يغريه فيها بخلع
عيسى بن موسى وبعقد العهد لابنه محمد المهدي ، فوصله المنصور بألفي درهم ،
وأمره أن ينشدها بحضرة عيسى ففعل ، فطلبه عيسى ، فأدركه مولى له في
طريق خراسان فقتله . وأخباره مسهبة في الأغاني . والشعر الآتي في مديح
مسلمة بن عبد الملك كما في الأغاني (١٨ : ١٤٠) وحساسة ابن الشجري ١١٧
وأول الشعر :

أسلم إلى يابن خير خليفة ويا فارس الهيجا ويا جبل الأرض

وَأَمَّا الْأَصْمَعِيُّ فَرَزَعَمَ أَنَّهَا قَالَتْ : فَخَالَفَ وَلَوْ بَأْنُ تَعَلَّقَ فِي عُنُقِكَ
أَبْرَ حَار .

وليس يقول هذا القول إِلَّا مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُ شَكَرَ^(١) الْغِنَى ، وَتَقَلَّبَ
الْأَمْوَالُ إِلَى مَا خُلِقَتْ لَهُ ، وَقَطَعَهَا عُنُقُهَا ، وَخَلَعَهَا عُذْرُهَا ، وَتَبِهَ أَصْحَابُهَا ،
وَكَثُرَ خُطَاهُمْ فِي حِفْظِهَا وَسِتْرُهَا ، وَعَجَزَ عَنْ إِمَانَةِ حَرَكَتِهَا وَمَنْعِهَا مِنْ
جَمِيعِ مَا تَنَازَعَ [إِلَيْهِ وَتَحْمِلَ عَلَيْهِ ^(٢)] .

(ملاحه من الملح)

وقد روينا في المُلْحِ أَنَّ رَجُلًا قَالَ لِصَاحِبِهِ لَهُ : أَبُوكَ الَّذِي جَهِلَ
قُدْرَهُ ، وَتَعَدَّى طَوْرَهُ ، فَشَقَّ الْعَصَا ، وَفَارَقَ^(٣) الْجَمَاعَةَ ؛ لِاجْرَمَ لَقَدْ هَزَمَ ثُمَّ
أُسْرَ ثُمَّ قَتَلَ ثُمَّ صُلِبَ ! قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ : دَعْنِي مِنْ ذِكْرِ هَزِيمَةِ أَبِي ،
وَمِنْ أُسْرِهِ وَقَتْلِهِ وَصَلْبِهِ . أَبُوكَ هَلْ حَدَّثَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا قَطُّ ؟ !

(حكم الأسباب في هم الناس)

وليس إلى النَّاسِ بُعْدُ الْهَمِّ وَقِصْرُهَا ، وَإِنَّمَا تَجْرِي الْهَمُّ بِأَهْلِهَا
إِلَى الْغَايَاتِ ، عَلَى قَدَرِ مَا يَعْرِضُ لَهُمْ مِنَ الْأَسْبَابِ . أَلَا تَرَى أَنَّ أَبْعَدَ
النَّاسِ هِمَّةً فِي نَفْسِهِ ، وَأَشَدَّهُمْ تَلَفَتًا إِلَى الْمَرَاتِبِ ، لَا تَتَنَازَعُهُ نَفْسُهُ إِلَى طَلَبِ
الْخَلَاقَةِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ يَحْتَاجُ إِلَى نَسَبٍ ، [أ]^(٤) وَ إِلَى أَمْرِ قَدِ وُطِّئَ لَهُ

(١) أراد بالشكر النوى . وهو من شكرت الشجرة — من باب فرح — : خرج منها
الشكير ، وهو ما ينبت حول أصلها .

(٢) ط ، م : « من جميع ما تنازع العمل عليه » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٣) في الأصل : « فرق » ، والوجه ما كتبت .

(٤) زدتها ليتجه الكلام .

بسبب ، كسبب طلب أوائل الخوارج الخلافة بالدين وحده دون النسب .
فإن صار من الخوارج فقد حدث له سبب إمكان الطلب ، أكدى
أم نجح .

وقد زعم ناس من العلماء أن رجلاً خطبت للسيادة والنباهة
والطاعة في العشيرة .

(سلطان الحظ على نباهة القبيلة)

وكذلك القبيلة ربما سعت بالخط ، وربما حظيت بالجد ؛ وإنما
ذلك على قدر الاتفاق ، وإنما هو كالمعاني والمبتلى ، وإنما ذلك كما
قال زهير :

وَجَدْتُ الْمَنَابِيَا خَبِطَ عَشَوَاءَ مَنْ تُصِبُ
مُحْمَتُهُ وَمَنْ تُحْطَى يَعْمَرُ فِيهِمْ .

(سلطان الحظ على الآثار الأدبية)

وكما تحظى بعض الأشعار وبعض الأمثال ، وبعض الألفاظ دون غيرها ،
ودون ما يجري مجراها أو يكون أرفع منها .

قالوا : وذلك موجود في المرزوق [^(١)] المحروم ، وفي المحارَف ^(٢)

(١) لا يكون المرزوق محروما ، فزدت الواو ليصح الكلام .

(٢) المحارف : المخلوود المحروم .

والذى تجوز عليه الصَّدَقَةُ . [وكم] ^(١) من حاذقٍ بصناعته ، وكثير الجَوْلَانِ
 فى تجارتِه ، وقد بلغ فرغانة ^(٢) مرَّةً ، والأندلس مرَّةً ، ونقَّبَ فى البلاد ،
 وربَّع فى الآفاق ^(٣) ؛ ومن حاذقٍ يُشَاوِر ولا يُسْتَعْمَل ، ثمَّ لانتجدهما ٣٦
 يَسْتَبِينَان ، من سُوءِ الحال وكثرة الدِّين . ومن صاحب حربٍ منكوب ،
 وهو اللَّيْثُ على برائته ، معَ تَمَامِ العزيمةِ وشِدَّةِ الشَّكِيمةِ ، ونَفَازِ البصيرةِ ،
 ومع المعرفةِ بالمكيدة والصَّبْرِ الدَّائِمِ على الشِّدَّةِ .

[وَبَعْدُ] ^(٤) فكم من بيت شعر قد سار ، وأجود منه مقيمٌ فى بطون
 اللِّفَافِ ، لاتزيدُه الأيامُ إلَّا خُمُولًا ، كما لاتزيد الذى دونه إلَّا شُهْرَةً ورفعةً .
 وكم من مثلي قد طار به الحظُّ حتَّى عرَفَتَه الإمامُ ، ورواه الصَّبِيَّان والنِّسَاءُ .

(أثر الحظ فى نباهة الفرسان)

وكذلك حظوظ الفرسان . وقد عُرِفَتْ شُهْرَةُ عنترة فى العامَّة ، ونباهةُ
 عمرو بن معدٍ يكرب ، وضربَ الناسُ المثلَ بعبيد الله بن الحر ^(٥) ، وهم

(١) ليست بالأصل ، والكلام يحتاج إليها .

(٢) فرغانة ، بالفتح : بلاد فى حدود التركستان .

(٣) نقَّب فى البلاد : ذهب فيها . وربَّع فى الآفاق : أقام فى مواضع كثيرة .

(٤) زدتها مطاوعة لأسلوب الجاحظ ، ولحاجة القول إليها .

(٥) عبید الله بن الحر الجعفی : قائد من الشجعان الأبطال ، وكان بينه وبين مصعب
 ابن الزبير منافسة ، وقد صمد عبید الله لرجال مصعب صمداً ، ولكن أصحابه
 تفرقوا عنه ، فخاف أن يؤسر ، فألقى نفسه فى الفرات ، فأت غريقاً . وكان
 عبید الله شاعراً فحلاً . انظر ابن الأثير حوادث سنة ٦٨ .

لا يعرفون ، بل لم يسمِعُوا قطُّ بعُتَيْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ شِهَابٍ ^(١) ، ولا بِبِسْطَامِ بْنِ قَيْسٍ ^(٢) ، وكان عامرُ بْنُ الطَّفِيلِ أذكَرَ مِنْهُمَا نسباً .

ويذكرون عُيَيْدَ اللَّهِ بْنِ الْحُرِّ ، ولا يعرفون شُعْبَةَ بْنِ ظُهَيْرٍ ^(٣) ولا زُهَيْرَ ابْنِ ذُؤَيْبٍ ، ولا عَبَّادَ بْنَ الْحَصِينِ ^(٤) . ويذكرون اللسن والبيان والخطيب ابن القُرَيْيَةِ ^(٥) ولا يعرفون سَحْبَانَ وَائِلَ .

والعامة لم يصل ذكر هؤلاء إليهم ^(٦) إلاَّ من قبَلِ الخاصة ، والخاصة لم تذكر هؤلاء دون أولئك ، فتركت تحصيل الأمور والموازنة بين الرجال وحكمت بالسابق إلى القلب ، على قدر طباع القلب وهيئته ؛ ثم استوت علل العامة في ذلك وتشابهت .

والعامة والباعة والأغنياء ^(٧) والسفلة كأنهم أعداء عام واحد . وهم

(١) كان فارس بن تميم ، وفيه يقول عمرو بن معد يكرب : « ما أبالي أي ظعينة لقيت على ساء من أمواه معد ، ما لم يلقني دونها عبداها أو حراها » : ويعني بالحرين عامر بن الطفيل وعتيبة بن الحارث ، وعنى بالعبدن : عنترة والسليك بن السلسكة . (الأغاني ١٤ : ٢٧) .

(٢) بسطام بن قيس بن مسعود الشيباني ، سيد شيبان ، ومن أشهر فرسان العرب في الجاهلية ، أدرك الإسلام ولم يسلم ، وقتله عاصم بن خليفة الضبي يوم الشقيقة . (٣) كذا في س ، م وفي ط : « زهير » .

(٤) كان يكنى أبا جهضم ، وكان فارس بن تميم . وولى شرطة البصرة أيام ابن الزبير ، وكان مع مصعب أيام قتل المختار . قال الحسن : « ما كنت أرى أن أحداً يعدل بألف فارس حتى رأيت عباداً » . المعارف ص ١٨٢ .

(٥) قال ابن قتيبة في المعارف ٢٥٨ : « منسوب إلى أمه ، وهو أيوب بن زيد » . وكان ابن القرية أحد بلغاء الدهر ، خطيباً يضرب به المثل . وكان أعرابياً أمياً . (ابن خلكان ١ : ٨٤) . وجاء في الأغاني ٢ : ١٦٣ : « عن عوانة قال : ثلاثة لم يكونوا قط ولا عرفوا : ابن أبي العقب صاحب قضيدة الملاحم ، وابن القرية ، ومجنون بن عامر » . وهذه رواية غريبة . قالوا : قتل ابن القرية سنة ٨٤ ، أمر بقتله الحجاج .

(٦) ط : « إليهما » وتصحيحه من س .

(٧) لعلها « الأغنياء » .

في باطنهم أشدَّ تشابهاً من التوأمين في ظاهرهما ، وكذلك هم في مقادير العقول وفي الاعتراض والتسرُّع ، وإن اختلفت الصُّور والنَّغم^(١) ، والأسنان والبلدان .

(تشابه طبائع المآمة في كلِّ بلدة وفي كلِّ عصر)

وذكر الله عزَّ وجلَّ ردَّ قريشٍ ومُشركي العربِ على النبيِّ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّم قوله ، فذكر ألفاظهم ، وجَهْدَ معانيهم ، ومقاديرِ همهم التي كانت في وزن ما يكون من جميع الأمم إلى أنبيائهم ، فقال : ﴿ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ وقال : ﴿ اتَّوَصَّوْا بِهِ ﴾ ، ثم قال : ﴿ وَخُضِّمْ كَالَّذِي خَاضُوا ﴾ . ومثلُ هذا كثير ، ألا ترى أنَّكَ لا تجدُ بُدًّا في كلِّ بلدةٍ وفي كلِّ عصرٍ للحاكة من أن يكونوا على مقدارٍ واحدٍ^(٢) وجهة واحدة ، من السَّخَطِ والحمق ، والغباوة والظلم ؛ وكذلك النحاسون^(٣) على طبقاتهم ، من أصناف ما يبيعون . وكذلك السماكون والقلَّاسون^(٤) وكذلك أصحابُ الخُلُقَانِ^(٥) كلُّهم ، في كلِّ دهرٍ وفي كلِّ بلدٍ ، على مثال واحد ، وعلى جهةٍ واحدة .

وكلُّ حِجَّامٍ في الأرض فهو شديد الاستهتار بالنبيذ ، وإن اختلفوا في البلدان والأجناس والأسنان .

(١) يريد اللغات واللهجات .

(٢) في الأصل : « الحاكة فيهم على مقدار واحدة » .

(٣) النحاس : يباع الدواب والرقيق ، وفي ط ، م « النحاسون » وهي على الصواب في س .

(٤) القلاس : الضارب بالدف . وفي ط « السماكون القلاسون » وفيه تصحيف

وتحريف أصلح من س ، م .

(٥) الخلقان من الثياب : جمع خلق ، وهو البالي ، والمراد تجارها . انظر رسائل الجاحظ

(١ : ٥٢) بتحقيقنا .

ولا ترى مسجوناً ولا مَضروباً عندَ السُّلطانِ إلّا وهو يقول : إني مظلوم !
ولذلك قال الشاعر :

لم يَخْلُقِ اللهُ مَسْجُوناً تَسْأَلُهُ مَابالُ سِجْنِكَ إلّا قَالَ مَظْلُومٌ^(١)
وليس في الأرض خَصَمَانِ يَتَنَازَعَانِ إلى حَاكِمٍ ، إلّا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا
يَدْعِي عَدَمَ الْإِنْصَافِ وَالظُّلْمَ عَلَى صَاحِبِهِ .

(مبالغة الإنسان في تقدير ما ينسب إليه)

وليس في الأرض إنسانٌ إلّا وهو يَطْرَبُ من صِوْتِ نفسه ، ويعتريه
الغَلَطُ في شعره وفي ولده . إلّا أنَّ النَّاسَ في ذلك على طَبَقَاتٍ من الغَلَطِ :
فمنهم الغرق المغمور^(٢) ، ومنهم من قد نال من الصواب ونال من الخطأ ،
ومنهم من يكون خطؤه مستوراً لكثرة صوابه ، فما أحسن حاله ما لم
يُمْتَحَنَ بالكشف . ولذلك احتاج العاقل [في العُجْبِ بولده ، و^(٣)]
في استحسان كتبه وشعره ، من التحفظ والتوقُّ ، ومن إعادة النظر والتَّهْمَةُ
إلى أضعاف ما يحتاج إليه في سائر ذلك .

(١) وكذا في البيان (٣ : ١٦٩) . ورواية البيت في عيون الأخبار (١ : ٧٩ ، ٢ :

: (١١٦)

ما يدخل السجن إنسان فتسأله ما بال سجنك إلّا قال مظلوم

(٢) الفرق والغارق والغريق بمعنى .

(٣) الزيادة من س .

(جود حاتم وكعب بن مامة)

والعامة تحكم أنَّ حاتمًا أجودَّ العرب ، ولو قدَّمته على هَرمٍ الجوادِ لما اعترَضْتَه عليهم . ولكنَّ الذي يُحدِّثُ [به] ^(١) عن حاتم ، لا يبلغ مقدارَ ما روَّوه عن كعبِ بن مامة ؛ لأنَّ كعباً بذلَّ نفسه في أعطية الكرمِ وبذلَّ المجهودِ فساوى حاتمًا من هذا الوجه ، وبأينته ببذلَّ المهجة ^(٢) .

ونحن نقول : إنَّ الأشعارَ الصحيحةَ [بها] ^(٣) المقدارُ الذي يوجبُ اليقين بأنَّ كعباً كان كما وصفوا . فلو لم يكن الأمرُ في هذا إلى الجلود والحُظوظِ والاتِّفاقاتِ ^(٤) ، وإلى عللٍ باطنةٍ تجري الأمورُ عليها ، وفي الغوصِ عليها وفي معرفتها بأعيانها عُسر ، كما جرت الأمورُ على هذه

(١) زيادة يحتاج إليها الكلام .

(٢) يشير الجاحظ إلى ما روى من أن كعباً هذا خرج في ركب ، فيهم رجل من النمر بن قاسط ، في شهر ناجر ، فضلوا فتصافنوا ماءهم - وهو أن يطرح في القعب حصاة . ثم يصب فيه الماء بقدر ما يغمر الحصاة ، فيشرب كل إنسان بقدر ذلك - فقعدهوا للشرب ، فلما دار القعب فانتهى إلى كعب ، أبصر النمرى يحدد النظر إليه ؛ فأثره بمائه وقال للساق : اسق أخاك النمرى ؛ فشرب النمرى نصيب كعب ذلك اليوم من الماء ؛ وحدث في غدهم ما حدث في أمسهم ؛ ونال النمرى نصيب كعب . وارتحل القوم وقالوا : يا كعب ارتحل ! فلم يكن بكعب قوة للهنوس ؛ وكانوا قد قربوا من الماء ؛ فقليل له « رد كعب إنك وراذ » فعجز عن الجواب ؛ فتركوه مكانه ففاض (أى هلك) . أمثال الميداني ١ : ١٦٧ والعقد ١ : ١٤٧ وبلوغ الأرب ١ : ٨١ .

(٣) ليست بالأصل ؛ والكلام في حاجة إليها .

(٤) في الأصل : « فلو كان الأمر » الخ ؛ والوجه ما أثبت .

المجارى . ولو كان الأمر فيها مفوضاً إلى تقدير رأى ، لكان ينبغي لغالب ابن صمصمة^(١) أن يكون من المشهورين بالجلود ، دون هرم وحاتم .

(كلف العامة بمآثر الجاهلية)

فإن زعمتَ أنَّ غالباً كان إسلامياً وكان حاتمٌ في الجاهلية ، والناسُ بمآثر العرب في الجاهلية أشدَّ كلفاً ، فقد صدقت . وهذا أيضاً يُنبئك أنَّ الأمور في هذا على خلافِ تقديرِ رأى ، وإنما تجرى في الباطن على نسقٍ قائم ، وعلى نظر صحيح ، وعلى تقدير محكم ، فقد تقدَّم في تعييتهما^(٢) وتسويتهما من لا تخفى عليه خافية ، ولا يفوته شيء ولا يُعجزه . وإلا فما بال أئام الإسلام ورجالها لم تكن أكبرَ في النفوس ، وأحلَّ^(٣) في الصدور من رجال الجاهلية ؛ مع قُرب العهد وعِظَم خطرِ ممالكها ، وكثرة ما جادت به أنفسهم ؛ ومع الإسلام الذي شملهم ، وجعله الله تعالى أولى بهم من أرحامهم . ٣٨ ولو أنَّ جميعَ مآثر الجاهلية وُزنت به ، وبما كان في الجماعات البسيرة^(٤) من رجالات^(٥) قريش في الإسلام لأربت [هذه^(٦)] عليها ، أو لكانت مثلها .

(١) كان من وجوه تميم ؛ وهو والد الفرزدق الشاعر ؛ أدرك النبي صلى الله عليه وسلم ؛ ووفد على علي . وأبوه صمصمة له صحبة . وأختاه هندية بنت صمصمة زوج الزبرقان بن بدر ؛ أدركت النبي صلى الله عليه وسلم . الإصابة ٦٩٢٥ وكتاب النساء منها ١١١٥ . وتوفي غالب في نحو سنة ٤٠ .

(٢) التعيية : التهيئة والإعداد ؛ ومنه تعيية الجيش بمعنى تهيئته في مواضعه ، وفي ط : « تعييتهما » وهو تحريف ما أثبت من س ، م .

(٣) كذا بالخاء : ولها وجه .

(٤) ط ، م : « اليسر » . وفي س : « اليسير » وأرى الصواب فيما كتبت إذ هي صفة « الجماعات » .

(٥) في الأصل : « حالات » ؛ وإنما المراد الجماعات من الرجال .

(٦) ليست بالأصل .

(دلالة الخلق على الخالق)

فليس لقدر الكلب والذئب في أنفسهما وأثمانهما ومناظرهما ومحلهما من صدور العامة أسلفنا^(١) هذا الكلام ، وابتدأنا بهذا القول . ولسنا نقف على أثمانهما من الفضّة والذهب ، ولا إلى أقدارهما عند الناس ، وإنما ننظر^(٢) فيما وضع الله عزّ وجلّ فيهما من الدّالة عليه ، وعلى إتيان صنّعه ، وعلى عجيب تدبيره ، وعلى لطيف حكمته ؛ وفيما استخزنهما^(٣) من عجائب المعارف ، وأودعهما من غوامض الأحساس^(٤) ، وسخر لهما من عظام المنافع والمرافق ، ودلّ بهما على أنّ الذى ألبسهما ذلك التدبير ، وأودعهما تلك الحِكم ، يجب^(٥) أن يفكر فيهما ؛ ويعتبر بهما ، ويسبح الله عزّ وجلّ عندهما . فغشّى ظاهرهما بالبرهان ، وعمّ باطنهما بالحِكم ، وهيج على النظر فيهما والاعتبار بهما ؛ ليعلم كلّ ذى عقل أنّه لم يخلق الخلق سُدىً ؛ ولم يترك الصّور هملاً ؛ وليعلموا أنّ الله عزّ وجلّ لم يدع شيئاً غفلاً غير موسوم^(٦) ، ونثراً غير منظوم ، وسُدىً غير محفوظ ؛ وأنّه لا يخطئه من عجيب تقديره ، ولا يعطله من حلى تدبيره^(٧) ، ولا من زينة الحِكم وجلال قدرة البرهان .

(١) ط ، م : « أسبقنا » و س : « سقنا » ، وما كتبت تصحيح الأول .

(٢) التنظر : التأمل وإطالة التفكير . وفى الأصل : « ننظر » من الانتظار ، وهو تحريف .

(٣) استخزنهما : استودعهما . وفى الأصل : « استخرجهما » ، وليس بشيء .

(٤) الأحساس : جمع حس .

(٥) فى الأصل : « يجب ، ولعل الصواب فيما كتبت .

(٦) الغفل بالضم : ما ليس به سمة تميزه . ويقابله « الموسوم » . وهى فى الأصل

« مرسوم » .

(٧) ط : « حل تدبيره » ، والصواب من س .

ثمَّ عمَّ ذلك بين الصُّوَابَةِ ^(١) والفَرَاشَةِ ، إلى الأفلاك السبعة وما دونها من الأقاليم السبعة .

(تأويل الآية الكريمة : ويخلق ما لا تعلمون)

وقد قال تعالى : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وقد يتَّجه هذا الكلام في وجوه : أحدها أن تكون هاهنا ضروبٌ من الخلق لا يعلم بمكانهم [كثيرٌ] ^(٢) من الناس ، ولا بدَّ أن يعرف ذلك الخلقُ معنى نفسه ، أو يعلمه صفوة [جنود] ^(٣) الله وملائكته ، أو تعرفه الأنبياء ، أو يعرفه [بعضٌ] ^(٤) الناس ، لا يجوز إلَّا ذلك . أو يكون الله عزَّ وجلَّ إنما عني أنه خلق أسباباً ، ووهب عللاً ، وجعل ذلك رِفقاً لما يظهر لنا ونظاماً .

وكان بعض المفسرين يقول : من أراد أن يعرف معنى قوله : ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ فليوقد نارا في وسط غَيْضَةٍ ، أو في صحراء برِّيَّة ^(٥) ثمَّ ينظر إلى ما يغشى النارَ من أصناف الخلق من الحشرات والهمج فإنَّه سيرى صورا ، ويتعرَّف خلقاً لم يكن يظنُّ أن الله تعالى خلق شيئاً من ذلك العالم ^(٦) . وعلى أن الخلق الذي يغشى ناره [يختلف ^(٧)] على قدر اختلاف مواضع الغياض والبحار والجبال . ويعلم أن ما لم يبلغه أكثرُ

(١) الصُّوَابَةُ : بيضة القملة أو البرغوث . وهى فى ط : « الصَّابَةُ » وفى س ، م : « الصُّوَابَةُ » ، وكلاهما تحريف .

(٢) ليست بالأصل والكلام يحتاج إليها .

(٣) ليست بالأصل . وبها يلتزم الكلام . وجنود الله : فى معنى ملائكته .

(٤) زيادة ضرورية .

(٥) لعلها « أو برية » .

(٦) لعلها « خلق شيئاً منه فى ذلك العالم » .

(٧) الزيادة من س .

وأعجب . ومَا أَرَدْتُ هذا التأويل ، وإنَّه ليدخل عندى فى جملة مَا تَدُلُّ عليه الآية . وَمَنْ لَمْ يَقُلْ ذلك لم يفهم عن رَبِّهِ ولم يفقه فى دينه . ٣٩

(ديدان الخلل والملح)

كَأَنَّكَ لَا تَرَى أَنَّ فى دِيدَانِ الخللِّ والملح ، والدَّيْدَانِ التى تتولد فى السُّمُومِ إِذَا [عَتَقَتْ ^(١)] وعرض لها العفن — وهى بَعْدُ ^(٢) قَوَاتِل — عبرة وأعجوبة ، وَأَنَّ ^(٣) التفكُّر فيها مَشْحَذَةٌ للأذهان ، وَمَنْبَهَةٌ لِدَوَى الغفلة ، وتحليلٌ لعقدة البلدة ^(٤) ، وسببٌ لاعتیاد الرویة وانفساح الصدور ، وعزٌّ فى النفوس ، وحلاوة تقنأتها الرُّوح ، وثمرة تغذَّى العقل ، وَتَرَقَّى فى الغایات الشریفة ، وَتَشَرَّفُ إلى معرفة الغایات البعيدة .

(فأرة البيش والسمندل)

وَكَأَنَّكَ لَا تَرَى أَنَّ فى فأرة البيش ^(٥) وفى السمندل ^(٦) آية غريبة ، وصفة عجیبة ، وداعية إلى التفكُّر ، وسبباً إلى التعجُّب [والتعجیب ^(٧)] .

(١) هذه الكلمة ليست بالأصل ، وقد ترك لها فراغ فى كل من س ، م والتمورية ، ولم يترك لها فى ط . وقد سدَّت هذا الفراغ بما نقل الثعالبى عن الجاحظ فى ثمار القلوب ص ٣٤٤ عند كلامه فى (دودة الخلل) . وعتق الشيء ، من باب ضرب وكرم ونصر : قدم وطال عليه العهد .

(٢) فى ثمار القلوب : « تعد » وما هنا أشبه بلغة الجاحظ .

(٣) فى الأصل : « ولأن » ، وتصحيحه من الثار .

(٤) البلدة بالضم ، وبالفتح ، والبلادة أيضاً : ضد النفاذ والذكاء والمضاء فى الأمور . وفى الثمار : « البلادة » . وقد عرفت أنها بمعنى .

(٥) فأرة البيش : دويبة تفتذى بالسموم فلا تضرها ، وليست بفأرة ولكن هكذا تسمى . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٣١٧) .

(٦) السمندل : طائر يسقط فى النار فلا يحترق ريشه — زعموا . (الحيوان ٥ : ٣٠٩ ، ٦ : ٤٣٤) .

(٧) التكلمة من مب .

(الجَلَل والورد)

وكانَّكَ لا ترى أنَّ في الجَلَل ، الذي متى دفنته في الورد سكنت حركته وبطلت^(١) في رأى العين رُوحه ، ومتى أعدته إلى الرُّوث انحلت عُقدته^(٢) ، وعادت حركته ، ورجع حسه - أعجب العجَب ، وأحكم الحكم !

(حصول الخلد على رزقه)

وأىُّ شىء أعجبُ من الخُلْد^(٣) ! وكيف يأتيه رزقه ، وكيف يبي [الله^(٤)] له ما يقوته^(٥) ، وهو أعمى لا يبصر ، وأصم لا يسمع ، وبليد لا يتصرف ، وأبله لا يعرف ! ومع ذلك أنه لا يجوز باب جحره ، ولا^(٦) يتكلف سوى ما يجلبُ إليه رازقه ورازقُ غيره .

[وأىُّ شىء أعجبُ من طائرٍ ليس له رزقٌ إلاَّ أن يخلل أسنان التمساح ، ويكون ذلك له^(٧)] .

(١) ما عدا مب : « وبطل » .

(٢) مب : « عقده » .

(٣) الخلد بالضم ، وقد تفتح الخاء ، وقد تكسر : دويبة عياء صماء لا تعرف ما يندو منها إلا بالشم ، تخرج من جحرها ، وهى تعلم أن لا سمع لها ولا بصر لها ، فتفتح فاهها وتقف على باب جحرها ، فيجىء الذباب فيسقط على شديقها ويمر بين خيها ، فتسد فاهها عليها ، وتستدخلها بجذبة النفس ، تعلم أن ذلك هو رزقها وقسمها . (الحيوان ٦ : ٤١١) والدميرى برسمه . وقال داود الأنطاكى فى التذكرة ١ : ١٤٧ « حيوان فى حجم ابن عرس : . وليس له بصر . . . وهو أقوى الحيوانات سمماً » .

(٤) التكلفة من مب .

(٥) س ، م : « يفوته » بالفاء ، تحريف .

(٦) ما عدا مب : « ولأنه » .

(٧) تكلفة من مب . وانظر ٤ : ٢٢٨ و ٦ : ٣٤٤ .

(الطائران العجيبان)

وأىُّ شئٍ أعجبُ من طائرين ، يراهما الناسُ من أدنى جُدود البحر^(١) من شِقِّ البصرة ، إلى غاية البحر من شِقِّ السُّند ، أحدهما كبيرُ الجثَّة يرتفع في الهواء صُعْدًا^(٢) ، والآخر صغير الجثَّة يتقلَّب عليه ويعبث به ، فلا يزال مرَّةً يرفرفُ حوله ويرتق على رأسه ، ومرَّةً يطيرُ عند ذُناباهُ ، ويدخلُ تحتَ جناحه ويخرجُ من بينِ رجليه ، فلا يزال يغمُّ ويكرِّبه^(٣) حتَّى يتَّقيه بذرقه ، فإذا ذَرَقَ شحاله فاه^(٤) فلا يخطئُ أقصى حلقه حتَّى كأنَّه دحا^(٥) به في بئر ، وحتَّى كأنَّ ذَرْقَه مدحاةٌ بيد أسوار^(٦) ، فلا الطائر الصغير يخطئُ في التلقَّى ، وفي معرفته أنَّه لارزق له إلَّا الذى فى ذلك المكان ؛ ولا الكبير يخطئُ التَّسديد^(٧) ، ويعلمُ أنَّه لاينجيه منه إلَّا أن يتَّقيه بذرقه ، فإذا أوعى ذلك الذَّرَق^(٨) ، واستوفى^(٩) ذلك الرِّزْق ، رجع

(١) الجُدود : جمع جد بالفتح ، وهو الشاطئ . والجد بالكسر والجدَّة بالكسر أيضا ، بمعنى الجد : الشاطئ .

(٢) ماعدا مب : « مصعدا » .

(٣) ط : « يغمه ويكرِّبه » ، وصوابه فى س ، م . وفى مب : « يغمه ويكرِّبه » .

(٤) شحافاه : فتحه . ماعدا مب : « يذرق فإذا ذرق شحاله » .

(٥) ط : م : « رما » ، وأثبت ما فى س . و « رما - وصوابها رمى - » و « دحا » بمعنى . وفى مب : « كأنَّه راد فى بئر » .

(٦) المدحاة : آلة الدحو ، أى الرمى . الأسوار بالضم والكسر : الجيـد الرمى بالسهم . مب : « مدحاسد اسوار » ، محرفة .

(٧) التَّسديد : إصابة الهدف . ماعدا مب : « التَّشديد » .

(٨) الذَّرَق : نجو الطائر . أوعاه : استوعبه . مب : « وعى » .

(٩) ط : « استوى فى » ، وصوابه فى س ، مب .

شَبَعَانِ رَيَّانَ بَقُوتِ يَوْمِهِ ، وَمَضَى الطَّائِرُ الْكَبِيرَ لِطَيْتِهِ . وَأَمْرُهُمَا مَشْهُورٌ
وَشَأْنُهُمَا ظَاهِرٌ ، لَا يُمْكِنُ دَفْعُهُ وَلَا تَهْمَةُ الْخَبِيرِينَ عَنْهُ .

(التخالف بين الحيوان في الطباع)

فَجَعَلَ تَعَالَى وَعَزَّ بَعْضَ الْوَحُوشِ كَسُوبًا مَحْتَالًا ، وَبَعْضَ الْوَحُوشِ
٤٠ مَتَوَكِّلًا غَيْرَ مَحْتَالٍ ، وَبَعْضَ الْحَشَرَاتِ يَدَّخِرُ لِنَفْسِهِ رِزْقَ سَنَتِهِ ؛ وَبَعْضًا
يَتَّكِلُ عَلَى الثَّقَّةِ بِأَنَّ لَهُ كُلَّ يَوْمٍ قَدْرَ كِفَايَتِهِ ، رِزْقًا مَعْدًا وَأَمْرًا مَقْطُوعًا .
وَجَعَلَ [بَعْضَ^(١)] الْهَمَجِ يَدَّخِرُ ، وَبَعْضُهُ يَتَكَسَّبُ ، وَبَعْضَ الذَّكَوْرَةِ يَعُولُ
وَلَدَهُ ، وَبَعْضَ الذَّكَوْرَةِ لَا يَعْرِفُ وَلَدَهُ ، وَبَعْضَ الْإِنَاثِ مُنْخَرِّجٌ وَلَدَهَا^(٢) ،
وَبَعْضَ الْإِنَاثِ تَضِييعٌ وَلَدَهَا وَتَكْفُلُ وَلَدَ غَيْرِهَا ، وَبَعْضَ الْأَجْنَاسِ مَعْطُوفَةٌ
عَلَى كُلِّ وَلَدٍ مِنْ جِنْسِهَا ، وَبَعْضُ الْإِنَاثِ لَا تَعْرِفُ وَلَدَهَا بَعْدَ اسْتِغْنَائِهِ عَنْهَا ،
وَبَعْضُ الْإِنَاثِ لَا تَزَالُ تَعْرِفُهُ وَتَعْطِفُ عَلَيْهِ ، وَبَعْضُ الْإِنَاثِ تَأْكُلُ وَلَدَهَا ،
وَكَذَلِكَ بَعْضُ الذَّكَوْرَةِ . وَبَعْضُ الْأَجْنَاسِ يُعَادِي كُلَّ مَا يَكْسِرُ بَيْضَهَا^(٣)
أَوْ يَأْكُلُ أَوْلَادَهَا . وَجَعَلَ يُتِمُّ بَعْضُ الْحَيَوَانَ مِنْ قِبَلِ أُمِّهَاتِهَا ، وَجَعَلَ يُتِمُّ
بَعْضَهَا مِنْ قِبَلِ آبَائِهَا ، وَجَعَلَ بَعْضَهَا لَا يَلْتَمِسُ الْوَلَدَ وَإِنْ أَتَاهُ الْوَلَدُ ، وَجَعَلَ بَعْضَهَا
مُسْتَفْرِغَ الْهَمِّ فِي حُبِّ الذَّرَّةِ^(٤) وَالتَّمَاسِ الْوَلَدِ ؛ وَجَعَلَ بَعْضَهَا يُزَاجِرُ وَبَعْضَهَا لَا يُزَاجِرُ

(١) التكلية من مب .

(٢) التخريج : التربية والتأديب . ويصح أن تكون « تخرج » من الإخراج .
كما نقل الجاحظ عن أرسطو في الحيوان (٦ : ٣٣٨) : أن العقاب لا بد أن
تخرج واحدا من أولادها ، وربما طردتهن جميعا . اهـ لكن المقابلة ترجح
الضبط الأول . وفي مب : « تبغض ولدها » .

(٣) ما عدا مب : « كل شيء ويكسر بيضها » .

(٤) الذرة : النسل .

ليكونَ للمتوكل من الناس جهةً في [توكله ، وللمتكسب جهةً في ^(١)] تكسبه
وليُحْضِرَ ^(٢) على بالهم أسباب البرِّ والعقوق ، وأسبابَ الحظرِ والتربية ،
وأسبابَ الوحشة من الأرحام الماسة .

(افتراق المعاني واختلاف العلل)

ولم كان افتراق المعاني ^(٣) واختلافِ العلل ، قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لبعضهم : « اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ » ^(٤) . وقال لبلال : « أَنْفِقْ بِلَالٌ ، وَلَا تَخْشَ
مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلَالًا ! » .

[فافهموا هذا التدبير ، وتعلموا هذه الحُكْمَ ، واعرفوا مداخلها ومخارجها
ومفرقاتها ومجموعاتها ؛ فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لم يُرَدِّدْ في كتابه ذِكْرَ الاعتبارِ ، والحثَّ
عَلَى التفكيرِ ، والترغيبِ في النظرِ وفي التثبُّتِ والتعرُّفِ والتوقُّفِ ^(٥)] ، إلّا
وهو يريد أن تكونوا علماء من تلك الجهة ، حكماء من هذه التعبئة ^(٥) .

(المعرفة والاستدلال)

ولولا استعمال المعرفة لما كان للمعرفة معنى ، كما أنّه لولا الاستدلال
بالأدلة لما كان لوضع الدلالة معنى . ولولا تمييزُ المضارِّ من المنافع ^(٦) ، والردى
من الجيّد بالعيون المجعولة لذلك ، لما جعلَ الله عزَّ وجلَّ العيونَ المدركةَ .
والإنسانُ الحساسُ ^(٧) إذا كانت الأمور المميّزة عنده ، أخذ ما يحتاج إليه وترك
ما يستغنى عنه وما يضرُّ لأخذه ^(٨) ، فيأخذ ما يحبُّ ويدعُ ما يكره ، ويشكر

(١) التكلّة من مب . (٢) ماعدا مب : « ولتَحْظَرْ » .

(٣) ماعدا مب : « افتراق المعاني » .

(٤) رواه الترمذى عن أنس . وقال السيوطى : حديث ضعيف . الجامع الصغير ١١٩١ .

(٥) التعبئة : الإعداد . مب : « بهذه التعبئة » . (٦) كذا . ولعلها : « الضار من النافع » .

(٧) في الأصل : « ولولا أن الإنسان الحساس » . (٨) ماعدا مب : « وما يضر من أخذه » .

على الخُبوب ويصبر على المكروه ، حتى يذكر بالمكروه كَيْفِيَّةَ الْعِقَابِ ،
ويذكر بالمحبوب كَيْفِيَّةَ الثَّوَابِ ، ويعرف بذلك كَيْفِيَّةَ التَّضَاعِيفِ ، ويكون
مايغُمُّه رَادِعًا لَهُ ، وَمُمْتَحَنًا بِالصَّبْرِ عَلَيْهِ ، وما يَسْرُهُ بِاسْطِطَاءِ لَهُ وَمُمْتَحَنًا بِالشُّكْرِ
عَلَيْهِ . وللعقل في خِلَالِ ذَلِكَ مَجَالٌ ، وللرأى تَقَلُّبٌ ، وَتَشَدُّقٌ ^(١) للاخِوَاطِرِ ٤١
أَسْبَابٌ ، وَيَتَهَيَّأُ لَصُوبِ الرَّأْيِ أَبْوَابٌ . ولتكون المعارف الحسِّيَّةُ ^(٢)
وَالْوِجْدَانَاتُ الْغَرِيزِيَّةُ ، وَتُمَيِّزُ الْأُمُورَ بِهَا ؛ إِلَى مَا يَتَمَيَّزُ عِنْدَ الْعُقُولِ ^(٣) وَتَحْصِرُهُ
الْمَقَايِيسُ . وليكون عَمَلُ الدُّنْيَا سُلْمًا إِلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَلِيَتَرَقَّى مِنْ مَعْرِفَةِ
الْحَوَاسِّ إِلَى مَعْرِفَةِ الْعُقُولِ ، وَمِنْ مَعْرِفَةِ الرُّوِيَّةِ مِنْ غَايَةٍ إِلَى غَايَةٍ ؛ حَتَّى
لَا يَرْضَى مِنَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ إِلَّا بِمَا أَذَاهُ إِلَى الثَّوَابِ الدَّائِمِ ، وَنَجَاهُ مِنَ
الْعِقَابِ الْأَلِيمِ ^(٤) .

(مَا يَحْسُنُ الْكَلْبُ مِمَّا لَا يَحْسُنُهُ الْإِنْسَانُ)

سَنَدُّ كُرْطَفًا مِمَّا أَوْدَعَ اللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - الْكَلْبَ مِمَّا لَا تَحْسُنُهُ أَنْتَ
أَيُّهَا الْإِنْسَانُ ، مَعَ احْتِقَارِكَ لَهُ وَظَلْمِكَ إِيَّاهُ .
وَكَيْفَ لَا تَكُونُ تِلْكَ الْحَكْمُ لَطِيفَةً ، وَتِلْكَ الْمَعَانِي غَرِيبَةً ، وَتِلْكَ
الْأَحْسَاسُ دَقِيقَةً ، وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ أَدَقَّ النَّاسِ حِسًّا وَأَرْقَهُهُمْ ذَهْنًا وَأَحْضَرَهُمْ
فَهْمًا ، وَأَصَحَّهُمْ خَاطِرًا وَأَكْمَلَهُمْ تَجَرِبَةً وَعِلْمًا ، لَوْ رَأَى الشَّيْءَ الَّذِي يَحْسُنُهُ
الْكَلْبُ فِي كَثِيرٍ مِنْ حَالَاتِ الْكَلْبِ لَظَهَرَ [لَهُ ^(٥)] مِنْ عَجْزِهِ وَخُرْقِهِ ، وَكِلَالِ

(١) فِي س : م : « وَتَنْشُرُ » . وَفِي ط : « تَنْشُو » . وَأَثْبَتَ مَا فِي مَب .

(٢) ط : « الْحَبِيبَةُ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(٣) مَاعِدَا مَب : « عَنْهُ الْعُقُولُ » تَحْرِيفٌ .

(٤) مَاعِدَا مَب : « الدَّائِمُ » . (٥) التَّكَلُّفُ مِنْ مَب .

حدّه وفساد حسّه ، ما [لا (١)] يعرف بدونه أنّ الأمور لم تُقسَم على مقدار رأيه ، ولا على مبلغ عقله وتقديره ، ولا على محبّته وشهوته ؛ وأنّ الذى قسم ذلك لا يحتاج إلى المشاورة والمعاونة ، وإلى مكائفة ومرافدة (٢) ، ولا إلى تجربة وروية . ونحن ذاكرون من ذلك جملاً إن شاء الله تعالى .

(خبرة الكلب فى الصيد)

أعلم أنّ الكلب إذا عاين الطّباء ، قريبة كانت أو بعيدة ، عرف المقتل وغير المقتل (٣) وعرف العز من التّيس . وهو إذا أبصر القطيع لم يقصد إلّا قصد التّيس — وإن علم أنّه أشدّ حُضراً ، وأطول وثبةً ، وأبعد شوطاً — ويدعُ العز وهو يرى مافيها من نقصان حُضرها وقصر قابِ خطوها ، ولكنّه يعلم أنّ التّيس إذا عدا شوطاً أو شوطين حَقَبَ ببوله (٤) !!

(ما يعتري الحيوان عند الفزع)

وكلّ حيوان (٥) إذا اشتدّ فزعه ، فإنّه يعرض (٦) له إمّا سَلَس البول والتقطير ، وإمّا الأُسْر (٧) والحقَب . وكذلك المضروب بالسياط على الأكتاف ، وبالعصى على الأستاه . وما (٨) أكثر ما يعتريهم البول والغائط .

(١) بهذه الزيادة يستقيم الكلام .

(٢) ماعدا مب : « مكائفة ومرادفة » .

(٣) ط : « المقتل وغير المقتل » . وما أثبت من س ومب . وفى الديرى — وأحسب أنه نقل عن الجاحظ — « عرف المقبل من المدر » .

(٤) حَقَبَ ببوله : تعرّس عليه البول . (٥) ماعدا مب : « وكلّ الحيوان » .

(٦) ماعدا مب : « سيعرض » .

(٧) الأُسْر ، بالضم : احتباس البول .

(٨) ط : « وأما » ، وصوابه فى س . وفى مب : « فإ » .

وكذلك صار بعضُ الفُرسان الأبطال إذا عاينَ العدوَّ قَطَرَ إلى أن يذهب عنه ، لهولِ الجنان (١) .

وإذا حَقَبَ التَّيس (٢) لم يستطع البُول مع شِدَّةِ الحُضر ، ومع النَّفَرِ والزَّمَعِ (٣) ، ووضع القوائم معاً ورَفَعَهَا معاً ، في أَسْرَعَ من الطَّرَفِ (٤) فيثقل عَدُوُّهُ ، ويقصُر مَدَى خُطاه (٥) ، ويعتريه البُهرُ حتَّى يلحقه السَّكَبُ فيأخذه .
والعز من الطَّباء إذا اعتراها البُولُ من شِدَّةِ الفزع لم تجمعهُ ، وحذفت به كإيزاغ المَخاض الضَّوَّارِبِ (٦) ، لسعةِ السَّيْلِ وسهولةِ المخرج ، فتصير لذلك أدومَ شِدًّا ، وأصبرَ على المطاولة .

فهذا شيءٌ في طبعِ السَّكَبِ معرفته ، دونَ سائرِ الحيوان .
والسَّكَبُ الحَجْرُ لا يحتاجُ في ذلك إلى مُعَاناةٍ ، ولا إلى تعلُّمٍ ، ولا إلى رويَّةٍ ولا إلى تكلفٍ ، قد كفاه ذلك الذي خَلَقَ العقلَ والعاملَ والمعقُولَ ، والداءَ والدواءَ والمداواةَ والمداوى ، وقسَمَ الأمور على الحكمة ، وعلى تمامِ مصلحةِ الخليقة .

(ذكاء الكلب ومهارته في الاحتيال للصيد)

ومن معرفة الكلب ، أنَّ المُسَكَّبَ يُخرجه إلى الصيد في يومٍ ، الأرضُ فيه ملبَّسة من الجليد ، ومغشاةٌ بالثلج ، قد تراكم عليها طبقاً على طبقٍ ،

(١) ماعدا مب : «هول الجنان» . (٢) حقب : احتبس بوله . ماعدا مب : «تعب» .
(٣) النفز : وثب الطيبي خاصة ، ويقال طبي ينفوز . وفي ط ، س : «النفز»
بالراء . وفي مب : «البحر» . وفيها عدا مب : «والجزع» . والزق : القلق والخرق .
(٤) كذا في س ، مب ، وهو الصواب . وفي ط : «فا أسرع في الطرف» .
(٥) ماعدا مب : «فيقصّر خطوه» .

(٦) الإيزاغ : دفع الناقة ببوها . والمخاض : النوق الخوامل ، وهي في ط «المخاض» محرفة ، وصوابها في س ، مب . والضوَّارِب : التي تضرب بأرجلها إذا أرادها الفحل ، تفعل ذلك لأنها حامل . والجاحظ ينظر إلى قول النابغة :
يضرب يزيل الهام عن سكنته وطن كإيزاغ المخاض الضوَّارِب

حَتَّى طَبَّقَهَا واستفاض فيها^(١) ، حَتَّى رُبَّمَا ضَرَبَتْهُ الرِّيحُ بِرَدِّهَا ، فَيَعُودُ كُلُّ طَبَقٍ مِنْهَا وَكَأَنَّهُ صَفَاءٌ مَلْسَاءٌ ، أَوْ صَخْرَةٌ خُلِقَاءُ^(٢) ، حَتَّى لَا يَثْبُتَ عَلَيْهَا قَدَمٌ وَلَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ ، [إِلَّا]^(٣) بِالتَّثْنِيتِ الشَّدِيدِ ، أَوْ بِالْجُهْدِ وَالتَّفْرِيقِ - فَيَمْضِي^(٤) الْكَلَابُ بِالْكَلْبِ ، وَهُوَ إِنْسَانٌ عَاقِلٌ ، وَصَيَّادٌ مَجْرُبٌ ، وَهُوَ مَعَ ذَلِكَ لَا يَدْرِي أَيْنَ جُحْرُ الْأَرَنْبِ مِنْ جَمِيعِ بَسَائِطِ الْأَرْضِ^(٥) ، وَلَا مَوْضِعَ كُنَّاسٍ ظَبْيٍ ، وَلَا مَكْوِثٍ ثَعْلَبٍ^(٦) ، وَلَا غَيْرَ ذَلِكَ مِنْ مَوَالِجٍ^(٧) وَحُوشِ الْأَرْضِ ، فَيَتَخَرَّقُ الْكَلْبُ^(٨) بَيْنَ يَدَيْهِ وَخَلْفَهُ ، وَعَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ وَيَتَشَمَّمُ وَيَتَبَصَّرُ ، فَلَا يَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَقِفَ عَلَى أَفْوَاهِ تِلْكَ الْجِحْرَةِ ، وَحَتَّى يُثِيرَ الَّذِي فِيهَا بِتَنْفِيسِ الَّذِي فِيهَا^(٩) ، وَذَلِكَ أَنَّ أَنْفَاسَهَا وَبُخَارَ أَجْوَافِهَا وَأَبْدَانِهَا ، وَمَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَرَارَةِ الْمُسْتَكْنَةِ^(١٠) فِي عَمَقِ الْأَرْضِ - مِمَّا يُذِيبُ مَا لَاقَاهَا^(١١) مِنْ فَمِ الْجُحْرِ ، مِنَ الثَّلْجِ الْجَامِدِ ، حَتَّى يَرِقَّ وَيَكَادُ أَنْ يَتَثَبَّهُ^(١٢) وَذَلِكَ حَتَّى غَامُضٌ ، لَا يَقَعُ عَلَيْهِ قَانَصٌ^(١٣) وَلَا رَاعٍ ، وَلَا قَائِفٌ وَلَا فَلَاحٌ ، وَلَيْسَ يَقَعُ عَلَيْهِ إِلَّا الْكَلْبُ الصَّائِدُ الْمَاهِرُ .

(١) ط : « استفاض فيها » ؛ وصوابه في سائر النسخ .

(٢) الخلقاء من الصخور : المصمتة الملساء التي لا يؤثر فيها شيء .

(٣) التكملة من مب .

(٤) ماعدا مب : « فضي » ، تحريف .

(٥) مب : « بسيط الأرض » .

(٦) مكو الثعلب : جحره ؛ ماعدا مب : « مكن ثعلب » .

(٧) موالج : مداخل .

(٨) يتخرق : يشتد عدوه . وبين يديه : أمامه .

(٩) بتنفيس الذي فيها ؛ ليس في مب .

(١٠) ط : « المستكنة » ، وأثبت ما في س ، م ، مب .

(١١) ط : « ملاقاها » ، والصواب المثبت من س ، مب .

(١٢) ماعدا مب : « وإن لم يثقب » .

(١٣) ط : « ناقص » ؛ وهو تحريف صوابه في س ، مب . والقانص : الصائد .

وعلى أن للكلب^(١) في تتبّع الدّراج^(٢) والإصعادِ خَلْفَ الأرانب
في الجبل الشاهق ، من الرّفق وحسن الاهتداء والتأني^(٣) ماينحني مكانه
على البيازرة^(٤) والكلّابين .

(الانتباه الغريزي في الكلب)

وقد خبرني صديقٌ لي أنّه حبس كلباً له في بيتٍ وأغلقَ دونه الباب
في الوقت الذي كان طبّاخه يرجع فيه من السوق ومعه اللحم ، ثمّ أخذَ
سِكِّيناً بسكين ، فنبّح الكلب [وقلق^(٥)] ، ورام فتح الباب ؛ لتوهّمه أن
الطّبّاخ قد رجّع من السوق بالوظيفة^(٦) ، وهو يحذ السكّين ليقطع اللحم !!
قال : فلما كان العشيُّ صنعنا به مثلَ ذلك ، لتنعرف حاله في معرفة
الوقت ، فلم يتحرّك !!

قال : وصنعتُ ذلك بكلبٍ لي آخرَ فلم يَقْلَقْ إلّا قلقاً يسيراً ، فلم يلبث
أن رجّع الطّبّاخُ فصنع بالسكّين مثل صنيعي ، فقلق حتّى رام فتح الباب !!
قال فقلت : والله لئن كان عرفَ الوقت بالرّصد^(٧) فتحرك له ، فلما لم
يشمّ ريحَ اللحم عرفَ أنّه ليس بشيء ، ثمّ لما سمع صوتَ السكّين

(١) في الأصل : « الكلب » ؛ والصواب ما كتبت .

(٢) الدراج : طائر أسود باطن الجناحين وظاهرهما ؛ أغبر على خلقة القطا ؛ إلّا

أنه ألطف . و « تتبّع » هي في الأصل : « تنبّح » وفي مب : « تبنيج » ، والوجه ما أثبت .

(٣) مب : « التأني » ؛ وفيما عداها : « التأني » ؛ والوجه ما أثبت . والتأني : حسن الاحتياط .

(٤) ماعدا مب : « لاينحني » و « لا » مقحمة ؛ والبيازرة : جمع بيزار بفتح الباء ؛ وهو

الصائد بالبازي . ماعدا مب : « البياز » ؛ وهو تحريف ما أثبت من مب .

(٥) التكلّة من مب .

(٦) الوظيفة : ما يقدر من طعام أو رزق في اليوم ، وكذا في السنة والزمان المعين .

(٧) الرصد : الارتقاب .

والوقتُ بَعْدُ لم يَذْهَبْ ، وَقَدْ جِئْتُ بِاللَّحْمِ [فَشَمَّ رِيحَ اللَّحْمِ] من المطبخ ^(١) وهو في البيت ، أو عرف فَصْل ^(٢) ما بين إحدادي السَّكِينِ وإحدادي الطباخ ، إِنَّ هذا أيضاً لَعَجَبٌ .

وإِنَّ اللحمَ ليكونَ بيني وبينه الذراعان والثلاث الأذرع ، فما أَجْدُ يحهْ إِلَّا بَعْدَ أَنْ أُذْنِيهِ من أني . وكلُّ ذلك عجب .

ولم أَجِدْ أهل سَكَّةَ أَصْطَفَانُوس ^(٣) ، ودار جارية ، وباعة مُرَبَّعةَ بنى مِنْقَرٍ ^(٤) يَشْكُونُ أَنَّ كلباً كان يكونُ في أعلى السكة ، وكان لا يجوز مُحَرَّس الحارس أيامَ الأسبوعِ كُلِّهِ ، حَتَّى إِذَا كان يومُ الجمعةِ أَقْبَلَ قَبْلَ صلاة الغداة ، من موضعه ذلك إلى بابِ جارية ، فلا يزال هناك مادام على مِغْلَاقِ الجِزَارِ شَيْءٌ من لحم . وبابُ جارية تُنَحِرُ عنده الجُرُورُ في جميعِ أَيَّامِ الجمعِ خاصَّةً ، فكان ذلك لهذا الكلبِ عادةً ، ولم يره أحدٌ [منهم] في ذلك الموضع في سائرِ الأَيَّامِ ^(٥) ، حَتَّى إِذَا كان غداةَ الجمعةِ أَقْبَلَ !

فليس يكونُ مثْلُ هذا إِلَّا عن مقداريةٍ ^(٦) بمقدار ما بين الوقتين . ولعلَّ كثيراً من الناسِ يَتَنَابُونَ بَعْضُ [هذه ^(٧)] المواضع في يومِ الجمعةِ ،

(١) ط ، م : « الطبخ » ، وصوابهما في س ، مب . والتكلمة قبله من مب .

(٢) المراد بالفصل الفرق .

(٣) وضع في البصرة ، ممة باسم كاتب نصراني كان في أيام زياد أو مقاربها . روى عن ابن عباس أنه قال « الخطوط مقسومة » لا يقدر أحد على صرفها ونقلها عن أماكنها . ألا ترى إلى سكة أَصْطَفَانُوس كان يقال لها سكة الصحابة ، نزلها عشرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم تضاف إلى واحد منهم ، وأضيفت إلى كاتب نصراني من أهل البحرين - يريد أَصْطَفَانُوس - وتركوا الصحابة . معجم البلدان (أَصْطَفَانُوس ، وسكة أَصْطَفَانُوس) .

(٤) الباعة : جمع بائع . والمربعة : الموضع المربع . وفي ط : « مربعة بين منقر » ، وهو تحريف ما أثبت من س ، م ، مب والتمورية . وهي وسابقتها موضعان بالبصرة .

(٥) التكلمة من مب . و « في سائر الأَيَّامِ » ساقط من مب . وفي سائر النسخ : « في سائر أيام الجمعة » ، تحريف .

(٦) مقدارية : بمعنى تقدير ، وهو مصدر صناعي من كلمة « مقدار » . مب : « عن معرفة »

(٧) زدتها للحاجة إليها .

إِذَا لَصَلَاةٍ ، وَإِذَا لَغَيْرِ ذَلِكَ ، فَلَا يَعْدِمُهُمْ ^(١) النَّسِيَانُ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ،
وَالِاسْتَذْكَارِ بغيرهم ^(٢) . [وهذا ^(٣)] الْكَلْبُ لَمْ يَنْسَ مِنْ نَفْسِهِ ، وَلَا
يَسْتَذْكَرُ بغيره ^(٤) .

وَزَعِمَ هَؤُلَاءِ بِأَجْمَعِهِمْ أَنَّهُمْ تَفَقَّدُوا شَأْنَ هَذَا الْكَلْبِ مِنْذَ انْتَبَهَوْا
لِصَنْعِهِ هَذَا ^(٥) ، فَلَمْ يَجِدُوهُ غَادِرَ ذَلِكَ يَوْمًا وَاحِدًا . فَهَذَا هَذَا .

(قِصَّةُ فِي وِفَاءِ الْكَلْبِ)

وَأَنشَدَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ خَالَوَيْهِ ^(٦) عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ لِبَعْضِ الشُّعْرَاءِ :
يَعْرِدُ عَنْهُ جَارُهُ وَشَقِيقُهُ وَيَنْبِشُ عَنْهُ كَلْبُهُ وَهُوَ ضَارِبُهُ ^(٧)
قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ ^(٨) : قِيلَ ذَلِكَ لِأَنَّ رَجُلًا خَرَجَ إِلَى الْجَبَّانِ يَنْتَظِرُ رِكَابَهُ
فَاتَّبَعَهُ كَلْبٌ كَانَ لَهُ ، فَضَرَبَ الْكَلْبَ وَطَرَدَهُ ، وَكَرِهَ أَنْ يَتَّبِعَهُ ، وَرَمَاهُ
بِحَجَرٍ ، فَأَبَى الْكَلْبُ إِلَّا أَنْ يَذْهَبَ مَعَهُ ، فَلَمَّا صَارَ إِلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي يَرِيدُ فِيهِ
الْإِنْتِظَارَ ، رُبِضَ الْكَلْبُ قَرِيبًا مِنْهُ ، فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ ^(٩) إِذْ أَتَاهُ أَعْدَائُهُ لَهُ يَطْلُبُونَهُ

-
- (١) يُقَالُ مَا يَعْدِمُنِي هَذَا الْأَمْرُ : أَيْ مَا يَعْذُونِي . وَيُقَالُ أَيْضًا : أَعْدَمَنِي الشَّيْءُ :
إِذَا لَمْ أَجِدْهُ . وَفِي ط : « لَا يَمْدُ فِيهِمْ » ، وَهُوَ تَحْرِيفُ مَا فِي س ، مَب .
- (٢) مَاعِدَا مَب : « لَغَيْرِ » .
- (٣) التَّكْمِلَةُ مِنْ مَب . (٤) مَاعِدَا مَب : « وَلَمْ يَتَذَكَّرْ » .
- (٥) كَلِمَةُ « هَذَا » مِنْ مَب فَقَطْ . وَفِيمَا عَدَا مَب : « لِصَنْعِهِ » . (٦) مَب : « بِنْ حُلُوهِ » .
- (٧) التَّعْرِيدُ : الْإِحْجَامُ وَالْفِرَارُ . وَفِي الْأَصْلِ : « يَعُودُ » ، وَلَيْسَ لَهَا وَجْهٌ يَصَحُّ .
وَالصَّوَابُ مَا كَتَبْتُ مِنْ تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ ص ١٦٦ .
- (٨) قِصَّةُ الْبَيْتِ رَوَاهَا ابْنُ قَتَيْبَةَ فِي تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ أَيْضًا ، وَلَكِنَّهَا تَبَيَّنَ
مَاهِنًا ، قَالَ : « وَقَدْ كَانَ أَبُو عُبَيْدَةَ يَذْكُرُ أَنَّ رَجُلَيْنِ سَافَرَا مَعَ أَحَدِهِمَا كَلْبٌ لَهُ ،
فَوَقَعَ عَلَيْهِمَا اللَّصُوفُ فَقَاتَلَ أَحَدُهُمَا حَتَّى غَلَبَ وَأَخَذَ فِدْفِنَ وَتَرَكَ رَأْسَهُ بَارِزًا ، وَجَاءَتِ الْفَرَبَانُ
وَصَبَّاحَ الطَّيْرِ فَحَامَتِ حَوْلَهُ ، تَرِيدُ أَنْ تَنْهَشَهُ وَتَقْلَعَ عَيْنَيْهِ ، وَرَأَى ذَلِكَ كَلْبٌ كَانَ مَعَهُ ،
فَلَمْ يَزَلْ يَنْبِشُ التُّرَابَ عَنْهُ حَتَّى اسْتَخْرَجَهُ ، وَمِنْ قَبْلِ ذَلِكَ قَدْ فَرَّ صَاحِبُهُ ، وَأَسْلَمَهُ » .
- (٩) مَاعِدَا مَب : « قَرِيبًا فَبَيْنَا هُوَ كَذَلِكَ » .

بطائلة لهم عنده ، وكان معه جار له وأخوه ذنباً^(١) ، فأسلماه وهربا عنه ،
فجرح جراحات ورُمى به في بئرٍ غير بعيدة القعر ، ثم حثوا عليه من التراب
حتى غطى رأسه^(٢) ثم كُمَم فوق رأسه منه^(٣) ، والكلب في ذلك يزجم^(٤)
ويهر ، فلما انصرفوا أتى رأس البئر ؛ فما زال يعوى وينبث^(٥) عنه ويحثو
التراب بيده ويكشف عن رأسه حتى أظهر رأسه ، فتنفّس ورُدَّتْ إليه الروح^(٦) ٤٤
وقد كاد يموت ولم يبق منه إلا حُشاشة ، فبينما هو كذلك إذ مرَّ ناس
فأنكروا مكان الكلب ورأوه كأنه يحفر عن قبر ، فنظروا فإذا هم بالرجل
في تلك الحال ، فاستشالوه^(٧) فأخرجوه حيّاً ، وحملوه حتى أدّوه إلى أهله ،
فزعَم أن ذلك الموضع يُدعى بئر الكلب . وهو مُتَيَّمين عن النجف^(٨) .
وهذا العمل يدل على وفاء طبيعي^(٩) وإلفٍ غريزيٍّ ومحاماةٍ شديدة ،
وعلى معرفةٍ وصبرٍ ، وعلى كرمٍ وشكرٍ ، وعلى غناءٍ عجيبٍ ومنفعةٍ تفوق المنافع ؛
لأن ذلك كله كان من غير تكلف ولا تصنع .

(١) قال الوزير أبو بكر البطليوسي : « إذا كسر أوله جاز فيه التنوين ، وإذا ضم لم
لم يحز فيه إلا ترك الصرف ؛ لأن فعله لا يكون إلا للمؤنث . وهو منصوب على
المصدر إذا نون كما تقول : هذا درهم ضرب الأمير ، وعلى الحال إن كان ألفه
للتأنيت . ودنيا بمعنى الأدنى من القراية . انظر ص ٤ من خمسة دواوين العرب .
ويفهم من صنيع صاحب اللسان أن هذه الكلمة لا تقال إلا في ابن العم أو العمّة
أو ابن الخال ، أو الخالة ، أو ابن الأخ ، أو الأخت .

(٢) ماعدا مب : « ثم حثى عليه التراب ثم غطى رأسه » .

(٣) كمه : غطاه . و « ثم كُمَم فوق رأسه » ساقط من مب .

(٤) يزجم : يصوت . والغرب : جمع غراب . مب : « يزجم » . وفي سائر النسخ :
« يرحم » ، والوجه ما أثبت .

(٥) نبث الأرض : نبش ترابها . ماعدا مب : « ينبش » .

(٦) مب : « ويبحث التراب عن رأسه حتى تنفّس ووصل إليه الروح » .

(٧) استشالوه : رفعوه . (٨) مب : « النحيث » .

(٩) مب : « على طبيعة » .

(مؤمن بن خاقان والأعرابي)

وقال مؤمل^(١) بن خاقان، لأعرابي من بني أسد، وقد أكل جرّو كلب :

أتأكل لحم الكلب وقد قال الشاعر^(٢) :

إذا أسدىّ جاع يوماً ببلدةٍ وكان سميناً كلبه فهو آكله
أكل هذا قرماً إلى اللحم ؟ ! قال : فأنشأ^(٣) الأسدى يقول :
وصباً يحظّ الليث طُعماً وشهوةً

فسائل أخا الخلفاء إن كنت لاتدرى^(٤)

(طلب الأسد للكلب)

قال : وذلك لأنّ الأسد^(٥) لا يحرص على شيء من اللحمان حرصه على لحم الكلب . وأمّا العامة فتزعم أنّ لحوم الشاء أحبّ اللحمان إليه ، قالوا : ولذلك يُطيف الأسدُ بجَنَبَاتِ القرى ؛ طلباً لاغترار الكلب ؛ لأنّ وثبة الأسد تُعجل الكلب عن القيام وهو رابض . حتّى رُبّما دعاهم ذلك إلى إخراج الكلب من قُراهم ؛ إلّا أنّ يكون بقرب ضياعهم خنازيرٌ ، فليس حينئذٍ شيء أحبّ إليهم من أن تكثر الأسد عندهم . وإنّما يُخرجون عنهم في تلك الحالات الكلاب^(٦) ، لأنّهم يخافونها على ما هو عندهم أنفسُ

(١) ماعدا مب : « مؤمن » ، صوابه من مب ، والبيان ١ : ١١٨ ، ١١٩ ، ٣٥٥ .

(٢) هو الفرزدق كما في البغلاء ١٩٨ والمعاني الكبير ٢٥٤ .

(٣) ماعدا مب : « فأنشد » .

(٤) ماعدا مب : « الخلفاء » وفي ط : « أخى » ، صوابه في مب والمعاني الكبير . قال ابن قتيبة : « وأخو الخلفاء : الأسد ، لأنه يسكن الخلفاء في الغياض » .

(٥) ط : « وذلك الأسدى » ، والصواب ما أثبت من س ، م . وفي مب : « وذلك أن الأسد » .

(٦) مب : « وإنّما يخرجون في تلك الحال الكلاب » .

من الكلب ، وهذه مصلحةٌ في الكلب^(١) ، ولا يكون ذلك إلّا في القرى
التي يقرب الغنضة أو المأسدة^(٢) .

(علة طلب الأسد للكلاب)

فزعملى^(٣) بعض الدّهاقين قولاً لا أدري كيف هو، ذكر^(٤) أنهم لا يشكّون
أنّه إنّما يطلب الكلب لحنقه عليه ، لا من طريق أنّ لحمه أحبُّ اللّحان
إليه . وإنّ الأسد ليأتى منافع المياه ، وشطوط الأنهار ، فيأكل السّراطين
والضفادع ، والرّق^(٥) والسلاحف ، وإنّه أشره من أن يختار لحماً على لحم .
قال : وإنّما يكون ذلك منه إذا أراد المتطرّف من حير القرية وشائها
وسائر دوابّها . فإذا لجّ الكلب في النّباح انتبهوا ونذروا بالأسد^(٦) . فكانوا
يبنّ أن يحصّنوا أموالهم وبين أن يهجهجوا به^(٧) . فيرجع خائباً . فإذا أراد
ذلك بدأ بالكلب ؛ لأنّ يأمن [بذلك] الإنذار^(٨) ، ثمّ يستولى على القرية^(٩)
بما فيها . فإنّما يطالب الأسد الكلاب لهذه العلة .

٤٥

(١) هذه الجملة ساقطة من مب .

(٢) المأسدة : الأرض الكثيرة السباع . ما عدا مب : « التي تقرب » .

(٣) ما عدا مب : « وقال » .

(٤) ما عدا مب : « غير » .

(٥) الرق : العظيم من السلاحف . وفي الأصل : « الزق » بالزاي ، محرفة .

(٦) نذروا به : علموا . يقال أنذرتهم فنذروا ، بفتح النون وكسر الذال . مب : « فألح الكلب
في النباح انتبهوا وبدروا بالأسد » .

(٧) هجهج بالكلب : صاح به ليبعد فقال له : هج ! هج !

(٨) أى لى يأمن الإنذار . ما عدا مب : « لأنه يأمن الإنذار » .

(٩) ط : يبيتون في أعلى القرية . س ، م : « ثم يستولى على القرية » ، صوابها من مب .

(من حيل الأسد في الصيد)

وسمعتُ حديثاً من شُيُوخ مَلَّاحِي الموصل - وأنا هائب له - ورأيتُ الحديثَ يدُور بينهم ، ويتقبَّلُه جميعُهم . وزعموا أنَّ الأسدَ ربَّما جاء إلى قَلَسِ السفينة^(١) ، فينشَبُّ به ليلاً ، والمَلَّاحون يمدُّون السفينةَ فلا يشكُّون أنَّ القَلَسَ قد التَفَّ عَلَى صخرة ، أو تعلقَ بِجذَمِ شجرة^(٢) . ومن عاداتهم أنَّ يبعثوا الأوَّل من المَدَّادين ليجلِّه^(٣) . فإذا رجع إليه المَلَّاح ليمدَّ الأسدُ بالأرض ، ولزِقَ بها^(٤) وغمَضَ عينيه كي لا يُبصرَ ويبصُّهما بالليل^(٥) ، فإذا قُرِبَ منه وثب عليه فخطفه^(٦) ، فلا يكون للمَلَّاحين همٌّ إلَّا إلقاءَ أنفُسهم في الماء وعبورَهم إليه . وربما أكله إلَّا ما بقى منه ، وربَّما جرَّ فريسته إلى عَريسه وعرينه^(٧) ، وإلى أجرائه وأشباليه ، وإنَّ كانَ ذلكَ عَلَى أُميال^(٨) .

(ملاح الكلب وسلاح الديك)

قالوا : فليس الديك من بابَةِ الكلب ؛ لأنَّه إنَّ ساوَرَه قَهَرَه قَهراً ذريعاً . وسلاحُ الكلب الذي هو [في^(٩)] فيه ، أقوى من صِيصَة^(١٠)

-
- (١) القَلَس : بالفتح : حبل غليظ من حبال السفن . ماعداً مب : « جَلَل قَلَس السفينة » .
 (٢) جذَم الشجرة : أصلها .
 (٣) ط : « أول المدادين » ، محرقة . وفي م : « أول المدادين » ، وأثبت ما في س ، مب . وفيما عدا مب : « ليجله » .
 (٤) مب : « فإذا رجع إليه الملاح تمدد الأسد ولصق بالأرض » .
 (٥) الوبيص : البريق . مب : « فخطفه » .
 (٦) العريس والعريسة : مأوى الأسد . وفي م : « عريشته » وفي مب : « إلى عريسته وعمره » .
 (٧) ماعداً مب : « وإن كان ذلك على أميال » .
 (٨) زيادة ضرورية .
 (٩) الصيصة : شوكة في رجل الديك ، كما في اللسان والقاموس . وقيل : صوابه « الصيصية » وقيل : تلك خففة من هذه . انظر تاج العروس . مب : « صيصيته » .

الدِّيكُ الَّتِي ^(١) فِي رَجْلِهِ ^(٢) ، وَصَوْتُهُ أُنْدَى وَأَبْعَدُ مَدَى ^(٣) ،
وَعَيْنُهُ أَبْقَظُ .

(دِفَاعُ بَنِ الْكَلْبِ)

وَالْكَلْبُ يَكْفِي نَفْسَهُ ^(٤) وَيَحْمِي غَيْرَهُ ، وَيُعُولُ أَهْلَهُ ، فَيَكُونُ لِصَاحِبِهِ
غَنَمَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَرَمُهُ . وَلَمَّا يَرْمَحُ ^(٥) الدَّوَابُّ مِنَ النَّاسِ ، وَلَمَّا يَحْرَنُ
وَيَجْمَحُ ، وَتَنْطَحُ وَتَقْتُلُ أَهْلَهَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ، أَكْثَرُ مِمَّا يَكُونُ مِنْ جَمِيعِ
الْكِلَابِ فِي عَامٍ .

وَالْكَبْشُ يَنْطَحُ فَيَعْقِرُ وَيَقْتُلُ ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يُهَاجَ وَيُعَبِّثَ بِهِ .
وَالْبَرَذُونُ يَعْضُّ وَيَرْمَحُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُهَاجَ بِهِ وَيُعَبِّثَ .
وَأَنْتَ لَا تَكَادُ تَرَى كَلْبًا يَعْضُّ أَحَدًا إِلَّا مِنْ تَهْيِيجٍ شَدِيدٍ ، وَأَكْثَرُ ذَلِكَ
أَيْضًا إِثْمًا هُوَ النَّبَاحُ وَالْوَعِيدُ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « الَّذِي » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ .

(٢) قَرَأْتُ فِي نِشَارِ الْأَزْهَارِ لَا بِنَ مَنْظُورٍ ٩٦ : « وَفِي الدِّيكِ الصَّيْصَةِ ، وَهِيَ طَرَفُ عَرْفِهِ
الْحَادِ ، وَهِيَ سِلَاحُهُ الَّذِي يَقَاتِلُ بِهِ ، وَبِهَا سَمِيَ قَرْنُ الثَّوْرِ صَيْصَةً » ، فَقَدْ جَعَلَ
الصَّيْصَةَ فِي الْعَرَفِ كَمَا تَرَى .

(٣) أُنْدَى فِي مَعْنَى أَبْعَدَ . وَفِي ط : « الَّذِي أَبْعَدَ » ، تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي س . وَكَلِمَةُ « مَدَى »
مِنْ مَب .

(٤) مَا عَدَا مَب : « يَحْمِي نَفْسَهُ » .

(٥) الرَّمَحُ : الرِّفْسُ .

(٦) مَا عَدَا مَب : « وَلَمَّا تَحْدَفُ وَتَنْجَحُ » .

(معرفة الكلب صاحبه وفرحه به)

والكلب يعرف وجهَ ربِّه ^(١) [من وجه عبده] وأُمته ، ووجهَ الزائر .
حتىَّ ربَّما غاب صاحب الدار حولاً مجرماً ^(٢) ، فإذا أبصره قادماً اعتراه من
الفرح والبصبة ، والعواء ^(٣) الذي يدلُّ على السرور ، وعلى شدة الحنين ،
مالا يكون فيه شيءٌ فوقه ^(٤) .

(قصّة في وفاء كلب)

وخبرني صديقٌ لي قال : كان عندنا جروٌ كلب ، وكان لي خادماً
لهجّ بتقريبه ، مولعٌ بالإحسان إليه ، كثيرٌ المعاناة له ، فغاب عن
البصرة أشهراً ^(٥) ، فقلت لبعض من عندي: أتظنون أنّ فلانا (يعني الكلب)
يُثبت اليوم صورة فلان (يعني خادمه الغائب) وقد فارقه وهو جرو ، وقد
صار كلباً يشغّر ببوله؟ قالوا: مانشك أنّه قد نسي صورته وجميعَ برّه كان به ^(٦) .
قال : فبينما أنا جالسٌ في الدار إذ سمعت من قبيل باب الدار نباحه ، فلم أرَ
شكلاً نباحه من الثأب ^(٧) والتعثيث ^(٨) والتوعد ، ورأيت فيه بصبة

(١) ماعدا مب : « صاحبه » . والتكلمة بعده من مب .

(٢) مجرماً : كاملاً . ط : « نعم ربّما غارب عند صاحبه حولاً كاملاً » وفي س : « نعم ربّما
غاب عنه صاحبه حولاً كاملاً » ، صوابه في مب .

(٣) ط : « والالتواء » .

(٤) ماعدا مب : « بما لاشيء فوقه » .

(٥) ماعدا مب : « فغاب عنها إلى البصرة أشهراً » .

(٦) ماعدا مب : « وجميع بر كان يبره » .

(٧) كذا . وفي س : « التوب » وفي مب « من شكل التوب » .

(٨) التعثيث : الترجيع في الصوت . والكلمة ساقطة من مب .

السُرور ، وَحَيْنَ الْإِلْف . ثُمَّ لَمْ أَلْبَثْ أَنْ رَأَيْتُ الْخَادِمَ طَالِعاً عَلَيْنَا ، وَإِنَّ ٤٦
الْكَلْبَ لَيَلْتَفُّ عَلَى سَاقِيهِ ، وَيَرْتَفِعُ إِلَى فَخْذِيهِ ، وَيَنْظُرُ فِي وَجْهِهِ ، وَيَصْبِيحُ
صَبَاحاً يَسْتَبِينَ فِيهِ الْفَرَحُ . وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ إِفْرَاطِ سُورِهِ أَنْيَّ ظَنَنْتُ أَنَّهُ
عُرِضُ (١) . ثُمَّ كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ يَغِيبُ الشَّهْرَيْنِ وَالثَّلَاثَةَ ، أَوْ يَمْضِي إِلَى بَغْدَادَ
ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى الْعَسْكَرِ (٢) بَعْدَ أَيَّامٍ ، فَأَعْرِفُ بِذَلِكَ الضَّرْبَ مِنَ الْبَصْبِصَةِ ، وَبِذَلِكَ
النَّوْعِ مِنَ النَّبَاحِ ، أَنَّ الْخَادِمَ قَدِمَ . حَتَّى قُلْتُ لِبَعْضٍ مِنْ عِنْدِي (٣) : يَنْبَغِي أَنْ
يَكُونَ فُلَانٌ قَدْ قَدِمَ ، وَهُوَ دَاخِلٌ عَلَيْكُمْ مَعَ الْكَلْبِ .

وَزَعِمَ لِي أَنَّهُ رُبَّمَا أُلْقِيَ لِهَذَا الْجُرُوءِ إِلَى أَنْ صَارَ كَلْبًا تَأَمًّا ، بَعْضُ الطَّعَامِ
فَيَأْكُلُ مِنْهُ مَا أَكَلَ ، ثُمَّ يَمْضِي بِالْبَاقِي فَيَخْبُوهُ (٤) . وَرُبَّمَا أُلْقِيَ إِلَيْهِ الشَّيْءُ
وَهُوَ شَبْعَانٌ فَيَحْتَمِلُهُ ، حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ بَعْضَ الْخَاجِي فَيَضَعُهُ هُنَاكَ ، حَتَّى إِذَا
جَاعَ رَجَعَ إِلَيْهِ فَأَكَلَهُ .

(أَدَبُ الْكَلْبِ)

وَزَعِمَ لِي غِلْمَانِي وَغَيْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الدَّرْبِ ، أَنَّهُ كَانَ يَنْبَحُ عَلَى كُلِّ
رَاكِبٍ يَدْخُلُ الدَّرْبَ إِلَى عِرَاقِيْبٍ بِرِذْوَنِهِ ، سَائِسًا كَانَ أَوْ صَاحِبَ دَابَّةٍ
إِلَّا أَنَّهُ كَانَ إِذَا رَأَى مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ دَاخِلًا إِلَى بَابِ الدَّرْبِ أَوْ خَارِجًا
مِنْهُ ، لَمْ يَنْبَحْ أَلْبَتَّةَ ، لَا عَلَيْهِ وَلَا عَلَى دَابَّتِهِ ، بَلْ كَانَ لَا يَقِفُ لَهُ عَلَى الْبَابِ
وَلَا عَلَى الطَّرِيقِ ، وَلَكِنَّهُ يَدْخُلُ الدَّهْلِيزَ سَرِيعًا ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَبَلَغَنِي

(١) عرض : أصابه الجنون . مب : « ظننت له قد عرض له » .

(٢) هو عسكر المهدي ، المعروف بالرصافة ، سمي بذلك لأن المهدي عسكر به حين شخص إلى
الري . معجم البلدان .

(٣) ماعدا مب : « لبعضهم عندي » .

(٤) ماعدا مب : « ليخبأه » .

أنه كان إذا أقبل صاح به الخادم، وأهوى له بالضرب^(١) ، فيدخل الدهليز ، وأنه ما فعل ذلك به إلا ثلاث مرار^(٢) ، حتى صار إذا رأى محمد بن عبد الملك ، دخل الدهليز من تلقاء نفسه ، فإذا جاوز وثب على عراقيب دواب الشاكريّة^(٣) . ورأيت هذا الخبر عندهم مشهوراً .

قال : وكُنَّا إذا تَغَدَّيْنَا دنا من الخِوان فزجرناه مرّةً أو مرّتين ، فكان لا يقربُنا ، لمكان الزجر^(٤) ، ولا يَبْعُدُ عن الخِوان ، لعلّ الطمع ، فإن ألقينا إليه شيئاً أكله ثمّ ، ودنا من أجل ذلك بعض الدنوّ . فكُنَّا نستظهرُ عليه^(٥) ، فرمى باللقمة فوق مريضه بأذرع . فإذا أكلها ازداد في الطمع ، فقربهُ ذلك من الخِوان ، ثمّ يجوز موضعه الذي كان فيه . ولولا ما كنا نقصِدُ إليه من امتحان ما عنده ، ليصير ما يظهر لنا حديثاً ، لكان إطعام الكلب والسّنور من الخِوان خطأ من وجوه : أوّلها أن يكون يصير له به دُرْبَة^(٦) ، حتّى إنَّ منها ما يمدُّ يده إلى ما على المائدة^(٧) حتّى

(١) ماعدا مب : « وهوله بالضرب » .

(٢) ماعدا مب : « مرات » .

(٣) في القاموس « الشاكري : الأجير المستخدم ، معرب جاكرك » ، والجاحظ يستعملها بمعنى الجند ، قال في رسالته إلى الفتح بن خاقان في مناقب الترك (رسائل الجاحظ ١ : ٣٠ بتحقيقنا) : « وقد ظن ناس كثيرون أن أسماء أصناف الأجناد لما اختلفت في الصورة والخط والهجاء أن حقائقها ومعانيها على حسب ذلك . وليس الأمر على حسب ماتوهمه ، ألا ترى أن اسم الشاكريّة وإن خالف في الصورة والهجاء اسم الجند ، فإن المعنى فيها ليس ببعيد ، لأنهم يرجعون إلى معنى واحد وعلم واحد » . فيظهر أن المراد بهذا اللفظ هو الجند المستأجرون .

(٤) ماعدا مب : « فزجرناه » ، و « لمكان الزجر » .

(٥) يريد نحاول التغلب عليه ، من ظهر عليه بمعنى غلبه .

(٦) ماعدا مب : « أن يكون تضرية مضرية له تدربة » ، والوجه ما في مب .

(٧) ماعدا مب : « الخِوان » .

رَبِّمَا تَنَاولُ فِيهِ مَاعِلِيهَا^(١) ، وَرَبِّمَا قَاءَ الَّذِي يَأْكُلُ^(٢) [وَهُم يَرَوْنَهُ] ، وَرَبِّمَا
لَمْ يَرْضَ بِذَلِكَ حَتَّى يَعُودَ فِي قَيْئِهِ . وَهَذَا كَلَهُ مِمَّا لَا يَنْبَغِي أَنْ يَحْضُرَهُ الرَّئِيسُ ،
وَيَشْهَدَهُ رَبُّ الدَّارِ . وَهُوَ عَلَى الْحَاشِيَةِ أَجُوزُ .

(الْأَكْلُ بَيْنَ أَيْدِي السَّبَاعِ)

فَأَمَّا عُلَمَاءُ الْفَرَسِ وَالْهِنْدِ ، وَأَطْبَاءُ الْيُونَانِيِّينَ وَدُهَاءُ الْعَرَبِ ، وَأَهْلُ
لِلتَّجَرِبَةِ مِنْ نَازِلَةِ الْأَمْصَارِ وَحُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ^(٣) ، فَإِنَّهُمْ يَكْرَهُونَ الْأَكْلَ
بَيْنَ أَيْدِي السَّبَاعِ ، يَخَافُونَ نَفْسَهَا وَأَعْيُنَهَا ، لِذَلِكَ فِيهَا مِنَ الشَّرِّ وَالْخَرَصِ ،
وَالطَّلَبِ وَالْكَلْبِ ، [وَلِمَا^(٤)] يَتَحَلَّلُ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْ أَجْوَافِهَا مِنَ الْبَخَارِ
الرَّدِيِّ ، وَيَنْفَصِلُ مِنْ عَيُونِهَا مِنَ الْأُمُورِ الْمَفْسِدَةِ ، الَّتِي إِذَا خَالَطَتْ طَبَاعَ
الْإِنْسَانِ نَقَضَتْهُ^(٥) .

وَقَدْ رَوَى مِثْلُ ذَلِكَ عَنِ الثَّوْرِيِّ عَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ
أَنَّهُ قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْبَصْرَةِ : إِنَّ الْكِلَابَ مِنَ الْجَنِّ ، وَإِنَّ الْجَنَّ مِنْ ضَعْفَةِ
الْجَنِّ ، فَإِذَا غَشِيَكُمْ مِنْهَا شَيْءٌ [فَالْقُوا إِلَيْهِ شَيْئًا^(٦)] وَاطْرُدُوهَا ، فَإِنَّ لَهَا
أَنْفَسَ سَوْءٍ .

وَلِذَلِكَ كَانُوا يَكْرَهُونَ قِيَامَ الْخِدْمِ بِالْمَذَابِّ وَالْأَشْرَبَةِ عَلَى رُءُوسِهِمْ
وَهُمْ يَأْكُلُونَ ؛ مَخَافَةَ النَّفْسِ وَالْعَيْنِ . وَكَانُوا يَأْمُرُونَ بِإِسْبَاعِهِمْ قَبْلَ أَنْ

(١) ماعدا مب : « فَإِنَّمَا تَنَاولُ فِيهِ مَاعِلِيهَا » .

(٢) ماعدا مب : « أَكَلَهُ » . وَالتَّكْلَةُ بَعْدَهُ مِنْ مَب .

(٣) « وَحُذَّاقِ الْمُتَكَلِّمِينَ » لَيْسَتْ قِيَمٌ .

(٤) التَّكْلَةُ مِنْ مَب ، وَبَعْدَهَا فِي مَب : « يَنْحَلُّ » بِدَل « يَتَحَلَّلُ » .

(٥) ماعدا مب : « طَبَاعِ الْإِنْسَانِ نَقَضَتْهَا » . وَالطَّبَاعُ : الطَّبِيعَةُ .

(٦) الزِّيَادَةُ مِنْ س ، م ، مَب . وَفِي تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ ١٦٧ : « فَإِذَا غَشِيَتْكُمْ
عِنْدَ طَعَامِكُمْ فَالْقُوا لَهَا ، فَإِنَّ لَهَا أَنْفَسًا » ، قَالَ ابْنُ قَتَيْبَةَ : « يَعْنِي أَنَّ لَهَا عَيُونًَا
نَصِيبَ بِهَا . وَالنَّفْسُ الْعَيْنُ » .

يَأْكُلُوا ، وكانوا يقولون في السُّنَّور والكلب : إِمَّا أَنْ تَطْرُدَهُ قَبْلَ أَنْ تَأْكَلَ
وإِمَّا أَنْ تَشْغَلَهُ بِشَيْءٍ يَأْكُلُهُ ، ولو بعظم .

ورأيتُ بعضَ الحكماء وقد سَقَطَتْ من يده لقمةٌ فَرَفَعَ رأسه ، فإذا
عينُ غلامٍ له ^(١) تحدَّق نحوَ لُقْمته ، وإذا الغلامُ يزدردُ ريقه لتحلب فيه من
الشهوة . وكان ذلك الحكيمُ جيِّدَ اللَّقْمِ ^(٢) ، طيِّبَ الطعام ، ويضيقُ
على غلمانه .

فيزعمون أنَّ نفوسَ السَّبَّاع وأعينها في هذا الباب أَرْدَأُ ^(٣) وأخبث .
وبينَ هذا المعنى وبين قولهم في إصابة العينِ الشيءَ العجيبَ المستحسنَ
شِرْكَةٌ وَقَرَابَةٌ ؛ وذلك أنَّهم قالوا : قد رأينا رجالاً ينسب ^(٤) ذلك
إليهم ، ورأيناهم ، وفيهم من إصابة العينِ مقداراً من العدد ، لانستطيع أن
نجعل ذلك السَّقَ من باب الاتفاق . وليس إلى ردِّ الخبر سبيل ؛ لتواتره
وترادُّفه ، ولأنَّ العيانَ قد حقَّقه ، والتجربة قد ضُمَّت إليه .

(العين التي أصابت سهلاً بن حنيف)

وفي الحديث المأثور في العين التي أصابت سهلاً بن حنيف ^(٥) فأمرَ

(١) ماعداً مب : « غلامه » .

(٢) اللقم : الأكل السريع .

(٣) في ط ، مب : « أَرْدَى » محرفة ، لأنها من الرداء لا الإرداء ، ولا تكون من الثاني
لأنه فوق الثلاثة ، والصواب في س .

(٤) ط : « رجال لا ينسب » ، بزيادة « لا » وصححه من س ، مب .

(٥) سهل بن حنيف من أهل بدر ، ومن ثبت يوم أحد ، حين انكشف الناس ، ونفخ
عن رسول الله ، وشهد الخندق والمشاهد كلها ، واستخلفه على البصرة
بعد الجمل ، ثم شهد معه صفين . وهو من الأنصار . وعند ما آخى الرسول بين
المهاجرين والأنصار جعل سهلاً أخاً لعل بن أبي طالب . ومات بالكوفة سنة ثمان وثلاثين .
الإصابة ٣٥٢٠ والمعارف ١٢٦ . وقد جعله ابن قتيبة « سهيلاً » بالتصغير .
والمعروف « سهل » كما في الإصابة وسيرة ابن هشام في غير ماموضع .

رسول الله صلى الله عليه وسلم في ذلك بالذي أمر ، وذلك مشهور^(١) .

(كلام في العين والحسد)

قالوا : ولولا فاصل ينفصل من عين المستحسن إلى بدن المستحسن ، حتى يكون ذلك الداخل عليه هو الناقض^(٢) لقواه لما جاز أن يلقى [مكروها البتة . وكيف يلقى^(٣)] المكروه من انساق^(٤) في حيزه وموضعه^(٥) ، والذي أصابته العين في حيزه أيضا وموضعه^(٣) ، [من غير تماس ولا تصادم ، ولا فاصل^(٦) ولا عامل لاقى معمولا فيه . ولا يجوز أن يكون المعتل بعد صحته يعتل

(١) كنت قد كتبت بشأن هذا الحديث إلى المغفور له الأستاذ المحدث الكبير الشيخ أحمد محمد شاكر ، فكتب إلى رحمه الله بما يأتي : « أما حديث سهل بن حنيف فلا يمكنني جمع طرده الآن ولكنه في الموطأ (٣ : ١١٨ - ١١٩) وتيسير الوصول (٣ : ١٥٩) طبع التجارية في كتاب الطب . وهو في الموطأ بروايتين ، أولاهما « مالك عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف ، أنه سمع أباه يقول : اغتسل أبي ، سهل بن حنيف ، بالخرار ، فزرع جبة كانت عليه وعامر بن ربيعة ينظر . قال : وكان سهل رجلا أبيض حسن الجلد . قال : فقال له عامر ابن ربيعة : ما رأيت كالיום ولا جلد عذراء ! — في الرواية الأخرى : ولا جلد مخبأة ! — قال : فوعك سهل مكانه واشتد وعكه . فأقى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبر أن سهلا وعك وأنه غير راثع معك يا رسول الله . فأتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأخبره سهل بالذي كان من أمر عامر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : علام يقتل أحدكم أخاه ! ألا بركت ؟ ! إن العين حق : توضع له . فتوضأ له عامر ، فراح سهيل مع رسول الله ليس به بأس » . والحديث أخرجه النسائي وصححه ابن حبان ، ورواه الحاكم في المستدرک من طرق أخرى (٣ : ٤١٠ - ٤١٢ ، ٤ : ٢١٥ - ٢١٦) بعضها مختصر وبعضها مطول .

(٢) ما عدا مب : « الناقص » ، تحريف .

(٣) التكلية من مب .

(٤) ما عدا مب : « من إنسان في » .

(٥) حيزه : أي حده ومكانه المحدود . ط : « خيره » ، تحريف .

(٦) ط : « متاضل » ، صوابه في س ، مب .

من غير معنى بدنه^(١) . ولا تنتقض الأخلاط ولا تنزایل إلا لأمرٍ يعرض ، لأنه حينئذٍ يكون ليس بأولى بالانتقاض من جسمٍ آخر . وإن جاز للصحيح أن يعتل من غير حادثٍ ، جاز للمعتل أن يبرأ من غير حادث .
 ٤٨ وكذلك القول في الحركة والسكون . وإذا جاز ذلك كان الغائب قياساً على الحاضر الذي لم يدخل عليه شيء من مستحسنٍ له . فإذا كان لابد من معنى قد عمل فيه ، فليس لذلك المعنى وجه إلا أن يكون انفصل إليه شيء عمل فيه . وإلا فكيف يجوز أن يعتل من ذات نفسه ، وهو على سلامته وتام قوته ، ولم يتغير ولم يحدث عليه ما يغيره . فهو وجسم غائب^(٢) في السلامة من الأعراض سواء . وهذا جواب المتكلمين [الذين يصدّقون بالعين ، ويثبتون الرؤيا^(٣)] .

(صفة المتكلمين)

[وليس يكون المتكلم^(٣)] جامعاً لأقطار الكلام متمكناً في الصناعة ، يصلح للرياسة ، حتى يكون الذي يُحسن من كلام الدين في وزن الذي يُحسن من كلام الفلسفة . والعالم عندنا هو الذي يجمعهما ، والمصيب [هو^(٣)] الذي يجمع بين تحقيق التوحيد وإعطاء الطبائع حقائقها من الأعمال . ومن زعم أن التوحيد لا يصلح^(٤) إلا بإبطال حقائق الطبائع ، فقد حمل

(١) ماعدا مب : « بعد صحة معنى بدنه » .

(٢) هذا مافى س ، مب ، وهو الحق . وفى ط : « فهو جسم ثابت » ، وفى م : « فهو وجسم نائب » .

(٣) الكلمة من مب ، وفى أصلها « الرواية » بدل « الرؤيا » . وانظر ص ١٣٩ .

(٤) ماعدا مب : « لا يصح » .

عجزه على الكلام في التوحيد . وكذلك إذا زعم أن الطبايع لا تنصح إذا
قرنتها بالتوحيد . ومن قال فقد حمل عجزه على الكلام في الطبايع .

وإنما يئأس^(١) منك الملحد إذا لم يدعك^(٢) التوفير على التوحيد
إلى بنحس^(٣) حقوق الطبايع ؛ لأن في رفع أعمالها رفع أعيانها . وإذا كانت
الأعيان هي الدالة على الله فرفعت الدلائل^(٤) ، فقد أبطلت المدلول عليه .
ولعمري إن في الجمع بينهما لبعض الشدة .

وأنا أعود بالله تعالى أن أكون كلما غمز قناتي باب من الكلام
صعب المدخل ، نقضت ركناً من أركان مقالتي ! ومن كان كذلك لم
يُنتفع به .

(الفاصل الذي يفصل من العين ونحوها)

فإن قال قائل : وما بلغ من أمر هذا الفاصل الذي لا يشعر به التوم
للحضور ولا الذي انفصل منه ، ولا المار بينهما ، ولا المتلقى له ببدنيه وليس
دونه شيء ، وكيف لم يعمل في الأقرب دون الأبعد ، والأقرب إنسان
مثله ، ولعله أن يكون طبعه أشد اجتذاباً للآفات !

وبعد ، فكيف يكون شيء يصرع الصحيح ويضجع القائم ،
وينقض القوى ، ويمرض الأصحاء ، ويصدع الصخر ويهشم العظم ،

(١) في الأصل : « يئأس » ، ولا وجه له .

(٢) ط ، م : « يرعك التوفير » ، وفي مب : « يدعك التوفير » والتصحيح من س .

(٣) ط ، م : « تحسن » والصواب من س ، مب .

(٤) ماعدا مب : « وإذا كانت الأعمال الدالة على ذلك قد رفعت الدليل » .

(٥) ماعدا مب : « ولا المار بينهما المتلقى » ، تحريف

ويقتل^(١) الثور ، ويهد^(٢) الحمار ، ويجرى في الجماد مجراه في النبات ، ويجرى في النبات^(٣) مجراه في الحيوان ، ويجرى في الصلابة والملاسة جريه في الأشياء السخيفة الرخوة ؛ وهو مما ليس له صدم كصدم الحجر ، أو غرب كغرب السيف ، أو حدة كحد السنن ؛ وليس من جنس السم [فيحمل على نفوذ السم^(٤)] ؛ وليس من جنس الغذاء فيحمل على نفوذ الغذاء ، وليس من جنس السحر فيقال إن العمار^(٥) عملوا ذلك من طريق طاعتهم للعزائم . ففعل ذلك إنما كان شيئاً وافق شيئاً .

قيل لهم : قد تعلمون كيف مقدار سم الجرارة^(٦) أو سم الأفعى ، وكيف لو وزتم الجرارة^(٦) قبل لسعها وبعده لوجدتموها على حال واحدة . وأنت ترى كيف تفسخ عقد بدن الفيل ، وكيف تنقص^(٧) قوى البعير ، من غير صدم [كصدم^(٨)] الحجر ، [وغرب كغرب السيف^(٩)] ، وحد كحد السنن .

فإن قلت : فهل ناب الأفعى وإبرة العقرب إلا في سبيل حد السنن ؟ قلنا : إن البعير لو كان إنما يتفسخ لطعن العقرب بإبرتها لما كان ذلك يبلغ منها مقدار النخس^(٩) فقط ، ولكنه لابد أن يكون ذلك

(١) ط : « يقتل » ، والصواب من س .

(٢) ط : « يهدى » ، وهو تحريف ماقى س . وفى مب : « ويقتل » .

(٣) ماعدامب : « الموات » .

(٤) التكلة من مب .

(٥) العمار : سكان البيوت من الجن . س : « العمال » محرفة . وفى مب : « فعلوا » .

(٦) الجرارة : نوع من العقارب إذا مشى على الأرض جر ذنبه ، وقد تحدث عنها الجاحظ في الحيوان ٤ : ٢١٩ - ٢٢٠ . وفى ط : « الجرادة » ، وهو تحريف ماقى س ، م ، مب .

(٧) فى الأصل : « تنقص » بالصاد .

(٨) التكلة من س ، م ، مب .

(٩) ط : « التحسن » ، مب : « الحسن » . والصواب من س ، م .

لأحد أمرين : إما أن تكون العقربُ تمجُّ فيه شيئاً من إربتها ، فيكون طبع ذلك وإن قلَّ يفسخ الغيلَ والزنديل^(١) ، وإما أن يكون طبعُ ذلك الدَّم إذا لاقاه طبعُ ذلك الثَّاب وتلك الإبرة أن يُحمد^(٢) فيقتل بالإجماد ، أو يذيب فيقتل بالإذابة . فأيهما كان فإنَّ الأمرَ فيه على خلاف ما صدرتم به المسألة^(٣) .

ولا تنازعَ بين الأعراب - والأعرابُ ناسٌ إثموا وضعوا بيوتهم وأبنيتهم وسطَ السَّباع والأحناش والهمج ، فهم ليس يعبرون إلَّا بها ، وليس يعرفون سواها - وقد أجمعوا على أنَّ الأفعى إذا هرمت فلم تطعم ، ولم يبقَ في فها دم أنَّها تنكر بأنفها ، وتطعن به ، ولا تعضُّ بفيها ، فيبلغ النَّكزُ لها ما كان يبلغُ لها قبلَ ذلك اللَّدغ . وهل عندنا في ذلك إلَّا تكذيبُهم أو الرجوعُ إلى الفاصل الذي أنكرتموه ؛ لأنَّ أحداً لا يموت من تلك النَّخسة ، إن كان ليس هناك أكثر من تلك الغمزة .

وقال العجَّاج ، أوابنه رؤبة :

كنتم كمن أدخلَ في جُحرٍ يداً فأخطأ الأفعى ولآقِ الأسود
ثم قال :

* بالشَّمِّ لا بالسَّمِّ منه أقصدا^(٥) *

وقال الآخر^(٦) :

-
- (١) الزنديل : الفيل الكبير . ماعدا مب : « فيكون طبع ذلك السم كالصل والزنديل » .
(٢) ط ، م : « يحمل » ، وتصويبه من س ، مب .
(٣) ماعدا مب : « فإن الأمر على ما صدرتم به المسألة » .
(٤) نكرت الحية : لسعت بأنفها . ماعدا مب : « لم تطعم ولا يبق » إلخ .
(٥) ط : « بالشَّمِّ إلَّا بالسَّمِّ » ، وتصحيحه من س ، م .
(٦) البيت في الحيوان ٤ : ٢٨٢ . منسوب إلى يحيى بن أبي حفصة ، وانظر .
كذلك الحيوان ٤ : ١٨٣ .

أَصَمَّ مَاشِمٌ مِنْ خَضْرَاءٍ أَيْبَسَهَا أَوْ مَسَّ مِنْ حَجَرٍ أَوْهَاهُ فَانْصَدَعَا
 وَقَدْ حَدَّثَنِي الْأَصْمَعِيُّ بِفَرَقٍ مَا بَيْنَ النَّكَزِ وَغَيْرِهِ عِنْدَ الْأَعْرَابِ (١) .
 وَهَذَا أَمْثَالٌ نَضْرِبُهَا ، وَأُمُورٌ قَدْ عَايَنْتُمُوهَا ، يَذَلُّ بِهَا هَذَا الْمَعْنَى
 عِنْدَكُمْ وَيَسْهُلُ بِهَا الْمَدْخَلُ . قُولُوا لَنَا : مَا بَالُ الْعَجِينِ يَكُونُ فِي أَقْصَى الدَّارِ
 وَيَقْلِقُ إِنْسَانَ بِطَيْخَةٍ (٢) فِي أَدْنَى الدَّارِ ، فَلَا يَفْلَحُ ذَلِكَ الْعَجِينُ أَبَدًا وَلَا يَخْتَمِرُ ؟
 فَمَا ذَلِكَ الْفَاصِلُ (٣) ؟

وَكَيْفَ تَقُولُونَ بِصَدْمٍ كَانَ (٤) ذَلِكَ كَصَدْمِ الْحَجَرِ ، أَوْ بَغْرِبٍ كَبَغْرِبِ
 السَّيْفِ !! وَكَيْفَ لَمْ يَعْزِضْ ذَلِكَ الْفَسَادُ فِي كُلِّ مَعْجُونٍ هُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ
 ذَلِكَ الْعَجِينِ .

وَعَلَى أَنَّ نَكْزَ الْحَيَّةِ الَّتِي يَصِفُهُ (٥) الشُّعْرَاءُ بِأَنَّ الْمُنْكَوَزَ مَيِّتٌ لَا مُحَالَةَ ،
 ٥٠ فِي سَبِيلِ مَا حَدَّثَنِي بِهِ [حَازِقٌ مِنْ (٦)] حَذَاقِ الْأَطْبَاءِ ، أَنَّ رَجُلًا يَضْرِبُ الْحَيَّةَ (٧)
 مِنْ دَوَاهِي الْحَيَّاتِ بَعْصَاهُ فَيَمُوتُ الضَّارِبُ (٨) ؛ لِأَنَّهُمْ يَرُونَ أَنَّ شَيْئًا فَصَلَ
 مِنَ الْحَيَّةِ فَجَرَى فِيهَا حَتَّى دَاخَلَ الضَّارِبَ فَقَتَلَهُ . وَالْأَطْبَاءُ أَيْضًا وَالنَّصَارَى

(١) كَذَا وَالْكَلَامُ نَاقِصٌ . وَانْظُرِ الْخِيَوَانَ ٤ : ١٤٩ .

(٢) ط : « وَيَقْلِقُ إِنْسَانًا بِطَيْخَةٍ » وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س ، وَ مَب . وَقَدْ ذَكَرْتُ مِثْلَ هَذَا
 فِي تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ ٤٣٩ قَالَ : « وَقَدْ يَفْسُدُ الْعَجِينُ إِذَا قُطِعَ فِي الْبَيْتِ
 الَّذِي هُوَ فِيهِ الْبَطِيخُ » .

(٣) مَاعِدَا مَب : « فَمَا ذَلِكَ الْفَاصِلُ » .

(٤) ط : « يَصْدُمُ ذَلِكَ » ، وَأَثْبَتَ مَا فِي س . وَفِي مَب : « انْصَدَمَ كَانَ » .

(٥) مَاعِدَا مَب : « تَصِفُ » .

(٦) التَّكْلَةُ مِنْ مَب .

(٧) مَاعِدَا مَب : « أَنَّ الرَّجُلَ يَصِيبُ الْحَيَّةَ » .

(٨) قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ فِي تَأْوِيلِ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ : « وَقَدْ زَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ رَجُلًا
 ضَرَبَ حَيَّةً بَعْصَاهُ فَاتَ الضَّارِبُ » . فَيُظْهِرُ أَنَّ مُحَدِّثَ الْجَاهِلِ رَوَى لَهُ مَا أَثَرُ
 عَنْ أَرِسْطُو .

أَجْرًا عَلَى دَفْعِ الرَّؤْيَا^(١) والعَيْنِ ، وَهَذِهِ الْغَرَائِبُ الَّتِي تَحْكِي عَنْ الْحَيَّاتِ وَصَرَّعَ الشَّيْطَانِ الْإِنْسَانَ ، مِنْ غَيْرِهِمْ .

فَأَمَّا الدُّهْرِيَّةُ فَفَنَكِرَةٌ لِلشَّيَاطِينِ وَالْجِنِّ وَالْمَلَائِكَةِ وَالرُّؤْيَا وَالرُّقَى ، وَهُمْ يَرُونَ أَنَّ أَمْرَهُمْ لَا يَتِمُّ لَهُمْ إِلَّا بِمُشَارَكَةِ أَصْحَابِ الْجَهَالَاتِ^(٢) .

وَقَدْ نَجَدُ الرَّجُلَ يَنْقِفُ شَحْمَ الْخَنْظَلِ^(٣) ، وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ صَاحِبِهِ مَسَافَةٌ صَالِحَةٌ ، فَيَجِدُ فِي حَلْقِهِ مَرَارَةَ الْخَنْظَلِ ، وَكَذَلِكَ السُّوسُ إِذَا عُولَجَ بِهِ وَبَيْنَهُ وَبَيْنَ الْإِنْسَانِ^(٤) مَسَافَةٌ مُتَوَسِّطَةُ الْبَعْدِ ، يَجِدُ فِي حَلْقِهِ حَلَاوَةَ السُّوسِ . وَنَاقِفُ الْخَنْظَلِ لَا تَزَالُ عَيْنُهُ تَهْمَلُ مَا دَامَ يَنْقِفُهُ ؛ وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ حُمَامٍ ، قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ : وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ^(٥) :

كَأَنِّي غَدَاةَ الْبَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمَرَاتِ الْحَيِّ نَاقِفُ خَنْظَلٍ

يَخْبِرُ عَنْ بَكَائِهِ ، وَيَصِفُ دُرُورَ دَمْعَتِهِ فِي إِثْرِ الْحُمُولِ ، فَشَبَّهَ [نَفْسَهُ]^(٦)

بِنَاقِفِ الْخَنْظَلِ ، [وَقد^(٦)] ذَكَرَهُ امْرَأَةُ الْقَيْسِ فِي قَوْلِهِ^(٧) :

(١) أَىِ الْإِعْتِقَادِ بِصَحَّةِ تَأْوِيلِهَا وَإِنْبَائِهَا عَنِ الْمُسْتَقْبَلِ . وَأَجْرًا ، أَىِ أَجْرًا وَرَسْمًا فِي مَب : « أَجْرَى » وَفِي سَائِرِ النُّسخِ : « أَجْرَاء » .

(٢) مَاعِدَا مَب : « الْجَهَالَتِ » . وَانْظُرْ ١ : ١٠ و ٤ : ٢٨٨ .

(٣) شَحْمُ الْخَنْظَلِ : مَا فِي جَوْفِهِ سِوَى حَبِّهِ ، كَمَا أَنَّ شَحْمَ الرِّمَانِ مَا بَيْنَ حُبُوبِهِ . وَنَقْفُ الْخَنْظَلِ : شَقُّ الْخَنْظَلِ عَنِ الْهَبِيدِ . وَالهَبِيدُ : حَبُّ الْخَنْظَلِ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْإِنْسَانِ » .

(٥) ط : « وَلِذَلِكَ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ » وَفِي س ، م : « وَلِذَلِكَ قَالَ ابْنُ حَذَّامٍ قَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ هُوَ الَّذِي يَقُولُ » . وَأَثْبَتَ مَا فِي مَب .

(٦) لِلتَّكْمِلَةِ مِنْ مَب .

(٧) مَاعِدَا مَب : « فِي شَعْرِهِ » .

عوجاً على الطَّلَلِ القديم لعلَّنا

نَبْكِ الدِّيَارَ كما بكى ابنُ مُهمٍّ (١)

ويزعمون أنه أوَّل مَنْ بكى في الدِّيَارِ (٢) .

وقد نجدُ الرَّجُلَ يقطعُ البصلَ ، أو يُؤخِّفُ الحَرْدَلَ (٣) فتدمع عيناه .

وينظر الإنسان فيديمُ النَّظَرَ في العين المحمرة (٤) فتعترى عينه حمرة .

والعرب تقول : « لهُو أعدى من الثُّوباء ! » ، كما تقول : « لهُو أعدى

من الجَرَب ! » ، وذلك أنَّ مَنْ تناعبَ مراراً ، وهو مُتجاه عينِ إنسان ، اعترى

ذلك الإنسانُ التَّثَاؤِبَ .

ورأيت ناساً من الأطباء وهم فلاسفة المتكلمين ، منهم مَعْمَر ، ومحمد

ابن الجَهْم ، وإبراهيم بن السُّنْدِي ، يكرهون دُنُوَّ الطَّامِثِ (٥) من إناءِ

اللبن لتَسُوطِهِ (٦) أو تعالجَ منه شيئاً ، فكأنَّهم يرون أنَّ لبدِنها مادام ذلك

العرَضُ يعرضُ لها ، رائحةً لها حِدَّةً وبخار غليظ ، يكون لذلك

المَسُوطُ مُفْسِداً .

(١) البيت من قصيدة طويلة لامرئ القيس ، بديوانه شرح الوزير أبي بكر ص ١٦٠

- ١٦٥ . ويروى « لأننا » موضع « لعلنا » . وهما لغتان في معنى واحد . ماعداً

مب : « الخيل لعلنا » ، و « كما بكى ابن خدام » .

(٢) مب : « الدار » .

(٣) ط : « الخروب » ، وتصحيحه من س ، مب . وفي ط ، س : « ويكسر » صوابها في مب

وفي تأويل مختلف الحديث : « . . . وكذلك مؤخف الحردل وقاطع البصل » . أوخفه :

صب عليه الماء وضربه بيده .

(٤) ماعداً مب : « الحمرة » ، صوابه في مب وتأويل مختلف الحديث .

(٥) الطامث : الخائض . وانظر الاستدراكات في آخر هذا الجزء .

(٦) السوط : الخلط والمزج .

(من أثر العين الحاسدة)

ولا تُبْعِدَنَّ هذا من قلبك تباعدا يدْعُوكِ إلى إنكاره ، وإلى تكذيب أهله . فَإِنَّ أُبَيْتَ إِلَّا إنْكَارَ ذلك ، فإِنا نقولُ في فَرَسٍ تَحَصَّنَ تحتَ صاحبه ^(١) ، وهو في وسطِ موكِبِهِ ، وغبارُ الموكِبِ قد حالَ بينَ استبانَةِ بعضهم لبعض ، وليس في الموكِبِ حِجْرٌ ^(٢) ولا رَمْكةٌ ، فإِلتفتُ صاحبُ ٥١ الحِصَانِ فيرى حِجْرًا أو رَمْكةً ، على قَابِ غَرَضٍ أو غَرَضَيْنِ ^(٣) ، أو غَلْوَةٍ أو غَلْوَتَيْنِ ^(٤) . حَدَّثَنِي ، كيفَ شَمَّ هذا الفرسَ رِيحَ تلكِ الفرسِ الأثْنَى ، وما باله يَدْخُلُ دارًا من الدُّورِ ، وفي الدَّارِ الأُخْرَى ^(٥) حِجْرٌ ، فإِتَحَصَّنَ ^(٦) مع دخوله من غيرِ معاينةِ وسماعِ صهيل !!

وهذا البابُ سيقعُ في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقال أبو سعيد عبد الملك بن قُريب ^(٧) : كان عندنا رَجُلَانِ يَمِينَانِ الناسَ ، فَمَرَّ أحدهما بِحَوْضٍ من حِجَارَةٍ ، فقال : تَاللهِ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ قَطُّ ! فتَطَايرَ الحَوْضُ فَلَاقَيْنِ ^(٨) ، فأخذَهُ أَهْلُهُ فَضَبَّيْوهُ ^(٩) بالحديدِ ، فَمَرَّ عَلَيْهِ ثَانِيَةً فقال : وَأَيْبِكَ لَقَلَّمَا أَضْرَرْتُ أَهْلَكَ فَيْكَ ! فتَطَايرَ أَرْبَعٌ فَلَتَقَ .

(١) يريد : بدا عليه ميل الفحول .

(٢) الحجر ، بالكسر : أثنى الخيل . ومثلها « الرَمْكة » . والرَمْكةُ أيضًا : البرذونة . والبراذين من الخيل : ما كان من غيرِ نتاجِ العراب .

(٣) الغرض : قدر رمية السهم إلى الهدف . اللسان (غرض ٦٠) . ماعدا مب : « عرض أو عرضين » ، تحريف .

(٤) الغلوة : قدر ماتصل الرمية بالسهم . (٥) ماعدا مب : « وفي الدار ذكر » .

(٦) أى يبدو عليه ميل الفحول . وفي ط : « يتخصى » وهو تحريف مأثب من س .

(٧) هو الأصمعي .

(٨) ط ، س « فبطل الحوض فرقتين » وفي س : « فنصل الحوض فرقتين » وأثبت ما في مب . والفلق ، بالكسر : الفلقة من الشيء .

(٩) في اللسان : « ضببت الخشب ونحوه : ألْبسته الحديد » . (١٠) ماعدا مب : « فرق » .

قال : وأَمَّا الْآخِر ، فَإِنَّهُ سَمِعَ صَوْتَ بَوْلِ مِنْ وَرَاءِ حَائِطٍ فَقَالَ :
إِنَّكَ لَشَرُّ الشَّخْبِ^(١) ! فَقَالُوا لَهُ : إِنَّهُ فَلَانُ ابْنِكَ ، قَالَ : وَالْانْقِطَاعُ ظَهْرَاهُ !
قَالُوا : إِنَّهُ لَا بَأْسَ عَلَيْهِ^(٢) . قَالَ : لَا يَبُولُ وَاللَّهِ بَعْدَهَا أَبَدًا ! قَالَ : فَمَا بَالُ
حَتَّى مَاتَ .

قال الأصمعيّ : ورأيت أنا رجلاً عَيُونًا فُدْعِيَ عَلَيْهِ فَعَوَّرَ^(٣) ، قَالَ :
إِذَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ يُعْجِبُنِي ، وَجَدْتُ حَرَارَةً تَخْرُجُ مِنْ عَيْنِي .

قال : وسمع [رجلٌ^(٤)] بَقْرَةً تُحْلَبُ فَأَعْجَبَهُ صَوْتُ شَخْبِهَا ، فَقَالَ :
أَيَّتِهِنَّ هَذِهِ ؟ فَخَافُوا عَيْنَهُ فَقَالُوا : الْفَلَانِيَّةُ — لِأُخْرَى وَرَوَّابُهَا عَنْهَا — فَهَلَكْنَا
جَمِيعًا : الْمُرَوِّى بِهَا وَالْمُرَوِّى عَنْهَا .

وقد حَمَلَ^(٥) النَّاسُ كَمَا تَرَى عَلَى الْعَيْنِ مَا لَا يَجُوزُ ، وَمَا لَا يَسُوغُ فِي شَيْءٍ
مِنَ الْمَجَازَاتِ . وَقَوْلُ الَّذِي اعَوَّرَ^(٦) : إِذَا رَأَيْتُ الشَّيْءَ يُعْجِبُنِي وَجَدْتُ حَرَارَةً
تَخْرُجُ مِنْ عَيْنِي ، مِنْ أَعْظَمِ الْحُجَجِ فِي النَّاصِلِ مِنْ صَاحِبِ الْعَيْنِ إِلَى الْمَعِينِ .

(استطراد لغوى)

قال : وَيُقَالُ إِنَّ فُلَانًا لَعَيُونٌ : إِذَا كَانَ يَتَشَوَّفُ لِلنَّاسِ لِيَصِيبَهُمْ
بَعِينٌ . وَيُقَالُ عِنْتُ فُلَانًا أَعَيْنَهُ عَيْنًا : إِذَا أَصْبَتْهُ بَعِينٌ ، وَرَجُلٌ مَعِينٌ
وَمَعِيُونٌ : إِذَا أَصِيبَ بِالْعَيْنِ . وَقَالَ عَبَّاسُ بْنُ مِرْدَاسٍ :
قَدْ كَانَ قَوْمُكَ يَحْسِبُونَكَ سَيِّدًا وَإِخَالُ أَنَّكَ سَيِّدٌ مَعِيُونٌ^(٧)

(١) ماعدا مب : « بول وراء حائط فقال إنه لبن الشخب » .

(٢) ماعدا مب : « عليك » . (٣) ماعدا مب : « يدعى عليه بقود » .

(٤) التكله من مب .

(٥) ماعدا مب : « جعل » . (٦) ماعدا مب : « الذى عان » .

(٧) ماعدا مب « وأخاك » . وانظر الأغاني (٤ : ٨٩) ومعاهد التنخيص (١ : ١٣)

ودرة الغواص ٣٦ وشرحها ٩٣ . والبيت من أبيات رواها أبو الفرج وصاحب معاهد =

ويقال للعيون : إِنَّهُ لَنُفُوسٌ ، وما أنْفَسَهُ ، أى ماأشَدَّ عينه ؛ وقد أصابته

نَفْسٌ أو عين

(دفاع عن الكلب)

وأما قول القائل : إِنَّ من لؤم الكلب وغدره أَنَّ اللصَّ إِذا أراد دارَ أهله أطعمَ الكلبَ الذى يحرسهم قَبْلَ ذلكِ مراراً ليلاً ونهاراً ، ودنا منه ومسح ظهره ، حتى يُثبت صورته ، فإذا أتاه ليلاً أسلمَ إليه الدارَ بما فيها - فإن هذا التأويل لا يكونُ إلَّا من نتيجةِ سوءِ الرأى ؛ فإنَّ سوءِ الرأى يصوِّرُ لأهله الباطلَ فى صورة الحقِّ . وفيه بعضُ الظلمِ للكلبِ وبعضُ المعاندةِ للمحتجِّ عن الكلبِ وقد ثَبَّتَ للكلبِ استحقاقُ المدحِ من ٥٢

= التنصيص ، وقد ذكرنا سبب الشعر فى حديث دخلت فيه الجن والهواتف ! : وهو أن حرب بن أمية جد معاوية لما انصرف من حرب عكاظ هو وإخوته مربا القرية ، وهى إذ ذاك غيضة شجر ملتف لا يرام ، فقال له مرداس والدة العباس : أما ترى هذا الموضع ! قال : بلى فإله ؟ قال : نعم المزدرع هو ، فهل لك فى أن تكون شريكى فيه ونحرق هذه الغيضة ثم نزرعه بعد ذلك ؟ قال : نعم . فأضرم النار فى الغيضة ، فلما استطارت وعلا لها سمع من الغيضة أنين وضجيج كبير ، ثم ظهرت منها حيات بيض تطير حتى قطعنها وخرجت منها . . . ولم يلبث حرب ومرداس أن ماتا : فأما مرداس فدفن بالقرية ، ثم ادعاه بعد ذلك كليب بن أبى عهمة الظفرى ، فقال فى ذلك عباس بن مرداس :

أكليب مالك كل يوم ظالمًا والظلم أنك وجهه ملعون
عجبا لقومك يحسبونك سيداً وإخال أنك سيد معيون
فإذا رجعت إلى نساءك قادهن إن المسالم رأسه مدهون
وأفعل بقومك ما أراد بوائل يوم الغدير سميك المطعون
وإخال أنك سوف تلقى مثلها فى صفحتيك سنانها المسنون
إن القرية قد تبين أمرها إن كان ينفع عندك التبيين
حين انطلقت تخطها لى ظالمًا وأبو يزيد بجوها مدقون

أبو يزيد كنية مرداس . . وللخفافى كلام فى (معيون) فانظروا . ورواه ابن الشجرى فى أماليه ١ : ١١٣ : « معيون » بالغين المعجمة .

حيثُ أَرَادَ أن يهجوَهُ منه ، فإن كان الكلبُ يُفَرِّطُ ^(١) إلفه وشكره كفَّ
عن اللصِّ عندَ ذِكرِ إحسانه ، وإثبات صورته ، فما أَكْثَرَ من يُفَرِّطُ
عليه الحياءُ حتَّى ينسب إلى الضَّعف والكرم وحتَّى ينسب إلى الغفلة .
ورُبَّما شاب الرَّجُلُ بعضَ الفطنة ^(٢) ببعض التَّغافل ، ليكون أتمَّ لسكرمه ؛
فإنَّ الفطنة إذا تَمَّتْ منعت من أمورٍ كثيرة ، ما لم يكن الحليمُ كريماً
والعَرَقُ سليماً .

وإنَّكَ أيُّها المتأوِّل ، حينَ تكلَّفَ الكلبَ - مع ما قد عَجَّلَ إليه
اللسُّ من اللَّطْف والإحسان - أن يتذكَّرَ نعمةً سالفةً ، وأن يحترس من
خديعة المحسن إليه ، مخافة أن يكون يُرْبِغُ ^(٣) بإكرامه سوءاً ^(٤) - لحسنِ
الرأي فيه ، بعيدُ الغاية في تفضيله

ولو كان للكلب آلة يعرف بها عواقب الأمور وحوادث الدهور ،
وكان يوازن بين عواجلها وأوآجلها ، وكان يعرف مصادرها ومواردها ،
ويختار أنقص الشرِّين وأتمَّ الخيرين ، ويتنبَّأ في الأمور ، ويخاف العيب ^(٥)
ويأخذ بحجَّةٍ [ويُعطى بحجَّةٍ ^(٦)] ، ويعرف الحجَّةَ من الشبهة ، والثقة من
الرَّيبة ، ويتنبَّأ في العلَّة ، ويخاف زَيْغ ^(٧) الهوى وسرف الطبيعة - لكان
من كبار المكلفين ، ومن رُءُوس الممتحنين

(١) ما عدا مب : « لفرط إلفه » . (٢) مب : « وربما شيع الرجل بعض الغفلة » تحريف .

(٣) يرِبِّغُ بمعنى (يريد) كما جاءت الرواية في ط . وفي س : « يرِبِّغ » ، وفي م : « بديع »
والصواب فيهما ما أثبت من مب .

(٤) ط ، س ، مب « سوء » ، وتصحيحه من م ، أو لعله جار على الكناية القديمة

(٥) ما عدا مب : « الغيب » .

(٦) التكملة من مب .

(٧) الزينغ : الميل . وفي ط : « زينغ » ، ولا وجه له ، والصواب من س ، مب .

(اختيار الأشياء والموازنة بينها ، لدى العارفين العاقلين)

والعادة القائمة ، والنسق الذى لا يتخطى ^(١) ولا يغادر ، [و ^(٢)] النظام الذى لا ينقطع ولا يختلط ، فى ذوى التمكن والاستطاعة ، وفى ذوى العقول والمعرفة ، أنَّ أبدانهم متى أحسَّت بأصناف المكروه والمحبوب ، وازنوا وقابلوا ، وعايروا ^(٣) وميزوا بين أتمَّ الخيرين وأنقص الشرين ، ووصلوا كلَّ مضرّة ومنفعة فى العاجل [بكلِّ مضرّة ومنفعة فى] ^(٤) الآجل ^(٥) وتبعوا مواقعها ، وتدبروا ساقطها ، كما يتعرفون مقاديرها وأوزانها ^(٦) ، واختاروا بعد ذلك أتمَّ الخيرين وأنقص الشرين . فأما الشر صرفاً والخير محضاً فإنَّهم لا يتوقفون عندهما ، ولا يتكلفون الموازنة بينهما ، وإنَّما ينظرون فى الممزوج ^(٧) وفى بعض ما يخشى فى معارضته ، ولا يوثق بمعرّاه ومُكشِّفه ^(٨) ، فيحملونه ^(٩) على خلاص الدّهن ، كما يحمل الذهب على السكير .

(١) ماعدا مب : « والسن » . و « يتخطى » هى فى الأصل « يتخطى » محرفة . ويتخطى - ومثله يتخطى - : يتجاوز .

(٢) التكلّة من مب .

(٣) عايروا ، أى وازنوا . والكلمة ساقطة من س ، مب . وفى ط : « غيروا » .

(٤) التكلّة من مب .

(٥) ماعدا مب : « والآجل » .

(٦) ماعدا مب : « كيما يعرفوا أوزانها » .

(٧) ماعدا مب : « وإنَّما ينتظرون فى المكروه » .

(٨) ط : « بعراه ومكشِّفه » س : « بمغزاه ومكشِّفه » ، والوجه ما أثبت من مب .

(٩) إلى هذه الكلمة ينتهى ما وجد من نصوص الحيوان فى نسخة الأهرورزيانا .

وأما ذوات الطَّبَائِعِ المسخَّرة والغريزة المحبولة^(١) فإنما^(٢) تعمل من جهة التسخير والتنبيه ، كالسم الذي يقتل بالكميَّة ولا يغذو ، وكالغذاء الذي يغذو ويقتل بالمجاوِزة لمقدار^(٣) الاحتمال .

وإن هياً الله عزَّ وجلَّ أصنافَ الحيوان المسخَّرة لدرك مالا تبلغه العقولُ اللطيفة ، بلغته بغير معاناةٍ ولا رويَّة ولا توقُّف ، ولا خوفٍ من عاقبة .

ومتى تقدَّمتْ [إلى الأمور التي يعالجها]^(٤) أهلُ العقولِ المبسوطه ،
التمكَّنة بطبائعها ، المقصورة غير المبسوطه ، لم يمكنها أن تعرفَ من تلك الطبيعة ما كان موازياً لتلك الأمور ببديةٍ ولا فكرة . وإذا كانت كذلك فليس بواجب أن تكون كلُّما أحسنتُ أمراً أمكنها أن تُحسنَ ما كان في وزنه في الغموض والإلطاف ، وفي الصَّنعة التي لا تمكِّنُ ، إلَّا بحسن التأتَّى ويبُعد الرويَّة ، وبمقابلة الأمورِ بَعْضُهَا بَعْض . وهذا الفنُّ لا يُصابُ إلَّا عند من جهته العقل ، ويمكنه الاستدلالُ ، والكفُّ عنه والقطعُ له إذا شاء ، وإتمامه^(٥) إذا شاء ، وبلوغُ غايته ، والانصرافُ عنه إلى عَقِيهِ من الأفعال ؛ ومَنْ جهتهُ تعرُّفُ العالِ ، ويمكنه إكراه نفسه على المقاييس والتكليف والتأتَّى^(٦) .

(١) ط : « المحبولة ، وتصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « إنما »

(٣) في الأصل : « بمقدار » .

(٤) ليست بالأصل ، والقول في حاجة إلى مثلها . والكلام في ذوات الطبائع المسخَّرة .

(٥) في الأصل : « وبإتمامه » .

(٦) في الأصل : « التأتَّى » بالنون ، في هذا الموضع وسابقه .

ومتى كانت الآلة موجودةً فإنَّها تُنْيِكُ^(١) على مكانها ، وإلاَّ كان وجودها كعدمها . وبالحسَّ^(٢) الغريزيَّ تُشعرُ صاحبها بمكانها ، لا يحتاج في ذلك إلى تلقينٍ وإشارة ، وإلى تعلُّمٍ وتأديب ، وإن كان صاحبُ الآلة أحمقَ من الحبارى ، وأجهلَ من العقرب .

(الإلهام في الحيوان)

والعاقِلُ الممكنُ لا يفضِّلُ في هذا المكان على الأشياءِ المسخَّرة ، ولا ينفصلُ منها في هذا الباب . وليس عند البهائم والسباع إلاَّ ما صنعت له ، ونُصبت عليه ، وألهمت معرفته وكيفية تكلفِ أسبابها والتعلُّمُ لها من تلقاء أنفسها . فإذا أحسنَ العنكبوتُ نسجَ ثوبيه^(٣) وهو من أعجب العجب ، لم يحسنَ عملَ بيت الزنبور . وإذا صنع النحلُ خلاياه مع عجب القِسْمة التي فيها ، لم يحسنَ أن يعملَ مثلَ بيتِ العنكبوت . والسرُّفة - التي يقال : « أصنعُ من سرُّفة » لا يُحسِنُ أن تبنى^(٤) مثلَ بيتِ الأرَضَةِ ، على جفاء هذا العملِ وغِلْظِهِ ، ودقَّةِ ذلك العملِ ولطافته .

وليسَ كذلك العاقلُ وصاحبُ التمييز ، ومَن ملكَ التصرُّفَ ، وخوَّل^(٥) الاستطاعة ؛ لأنَّه يكونَ ليسَ ينجَّارٍ فيتعلمُ النُّجارة ، [ثمَّ

(١) لعلها « تنبيك » .

(٢) ط ، م : « بأحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) الثوى : البيت . وفي الأصل : « ثوبه » وهو تصحيف .

(٤) في الأصل : « لا يحسن أن يبنى » .

(٥) خوله الشيء : ملكه إياه وأعطاه . في ط : « حول » بالخاء ، وتصحيحه من س .

يبدو له ^(١) [بعدَ الحَذَقِ الانتقالُ إلى الفِلاحَةِ ، ثمَّ ربَّما ملَّها بعد أن حَذَقَها ، وصار إلى التجارة .

(أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةِ)

وقال صاحب الكلب : وزعمتَ أَنَّ قولهم « أَسْمَحُ مِنْ لَافِظَةِ » أَنَّ اللافظة الدَّيْكَ ، لَأَنَّهُ يَعْصُ على الحَبَّةِ بِطَرَفِ مَنْقَارِهِ ، ثُمَّ يَحْذِفُ بِهَا قُدَّامَ الدَّجَاجَةِ . وما رأينا أحداً من العلماءِ وَمِنَ الَّذِينَ رَوَوْا هَذَا الْمَثَلَ يَقُولُ ذَلِكَ . وَالنَّاسُ فِي هَذَا الْمَثَلِ رَجُلَانِ : زَعَمَ أَحَدُهُمَا أَنَّ اللافظة العِزُّ ؛ لِأَنَّ الْعِزَّ تَرَعَى فِي رَوْضَةٍ وَتَأْكُلُ مِنْ مَعْلَفِهَا وَهِيَ جَائِعَةٌ ، فَيَدْعُوها الرَّاعِي وَصَاحِبُهَا بِاسْمِهَا إِلَى الْحَلَبِ ، فَتَتْرَكَ مَا هِيَ فِيهِ حَتَّى تُنْهَكَ حَلْبًا . وَقَالَ الْآخَرُ : ٥٤ اللافظة الرَّحَى ، لِأَنَّهَا لَا تَمْسُكُ فِي جَوْفِهَا شَيْئاً مِمَّا صَارَ فِي بَطْنِهَا .

وكيف تكون اللافظة الديك ! وليس لنا أن نلحق في هذه الكلمة تاء التانيث في الأسماء المذكرة ^(٢) . واللافظة مع هاء التانيث أشبه بالعز والرَّحَى ^(٣) ، وإِنَّمَا سَمَّيْنَا الْجَمَلَ رَاوِيَةً ، وَحَامِلَ الْعِلْمِ رَاوِيَةً ، وَعِلَامَةً ، حِينَ احْتِجَّ أَهْلُ اللُّغَةِ عَلَى ذَلِكَ وَلَمْ يَخْتَلَفُوا فِيهِ ^(٤) ، وَكَيْفَ وَلَا اخْتِلَافَ

(١) الزيادة من س ، وبهذه في ط : « وله » .

(٢) كذا . ولعل وجه الكلام : « تاء التانيث وهي لاتلحق في الأسماء المذكرة » .

(٣) أى هذا اللفظ أليق بهما .

(٤) ط : « ولا يختلفوا فيه » ، والصواب في س .

بينهم أن الديك خارجٌ من هذا التأويل ، وإنَّ اختلافهم بين العنزِ والرَّحى (١)

وبعد فقد زعم ثُمّامة بن أشرس (٢) رحمه الله تعالى : أنَّ دِيكَةَ مَرَوْ تطرُد الدَّجَاجَ عن الحبِّ (٣) ، وتنزع الحبَّ من أفواه الدَّجَاج .

وقال صاحب الديك : قولهم : « أَسْمَحُ من لافظة » ، لا يليق بالرَّحى ، لأنَّ الرَّحَى صَخْرَةٌ صَمَاءٌ ، والذي يُنْجِز ما في بطنها المُدِير (٤) لها ، والعربُ إنما تمدح بهذه الأسماء الإنسانَ وما جَرَى مجراه في الوجوه الكثيرة ، ليكون ذلك مَشْحَذَةً لِلأَذْهَانِ ، وداعيةً إلى السَّبَاقِ وبلوغ الغايات .

وأما ترك الشاة للعلف فليس بلفظٍ للعلف ، إلاَّ أن يحملوا ذلك على المحازات البعيدة ، وقد يكون ذلك عند بعض الضرورة . والشاة ترضع من خليفها حتَّى تأتَّى على أقصى لبن في ضرعها ، وتنثر العلف ، وتقلبُ

(١) أى في تسمية إحداهما لافظة . في المزهري للسيوطي ١ : ٢٩٧ نقلا عن أمال القائل « يقال أجرد من لافظة ، أى البحر » . ومثله في أمثال الميداني ١ : ٣٢٢ ، وفيها أيضاً « وقال بعضهم : هى الخمامة ، لأنها تخرج ما في بطنها لفرخها » .

(٢) ثُمّامة بن أشرس أحد المعتزلة البصريين ، ورد بغداد واتصل بهارون وغيره من الخلفاء ، وله أخبار ونوادير يحكيها عنه أبو عثمان الجاحظ وغير واحد . تاريخ بغداد ٧ : ١٤٥ . وقال الجاحظ في شأنه : « وما علمت أنه كان في زمانه قروى ولا بلدى ، كان قد بلغ من حسن الإفهام مع قلة عدد الحروف ، ولا من سهولة الخرج مع السلامة من التكلف ما كان بلغه . وكان لفظه في وزن إشارته ، ومعناه في طبقة لفظه ، ولم يكن لفظه إلى سمعك ، بأسرع من معناه إلى قلبك » البيهقي ١ : ١١١ . « قال رجل لثُمّامة : إن لى إليك حاجة ، قال ثُمّامة : ولى إليك حاجة . قال : وما هى ؟ قال : لا أذكرها حتَّى تتضمن قضاءها . قال : قد فعلت . قال : حاجتى ألا تسألنى هذه الحاجة ؟ ! قال : رجعت عما أعطيتك ! قال ثُمّامة : لكفى لا أرد ما أخذت !! » . عيون الأخبار ٣ : ١٣٧ .

(٣) انظر معجم البلدان (مرو) .

(٤) ط : « المدبر » وصوابه من س .

المُحَلَّبُ^(١) ، وتنطَح من قام عليها وأُناها بغذاؤها . وهى من أُمُوق
البهائم^(٢) ، وزوجُها شَتيمُ الحَيَّا ، منتِنُ الرِّيح ، يبُولُ فى جوفِ فيه
وفى حاق^(٣) خياشيمه

وتقول العرب : « ما هُوَ إِلَّا تَيْسٌ فى سَفِينَةٍ^(٤) » ، إذا أرادوا به الغَبَاوَة
و « ما هُوَ إِلَّا تَيْس » ، إذا أرادوا بِهِ نَتْنُ الرِّيح .
والعِزُّ خَرَقَاءُ ، وأبوها وهو التَّيْسُ أُخْرَقُ منها .
وأمرُ الدَّيِّكِ وشأنه ، وكيف^(٥) يلفِظُ ما قَدَّ صَارَ فى منقاره ، وكيف
يؤثِّرُ به طُرُوقته مِن ذَاتِ نَفْسِهِ - شَيْءٌ يراهُ النَّاسُ ، ويراهُ جَمِيعُ العباد .
وهذه المسكرمة ، وهذا الغَزَلُ^(٦) ، وهذا الإِشار ، شَيْءٌ يراهُ النَّاسُ
لم يكنْ فى ذَكَرٍ قَطُّ مِّنْ يَزَاجٍ إِلَّا الدَّيِّكُ ، والدَّيِّكُ أَحَقُّ بهذا المثل . فَإِنْ
كُنْتُمْ قَدْ صَدَقْتُمْ على العرب فى تأويل هذا المثل^(٧) فهذا غلطٌ من العرب
وعصبيَّةٌ لِلْبَنِّ ، وعشقٌ للدَّقِيقِ^(٨) .

والمثلُ إِنَّمَا يلفِظُ به رَجُلٌ من الأعراب ، وليس الأعرابيُّ بِقُدُوةٍ

-
- (١) المُحَلَّبُ والحلاب ، بكسرهما : إناء يحلب فيه .
(٢) من أُمُوقها : من أحققها .
(٣) حاق الشيء : وسطه . وفى الأصل : « حلق » ، ولا وجه له .
(٤) قال أبو الشَّيْمَقِ فى هجاء بشار (انظر الخبر فى الأغاني ٣ : ٤٦ ، ٦٩ ونكت
الهميان ١٢٦) :
هللينه هللينه طعن قثاة لئينه
إن بشار بن برد تيس أعمى فى سفينه

- (٥) ط : « كيف » ، وزيادة الواو من س .
(٦) ط : « التمزل » ، وتصحيحه من س .
(٧) أى إن كانت روايتكم عن العرب صادقة .
(٨) ط : « عشق للدقيق » ، وأثبت ما فى س فهو أشبه بالكلام .

إِلَّا فِي الْجُرِّ وَالنَّصَبِ وَالرَّفْعِ وَفِي الْأَسْمَاءِ ^(١) ، وَأَمَّا غَيْرُ ذَلِكَ فَقَدْ يَخْطِئُ فِيهِ وَيَصِيبُ . فَالَّذِيكَ أَحَقُّ بِهَذَا الْمَثَلِ الَّذِي ذَكَرْنَا ، وَسَائِرِ خِصَالِهِ الشَّرِيفَةِ .

وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى أَنَّ هَذَا الْفِعْلَ فِي الذِّيكِ ، لِأَنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ الْغَزْلِ لَا غَيْرَ ، أَنَّهُ ^(٢) لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا هَرِمَ وَعَجَزَ عَنِ السَّفَادِ ، وَانْصَرَفَتْ رَغْبَتُهُ عَنْهُمْ . وَهُوَ فِي أَيَّامِ شَبَابِهِ أَنَّهُمْ وَأَحْرَصُ عَلَى الْمَأْكُولِ ، وَأَضْنُ عَلَى الْحَبِّ ؛ فَالَهُ لَمْ يُؤْثِرْهُمْ بِهِ عِنْدَ زَهْدِهِ ، وَيُؤْثِرُهُمْ عِنْدَ رَغْبَتِهِ ؟ ! وَمَا بِالَهُ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ وَهُوَ فَرُوجٌ صَغِيرٌ ، وَصَنَعَ ذَلِكَ حِينَ أَطَاقَ السَّفَادَ ؟ ! فَتَرَكَهُ لِذَلِكَ فِي الْعِجْزِ عَنْهُمْ ، وَبَذَلَهُ فِي أَوْقَاتِ الْقُوَّةِ عَلَيْهِمْ ^(٣) دَلِيلَ عَلَى الَّذِي قُلْنَا ^(٤) . وَهَذَا بَيِّنٌ لَا يَرُدُّهُ إِلَّا جَاهِلٌ أَوْ مُعَانِدٌ .

(دِفَاعٌ عَنِ الْكَلْبِ)

وَقَالَ صَاحِبُ الْكَلْبِ : لَسْنَا نُنْكِرُ خِصَالَ الذِّيكِ وَمُنَاقِبَهُ مِنْ الْأَخْبَارِ الْمَحْمُودَةِ ، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا مِثَّلْنَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلْبِ ^(٥) . وَمَنْ يَمِيلُ بَيْنَ الْعَسَلِ وَالْخَلِّ فِي وَجْهِ الْحَلَاوَةِ وَالْحَمُوضَةِ ؟ ! وَكَيْفَ يَفْضَلُ شَيْءٌ عَلَى شَيْءٍ وَلَيْسَ فِي الْمَفْضُولِ شَيْءٌ مِنَ الْفَضْلِ ؟ ! وَالَّذِي قُلْتُمْ مِنْ قَذْفِهِ «الْحَبِّ» قَدَّامَ الدَّجَاجِ صَحِيحٌ ، وَلَيْسَ هَذَا الَّذِي أَنْكَرْنَا ، وَلِأَنَّمَا أَنْكَرْنَا

(١) المراد بالأسماء هنا الكلمات .

(٢) ط : « وَأَنَّهُ » ، وَالْوَجْهَ حَذْفُ الْوَاوِ كَمَا فِي س .

(٣) ط : « فِي الْأَوْقَاتِ الْقَوِيَّةِ عَلَيْهِمْ » ، وَالصَّوَابُ مَا أَثْبَتَ مِنْ س .

(٤) ط : « ذَلِكَ قُلْنَا » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ مَا فِي س .

(٥) يُقَالُ مِيلَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ تَمِيلًا : رَجَحَ وَوَاظَنَ . وَفِي الْأَصْلِ : « مَا مِثْلُنَا » وَبَعْدَهُ : « وَمَنْ يَمِيلُ » ، وَالْوَجْهَ مَا أَثْبَتَ . الْلسَانُ (مِيلٌ ١٦٠) .

موضع المثل الذى صرفتموه إلى حجّتكم^(١) ، وتركتم [الذين] ما زال الناس يقلّدونهم [فى] الشاهد والمثل^(٢) . وإن جاز لكم أن تردّوا عليهم هذا المثل جاز لكلّ من كره مثلاً أو شاهداً أن يردّ عليهم كما ردّدتم ؛ وفى ذلك إفسادُ أمرِ العربِ كله .

فإن زعمت أن الديك ، كان أحقّ به ، فخصومك كثير ولسنا نخط بأوائل كلامهم ، على أىّ مقادير كانوا يضعونها ، ومن أىّ شيء اشتقوها ، وكيف كان السبب . ورُبّ شيء أنكرناه فإذا عرفنا سببه أقررنا به وقال أبو الحسن : مرّ إياس بن معاوية بديك ينقرّ حبّاً ولا يفرقه ، فقال : يَنْبَغِي أن يكون [هذا]^(٣) هرماً ؛ فإنّ الهرم^(٤) إذا أُلقي له الحبُّ لم يفرقه ليجتمع الدجاجُ حوله . والهرم قد فَنِيَتْ رَغْبَتُهُ فَيَهِنُ ، فليس هُمُ إِلَّا نَفْسُهُ

ورروا عنه أنّه قال : اللافظة الديك الشابُّ ، وإنّه يأخذ الحبة يؤثّر بها الدجاجُ ، والهرم لا يفعل ذلك ، وإنّما هو لافظةٌ مادام شابّاً . وقال صاحب الكلب : وذكر ابن سيرين عن أبي هريرة : « أن كلباً مرّ بامرأة وهو يلهثُ عند بئر ، فنزعتُ خُفّها فسقته ، فغفر الله تعالى لها » .

وعنه قال : « غفر الله لبغىٍّ أو لمؤمنة مرّ بها كلبٌ فنزعت خُفّها فسقته » .

(١) فى الأصل : « محبّتكم » .

(٢) فى الأصل : « وتركتم ما زال الناس يقلّدونهم الشاهد والمثل » .

(٣) الزيادة من س .

(٤) ط : « وإن الهرم » .

وقال صاحب الكلب : وقال ابن داحة^(١) : ضرب ناسٌ من السُّلطاء^(٢) جارا لهم ، ولبَّبوه وسحبوه وجرُّوه ، وله كلبٌ قد ربَّاه ، فلم يزل ينبَحُ عليهم ويشقُّ ثيابهم ، ولولا أنَّ المضروبَ المسحوبَ كان يكفُّه ويزجره ، لقد كان عقرَ بعضهم أو منعه منهم .

قال إبراهيمُ النَّظَّامُ : قدَّمتم السُّنَّورَ على الكلبِ ، ورويتم أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم أمرَ بقتل الكلابِ واستحياء السنانيرِ وتقريبها وتربيتها ، كقوله عند مسأله عنها : « إِنَّمَنْ مِنَ الطَّوَّافَاتِ عَلَيْكُمْ » . وكلُّ^{٥٦} منفعةٍ عند السُّنَّورِ إِنَّمَا هِيَ أَكْلُ الْفَأْرِ فَقَطْ ، وعلى أَنَّكُمْ قَلَمًا تَجِدُونَ سُنَّورًا يَطْلُبُ الْفَأْرَ ، فَإِنْ كَانَ مِمَّا يَطْلُبُ وَيَأْكُلُ الْفَأْرَ ، لم يعدمكم^(٣) أن يأكلَ حَمَامَكُمْ وفِرَاحَكُمْ والعَصَافِيرَ الَّتِي يَتَلَهَّى بِهَا أَوْلَادُكُمْ ، وَالطَّائِرَ يَتَّخِذُ لِحُسْنِهِ وَحُسْنِ صَوْتِهِ . والذي لَا بُدَّ مِنْهُ الْوُثُوبُ عَلَى صِغَارِ الْفَرَارِيجِ . فَإِنْ هُوَ عَفَّ عَنِ أُمُورِكُمْ لم يَعِفَّ عَنِ أُمُورِ جِيرَانِكُمْ . ومنافع الكلب لا يحصيها الطَّوَامِيرُ^(٤) . والسُّنَّورُ مع ذلك يأكل الأوزاغ والعقارب ، والخنافس^(٥) ، وبناتِ وَرْدَانَ^(٦) ، والحيات ، ودخالاتِ الْآذَانِ^(٧) وَالْفَأْرَ وَالْجُرْذَانَ ، وكلَّ خبيثةٍ وكلَّ ذاتِ سَمٍّ ، وكلَّ شَيْءٍ

(١) ط : « راحة » ، وأثبت ما في س . وانظر ما سبق في ص ٨٢ .

(٢) السُّلطاء : جمع سُلَيط ، وهو الصَّخَابُ الْبَيْدِيُّ السَّانِ . وفي الْأَصْلِ : « السُّلْطَان » ! .

(٣) ط : « ولم » ، والصواب من س .

(٤) الطَّوَامِيرُ : جمع طَوَامِرٍ بِالضَّمِّ ، وهو الصَّحِيفَةُ .

(٥) هو جمع خَنْفَسٍ بِضَمِّ الْخَاءِ وَفَتْحِ الْفَاءِ أَوْ كَسْرِهَا ، أَوْ جَمْعُ خَنْفَسَةٍ بِضَمِّ الْخَاءِ وَالْفَاءِ ،

أَوْ ضَمُّ الْخَاءِ وَفَتْحِ الْفَاءِ . وزيادة الْيَاءِ فِي هَذَا الْجَمْعِ مَذْهَبُ الْكُوفِيِّينَ . انظر مع الهوامع

(٢ : ١٨٢) . وَأَمَّا الْخَنْفَسَاءُ فَجَمْعُهَا خَنْفَسَاوَاتُ .

(٦) ضرب من الحشرات الَّتِي تَأْكُلُ الْحَشُوشَ ، وَمِنْ أَنْوَاعِ « الصَّرَاصِيرِ » .

(٧) دَخَالُ الْآذَانِ : دَوِيَّةٌ ذَاتُ قَوَائِمٍ كَثِيرَةٍ ، يَسْمِيهَا الْعَامَّةُ فِي مِصْرَ « أُمَ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ » .

انظر معجم المعلوف ٥٤ والحيوان ٦ : ٥٤ .

تغافه النفس . ثم قلم في سؤر السُّنُور وسؤر الكلب ما قلم . ثم لم يرضوا به حتى أضفتموه إلى نبيكم صلى الله عليه وسلم (١) !!

(أطيب الحيوان أفواها)

ولا يشكُّ الناس أن ليس في السباع أطيَّبُ أفواهاً من الكلاب ، وكذلك كلُّ إنسانٍ سائلٍ الرقيق سائلٍ اللعاب . والخُلُوف (٢) لا يعرض للمجانين الذين تسيلُ أفواههم . ومن كان لا يعتريه الخُلُوف فهو من البخر أبعد . وكما أن طولَ انطباقِ الفم يُورث الخُلُوف ، فكثرةُ تحلُّبِ الأفواه بالريق تنفخ الخُلُوف . وحتى إن من سال فوه من اللعاب فإنما قضوا له بالسلامة من فيه ، وإن استنكهوه مع أشباهه وجدَّوه طيباً ، وإن كان لا يقربُ سواكاً (٣) على الرقيق . وكذلك يقال ، إن أطيَّبَ الناسُ أفواهاً الزنج ، وإن كانت لا تعرفُ سنوناً ولا سواكاً (٤) .

على أن الكلبَ سبُع ، وسباعُ الطيرِ وذواتِ الأربعِ موصوفةٌ بالبخر ، والذي يضربُ به في ذلك المثلَّ الأسدُ ، وقد ذكره الحكم (٥) بن عبدل في هجائه محمد بن حسان فقال :

(١) بعد هذا في الأصل عبارة دخيلة على الكتاب ، وهي : « ولا رحم الله إبراهيم النظام ولا من قال بقوله » ، وهي من زيادة الناسخين . ولعل الذي ألجأ الناسخ إلى ذلك ما يوهمه ظاهر العبارة السابقة وهي : « حتى أضفتموه إلى نبيكم » .

(٢) الخُلُوف ، بالضم : تغير رائحة الفم .

(٣) ط . « سواء كان » ، وتصحيحه من س .

(٤) السنون : ما يسعالك به من دواء مؤلف لتقوية الأسنان . وفي ط : « لا تعرف سنوها » .

سواكاً » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(٥) في الأصل : « محمد » ، والصواب ما أثبت . والحكم ترجمة منسوبة في الأغاني :

(٢ : ١٤٤ - ١٥٣) .

فَكَهَتْهُ كَنَكْهَةً أَخْدَرِيٌّ شَتِمَ شَابِكِ الْأَنْيَابِ وَرَدَ^(١)

وقال بشار :

وَأَفْسَى مِنَ الظُّرْبَانِ فِي لَبْلَةِ الْكَرَى

وَأَخْلَفُ مِنْ صَقْرٍ وَإِنْ كَانَ قَدْ طَعِمَ

يهجو بها حمادَ عَجْرَدَ .

ويقال : ليس في البهائم أطيبُ أفواهاً من الأطباء .

(رضيعٌ مُلْهَمٌ)

وزعم علماء البصريين ، وذكر أبو عبيدة النحوي ، وأبو اليقظان

سُحَيْمُ بْنُ حَفْصٍ^(٢) ، وأبو الحسن المدائني ، وذكر ذلك عن مُحَمَّدِ بْنِ حَفْصٍ ٥٧

عَنْ مَسْلَمَةَ بْنِ مَحَارِبٍ ، وَهُوَ حَدِيثٌ مَشْهُورٌ فِي مَشِيخَةِ أَصْحَابِنَا مِنْ

الْبَصْرِيِّينَ ، أَنَّ طَاعُونًا جَارِفًا جَاءَ عَلَى أَهْلِ دَارٍ ، فَلَمْ يَشْكْ أَهْلُ تِلْكَ

الْمَحَلَّةِ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِيهَا صَغِيرٌ وَلَا كَبِيرٌ ، وَقَدْ كَانَ فِيهَا صَبِيٌّ يَرْضَعُ ، وَيَجْبُو

وَلَا يَقُومُ عَلَى رِجْلَيْهِ ، فَعَمِدَ مَنْ بَقِيَ مِنَ الْمُطْعُونِينَ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْمَحَلَّةِ إِلَى

بَابِ تِلْكَ الدَّارِ فَسَدَّهُ ، فَلَمَّا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِأَشْهُرٍ تَحَوَّلَ فِيهَا بَعْضُ وَرَثَةِ

الْقَوْمِ ، فَفَتَحَ الْبَابَ ، فَلَمَّا أَفْضَى إِلَى عَرَصَةِ الدَّارِ إِذَا هُوَ بِصَبِيٍّ يَلْعَبُ مَعَ

(١) يقول : رائحة فيه تشبه رائحة فم الأسد الفظيع المنظر ، المشتبك الأنياب ، الجريء

وانظر قصيدة ابن عبدل في الحيوان (١ : ٢٥٠ - ٢٥٣) . وخبرها في الأغاني

(٢ : ١٤٨) .

(٢) تقدمت ترجمته ص ١٠ من هذا الجزء من الحيوان .

أجراء كلبية ، وقد كانت لأهل الدار ، فراعته ذلك ، فلم يلبث أن أقبلت كلبية كانت لأهل الدار ، فلما رآها الصبي حباً إليها ، فأمكنته من أطباها فصّها ، فظنوا أن الصبي لما بقي في الدار وصار منسياً واشتدّ جوعه ، ورأى أجراءها تستقي من أطباها ، حباً إليها فعطفت عليه ، فلما سقته مرةً أدامت ذلك له ، وأدام هو الطلب .

والذي ألهم هذا المولود مصّ إبهامه ساعةً يُولّد من بطن أمّه ، ولم يعرف كيفية الارتضاع ، هو الذي هداه إلى الارتضاع من أطباء الكلبة . [وَلَوْ]^(١) لم تكن الهداية شيئاً مجعولاً في طبيعته ، لما مصّ الإبهام وحلمة الثدي ، فلما أفرط عليه الجوع واشتدّت حاله ، وطلبت نفسه وتلك الطبيعة فيه ، دعته تلك الطبيعة وتلك المعرفة إلى الطلب والدنو . فسبحان من دبّر هذا وألهمه وسوّاه ودلّ عليه !!

(إلهام الحمام)

ومثل هذا الحديث ماخبر به عن بابويه صاحب الحمام . ولو سمعت بقصصه في كتاب اللصوص ، علمت أنه بعيد من الكذب والزُيد . وقد رأيته وجالسته ولم أسمع هذا الحديث منه ، ولكن حدثني به شيخ من مشايخ البصرة ، ومن النُزول بحضرة مسجد محمد بن رغبان^(٢) . وقال بابويه : كان عندى زوج حمام مقصوص ، وزوج حمام طيار ،

(١) ليست بالأصل .

(٢) في الأصل : « زغبان » ، بالزاي . وتصحيحه من الحيوان (١ : ١٢٣) وانظر التحقيق هناك . وكلمة « محمد » ليست في س .

وفرخان من فراخ الزوج الطيار . قال : وكان في الغرفة ثقبٌ في أعلاها وقد كنتُ جعلتُ قُدَّامَ الكَوَّةِ^(١) رفًّا ليكونَ مَسْقَطًا لما يدخلُ ويخرج من الحمام ، فتقدَّمتُ في ذلك مخافةً أن يعرضَ لي عارضٌ فلا يكونَ للطَّيَّار منفذٌ للتكسُّب ولورود الماء . فبينما أنا كذلك إذ جاءني رسولُ السلطان ، فوضعتُ في الحبس ، فنسيت قدرَ الزوج الطيَّار والفرخين ، وما لهما من الثمن ، وما فيهما من الكرم ، ومُتُّ من رَحمةِ الزَّوجِ المقصوص ، وشغلني الاهتمامُ بهما^(٢) عن كثير ممَّا أنا فيه ، فقلت : أمَّا الزَّوجُ الطيَّارُ فإِنَّهُمَا يَخْرُجَانِ وَيَرْجِعَانِ وَيَزُقَّانِ ، ولعلَّهما أن يَسْلَمَا ولعلَّهما أن يذهبا — ٥٨ — وقد كنتُ ربيتهما حتى تحصَّنا وورَدَا^(٣) — فإذا شبَّ الفرخان ونهضا مع أبويهما ، وسقطا على المعلاة ، فإمَّا أن يثبَّتا وإمَّا أن يذهبا . ولكن كيفَ يكونُ حالُ المقصوصينِ ، ومَنْ أسوأ حالاً منهما ؟ ! فخلَّي سَبِيلَ بَعْدَ شهر ، فلم يكن لي همٌّ إلَّا النَّظَرُ إلى ماخلفت خَلَقِي من الحمام ، وإذا الفرخان قد ثبَّتا وإذا الزَّوْجَانِ قد ثبَّتا ، وإذا الزَّوْجَانِ الطيَّارَانِ ثبَّتا على حالهما ، إلَّا أنَّي رأيتهما زاققين ، إذ علامةُ ذلك في موضعِ الغَبَبِ ، وفي القِرْطِمَتَيْنِ^(٤) ، وفي أصولِ المذاكيرِ ، وفي عيونهما ، فقلت : فكيف يكونان زاققين مع استغناء فرخيهما عنهما ؟ ! ولا أشكُّ في موتِ المقصوصين . ثم دخلتُ الغرفة فإذاهما على

(١) الكوة : الخرق في الحائط ، والنقب في البيت .

(٢) في الأصل : « بها » .

(٣) هي من وردت الشجرة : إذا خرج نورها . فالمنى اكتملا نموا .

(٤) قرطمتا الحمام : نفطتان على أصل منقاره ، أى أعلى منقاره .

أفضل حال ، فاشتدَّ تعجُّبِي من ذلك ، فلم ألبثُ أن دَنَوَا إلى أفواه
الزَّوجِ الكِبَارِ يصنعان كما يصنع الفرخ في طلب الزَّقِّ ، ورأيتُهما حين
زَقَّاهما ، فإذا هما لما اشتدَّ جوعُهُما ، وكانا يريانها يزقان الفرخين ويريان
الفرخين كيف يستطعمان ويستزقان ، حملهُما الجوعُ وحبُّ العيش ، وتلهَّبُ
العطش ، وما في طبعهما من الهداية ، على أن طلبا ما يطلَبُ الفرخُ ، فزَقَّاهما
ثم صار الزَّقُّ عادةً في الطيَّار ، والاستطعامُ عادةً في المقصوص .

(من عجائب الحمام)

ومن الحمام حمامٌ يزُقُّ فراخه ولا يزُقُّ شيئاً من فراخ غيره ، وإن دنا
منه مع [فراخه فرخٌ من^(١)] فراخ غيره ، وشا كلَّ فرخيه في السنِّ
واللون طردهما ولم يزقَّهما . ومن الحمام ما يزُقُّ كلَّ فرخٍ دنا منه ، كما أن
من الحمام حماماً^(٢) لا يزُقُّ فراخه ألبتةَ حتَّى يموت . وإنما تعظم البليَّةُ على
الفرخ إذا كان الأب هو الذى لا يزُقُّ ، لأنَّ الولادةَ وعامَّةَ الحضانِ والكفْلَ
على الأمِّ ، فإذا ظهر الولد فعامَّةُ الزَّقِّ على الأب ، كأنه صاحب العيال
والكاسب عليهم ، وكالأمِّ التى تلد وتُرضع .

(١) ليست بالأصل ، وأرى الكلام في حاجة إليها .

(٢) ط : « حمام » .

(الطائر العجيب : كاسر العظام)

وأعجب من هذا ، الطائر الذي يقال له كاسر العظام ^(١) ، فإنه يبلغ من برِّ الفراخ كلها ^(٢) بعد القيام بشأن فراخ نفسه ، أنه يتعاهد فرخ العقاب الثالث ، الذي تخرجه من عشها ؛ لأنها ^(٣) أشده وأرغب بطناً ، وأقضى قلباً وأسوأ خلقاً من أن تحتل ^(٤) إطعام ثلاثة .

وهي مع ذلك سريعة الجزع ، فتخرج ما فضل عن فرخين ، فإذا أخرجته قبله كاسر العظام وأطعمه ؛ لأنَّ العقاب من اللائى تبيض ثلاث بيضات في أكثر حالاتها ^(٥) .

(دفاع أسدى عن أكل قومه لحوم الكلاب)

قال : وعيّر رجل من بني أسدٍ بأكل لحوم الكلاب ، وذهب إلى قوله ^(٦) :

٥٩

* يافقَعَسِيُّ لَمْ أَكَلْتَهُ لِمَهْ *

(١) كاسر العظام : طائر من سباع الطير بين النسر والعقاب ، يحمل كل عظم فيه مخ حتى إذا كان في كيد الساء أرسله على صخرة فينكسر ، فيهبط فيأكل مخه ، ويسمى البلح والبلت — كلاهما كزفر — وستل ، بالتحريك ، والمسكفة . انظر معجم المملوف ١٤٣ — ١٤٥ .

(٢) ط : « كليهما » ، والصواب من س .

(٣) في الأصل : « لأنه » ، والعقاب مؤنثة ، وقيل تذكر وتؤنث . وقد أنها الجاحظ هنا بقوله : « عشها » .

(٤) في الأصل : « يحتل » . وانظر التنبيه السابق .

(٥) انظر القول في عقود العقاب أو برها في الجزء السابع ص ٣٧ .

(٦) هو سالم بن دارة ، كما في اللسان (روح) وكما سبق في ١ : ٢٦٧ .

* لو خافَكَ اللهُ عَلَيْهِ حَرَمَهُ *

* فَمَا أَكَلَتْ لَحْمَهُ وَلَا دَمَهُ *

قال : فقال الأعرابي : أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الشَّدَّةَ والشَّجَاعَةَ ، والبَأْسَ والقُوَّةَ من الحيوان ، في ثلاثة أصنافٍ : العقابِ في الهواء ، والتمساحِ في ساكنِ الماء ، والأسدِ في ساكنِ الغياض .

وليس في الأرض لحمٌ أشهى إلى التمساح ولا إلى الأسد من لحم الكلب .
فإن شئتم فعُدُّوه عُدُّوهُمَا ، فإنَّهُمَا يأكلانِهِ من طريقِ الغَيْظِ وطلبِ النَّارِ ،
وإن شئتم فقولوا غير ذلك .

(الطبيعة الأسدية في بني أسد)

وبنو أسدٍ أسدُ الغياض ^(١) ، وأشبهُ شئٌ بالأسد ، فلذلك تشتهى
مَنْ اللُّحْمَانِ أَشْهَاهَا إلى الأسد . والدَّلِيلُ على أَنَّهُمْ أُسْدٌ ، وفي طباعِ الأُسْدِ ،
أَنَّكَ لو أَحْصَيْتَ جَمِيعَ القَتْلِ من سادات العرب وَمِنْ فُرْسَانِهِمْ ، لَوَجَدْتَ
شَطْرَهَا أو قَرِيباً من شَطْرِهَا لبني أسد .

(١) قال ابن الأنباري : معناه لو علم الله ذلك منك . (الأضداد ١١٩) . وقال الجاحظ في الحيوان (٤ : ٤٢) : « جعل بدل قوله آمن الكلب على أكل لحمه ، أن الله هو الذي لم يخف ذلك فيحرمه » . وقال الجاحظ في البخلاء ١٩٧ : « وتهجى أسد بأكل الكلاب وبأكل لحوم الناس . والعرب إذا وجدت رجلاً من القبيلة قد أتى قبيحاً ألزمت ذلك القبيلة كلها » .

(٢) كذا في س . وفي ط : « الغياض » ! ولعل صوابهما « للناس » . وجاء في مسألة الحجاج لابن القرية : « قال فأخبرني عن مآثر العرب في الجاهلية . قال : كانت العرب تقول : حمير أرباب الملك ، وكنته لباب الملوك ، ومذحج أهل الطعان ، وهدان أحلاس الخيل ، والأزد آساد الناس » . ابن خلكان (١ : ٨٣) . وانظر العمدة (٢ : ١٦٥) .

(أنفة الكلب)

قالوا : ثمَّ بعدَ ذلكَ كلُّهُ أَنَّ الكلبَ لا يرضى بالنوم والرُّبُوض على بَيَاضِ الطريق ، وعلى عَفَرِ التراب ، وهو يرى ظَهْرَ البِساط ، ولا يرضى بالبِساط وهو يجد الوِسادة ، ولا يرضى بالمطارح دون مرافق المطارح^(١) .
فمن نُبِّلَهُ في نفسه أن يتخيَّرَ أبداً أنبلَ موضعٍ في المجلس ، وحيثُ يدَعُهُ ربُّ المجلس صيانةً له وإبقاءً عليه — إلاَّ أن يتصدَّرَ^(٢) فيه مَنْ لا يجوزُ إلاَّ أن يكون صدرًا ، فلا يقصِّرُ الكلبُ دونَ أن يرقى عليه .

وقد كان في حُجج معاوية في اتِّخَاذِ المقصورة بعد ضرب [البرك^(٣)]
إيَّاه بالسيف ، أَنَّهُ أَبْصَرَ كلباً على منبره .

هذا على ما طُبِعَ عليه من إِكرام الرَّجُلِ الجميل اللباس ، حتَّى لا يَنْبَحَ عليه إن دنا من باب أهله ، مع الوُثُوبِ على كل أسود ، وعلى كل رثَّ الهيئة ، وعلى كل سفيهٍ تشبهُ حاله حالَ أهل الرِّبِيَّةِ .

(١) المطارح : جمع مطرح ، وهو بكسر الميم : المفرش .

(٢) في الأصل : « يتصور » ، وإنما هو « يتصدر » أى يجلس في الصدر .

(٣) الزيادة من س . والبرك ، كصرد : اسمه الحجاج بن عبد الله الصريمي ، وكان أحد الثلاثة الذين عهد إليهم بقتل على ومعاوية وعمر في ليلة واحدة ، ثانیهم : عبد الرحمن ابن ملجم الذي تكفل بقتل على ، وثالثهم : زاذويه الذي نصب نفسه لهمرو . وقد ضرب البرك معاوية مصلياً فأصاب ما كتبه (الكامل ٢ : ١٣٥ - ١٤٥) . وانظر البيان (٢ : ٢٠٦) والطبری (٦ : ٨٦) .

وَمِنْ كِبَرِهِ وَشِدَّةُ تَجَبُّرِهِ ، وَفَرَطُ حَمِيَّتِهِ ^(١) وَأَنْفَتُهُ وَاحْتِقَارُهُ ، أَنَّهُ
مَتَى نَبَحَ عَلَى رَجُلٍ فِي اللَّيْلِ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُ حَارِسٌ وَلَمْ يَمَكِّنْهُ الْقَوْتُ ، فَدَوَّاهُ
عِنْدَ الرَّجُلِ أَنَّهُ لَا يَنْجِيهِ مِنْهُ إِلَّا أَنْ يَقْعُدَ بَيْنَ يَدَيْهِ مُسْتَخْزِيًا مُسْتَسْلِمًا ، وَأَنَّهُ
إِذَا رَأَاهُ فِي تِلْكَ الْحَالِ دَنَا مِنْهُ فَشَغَرَ عَلَيْهِ ^(٢) وَلَمْ يَهْجِهِ . كَأَنَّهُ حِينَ ظَفَرَ بِهِ ،
وَرَأَاهُ تَحْتَ قُدْرَتِهِ ، رَأَى أَنَّ ^(٣) يَسِمُهُ بِمِسْمِ ذُلٍّ ، كَمَا كَانَتْ الْعَرَبُ تَجَزُّ
نَوَاصِيَ الْأَسْرَى مِنَ الْفُرْسَانِ ، إِذَا رَامَتْ أَنْ تَحُلِّيَ سَبِيلَهَا وَتَمُنَّ عَلَيْهَا ،
وَلَوْ كَفَّ الْعَرَبِيُّ عَنْ جَزْءِ نَاصِيَتِهِ ، لَوَسَّمَهُ الْأَسِيرُ مِنَ الشُّعْرِ وَالْقَوَافِي الْخَالِدَاتِ
الْبَوَاقِي ، الَّتِي هِيَ أَبْقَى مِنَ الْمِسْمِ ، بِمَا هُوَ أَضَرُّ عَلَيْهِ مِنْ جَزْءِ نَاصِيَتِهِ ،
وَلَعَلَّهُ لَا يَبْلُغُ أَهْلَهُ حَتَّى تَسْتَوِيَ ^(٤) مَعَ سَائِرِ شَعْرِ رَأْسِهِ ، وَلَكِنَّ ذُلَّ الْجَزْءِ
٦٠ لَا يَزَالُ يُلُوحُ فِي وَجْهِهِ ، وَلَا يَزَالُ لَهُ أَثَرٌ فِي قَلْبِهِ .

(تقدير مطرف للكلب)

وَذَكَرَ أَنَّ مَطْرَفَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ^(٥) كَانَ يَكْرَهُ أَنْ يُقَالَ لِلْكَلْبِ
اِخْسَاءً ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، وَفِي دَعَائِهِ عَلَى أَصْحَابِ الْكَلْبِ الَّذِي كَانَ

(١) الحمية : الأنفة . وفي الأصل : « حمايته » بمعنى الدفاع والمنع ، ولا وجه له .

(٢) شغره عليه : رفع رجله قبالة . وفي ط : « فففر » ، وصوابه في س .

(٣) في ط : « تحت قدرته أنه » ، وفي س : « رء أن » وصحتهما بما ترى .

(٤) في الأصل : « يستوى » ، والكلام في « الناصية » .

(٥) هو مطرف بن عبد الله بن الشخير ، أحد التابعين ، ويكنى أبا عبد الله ، وكان
لأبيه صحة . قال الجاحظ في شأنه : وكان خطيباً بيننا صاحب أخبار وآثار —
وذكره في جملة القصاص ، ثم قال : وقص ابنه مطرف بن عبد الله بن الشخير
في مكان أبيه (يريد بمسجد البصرة) . البيان ١ : ٣٦٧ . وقال الجاحظ : =

أربابُه لا يمنعونه من دُخُول مُصَلَّاهُ ، قال : اللهم امنعهم بركة صيدِه !!
دليلٌ على حسنِ رأيه فيه .

(من أقوال المسيح عليه السلام)

قالوا : ومَرَّ المسيحُ بنَ مريمَ في الحواريِّينَ بِجيفةِ كلبٍ ، فقال بعضهم :
ما أَشدَّ نتنَ ريحِه ! قال : فهَلَّا قُلْتَ : ما أَشدَّ بياضَ أسنانه ! !
قالوا : وقال رجلٌ لكلبٍ : اخسأ، ويثلك ! فقال هَمَامُ بنُ الحارثِ ^(١) :
الويلُ لأهلِ النَّارِ .

(هراش الكلاب)

والهراش الذي يجري بينها وهو شرٌّ ، يكونُ بينَ جميعِ الأجناسِ
المتنفقة ، كالبرذون والبرذون ، والبعير والبعير ، والحمار والحمار ، وكذلك
جميعِ الأجناسِ . فأما الذي يفرط ويتمُّ ذلك فيه ، ويتمنّع ناس من الناس ،

= « وكان يقال : فقه الحسن ، وورع ابن سيرين ، وعقل مطرف ، وحفظ قتادة » . البيان ١ : ٢٤٢ . « وكان مطرف بن عبد الله يقول : لا تطعم طعامك من لا يشتهيهِ . يقول : لا تقبل بحديثك على من لا يقبل عليك بوجهه » . البيان ١ : ١٠٣ . وقد روى الجاحظ كثيراً من أقواله في البيان . قال ابن قتيبة : « ومات عمر ومطرف ابن عشرين سنة ، كأنه ولد في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم . . . ومات في خلافة عبد الملك بن مروان بعد ستة سيع وثمانين » . المعارف ١٩٣ .

(١) في البيان ٣ : ١٩٣ : « زهاد الكوفة : عمرو بن عتبة ، وهمام بن الحارث ، والربيع بن خثيم ، وأويس القرني »

ويقع فيه القِمَار ، ويتَّخذ لذلك ، وينفقَ عليه ، ويُغَالَى به ، فالكلبُ والكلب ، والكبشُ والكبش ، والدَّيْكُ والدَّيْك ، والسَّمَانِي والسَّمَانِي^(١) .

(التحريش بين الجرذان)

فَأَمَّا الْجُرْدُ^(٢) فَإِنَّهُ لَا يِقَاتِلُ الْجُرْدَ^(٢) حَتَّى يَشُدَّ رَجُلُ أَحَدِهِمَا فِي طَرَفِ خَيْطٍ ، وَيَشُدَّ الْجُرْدُ^(٢) الْآخَرَ بِالطَّرَفِ الْآخَرِ ، وَيَكُونُ بَيْنَهُمَا مِنَ الْمَسَاوَةِ^(٣) وَالْإِلْتِقَاءِ^(٤) ، وَالْعِصْ وَالْحَمَشُ ، وَإِرَاقَةُ الدَّمِّ وَفَرَى الْجُلُودِ ، مَا لَا يَكُونُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ مِنَ الْأَنْوَاعِ الَّتِي يُهَارَشُ بِهَا .

وَالَّذِي يُحَدِّثُ لِلْجُرْدَانِ^(٥) طَبِيعَةَ الْقِتَالِ ، الرِّبَاطُ نَفْسُهُ ، فَإِنْ انْقَطَعَ الْخَيْطُ وَانْحَلَّ الْعَقْدُ ، أَخَذَ هَذَا شَرْقًا وَهَذَا غَرْبًا ، وَلَمْ يَلْتَقِ^(٦) أَبَدًا .
وَإِذَا تَقَابَلَتِ جِجْرَةُ الْفَأْرِ ، وَخَلَا لَهَا الْمَوْضِعُ ، فَيَنْهَى شَرُّ^(٧) طَوِيلٌ ، وَلَكِنَّهُ لَا يَبْعُدُ الْوَعِيدَ وَالصَّخْبَ ، وَلَا يَلْتَقِي مَعَهُمَا اثْنَانِ أَبَدًا .

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَالسَّهْمَانِ وَالسَّهْمَانِ » ، صَوَابُهُ مَا أَثْبَتَ . وَانْظُرْ ٥ : ٢٤٦ .

(٢) ط : « الْجُرَادِ » ، س ، م : « الْجُرْدِ » ، وَصَوَابُهُمَا مَا أَثْبَتَ .

(٣) لَمَلَهَا « الْمَسَاوَةِ » بِمَعْنَى الْمَوَاطِنَةِ ، أَوْ « الْمَشَارَةِ » بِمَعْنَى تَبَادُلِ الشَّرِّ .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « الْإِلْتِقَاءُ » . وَانْظُرْ مَاسِيَاتِي مِنَ الْكَلَامِ .

(٥) ط : « لِلْجُرَادِ » . س ، م : « الْجُرْدَانِ » وَالْوَجْهَ مَا ذَكَرْتُ .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « يَلْتَفِتَانِ » وَانْظُرْ سِيَاقَ الْكَلَامِ .

(٧) الْجِجْرَةُ : جَمْعُ جِجْرٍ . وَ « لَهَا » وَ « بَيْنَهَا » هِيَ فِي الْأَصْلِ « لَهَا »

و « بَيْنَهُمَا » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، إِذِ الضَّمِيرَانِ رَاجِعَانِ إِلَى الْفَأْرِ ، وَالْفَأْرُ جَمْعُ فَأْرَةٍ .

(قصة ثمامة فيما شاهده من الفأر)

وحدثني ثمامة بن أشرس قال : كان بقي في الحبس جحر فأر^(١) ، وتلقاه جحر آخر ، فبرى لكل واحد منهما وعيداً وصباحاً ووثوباً ، حتى يُظنَّ أنَّهما سيلتقيان ثم لا يلتقيان حتى يقتل كل واحد منهما صاحبه . فبينما كل واحد منهما في غاية الوعيد ، إذ مرَّ هارباً حتى دخل جحره ، فما زالا كذلك ، حتى أتى الله تعالى بالفرج وخلى سبيل .

(جودة الشم عند الكلاب السلوقية)

وزعم أنَّ السلوقيَّة الطويلة المناخر أجودُ شماً ، والشمُّ العجيب والحسن^(٢) اللطيف من ذلك^(٣) ، إلَّا أنَّ ذلك في طلب الذكور للإناث والإناث للذكور خاصة . وأمَّا شمُّ المأكول ، واسترواحُ الطَّعم ، فللسَّباع في ذلك ما ليس لغيرها . وإنَّ الفأرَ ليشمُّ ، وإنَّ الذرَّ والنملَ ليشمُّ ، وإنَّ السنَّانيرَ لتشمُّ ، وكذلك الكلب ، وله في ذلك فضيلة ، ولا يبلغ ما يبلغ الذئب . ٦١ وقال أعرابي :

كانَ أبو الصَّحيم من أربابها صَبَّ عليه الله من ذئبها
أطلسَ لا ينحاشُ من كلابها يلتهمُ الطائرَ في ذهابها

(١) كذا ، ولعل الكلام « قال إنه كان في الحبس جحر فأر » .

(٢) ط : « الحسن » ، وتصحيحه من س .

(٣) أى من طول المناخر .

* فِي الْجَزِيَةِ الْأُولَى فَلَا مَشَى بِهَا *

أَلَا تَرَاهُ يَجْتَهِدُ فِي [الدُّعَاءِ عَلَيْهَا] بِذَنْبٍ ^(١) لَا يَنْحَاشُ مِنْ السُّكَلَابِ .

بَاب

مَا يُشَبَّهُ بِالسُّكَلَابِ وَلَيْسَ هُوَ مِنْهُ

وإِذَا جَرَى الْفَرَسَ الْمُحَجَّلَ ، شَبَّهُوا قَوَائِمَهُ بِقَوَائِمِ السُّكَلَابِ إِذَا ارْتَفَعَتْ فِي بَطْنِهِ ، فَيَصِيرُ تَحْجِيلُهَا كَأَنَّهُ أَكْلُبُ صِغَارُ تُعَدُّو ، كَمَا قَالَ الْعُمَانِيُّ ^(٢) :

كَأَنَّ تَحْتَ الْبَطْنِ مِنْهُ أَكْلُبًا بِيضًا صِغَارًا يَنْتَهَشْنَ الْمُنْقَبَا ^(٣)

وَقَالَ الْبَدْرِيُّ :

كَأَنَّ أَجْرَاءَ كَلَابٍ بِيضٍ دُونَ صِفَاقِيهِ إِلَى التَّغْرِ يَضُ ^(٤)

(١) فِي الْأَصْلِ : « أَلَا تَرَاهُ يَجْتَهِدُ فِي ذَنْبٍ » ، وَأَصْلَحْتُ الْقَوْلَ بِمَا تَرَى .

(٢) الْعُمَانِيُّ هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ ذُوَيْبِ الْحَنْظَلِيِّ ، وَقِيلَ لَهُ الْعُمَانِيُّ وَهُوَ بَصْرِيُّ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ أَهْلِ عُمَانَ ، وَلَكِنْ نَظَرَ إِلَيْهِ دَكَيْنُ الرَّاجِزِ فَقَالَ : مَنْ هَذَا الْعُمَانِيُّ ؟ وَذَلِكَ أَنَّهُ كَانَ أَصْفَرًا مَطْحُولًا ، وَكَذَلِكَ أَهْلُ عُمَانَ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَمَنْ يَسْكُنُ الْبَحْرَيْنِ يَعْظُمُ طَحَالَهُ وَيَغْبِطُ بِمَا فِي بَطْنِهِ وَهُوَ جَائِعٌ

وَكَانَ شَاعِرًا رَاجِزًا مُتَوَسِّطًا ، مِنْ شُعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْعَبَّاسِيَّةِ ، لَيْسَ مِنْ نَظَرَاءِ الشُّعْرَاءِ الَّذِينَ شَاهَدَهُمْ فِي عَصْرِهِ مِثْلُ أَشْجَعٍ ، وَسَلَمٍ ، وَمُرْوَانَ ، وَلَكِنَّهُ كَانَ لَطِيفًا دَاهِيًا مَقْبُولًا ، فَأَفَادَ بِفَعْلِهِ أَمْوَالًا جَائِلَةً ، وَكَانَ الْعُمَانِيُّ مَقْرَبًا لِلدِّيِّ الرَّشِيدِ . الْأَغَانِي

(١٧ : ٧٨ - ٨٣) وَالشُّعْرَاءُ لِابْنِ قَتِيْبَةَ ٧٣١ - ٧٣٢ .

(٣) انْظُرْ دِيْوَانَ الْعُمَانِيِّ (٢ : ١١٤) وَالشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ ٣٧٢ .

(٤) الصَّفَاقُ ، جِلْدُ الْبَطْنِ .

وقال الآخر :

كَأَنَّ قِطًّا أَوْ كِلَابًا أَرْبَعًا دُونَ صِفَاقِيهِ إِذَا مَا ضَبَعَا^(١)
وَيَصْفُونَ الطَّلَعَ أَوَّلَ مَا يَبْدُو صَغَارًا بِأَذَانِ الْكِلابِ الْبَيْضِ . وقال
في ذلك الرَّاجِزُ :

أُنَعْتُ بُجْمَارًا عَلَى سَحِيضٍ^(٢) يُخْرِجُ بَعْدَ النَّجْمِ وَالتَّبْعِيضِ^(٣)
* طَلَعًا كَأَذَانِ الْكِلابِ الْبَيْضِ *

وَيُوصَفُ صَوْتُ الشَّخْبِ فِي الْإِنَاءِ بِهَرِيرِ هِرَاشِ الْكِلابِ .
وقال أعرابي :

كَأَنَّ خَلْفَهَا إِذَا مَا هَرَّأَ جَرَوْا كِلَابٍ هُورِشًا فَهَرَّأَ^(٤)
وقال الآخر :

كَأَنَّ صَوْتَ شَخْبِهَا الْمُسْحَنْفِرِ^(٥) بَيْنَ الْأَبَاهِيمِ وَبَيْنَ الْخَنْصَرِ^(٦)
* هِرَاشٌ أَجْرَاءٌ وَلَمَّا تَشْغَرِ^(٧) *

(١) ضبع : أسرع . وضع وضع بالتشديد : مد ضبعيه في السير ، والضع : المضد .

(٢) كذا ، ولعلها « نضيض » ، وهو الماء القليل .

(٣) كذا ولعلها « التبريض » ، وهو من ظهور الثبت في أول أمره .

(٤) يقول : كأن صوت لبنها حين الحلب صوت جروين من أجراء الكلاب أغرى أحدهما بالآخر ، فكان منهما نباح .

(٥) الشخب : ماخرج من الضرع من اللبن . والمسحنفر : الكثير الغزير .

(٦) الأباهيم : جمع إبهام ، وقد جمعه ولم يرد بجمعه ، وإنما أراد الواحد . انظر ص ٣٩ .

(٧) أى صوت هراش أجراء . وتشغر : تبدو أسنانها . ولعلها « تشغر » بمعنى ترفع إحدى رجلها حين البول ، وهذه أماراة من أمارات بلوغ الكلاب كما في الحيوان

وقال أبو دُوَاد (١) :

طَوِيل طَامِحِ الطَّرْفِ إِلَى وَهْوَهِ الْكَلْبِ (٢) ٦٢

(جواب صبيّ)

وزعم الهيثم بن عدي (٣) قال : كان رجل يسمّى كلباً ، وكان له بُنْيٌ يلعبُ في الطريق ، فقال له رجلٌ : ابن مَنْ ؟ فقال : ابن وَوْ وَوْ وَوْ !

(ما يستحبّ في ذنب كلب الصيد)

ويحبُّون أن يكون ذنب الكلبِ الصَّائِدِ يابساً ، ليس له من اللحم قليل ولا كثير ، ولذلك قال :

(١) في الأصل : « أبو داود » ، وإنما هو « أبو داود » . والبيت الآتي في أدب الكاتب ٨٦ والأمالى ٢ : ٢٥٠ والأضداد ٢٦٦ منسوب إلى أبي داود . لكن قال أبو عبيد البكري في التنبيه : إن هذا البيت ليس لأبي داود ولا وقع في ديوانه ، وإنما هو لعقبة بن سابق الهزاني . قلت : وانظر قصيدة عقبة بن سابق في الأصمعيّات ٣٩ ، وانظر كذلك الاقتضاب ٣٢٤ .

(٢) الرواية في المراجع المتقدمة : « إلى مفزعة الكلب » : أي نظره طامح إلى أقصى موضع يسمع منه الكلب إيساد صاحبه أي إغراهه . والبيت في صفة فرس . وأما الوهوهة هنا فصوت الكلب عند جزعه . والبيت يروى برفع « طويل » وخفضه ، فن خفضه جعله من صفة الفرس المذكور في البيت الذي قبله وهو :

وقد أغدو بطرف هي كل ذي ميمة سكب

أشم سلجم المقبّل لا شخت ولا جأب

ومن رفع فعل خبر مبتدأ مضمّر . انظر الاقتضاب ٣٢٥ .

(٣) كذا في س ، وهو الصواب . وفي ط : « عرابي » ، وفي م : « عربي » وكلاهما تحريف . كان الهيثم عالماً بالشعر والأخبار والمثالب والمناقب والمآثر والأنساب . وكان يرى رأى الخوارح . توفي سنة سبع أو تسع ومائتين . وانظر الخبر في ٥ : ٢٨٨ .

* تَلَوَى بِأَذْنَابٍ قَلِيلَاتٍ اللَّحَا (١) *

وقال الشاعر (٢) :

إِنِّي وَطَلَبَ ابْنِ غَلَاقٍ (٣) لِيَقْرِئَنِي (٤)

كَالغَابِطِ (٥) الْكَلْبِ يَبْغِي الطَّرْقَ فِي الذَّنْبِ (٦)

الطَّرْقُ : الشَّحْمُ الْهَيْسِرُ ، يُقَالُ : لَيْسَ بِهِ طَرْقٌ .

(طيب لحم أجراء الكلاب)

ويقال : ليس في الأرض فَرْخٌ ولا جَرُ ولا شَيْءٌ من الحيوان أَسْمَنَ ولا أَرْطَبَ ولا أَطْيَبَ من أجراء الكلب . وهي أشبه شَيْءٌ بِالْحَمَامِ ؛ فَإِنَّ فِرَاحَ الْحَمَامِ أَسْمَنُ شَيْءٌ مَا دَامَتْ صَغَاراً من غير أن تَسْمَنَ ، فإذا بَلَغَتْ لم تقبل الشحم ، وكذلك أولاد الكلاب .

(١) ط : « اللحم » س : « اللحى » وصوابهما من م ، ومن الحيوان ٢ : ٦٢ حيث توجد أرجوزة البيت مشروحة مفصلة . وأراد بالحا - وهو مقصور اللحاء - مايكسو الذنب من اللحم . وفي المقصور والممدود لابن ولاد ٩٥ : « ويقال للثمرة إنها قليلة اللحاء ، وهو ما كسا النواة » .

(٢) هو رجل من بني عمرو بن عامر يهجو قوما من بني سليم ، كما في اللسان (غبط) .

(٣) في أمثال الميداني ٢ : ٢٠ : « إِنِّي وَإِنْ ابْنُ غَلَاقٍ » ، وفي اللسان : « إِنِّي وَأَقِي ابْنُ غَلَاقٍ » . والطالب : هو الطالب سكنت لامه للشعر .

(٤) ط : « ليقربني » وتصحيحه من س ، م وأمثال الميداني واللسان .

(٥) الغابط : الذي يحبس الحيوان ليعرف سمته من هزاله . وفي م : « كَالْغَابِطِ » وفي ط : « كَالطَّالِبِ » . وفي الأمثال : « كغابط » ، وذلك تحريف ما أثبت من س . وفي اللسان : « كغابط » .

(٦) ط ، م : « الذيب » ، وصوابه من المراجع المتقدمة . وقبل هذا البيت في اللسان :

إذا تحليت غـلـاقا لتعرفها لاحت من اللؤم في أعناقها الكتب
قال الميداني : يضرب هذا المثل لمن يطلب المعروف عند اللئيم .

وقال الآخر :

وَأَغْضَفِ الْأُذُنَ طَاوَى الْبَطْنِ مُضْطَمِرٍ

لَوْهُوَهُ رَذِمَ الْخَيْشُومَ هَرَّارٍ^(١)

الأصمعيّ قال : قال أعرابيٌّ : أصابتنا سنةٌ شديدة ، ثم أعقبتها سنةٌ

تتابع فيها الأمطارُ فسمّنت الماشية ، وكثرت الألبان والأسمان ، فسمّن ولدان الحى ، حتّى كأنّ استأحدهم جرو يتمطّى !

(طلب أبي دلّامة)

أبو الحسن قال : قال أبو العباس أمير المؤمنين^(٢) لأبي دلّامة : سلّ !

قال : كلباً . قال : ويلك ! ما تصنع بالكلب ؟ ! قال : قلت أصيدُ به .

قال : فلك كلب . قال : ودابةٌ . قال : ودابةٌ . قال : وغلاماً يركب الدابة

ويصيد . قال : وغلاماً . قال : وجاريةٌ . قال : وجارية . قال : يا أمير

المؤمنين ! كلبٌ وغلامٌ وجاريةٌ ودابةٌ ، هؤلاء عيال ، ولا بدّ من دار . قال :

ودار . قال : ولا بدّ لهؤلاء من غلّةٍ ضيّعة . قال : أقطعناك مائةً جريبٍ

عامرةً ومائةً جريبٍ غامرة . قال : وأيّ شيء الغامرة ؟ قال : ليس فيها

(١) لوهُوهُ : أى أبوه وهوه ، والوهوه : النشيط الحريص على الجرى . والرذم :

الذى يقطر أنفه ، وفى اللسان : « رذم أنفه يرذم ويرذم - أى كيدخل ، ويضرب -

رذما ورذمانا : قطر » . وهى فى الأصل : « ردم » وليس لها معنى يتجه . والهرار :

الكثير الحرير ، وهو التباح .

(٢) هو أبو العباس عبد الله بن محمد ، الملقب بالسفاح ، أول خلفاء الدولة العباسية

(١٠٤ - ١٣٦) . والحديث فى الأغاني ٩ : ١١٦ مع اختلاف فى الألفاظ

حيث توجد ترجمة أبي دلّامة ٩ : ١١٥ - ١٣٣ . وانظر جمع الجواهر ٩٠ .

نبات . قال : أَنَا أَقْطَعُكَ خَمْسَمِائَةَ جَرِيبٍ مِنْ فَيَافَى بَنَى أَسَدٍ غَامِرَةً .
قال : قد جعلنا لك المائتين عامرتين كُلَّهَا^(١) ، ثُمَّ قَالَ : أَبْقِ لَكَ شَيْءٌ ؟
قال : نعم ، أَقْبَلْ يَدَكَ . قال : أَمَّا هَذِهِ فَدَعْهَا . قال : مَانَعْتَ عِيَالِي شَيْئاً
أَهْوَنَ عَلَيْهِمْ فَقَدْأَ مِنْهُ ؟ !

(عَلَّمَهُ حِيلَةَ فَوْقَ فِي أَسْرَهَا)

أَبُو الْحَسَنِ عَنْ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ : كَانَ عِنْدَنَا بِالْمَدِينَةِ رَجُلٌ قَدْ كَثُرَ
عَلَيْهِ الدَّيْنُ حَتَّى تَوَارَى مِنْ غَرَمَائِهِ ، وَلَزِمَ مَنْزِلَهُ ، فَأَتَاهُ غَرِيمٌ لَهُ عَلَيْهِ
شَيْءٌ يَسِيرٌ ، فَتَلَطَّفَ حَتَّى وَصَلَ إِلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ : مَا تَجْعَلُ لِي إِنْ أَنَا دَلَّكَ
عَلَى حِيلَةٍ تَصِيرُ بِهَا إِلَى الظُّهُورِ وَالسَّلَامَةِ مِنْ غَرَمَاتِكَ ؟ قَالَ : أَقْضِيكَ^{٦٣}
حَقَّكَ ، وَأَزِيدُكَ مِمَّا عِنْدِي مِمَّا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ . فَتَوَثَّقَ مِنْهُ بِالْإِيمَانِ ،
فَقَالَ لَهُ : إِذَا كَانَ غَدًا قَبْلَ الصَّلَاةِ مَرُّ خَادِمِكَ يَكْنُسُ بِأَبْكَ وَفِنَاءَكَ
وِيرْشٌ ، وَيَبْسُطُ عَلَى دَكَّانِكَ حُصْرًا ، وَيَضَعُ لَكَ مَتَسَكًا ، ثُمَّ أَمْهَلْ حَتَّى
تَصْبَحَ^(٢) وَيَمُرَّ النَّاسُ ، ثُمَّ تَجْلِسَ ، وَكُلُّ مَنْ يَمُرُّ عَلَيْكَ وَيَسْلَمُ أَنْبَحْ لَهُ
فِي وَجْهِهِ ، وَلَا تَزِيدَنَّ عَلَى النَّبَاحِ أَحَدًا كَانْنَا مِنْ كَانَ ، وَمَنْ كَلَّمَكَ مِنْ
أَهْلِكَ أَوْ خَدَمِكَ أَوْ مِنْ غَيْرِهِمْ ، أَوْ غَرِيمٍ أَوْ غَيْرِهِ ، حَتَّى تَصِيرَ إِلَى الْوَالِي
فَإِذَا كَلَّمَكَ فَانْبَحْ لَهُ ، وَإِيَّاكَ أَنْ تَزِيدَهُ أَوْ غَيْرَهُ عَلَى النَّبَاحِ ؛ فَإِنَّ الْوَالِيَّ

(١) ط : « كُلَّهَا » .

(٢) فِي الْأَغَانِي عَقِبَ هَذِهِ الْقِصَّةِ « قَالَ الْجَاهِظُ : فَانْظُرْ إِلَى حَذَقِهِ بِالمَسْأَلَةِ وَلَطْفِهِ فِيهَا ،
ابْتَدَأَ بِكُلِّبِ فَسَهَلَ الْقِصَّةَ بِهِ ، وَجَعَلَ يَأْتِي بِمَا يَلِيهِ عَلَى تَرْتِيبٍ وَفِكَاهَةٍ حَتَّى نَالَ
مَالُو سَأَلَهُ بِدِيَةِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ » .

(٣) ط : « يَصْبَحُ » .

إذا أيقنَ أنَّ ذلك منك جدُّ لم يشكَّ أنَّه قد عرَضَ لك عارض من مَسٍّ فيخلِّيَ عنك ، ولا يغرى عليك . قال : ففعل ، فرَّ به بعضُ جيرانه فسلمَّ عليه ، فنبَحَ في وجهه ، ثم مرَّ آخرُ ففعل مثلَ ذلك ، حتَّى تسامعَ غرماؤه فأناه بعضهم فسلمَّ عليه فلم يزدْه على النَّباح ، ثمَّ آخرُ ، فتعلَّقوا به فرفعوه إلى الوالى ، فسأله الوالى فلم يزدْه على النَّباح ، فرفعه معهم إلى القاضى ، فلم يزدْه على ذلك ، فأمرَ بحبسِه أيَّاماً وجعلَ عليه العيون ، ومَلَكَ نفسَه وجعلَ لا ينطقُ بحرفٍ سوى النَّباح ، فلمَّا رأى القاضى ذلك أمرَ بإخراجه ووضعَ عليه العيونَ فى منزله ، وجعلَ لا ينطقُ بحرفٍ إلَّا النَّباح ، فلما تقررَ ذلك عند القاضى أمرَ غرماءَه بالكفِّ عنه ، وقال: هذا رجلٌ به لَمَمٌ فكثَّ^(١) ما شاء الله تعالى . ثمَّ إنَّ غريمَه الذى كان علَّمه الحيلة ، أناه متقاضياً لِعِدَّتِه^(٢) فلمَّا كلمه جعلَ لا يزيدْه على النَّباح ، فقال له : ويلَكَ يا فلان ! ! وعلىَّ أيضاً ، وأنا علَّمتك هذه الحيلة ؟ ! فجعلَ لا يزيدْه على النَّباح ، فلمَّا يئس منه انصرف يائساً مما يطالبه به .

(اتحاد المتعاضدين فى وجه عدوِّهما المشترك)

قال أبو الحسن عن سلمة بن خطاب الأزدي ، قال : لمَّا تشاغل عبدُ الملك بن مروانَ بمحاربةِ مُصعبِ بنِ الزُّبير ، اجتمعَ وجوهُ الرُّومِ إلى ملكهم فقالوا له : قد أمكنتك الفرصةُ من العرب ، بتشاغلِ بعضهم

(١) اللهم : الجنون . و « مكث » هى فى ط : « مكثت » محرفة ، وإصلاحها

من س .

(٢) لعدته : لما كان وعده به .

مع بعض ، لوقوع بأسهم بينهم ، فالرأى لك أن تغزوهم إلى بلادهم ،
فإنك إن فعلت ذلك بهم نلت حاجتك ، فلا تدعهم حتى تنقضى الحربُ
التي بينهم فيجتمعوا عليك ! فهاهم عن ذلك وخطأ رأيهم ، فأبوا عليه إلا
أن يغزوا العربَ في بلادهم . فلما رأى ذلك منهم أمرَ بكلّبينِ فحرّشَ
بينهما ، فاقْتتلا قتالا شديداً ، ثمّ دعا بـثعلبٍ فخلّاه ، فلما رأى الكلبانِ
الثعلبَ ، تركا ما كانا فيه ، وأقبلا عليه حتى قتلاه ، فقال ملك الروم : كيف
ترون ؟! هكذا العربُ ، تقتتلُ بينها ، فإذا رأونا تركوا ذلك واجتمعوا علينا ، ٦٤
فعرّفوا صدقه ، ورجعوا عن رأيهم .

(كرم الكلاب)

قال : وقال المغيرةُ لرجلٍ خاصم إليه صديقاً له ، وكان الصديقُ توعّده
بصدّاقة المغيرة ، فأعلمه الرجلُ ذلك ، وقال : إنّ هذا يتوعّدني بمعرفتكَ إِيَّاهُ ،
وزعم أنّها تنفعه عندك . قال : أجل ! إنّها والله لتنفع ، وإنّها لتنفعُ عند
الكلبِ العقور !

فإذا كان الكلبُ العقورُ كذلك ، فما ظنُّكَ بغيره ؟ وأنت لا تصيب
من الناس مَنْ تنفع عنده المعرفةُ من ألفٍ واحداً^(١) .

وهذا الكرمُ في الكلابِ عامٌّ . والكلبُ يحرسُ ربّه ، ويحمي حريمه
شاهداً وغائباً ، وذاكراً وغافلاً ، ونائماً ويقظان ، ولا يقصّر عن ذلك وإن
جفّوه ، ولا يخذلهم وإن خذلوه .

(١) في الأصل : « من ألف واحد » .

(نوم الكلاب)

والكلبُ أيقظُ الحيوانِ عيناً في وقتِ حاجتهم إلى النوم ، وإنما
نومه نهاراً ، عند استغنائهم عن حراسةٍ ، ثم لا ينام إلا غِراراً وإلا
غِشاشاً^(١) . وأغلبُ ما يكوم النّومُ عليه وأشدُّ [ما يكون^(٢)] إسكاراً له ،
أن يكونَ كما قال رؤبة :

* لا قيت مَطْلاً كُنْعاسِ الكَلْبِ^(٣) *

يعنى بذلك القَرْمَطَة في المواعيد .

وكذلك فَإِنَّهُ أَنْوَمُ ما يكونُ أَنْ يَفْتَحَ عينَه بقدر ما يكفيه للحراسة ،
وذلك ساعة ، وهو في هذا كَلَّهُ أَسْمَعُ من فَرَس ، وأَحْذَرُ من عَقْعَق^(٤) ،
مع بُعْد صوته

(١) الغرار والغشاش : النوم القليل .

(٢) الزيادة من س .

(٣) سبق الكلام في هذا البيت ص ٣١٧ من الجزء الأول .

(٤) العققق - كثعلب - طائر على قدر الحمامة ، في شكل غراب ، وهو ذو لونين أبيض
وأسود . وكما يضرب المشل بالعققق في الحذر ، يضرب به أيضاً في السرقة
والخيانة ، قال :

إذا بارك الله في طائر فلا بارك الله في العققق
قصير الذناب طويل الجناح متى ما يجد غفلة يسرق
يقلب عينيه في رأسه كأنهما قطرتا زئبق

(قول رجل من العرب في الجمال)

وقيل لرجل من العرب : ما الجمال ؟ فقال : غُور العينين ، وإشراف
الحاجبين ، ورُحْب الأُشداق ، وبُعْدُ الصوت .

(صبر الكلب واحتماله)

هذا مع قلة السامة ، والصَّبْرِ على الجفوة ، واحتمالِ الجراحات الشِّداد ،
وجوائف الطعان^(١) ونوافذ السهام . وإذا ناله ذلك لم يَزَلْ ينظِّفه بريقه ،
لمعرفته بأنَّ ذلك هو دواؤه حتَّى يبرأ ، لا يحتاج إلى طبيب ، ولا إلى مرهم
ولا إلى علاج .

(طول ذمء الضب والكلب والأفعى)

وتقول للعرب : « الضبُّ أطولُ شَيْءٍ ذَمَاءٌ^(٢) » ، والكلبُ أعجبُ
في ذلك منه . وإنما عجبوا من الضَّبِّ ، لأنَّه يَغْبُرُ^(٣) ليلته مذبوحاً مفريَّ
الأوداج ، ساكنَ الحركة ، حتَّى إذا قَرَّب من النار تحرك . كأنَّهم يظنون أنَّه
قد كان حيًّا ، وإن كان في العين ميتاً .
والأفعى تبقى أَيْاماً تتحرَّك .

(١) الجائفة : طعنة تبلغ الجوف .

(٢) الذمء : بقية الروح . وفي ط : « أطول شيئاً » ، وهو على الصواب في س ، م .

(٣) يغبر : يمكث . وفي ط ، م : « يغبر » ، وهو تحريف ما أثبت من س .

(ما يعتريه الاختلاج بعد الموت)

فأما الذى يعتريه الاختلاج بعد جموده^(١) ليلة ، فلحمُ البقر
والجُرُز^(٢) ، تختلج وهى على المعاليق اختلاجاً شديداً .
والحيّة يُقَطَّعُ ثلثها الأسفل ، فتعيش وينبُت ذلك المقطوع .

(حياة الكلب مع الجراح الشديدة)

قال : والكلب أشدُّ الأشياء التى تعيش على الجراح ، التى لا يعيش
عليها شيء إلا الكلبُ ، والخنزيرُ ، والخنفساء .

(قوة فك الكلب وأنيابه)

والكلبُ أشدُّ الأشياء فِكاً ، وأرْهفها ناباً ، وأطْيَبُها^(٣) فِئاً ،
وأكثرها ريقاً ، يُرْمَى بالعظم المدمج^(٤) ، فيعلم بالغريزة أنه إن
عضّه رضّه ، وإن بلعه استمرأه^(٥) .

(١) الجمود : كناية عن الموت ، تقول : مازال يضربه حتى جمد .

(٢) الجزر : الإبل المذبوحة ، جمع جزور .

(٣) ط ، م : « أخيبها » ، وتصحيحه من س .

(٤) المدمج : الصلب . وفى س : « يرى العظم المدمج » .

(٥) سيأتى نحو هذا الكلام بعبارة أكثر تفصيلاً فى ص ١٩٤ من هذا الجزء .

(إلف الكلب وغيره من الحيوان للإنسان)

وهو أُلُوفٌ للناس ، مشاركٌ من هذا الموضع العصافيرَ والخطاطيفَ والحمامَ والسنانيرَ ، بل يزيد على ذلك في باب الخاصِّ وفي باب العامِّ . فأما باب الخاصِّ ، فإنَّ من الحمام^(١) ما هو طُوراني^(٢) وحشِيٌّ ، ومنه ما هو آلفٌ أهلي . والخطَّاف من القواطع غير الأوابد ، إذا قطع إلى الإنسان لم يَبْنِ بيته إلا في أبعَدِ المواضع ، من حيث لا تناله أيديهم . فهو مقسومٌ على بلاده وبلادٍ من اضطرتَّه إليه الحاجة . والعصافير تكون في القرب حيث تمتنع منهم في أنفسها . والكلاب مخالطةٌ لها ملايصة ، ليس منها وحشِيٌّ ، وكلُّها أهلي . وليس من القواطع [ولا]^(٣) من الأوابد ما يكون آنس بالناس - من كثير ممَّا يوصف بالأنس والإلف - من الكلاب دون سواها^(٤) . وفي السَّنانير الوحشيَّة والأهليَّة .

وعلى أنَّ إلفَ الكلب فوقَ إلفِ الإنسان الأُلُوف^(٥) ، وهو في السَّكَلب أغربُّ منه في الحمام والعصفور ؛ لأنَّه سبع ، والحمام بهيمة ، والسبع بالسباع أشبه ، فتركَّها ولم يناسبها ، ورغب عنها . وكيف ، وهو يصيد الوحوشَ ويمنع جميعَ السَّباع [من]^(٦) [الإفساد ؟ ! فذلك أحمَدُ له

(١) ط ، م : « من » ، س : « منه » ، والصواب في ذلك ما أثبت .

(٢) في معجم البلدان : طرآن : جبل فيه حمام كثير ، إليه ينسب الحمام الطرآني . . . قال : والعامَّة تقول طوراني ، وهو خطأ . وفي اللسان : « حمام طوراني وطوري منسوب إليه » . أى إلى طور سيناء . قال : « وقيل هو منسوب إلى جبل يقال له طرآن ، نسب شاذ » .

(٣) ليست بالأصل ، وبها يستقيم الكلام .

(٤) في الأصل : « من الناس دون سواهم » .

(٥) ط : « الألوق » ، وصوابه من س ؛ م .

(٦) الزيادة من س .

وأوجبُ لشكره . ثمَّ يصيرُ في كثيرٍ من حالاته ، آنَسَ بالنَّاسِ منه بالكلابِ دِئِيَّةً وقُصْرَةً^(١) ، ولا تراه يلاعبُ كلباً مادام إنسانٌ يلاعبه . ثمَّ لم يَرْضَ بهذه القرابة وهذه المشاكلة ، وبمقدار ما عليه من طباع الخُطَاف والحمام والعصفور ، وبمقدار ما فضَّلها اللهُ تعالى بِهِ من الأنس ، حتَّى صار إلى غايةِ المنافع سُلماً ، وإلى أكثرِ المرافق^(٢) .

(الحاجة إلى الكلاب)

[وليس^(٣)] لحارس الناس ولحارس أمواهم بُدٌّ من كلب ، وكلُّما كان أكبرَ كان أحبَّ إليه . ولا بُدَّ لأقاطيع المواشي من الكلاب ، وإلَّا فإنَّها نهبٌ للذئاب ولغير الذئاب ثمَّ كلاب الصَّيد ، حتَّى كان أكثرُ أهل البيت عِيالاً على كلِّ كلب .

(مقلدات الإنسان من الحيوان)

وقد صار اليومَ عندَ الكلب من الحكايات وقبول التلقين ، وحُسن التصريف في أصناف اللَّعب ، وفي فِطْن الحكايات [ما ليس^(٤)]

(١) يريد الكلاب القريبة إليه في النسب .

(٢) يصح أن تكون هنا كلمة ساقطة تقديرها « وسيلة » أو « سبباً » أو نحو ذلك . ويصح أن يكون اكتفى بالخبر المتقدم « سلماً » .

(٣) ليست بالأصل والكلام في حاجة إليها . وفي س : « لمحارس » بدل « لحارس » .

(٤) بدله في الأصل : « وفي » ، والوجه ما أثبت .

في الجوارح المذلّة لذلك ، المصرفة فيه ، [و^(١)] ما ليس عند الدبّ والقرد
والفيل ، والغنم المكّيّة ، والببغاء .

(الكلب الزيني)

والكلب الزيني الصّيني^(٢) يُسرّج على رأسه ساعات كثيرة من اللّيل
فلا يتحرّك . وقد كان في بني ضبّة كلب زيني صيني^(٣) ، يُسرّج على رأسه ،
فلا ينبض فيه نابض ، ويدعونه باسمه ويرى إليه ببضعة لحم والمسرّجة على
رأسه ، فلا يميل ولا يتحرّك ، حتّى يكون القوم هم الذين يأخذون المصباح
من رأسه ، فإذا زایل^(٤) رأسه وثب على اللحم فأكله ! . دُرّب فدرب ، ٦٦
وثقف فتقف ، وأدّب فقيل . وتعلّق في رقبته الزنبلة^(٥) والدوّخلة^(٥)
وتوضع فيها رُقعة ، ثم يمضى إلى البقال ويحىء بالحوائج .

(تعليم الكلب والقرد)

ثم صار القرد وصاحب الرّيح^(٦) [من^(٧)] ثمّ يستخرج فيما بين
الكلب والقرد ضرباً من العمل ، وأشكالاً من الفطن ، حتّى صاروا يطحنون

(١) ليست بالأصل .

(٢) ضرب من الكلاب قصير القوائم ، شديد الذكاء ، يقال بالهمز وترك الهمز .

(٣) ط : « أزيل » وصوابه في س .

(٤) كذا ، ولعلها « الزبيل » أو « الزنبيل » .

(٥) الدوخلة ، بفتح الدال وتشديد اللام المفتوحة وتخفف ، أصل معناها : سفينة من

خوص يوضع فيها النمر والرطب .

(٦) الرياح : القرد الذكور ، وفي الأصل : « الرياح » ! .

(٧) بكلمة يفتقر إليها الكلام .

عليه ، فإذا فرغ من طحنه مضوا به إلى المتمعك^(١) ، فيممعك كما يممعك
حمار المكاري وبغل الطحان .

وقرابة أخرى بينه وبين الإنسان : أنه ليس شيء من الحيوان لذكوره
حجمٌ بادر إلا الكلب والإنسان .

(ما يسبح من الحيوان وما لا يسبح)

والكلب بعد هذا أصبح من حيّة ، ولا يتعلّق به في ذلك الثور ،
وذلك فضيلة له على القرد ، مع كثرة فطن القرد وتشبهه بالإنسان ؛ لأن
كلّ حيوان في الأرض فإنه إذا ألقى في الماء الغمر سبح ، إلا القرد
والفرس الأعسر ، والكلب أصبحها كلّها ، حتى إنه ليقدّم في ذلك على
البقرة والحيّة .

(ما في إناث الكلاب من الأعاجيب)

وفي طباع أرحام الكلاب أعجوبة ؛ لأنها تلقح من أجناس غير
الكلاب ، ويلقحها كما يلحق منها ، وتلقح من كلاب مختلفة الألوان ،
فتؤدّي شبه كلّ كلب ، وتمتلئ أرحامها أجراء من سفاد كلب ، ومن مرة
واحدة ، كما تمتلئ من عدّة كلاب ومن كلب واحد . وليست هذه الفضيلة
إلا لأرحام الكلاب .

(١) المتمعك : مكان تمعك الدابة في التراب .

(فخر قبيلتين زنجيتين)

قالوا : والزنج صنفان ، قبيلة زنجية فوق قبيلة ، وهما صنفان : النمل والكلاب ، فقبيلة هم الكلاب ، وقبيلة هم النمل ، فخر هؤلاء بالكثرة ، وفخر هؤلاء بالشدة^(١) . وهذان الاسمان هما ما اختاراهما لأنفسهما ولم يُكرها عليهما .

(حديث : « أكلك كلب الله »)

قال : ويقال إن النبي صلى الله عليه وسلم قال لعُتْبَةَ^(٢) بن أبي لهب : « أكلك كلبُ الله » فأكله الأسد . فواحدة : قد ثبت بذلك أن الأسد كلبُ الله^(٣) . والثانية : أن الله تبارك وتعالى لا يُضَاف إليه إلا العظيم ،

(١) الإشارة هؤلاء الأولى إلى قبيلة النمل ، وبالثانية إلى قبيلة الكلاب ، وللقيليين حديث في البيان ٣ : ٥١ .

(٢) في الأصل : « قال يالهب » . وفي ثمار القلوب ١٩ وفقه اللغة ٢٤٨ — وقد نقل الثعالبي فيهما نص الجاحظ — « عتبية » بالتصغير . والصواب « عتبة » كما في الأغاني (١٥ : ٢ — ٣) وكما في المعارف ٦٢ وسيرة ابن هشام ٤٦٥ جوتنجن . وفي الأغاني عن عكرمة قال : « لما نزلت : والنجم إذا هوى ، قال عتبة للنبي صلى الله عليه وسلم : أنا أكفر برب النجم إذا هوى . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : اللهم أرسل عليه كلبا من كلابك ! » قال ابن عباس : « فخرج إلى الشام في ركب ، فيهم هبار بن الأسود ، حتى إذا كانوا بوادي القاصرة ، وهي مسبعة ، نزلوه ليلا فافترشوا صفا واحدا ، فقال عتبة : أريدون أن تجعلوني حجرة ! لا والله لا أبيت إلا وسطكم ! فبات وسطهم . قال هبار : فا أنهنى إلا الصبح يشم رءوسهم رجلا رجلا ، حتى انتهى إليه ، فأنشب أنيابه في صدغيه فصاح : أى قوم ! قتلتنى دعوة محمد ! فأمسكوه فلم يلبث أن مات في أيديهم » . وانظر لتحقيق الخبر ما ورد في حواشي الاشتقاق ٢٢ بتحقيقنا . وانظر الاستدراك في آخر الكتاب هنا .

(٣) في فقه اللغة : « أن الأسد كلب » .

من جميع الخير والشر^(١) . فأما الخير فقولك : بيت الله ، وأهل الله ، وزُورَ الله ، وكتاب الله ، وسماء الله ، وأرض الله ، وخليق الله ، وكَلِم الله ، وروح الله ، وما أشبه ذلك^(٢) . وأما الشرُّ فمكقولهم : دَعِه في لعنةِ الله وسَخَطَ الله ، ودَعِه في نار الله وسَعيره^(٣) ، وما أشبه ذلك . وقد يسمَّى المسلمون والناسُ كلباً .

(تسمية بنات آوى والثعالب والضباع بالكلاب)

وقد زعم آخرون : أنَّ بناتِ آوى ، والثعالبَ والضَّبَاعَ ، والكلابَ ، كلُّها كلاب ، ولذلك تَسَافَدُ وتَلَاقِحُ^(٤) .

وقال آخرون : لَعَمْرِي إِنَّهَا الكلابُ إذا أُرِدْتُمْ أَنْ تَشَبَّهُوهَا ، فأَمَّا أَنْ تَكُونَ كِلَاباً لِعَلَّةٍ أَوْ عَلَتَيْنِ - والوجوه التي تخالف فيها الكلاب أكثر - فَإِنَّ هَذَا مِمَّا لَا يَجُوزُ .

٦٧ وقول مَنْ زَعَمَ أَنَّ الجواميسَ بقرٌ وَأَنَّ الخيلَ حُمُرٌ ، أَقْرَبُ إِلَى الْحَقِّ مِنْ قَوْلِكُمْ ، وقولِ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الجواميسَ ضأنُ البقر . والبقرُ ضأنٌ أيضاً ، ولذلك سَمَّوْا بقرَ الوحشِ نِعَاجاً ، كأنهم إنما ابْتَغَوْا اتِّفَاقَ الْأَسْمَاءِ .

وما بالُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْأَسَدَ وَالذِّئْبَ وَالضَّبْعَ وَالثَّعْلَبَ وَابْنَ آوَى كِلَابٌ أَحَقُّ بِالصَّوَابِ مِمَّنْ زَعَمَ أَنَّ الجواميسَ ضأنُ والبقرُ ضأنُ

(١) فقه اللغة : « من الأشياء في الخير والشر » ، وفي الثمار « من جميع الأشياء من الخير والشر » .

(٢) انظر ما سبق في ١ : ٣٤١ .

(٣) فقه اللغة : « وحر سقره » ، وفي الثمار : « وسقره » .

(٤) أراد : « تتسافد وتتلاقح » فعذف إحدى التائين .

[١] الماعز كلها شيء واحد . وهذا أقرب إلى الإمكان ؛ لتشابهها في الظلف والقرون والكروش (٢) وأنها تجتر . والسَّنور والفهد والنمر والببر والأسد والذئب والضبع والثعلب إلى أن تكون شيئاً واحداً أقرب . وعلى أننا لم ننتهين إلى الساعة أن الضباع والكلاب وبنات آوى والذئب تتلاقح ؛ وما رأينا (٣) على هذا قط [سمعا (٤)] ولا عسباراً ، ولا كل ما يعدون . وما ذكركم لذلك إلا من طريق الإخبار عن السرعة ، أو عن بعض ما يشبه ذلك . فأما التلاقح والتركيب العجيب الغريب ، فالأعراب أفطن - والكلام عندهم أرخص (٥) - من أن يكونوا وصفوا كل شيء يكون في الوحش ، وكل شيء يكون في السهل والجبل ، مما إذا جمع (٦) جميع أعاجيبه لم يكن أظرف ولا أكثر مما يدعون من هذا التسافد والتلاقح والتركيب في الامتزاجات . فكيف يدعون ما هو أظرف ، والذي هو أعجب وأرغب ، إلى ما يستوى في معرفته جميع الناس ؟ !

(تتمّة القول في الحديث السابق)

وقال آخرون : ليس السكلب من أسماء الأسد ، كما أن ليس الأسد من أسماء السكلب ، إلا على أن تمدحوا كلبكم فيقول قائلكم : ما هو إلا

(١) الزيادة من س .

(٢) ط : « الكبوش » ، والوجه ما أثبت من س .

(٣) ط « ما رأيناها » ، وهو تحريف ما في س .

(٤) الزيادة من س . وقد سبق الكلام على « السمع » في الجزء الأول ص ١٨١ - ١٨٣ .

(٥) س : « أدحض » .

(٦) ط : « أجمع » . وتصحيحه من س .

الأسد ؛ وكذلك القول في الأسد إذا سَمَّيْتُمُوهُ كلباً ، وذلك عند إرادة التصغير والتحقيق ، والتأنيب والتقريع ؛ كما يقال ذلك للإنسان على جهة التشبيه . فإن كان النبي صلى الله عليه وسلم [قال ذلك فإنَّ ذلك على بعض ما وصفنا لك . ويقول أهل حصص : إنهم لا يُغْلَبُونَ ؛ لأن فيها نورَ الله في الأرض^(١) . . وما كلبُ الله إلا كنُور الله . والله ، تبارك وتعالى علُوًّا كبيراً ، لا تُضافُ إليه الكلابُ والسنائيرُ والضَّبَّاعُ والثعالب . والنبي صلى الله عليه وسلم]^(٢) لم يقل هذا قطُّ . وإن كان قاله فعلى صلةٍ كلامٍ أو على حكايةٍ كلام .

وقال صاحب الكلب : قد وضح الأمر ، وتلقَّاه الناس بالقبول ، في أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال : « أَكَلَكْ كَلْبُ اللهِ » وهو يعني الأسد . ومن دفع^(٣) هذا الحديث فقد أنكرَ علاماتِ الرسول صلى الله عليه وسلم .

(التسمية بمشتقات الكلب)

والنَّاسُ قد سَمَّوا النَّاسَ بكَلْبٍ وكُليبٍ وكِلابٍ وأَكْلَبٍ ومكاليب ومكالية بنو ربيعة^(٤) ، وكليب بن ربيعة بن عامر . وفي العرب من

(١) لعلهم كانوا يعنون بذلك ما بها من قبور أولاد جعفر الطيار ، كما في معجم البلدان (حصص) . وقال ياقوت : « إن أشد الناس على علي رضي الله عنه ، بصفين مع معارفة كان أهل حصص ، وأكثرهم تحريضاً عليه وجداً في حربه ، فلما انقضت تلك الحروب ، ومضى ذلك الزمان ، صاروا من غلاة الشيعة ، حتى إن في أهلها كثيراً ممن رأى مذهب النصيرية ، وأصلهم الإمامية ، الذين يسبون السلف . فقد التزموا الضلال أولاً وأخيراً » .

(٢) الزيادة من س .

(٣) ط : « رفع » ، وتصحيحه من س .

(٤) قارن هذا بما في الجزء الأول ص ٣١٣ - ٣١٧ .

القبائل كلب ، وبنو الكلبة ، وبنو كلاب^(١) ، وأكلبُ بن ربيعة بن نزار
عمارة ضخمه^(٢) . وكلب بن وبرة جذم من الأجذام^(٣) وهم نفر جمجمة^(٤) ،
وكل سادات^(٥) فهو يكنى أبا كلب ، ومن ذلك عمرو ذو الكلب^(٦) ٦٨
وأبو عمرو الكلب الجرمي^(٧) وأبو عامر الكلب النحوي . وكيف
لا يجوز مع ذلك أن يسمّى الأسد بالكلب ، وكل هؤلاء أرفع من
الأسد ؟ !

وقد قالوا : كلب المساء ، وكلبُ الرحي . والضبة^(٨) التي في الرحل
يقال لها الكلب ، والكلب : الخشبة التي تمنع الحائط من السقوط

(١) في ش بعد هذا زيادة « وبنو كلب » .

(٢) العمارة : أصغر من القبيلة ، أو الحى العظيم .

(٣) الجذم : الأصل .

(٤) كذا في ط ، م . وفي س : « وهم بعد جمجمة » .

(٥) كذا في ط . وفي س : « شاداب » . وفي م : « شادات » .

(٦) اسمه عمرو بن العجلان بن عامر ، وهو من بني هذيل . قال ابن الأعرابي : سمي
ذا الكلب لأنه كان له كلب لا يفارقه . وقال أبو عبيدة : وإنما خرج غازيا
ومعه كلب يصطاد به ، فقال له أصحابه : يا ذا الكلب ! فثبت عليه . وكان يغزو
بني فهم غزوا متصلا . فنام ليلة في بعض غزواته فوثب عليه نمران فأكلاه ، فادعت فهم
قتله ، وقالت أخته ريطة تربيته بقصيدة أولها :

كل امرئ لحال الدهر مكروب وكل من غالب الأيام مغلوب

تقول فيها :

الطاعن الطعنة النجلاء يتبعها مشعجر من نجيع الجوف أسكوب
والتارك القرن مصفرا أنامله كأنه من رجيع الجوف مخضوب
تمشي النور إليه وهي لاهية مشى العذارى عابهن الجلابيب
والخروج العاتق العذراء مذعثة في السبي ينفع من أردائها الطيب

الأغاني ٢٠ : ٢٢ - ٢٣ .

(٧) انظر الجزء الأول ص ٣١٥ .

(٨) الضبة هنا يراد بها الحديدية العقفاء التي تكون في طرف الرحل ، تعلق فيها
المزاود والأدوى .

وَتُشَخَّصُ فِي الْقَنَاظِرِ وَالْمُسْنِيَّاتِ ^(١) .

وَالْكَلْبُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ ذُو الصُّورِ ^(٢) .

ويقال : داء الكلب ، وقد اعتراه في الطعام كلب ، وقد كلب عليهم في الحرب ، و « دِمَاءُ الْقَوْمِ لِلْكَلْبِيِّ شِفَاءٌ » ^(٣) .

ومنه الكلبة والكلبتان ^(٤) والكلاب ^(٥) والكلوب ^(٦) ثم المكلب والمكلب ^(٧) وهذا مختلف مشتق من ذلك الأصل .

ومنه علوية ^(٨) كلب المطبخ ، وحمويه كلب الجن .

(١) المسناة : السد يعترض به الوادى ليحبس الماء .

(٢) الصورة : مجموعة من الكواكب من الثابتة . وللكلب ثلاث صور : الصورة الأولى ، صورة العواء وهي من الصور الشالية . والصورة الثانية : صورة الجبار وهو الكلب الأكبر ، وهو الشعرى المبور والشعرى النيرانية . والثالثة صورة الكلب الأصغر ، وهو الشعرى الشامية . وهاتان الصورتان من الصور الجنوبية . انظر مفاتيح العلوم ١٢٣ - ١٢٤ ونثار الأزهار ١٧٤ ، ١٧٧ .

(٣) هو عجز بيت لعوف بن الأحوص ، وصدره كما في ص ٨ - ٩ من هذا الجزء :

* ولا العنقاء ثعلبة بن عمرو *

(٤) الكلبتان : آلة للحداد يأخذ بها الحديد المحمي ، وهو لفظ ملازم للتثنية .

(٥) الكلاب ، بضم الكاف وتشديد اللام : الحديد التي على خف الرائف للدابة ، وجمعها كداليب . وتسمى المهماز أيضاً .

(٦) الكلوب : المنشال أى آلة نشل الشيء ورفعها . وقال اللحياني : الكلاب والكلوب : السفود لأنه يعلق الشواء ويتخلله .

(٧) المكلب ، بكسر اللام المشددة : الرجل الذي يعلم الكلاب أخذ الصيد . والمكلب ، بفتح اللام المشددة : الكلب قد عامه صاحبه أخذ الصيد ، أو أحد اللفظين هو (المكلب) كحمن ، وهو الرجل الذي كلبت إبله : أى أصابها الجنون .

(٨) ط : « علوية » ، وتصحيحه من س .

(بين أبي علقمة المزني وسوار بن عبد الله)

ولما شهد أبو علقمة المزني عند سوار بن عبد الله^(١) أو غيره من القضاة [و^(٢)] توقف في قبول شهادته ، قال له أبو علقمة : لم توقفت في إجازة شهادتي ؟ قال : بلغني أنك تلعب بالكِلاب والصُّقور . قال : مَنْ خبرك أنني ألعب فقد أبطل ، وإذا بلغك أنني أصطادُ بها فقد صدَّقك مَنْ أبلغك ، وإنِّي أخبرك أنني جادُّ في الاصطيادِ بها غيرُ لاعبٍ ولا هازي ، فقد وقفَ المبلِّغ بك على فرقٍ مابينَ الجدِّ واللَّعب . قال : ماوقفَ ولا وقفته عليه . فأجازَ شهادته .

(قوله تعالى : يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ)

وقد قال الله تعالى : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ ﴾ فقال لنبيه : ﴿ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ . فاشتق لكلِّ صائِدٍ وجارحٍ كاسبٌ مِنْ بَازٍ ، وصقيرٍ ، وعُقابٍ ، وفَهْدٍ ،

(١) هو سوار بن عبد الله بن سوار بن عبد الله بن قدامة ، أبو عبد الله العنبري البصري ، نزل بغداد ، وولى بها قضاء الرصافة ، وكان فقيهاً فصيحا ، أديباً شاعراً ، وقد وثقه كثيرون ، منهم أحمد بن حنبل ، وتوفى سنة خمس وأربعين ومائتين . (تاريخ بغداد ٤٧٨٨) .

ومن بلاغاته وورعه ما قالوا ، إنه دخل على محمد بن عبد الله بن طاهر ، فقال : أيها الأمير ، إني جئتُك في حاجة رفعتُها إلى الله قبل رفْعها إليك . فإن قضيتها حمدنا الله وشكرناك ، وإن لم تقضها حمدنا الله وعذرناك ! فقضى جميع حوائجهم .

(٢) ليست بالأصل .

وشاهين ، وزرقي ويؤيؤ ، وباشق ، وعناق الأرض^(١) ، من اسم الكلب . وهذا يدل على أنه أعمها نفعا ، وأبعدها صيتا ، وأنبها ذكرا . ثم قال : ﴿ تَعْلَمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فذكر تعليمهم لها إذ أضاف ذلك إلى نفسه ، ثم أخبر عن أدبها وأنها تمسك على أربابها لاعلى أنفسها . وزعم أصحاب الصيد أن ليس في الجوارح شيء أجدر أن يمسك على صاحبه ولا يمسك على نفسه من الكلب .

(تأويل آية أصحاب الكهف)

قال الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ^(٢) أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا . إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا : رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴾ . فخبّر كما ترى عن دعائهم وإخلاصهم ، ثم قال جل وعز : ﴿ فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا . ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَدًا ﴾ ثم قال عز وجل : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا : رَبَّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا

(١) عناق الأرض : دويبة أصغر من الفهد ، طويلة الظهر ، يصيد كل شيء .

حتى الطائر .

(٢) ليست بالأصل .

إِذَا شَطَطًا ﴿١﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا . وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَتْ تَقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ ﴾ ﴿٢﴾ ثُمَّ قَالَ بَعْدَ هَذِهِ الصُّفَةِ لِحَالِهِمْ ، وَالتَّسْكِينِ لَهُمْ مِنْ قُلُوبِ السَّامِعِينَ ، وَالْأَعْجُوبَةِ الَّتِي أَنَاهُمْ بِهَا : ﴿ وَكَلْبُهُمْ بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ﴾ ﴿٣﴾ ثُمَّ قَالَ : ﴿ لَوْ اِطَّلَعَتْ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتُ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمَلِئْتُ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴾ ﴿٤﴾ فَخَبَّرَ أَنَّهُمْ لَمْ يَسْتَصْحَبُوا مِنْ جَمِيعِ مَنْ يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ ، شَيْئًا غَيْرَ الْكَلْبِ ، فَإِنَّ مِمَّا يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَرْتَفِقُونَ بِهِ ، وَيَسْكُنُونَ إِلَيْهِ : الْفَرَسَ وَالْبَعِيرَ ، وَالْحِمَارَ وَالْبُغْلَ ، وَالثَّوْرَ وَالشَّاةَ ، وَالْحَمَامَ وَالْدِّيَكَةَ ، كُلَّ ذَلِكَ مِمَّا يَرْتَفِقُ [بِهِ (١)] ، وَيُسْتَصْحَبُ فِي الْأَسْفَارِ ، وَيُنْقَلُ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ .

وَالنَّاسُ يَصْطَادُونَ بِغَيْرِ الْكَلْبِ ، وَيَسْتَمْتَعُونَ بِأُمُورٍ كَثِيرَةٍ ، فَخَبَّرَ عَنْهُمْ بَعْدَ أَنْ جَعَلَهُمْ خِيَارًا أَوْ بَرَارًا ، أَنَّهُمْ لَمْ يَخْتَارُوا اسْتَصْحَابَ شَيْءٍ سِوَى الْكَلْبِ ، وَلَيْسَ يَكُونُ ذَلِكَ مِنَ الْمَوْفِقِينَ الْمُعْصُومِينَ الْمُؤَيَّدِينَ ، إِلَّا بِخَاصَّةٍ فِي الْكَلْبِ لَا تَكُونُ فِي غَيْرِهِ .

ثُمَّ أَعَادَ ذِكْرَ الْكَلْبِ ، وَنَبَأًا (٢) عَنْ حَالِهِ ، بِأَنْ قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ إِذِ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرُهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا . سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ . فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ

(١) ارتفق يتعدى بالباء ، فزدت هذه .

(٢) في الأصل : « ونبه » .

إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿١﴾ وفي قولهم في الآية : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّ الْكَلْبَ رَفِيعُ الْحَالِ ، نَبِيهِ الذِّكْرُ ، إِذْ جُعِلَ رَابِعُهُمْ ، وَعُطِفَ ذِكْرُهُ عَلَى ذِكْرِهِمْ ، وَاشْتَقَّ ذِكْرُهُ مِنْ أَصْلِ ذِكْرِهِمْ ، حَتَّى كَانَتْهُ وَاحِدٌ مِنْهُمْ ، وَمِنْ أَكْفَائِهِمْ أَوْ أَشْبَاهِهِمْ ، أَوْ مِمَّا يَقَارِبُهُمْ . وَلَوْلَا ذَلِكَ لَقَالَ : سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ مَعَهُمْ كَلْبٌ لَهُمْ . وَبَيْنَ قَوْلِ الْقَائِلِ مَعَهُمْ كَلْبٌ لَهُمْ ، وَبَيْنَ قَوْلِهِ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ - فَرَقٌ بَيْنَ ، وَطَرِيقٌ وَاضِحٌ .

فَإِنْ قُلْتُمْ : هَذَا كَلَامٌ لَمْ يَحْكِهِ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ ، وَإِنَّمَا حَكَاهُ عَنْ غَيْرِهِ ، وَحَيْثُ يَقُولُ : ﴿ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وَقَدْ صَدَقْتُمْ ، وَالصِّفَةُ عَلَى مَا ^(١) ذَكَرْتُمْ ؛ لِأَنَّ الْكَلَامَ لَوْ كَانَ مُنْكَرًا لَأَنْسَكَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، وَلَوْ كَانَ مَعِيًّا لَعَابَهُ اللَّهُ ، فَإِذَا ^(٢) حَكَاهُ وَلَمْ يَعْْبُهُ ، وَجَعَلَهُ قَرَأَنًا وَعَظَّمَهُ بِذَلِكَ الْمَعْنَى ، مِمَّا لَا يَنْكَرُ فِي الْعَقْلِ وَلَا فِي اللُّغَةِ ، كَانَ الْكَلَامُ إِذَا كَانَ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ مِثْلَهُ ؛ إِذْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْمَنْزِلَ لَهُ .

(الاستطاعة قبل الفعل ^(٣))

وَمِثْلَ ذَلِكَ مِثْلَ بَعْضِ الْمُخَالَفِينَ فِي الْقَدَرِ ، فَإِنَّهُ سَأَلَ بَعْضَ أَصْحَابِنَا فَقَالَ : هَلْ تَعْرِفُ فِي كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّهُ يُخْبِرُ عَنِ الْإِسْطَاعَةِ ، أَنَّهُ قَبْلَ

(١) س ، ط : « من » ، وتصحيحه من م .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « فَإِذَا » .

(٣) الْقَوْلُ بِالْإِسْطَاعَةِ قَبْلَ الْفِعْلِ أَصْلٌ مِنْ أَصُولِ الْمُعْتَزِلَةِ ، يَنَافَحُونَ عَنْهُ . وَابْنُ حَزْمٍ لَحِثٌ قَوِيٌّ فِي هَذَا الْأَصْلِ وَتَفْنِيدِهِ . الْفَصْلُ (٣ : ٢٦ - ٤٣) .

الفعل ؟ قال : نعم ، أتى كثيرٌ ، مِنْ ذلك قوله تعالى : ﴿ قَالَ عَفْرَيْتُ مِنْ الْجِنِّ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾ . قال المخالف : سألتك أَنْ تخبرني عن الله ، فأخبرتني عن عفريتٍ لو كان بينَ يديَّ لَبَزَقْتُ في وجهه ! قال صاحبنا : أمّا سليمانُ النبيُّ ، صلى الله عليه وسلم ، فقد تركَ النَّكِيرَ عليه ، ولو كان مثلُ هذا القول كُفْرًا وافتراءً على الله ، ومغالبةً وتفويضاً للمشيتة إلى نفسه ، لكان سليمانُ وَمَنْ حضره من المسلمين من الجنِّ والإنس أحقَّ بالإنكار ، بل لم يكن للعِفْرَيْتُ في هذا الموضع هو الذي يسرع فيه ويذكر الطاعة ، ولا يتقرب فيه بذكر سرعة^(١) النفوذ ، ويشير فيه^(٢) بأنَّ معه من القوَّة المَجْعولة مَا يَتَهَيَّأُ لِمِثْلِهِ قضاء حاجته ، فيكذبُ ثُمَّ لا يرضى بالكذب حتَّى يقول قولاً^(٣) مستنكراً ، ويدَّعى^(٤) قوَّةً لا تُجَعَلُ له ، ثُمَّ يَسْتَقْبِلُ بالافتراء على الله تعالى والاستبدادِ عليه ، والاستغناء عنه — نبيّاً^(٥) قدْ ملك الجنَّ والإنس ، والريَّاحَ والطيرَ ، وتَسِيرَ الجبال ، ونطقَ كلِّ شيء ، ثُمَّ لا يزجره فضلاً عن أَنْ يضرَّبه ، ويسجَّنه فضلاً عن أَنْ يقتله .

وبعدُ ، فإنَّ الله تبارك وتعالى لم يجعل ذلك القول قرآناً ، ويترك التنبيه على ما فيه من العيب ، إلَّا والقول كان صدقاً مقبولا .

(١) ط : « بساعة » ، وتصحيحه من س .

(٢) س : « ويشر » !

(٣) « ولا » ، وصوابه في س .

(٤) ط : « مستنكر أو يدعى » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « وبينا من » ، وصوابه من س .

وبعد ، فإن هذا القول قد سمعه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتلاه
على الناس ، وما زالوا يتلونهُ في مجالسهم ومحاريبهم ، أفما كان في جميع
هؤلاء واحدٌ يعرف معرفتك ، أو يغضبُ الله تعالى غضبك ؟ !

(دفاع عن الكلب)

قال صاحب الكلب : لو اعترضتَ جميعَ أهل البدو في جميع الآفاق
من الأرض ، أن تُصيبَ^(١) أهلَ خيمةٍ واحدةٍ ، ليس عندهم كلبٌ واحد
فما فوقَ الواحد لما وجدته . وكذلك كانوا في الجاهليّة ، وعلى ذلك هم
في الإسلام . فمن رجّع بالتخطئة على جميع طوائف الأمم ، والتأنيبِ
والاعتراض على جميع اختيارات الناس ، فليتهم رأيه ؛ فإن رأى الفردِ
ولاسيما الحسودُ ، لا يقي برأى واحد ، ولا يرى الاستشارة حظا^(٢) وكيف
٧١ بأن يقيَ بجميع^(٣) أهل [البدو]^(٤) من العرب والعجم . والدليل على
أن البدو قد يكون في اللغة لهما^(٥) جميعاً قولُ الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَجَاءَ بِكُمْ
مِنَ الْبَدُوِّ مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ ولو ابتلى
صاحبُ هذا القول بأن ينزل البادية ، لتحوّل رأيه ، واستبدلَ به رأى

(١) ط : « يصيب » ، وأثبت الصواب من س .

(٢) كذا ولعل الكلام « ولا سيما الحسود الذي لا يرى الاستشارة حظا لا يقي برأى واحد » .

(٣) في الأصل : « لجميع » ، والوجه ما أثبت .

(٤) التكملة من س .

(٥) ط : « لها » ، والوجه ما أثبت من س . ومعاد الضمير إلى العرب والعجم .

من قد جرب تقريب الكلب وإبعاده . [وقد قال أبو عبيد النخعي :
لا يكون البنيان ^(١) قرية حتى ينبج فيه كلب ، ويزقو فيه ديك ^(٢)] ،
[ولما ^(٣) قال أحمد بن الحاركي ^(٤) : لا تصير القرية قرية حتى يصير فيها
حائك ومعلم ، قال : أبو عبيد ^(٥) : يا مجنون ! إذا صارت إلى هذا فقد
صارت مدينة .

وللكلب ^(٦) إثباته وجه صاحبه ، ونظره في عينيه وفي وجهه ، وجهه
له ، ودنوه منه ، حتى ربما لأعبه ولاعب صبيانه بالعض الذي لا يؤثّر
ولا يوجع ، وهي الأضراس التي لو نشبها ^(٧) في الصخر لنشبت ، والأنياب
التي لو أنحى بها ^(٨) على الحصى لرضها .

(١) في الأصل : « البستان » ، والوجه ما أثبت وهو الموافق لما سيأتي في ص ٢٤٢
من هذا الجزء .

(٢) الزيادة من س .

(٣) زيادة يتطلبها الكلام .

(٤) في الأصل : « الحاركي » . وفي البخلاء ١٠٥ ، ١٠٦ « أحمد بن الحاركي »
والصواب ما أثبت ، وهو منسوب إلى (خارك) جزيرة في وسط البحر
الفارسي ، كما في معجم البلدان . وهو أحمد بن إسحاق الحاركي البصري . وانظر طبقات
ابن المعتز ٣٠٦ وفيه « الخارجى » ، تحريف ، والفهرست ٢٣٣ وحواشي معجم
المرزباني ٤٣١ .

(٥) هو أبو عباد الكاتب ، كاتب أحمد بن أبي خالد . وأبو عباد هو القائل :
إذا أنكر القائل عيني المجتمع ، فليستفهمه عن منتهى حديثه ، وعن السبب الذي
أجرى ذلك القول له ، فإن وجهه قد أخلص له الاستماع ، أتم له الحديث ، وإن
كان لاهيا عنه ، حرمة حسن الحديث ، ونفع الموانسة ، وعرفه بفسولة الاستماع
والتقصير في حق المحدث . انظر البيان ٢ : ٤١ ، ٩١ .

(٦) في الأصل : « والكلب » ، والوجه ما أثبت .

(٧) أنشبه ونشبه بمعنى .

(٨) ط : « أنحا بها » ، والصواب من س .

وقد تراه وما يصنع بالعظم المدمج ، وبالفقرة من الصُّلب القاسى الذى ليس بالنَّخِرِ البالى ، ولا بالحديثِ العهدِ بالودك الذى يلين معه بالمضغ ويَطِيب ، فتراه كيف يرضه ويفتته ، ثمَّ إن مانعه بعض المانعة ، ووافق منه بعض الجوع ، كيف يتلعه وهو واثق باستمرائه وهضمه ، أو بإذايته وحله .

وله ضروبٌ من النِّغم ، وأشكال من الأصوات ، وله نوح وتطريب ، ودُّعاء وخُوار^(١) ، وهَرِيرٌ وعُواء ، وبَصْبصة ، وشئٌ يصنعه عند الفرح ، وله صوتٌ شبيهٌ بالأنينِ إذا كان يَغْشى الصيد ، وله إذا لا عَبَّ أشكاله فى عُذُوات الصَّيفِ شئٌ بين العُواء والأنين .

وله وَطءٌ للحصى مثله بأن لو وطئ الحصى على أرض السطوح لا يكون مثله وطء الكلب يربى على وزنه مرارا^(٢) .

وإذا مرَّ على وادٍ جامدٍ ظاهرٍ الماء ، تنكَّبَ مواضعَ الخرب فى أسفله .

قال الشاعر - ورأى رجلاً اسمه وثَّاب واسم كلبه عمرو - فقال :

ولو هَيَّا له الله من التَّوفيق أسبابا^(٣)

لسمَّى نفسه عَمْرًا وسمَّى الكلبَ وَثَّابا

(١) فى القاموس : « الخوار بالضم : من صوت البقر والغنم والظباء والسهام » . فاستعماله هنا فى غير موضعه الأصيل .

(٢) كذا ، ووجه العبارة عندي : « وله وطء للحصى مثله (بعضهم) بأن لو وطئ الحصى (أى وزن الحصى - يربى على وزنه مراراً » . ووطء الحصى للأرض يوصف بالشدة لأسباب طبيعية ذكرها الجاحظ فى الجزء الأول ص ١١٦ .

(٣) سبق الكلام فى هذا الشعر وصاحبه ص ٢٢ من هذا الجزء .

(أطباء الكلبة والخنزيرة والفهدة)

قال : والكلبة كثيرة الأطباء ، وكذلك الخنزيرة . وللفهدة أربعة أطباء من لدن صدرها وقرب إبطيها إلى رُفغيها^(١) . وللليل حلمتان تصغران^(٢) عن جثته . وهما ممّا يلي الصدر مثل الإنسان ، والدّكر في ذلك يشبه بالرجل ؛ لأنّ للرجل نديين صغيرين عن جثته .

(واقية الكلاب)

ويقال : إنّ [على^(٣)] الكلاب واقية من عبث السفهاء والصبيان بها . قال دُرَيْد بن الصّمة ، حين ضربَ امرأته بالسيف ولم يقتلها^(٤) :
أقرّ العينَ أنّ عُصْبَت يداها وما إن يُعصَبان على خِضَابِ

(١) الرفع بالفتح ويضم : أصل الفخذ .

(٢) في الأصل : « حلمتان يصغران » ! .

(٣) التكلة من س .

(٤) في الأغاني ٩ : ٩ عن ابن الأعرابي : « تزوج دريد بن الصمة امرأة فوجدها ثيباً وكانوا قالوا له إنها بكر ، فقام عنها قبل أن يصل إليها ، وأخذ سيفه فأقبل به إليها ليضربها ، فثقلته أمها لتدفعه عنها ، فوقف يديها - أي حزها ولم يقطعها - فنظر إليها بعد ذلك وهي معصوبة فقال : أقر العين « البيتين . ثم قال « قالوا : يريد أن الكلب يصيبه الجرح فيلحس نفسه فيبرأ » . والميداني في الأمثال ٧ : ٢٨٩ يقول : إنّ الواقية مصدر كالعاقبة ، والكاذبة ، وذكر المثل « واقية كواقية الكلاب » وقال : « أي وقاية كوقاية الكلاب على ولدها . وهي أشد الحيوانات وقاية لأولادها » . وقال الثعالبي في ثمار القلوب ٣١٨ : « يضرب مثلاً للخسيس إذا كان موق » .

فَأَبْقَاهُنَّ أَنْ لَهْنٌ جَدًّا^(١) وواقية كواقية الكلاب
وقال الآخر :
إِنْ يَقِنَا اللَّهَ مِنْ شَرِّهَا فَإِنَّ الْكِلَابَ لَهَا وَاقِيَهُ^(٢)
ويروى :
* سَيُنَجِّيهِ مِنْ شَرِّهَا شَرُّهُ *

وقال غيره^(٣) :
وَلَقَدْ قَتَلْتُكَ بِالْهَجَاءِ فَلَمْ تَمُتْ إِنَّ الْكِلَابَ طَوِيلَةُ الْأَعْمَارِ
وقال بشر بن المعتمر :
النَّاسُ دَابَّاءُ فِي طَلَابِ الثَّرَا^(٤) فَكُلُّهُمْ مِنْ شَأْنِهِ الْخَثَرُ^(٥)
كَأَذْوَبٍ تَنْهَشُهَا أَذْوَبٌ لَهَا عَوَاءٌ وَلَهَا زَفَرُ^(٦)

(١) في الأصل : « جلدًا » ، وإنما هو « جدا » بمعنى حظا كما في الأغاني . وفي ثمار القلوب : « لؤما » . والبيت السابق لهذا يروى لحسان بن ثابت في جملة أبيات رواها ابن هشام في السيرة ٥٧٠ جوتنجن ، برواية : « أقر العين أن عصبت يدها » .

(٢) ط : « فإن الكلب » وتصحيحه من س .

(٣) في المستطرف ٢ : ٧١ أنه أبو زيد العبدى .

(٤) في الأصل وكذا في اللسان : « الثرى » بالياء . وإنما هي مقصور « الثراء » بمعنى « الغنى » . ويؤيد ما أثبت رواية البيت في الجزء السادس بلفظ « الغنى » .

(٥) ط : « رأى الناس رأيا » وفي س ، م : « أرى الناس دابًا » وهو تحريف صوابه من الحيوان ٦ : ٩٢ حيث توجد القصيدة جميعها ، ومن اللسان (مادة ربح) حيث يروى ابن منظور تسعة أبيات منها . و « دابًا » مصدر لفعل مخلوف تقديره « يدأبون » ، وهذا الفعل المخلوف وفاعله خبر للمبتدئ « الناس » . وحذف عامل المصدر إذا كان خبراً عن أسماء الأعيان جائز . انظر التصريح ١ : ٣٣٢ .

(٦) في الأصل : « تنهشها أكلب » ، وتصحيحه من الجزء السادس من الحيوان ومن اللسان . قال الجاحظ في تفسير ذلك فإنها - يعنى الذئاب - قد تتهاوش على الفريسة ولا تبلغ القتل ، فإذا أدى بعضها بمضاً وثبت عليه فزقه وأكلته . وقال الراجز :

فلا تكوفى يا ابنة الأشم ورقاء دى ذئبها المدى
وقال الفرزدق :

وكننت كلذب السوء لما رأى دما بصاحبه يوما أحوال على الدم

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قَزَحَ الكلب ببوله يَقْزَحُ قَزْحًا ، إذا بال . قال : وقال أبو الصَّقر : يَقْزَحُ ببوله حين يبول ، وشَغَرَ الكلب يشْغَرُ إذا رَفَعَ رِجْلَهُ ، بال أو لم يبل . ويقال شَغَرْتُ بالمرأة ^(١) أَشْغَرُهَا شَغْرًا ^(٢) إذا رَفَعْتَ رِجْلَهَا لِلنِّكَاحِ . قال : ويقال عَاطَلَ الكلبُ مُعَاظِلَةً ، يعنى السَّفَادُ ، قال أبو الزحف ^(٣) :

كَمِشِيَّةٍ ^(٤) الكلبِ مَشَى لِلْكَلْبَةِ يَبْغِي الْعِظَالَ مُصْحَرًا ^(٥) بِالسَّوَةِ
قال : ويقال كلبٌ عَاطِلٌ وَكَلَابٌ عُظْلٌ وَعُظَالِي .

وقال حسان بن ثابت الأنصارى :

وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ يَزِيدَ وَخَالِدٍ وَلَسْتُ بِخَيْرٍ مِنْ مُعَاظِلَةِ الْكَلْبِ ^(٦)

(١) مثله شغرتها وأشغرتها كما فى اللسان .

(٢) الوجه « أشغرها شغرا » ، أو « شغرتها أشغرها شغرا » .

(٣) أبو الزحف هو ابن عطاء بن الخطمي — ابن عم جرير بن الخطمي — وعمير أبو الزحف حتى بلغ زمان محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس . وهو القائل :

أشكو إليك وجعاً بركبتي وهديجانا لم يكن من مشيتي
كهديجان الرأل خلف الهيقة مزوزيا لما رأها زوزت

انظر الشعراء لابن قتيبة ٦٦٩ - ٦٧٠ .

(٤) فى الأصل : « كشيّة » .

(٥) فى الأصل : « مصخرا » وإنما هو « مصحرا » . والإصحار : المجاهرة .

(٦) هذا البيت ليس فى ديوان حسان . ووجدته فى العمدة (١ : ١١٦) . قال ابن رشيق : « والتصريع يقع فيه من الإقواء ، والإكفاء ، والإيطاء ، والسناد ، والضمين — ما يقع فى القافية . فن الإقواء ما أنشده الزجاجي وهو قول بعضهم :

ما بال عينك منها الماء مهراق سحا فلا غارب منها ولا راق
ومن الإكفاء قول حسان بن ثابت . أنشده الجاحظ :

ولست بخير من أبيك وخالكا ولست بخير من معاظلة الكلب
وانظر الاستدراكات :

قال مالكُ بن عبد الله الجَعْدِيُّ ، يومَ فيفِ الرِّيحِ ^(١) : حَدَّثَنِي أَبِي ،
لَقَدْ نَظَرْتُ يَوْمَئِذٍ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْحَارِثِ ، بَنِ نَمِيرٍ ، فَهَاشِبَهُتْهُمْ إِلَّا بِالْكَلَابِ
الْمُتَعَاظِلَةِ حَوْلَ اللِّوَاءِ .

وَقَالَ أَبُو بَرَاءٍ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ مَلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ ^(٢) — لَا عِبَةَ الْحَارِثِ
وَالْيَوْمِ قَالَ فَقَالَ ^(٣) مِنْذُ يَوْمَئِذٍ .

قال : وَالسَّلُوقِيَّةُ مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَلُوقٍ مِنْ بِلَادِ الْيَمَنِ ، لَهَا سِلَاحٌ جَيِّدٌ
وَكَلَابٌ فُرَّهَ ^(٤) . وَقَالَ الْقَطَايُ :

مَعَهُ ضَوَارٍ مِنْ سَلُوقٍ لَهُ طَوْرًا تُعَانِدُهُ وَتَنْفَعُهُ ^(٥)

(تغفير البهائم والسباع أولادها)

قَالُوا : وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ بَهِيمَةٌ [وَلَا سَبْعٌ أَنْتَى تَرِيدُ فِطَامَ وَلَدِهَا
وَإِخْرَاجَهُ مِنَ اللَّبَنِ إِلَى اللَّحْمِ ، أَوْ مِنَ اللَّبَنِ إِلَى الْعُشْبِ ، إِنْ كَانَتْ بَهِيمَةً

(١) كَذَا . وَلَعَلَّ الْكَلَامَ « وَقَدْ ذَكَرَ يَوْمَ فَيْفِ الرِّيحِ » .

(٢) هُوَ عَامِرُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جَعْفَرٍ بْنِ كَلَابٍ ، فَارِسٌ قَيْسٍ ، وَاسْمُهُ مَلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ
لِقَوْلِ أَوْسِ بْنِ حَجَرٍ فِيهِ :

وَلَاعِبُ أَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَامِرٌ فَرَّاحٌ لَهُ حِظٌّ الْكِتَابِيَّةِ أَجْمَعِ

وَهُوَ عَمُّ لَبِيدِ الشَّاعِرِ ، وَهُوَ كَذَلِكَ عَمُّ عَامِرِ بْنِ الطَّفِيلِ . وَفِي الْعَامِرِينَ
قَالُوا : « أَفْرَسٌ مِنْ مَلَاعِبِ الْأَسِنَّةِ » وَ « أَفْرَسٌ مِنْ عَامِرٍ » . انْظُرِ الْأَغَانِي
(١٤ : ٩٠) وَأَمْثَالُ الْمِيدَانِ (٢ ، ٢٩) وَقَالُوا : أَخَذَ مَلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ
أَرْبَعِينَ مَرَبَاعًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ — وَالْمَرَبَاعُ : رُبْعُ الْغَنِيمَةِ يَأْخُذُهُ رَئِيسُ الْقَوْمِ لِنَفْسِهِ .
(بُلُوغُ الْأَرْبَابِ ٢ : ١٢٧) وَتَوَفَّى مَلَاعِبُ الْأَسِنَّةِ فِي نَحْوِ سَنَةِ ١٠ مِنْ الْهِجْرَةِ .

(٣) كَذَا جَاءَ النَّصُّ ، وَفِيهِ اضْطِرَابٌ . وَفِي س : « قَالَ فَقَالُوا » بَدَلَ « قَالَ فَقَالَ » .

(٤) فُرَّهَ : جَمْعُ فَارِهِ ، مِثْلُ رَاكِعٍ وَرَكَعٍ .

(٥) لَمْ أَجِدْ هَذَا اللَّبَيْتَ فِي دِيْوَانِ الْقَطَايِ ، وَوَجَدْتُ شَبِيهَا بِهِ ، مِنْ قَصِيدَةِ نَوَيْةٍ
ص ١٧ وَهُوَ :

مَعَهُمْ ضَوَارٍ مِنْ سَلُوقٍ كَأَنَّهَا حَصْنٌ تَجُولُ تَجْرُرُ الْأَرْسَانَا

إلا وهي تغفر ولدّها . والتغفير : أن ترضعَه وتمنعه حتى يجوع ويطلب اللحم إن كان سبعاً ، والعُشْبَ إن كان بهيمة ^(١) ، فلا تزالُ تنوّله وتماطله ، [وكلما ^(٢)] مرّت عليه الأيامُ كان وقتُ منعها له أطولَ ، حتّى إذا قوى على أكل اللحمِ أو العُشْبِ فطمته . قال لبيدٌ في مثل ذلك :

أَفْتَلِكَ أَمَّ وَحْشِيَّةٌ مَسْبُوعَةٌ خُذِلَتْ وَهَادِيَةٌ الصَّوَارِ قِوَامُهَا ^(٣) ٧٣
خَنَسَاءُ ضَيَّعَتِ الْفَرِيرَ فَلَمْ يَرِمْ عُرْضَ الشَّقَائِقِ طَوْفَهَا وَيُغَامُهَا ^(٤)
لُعْفَرٍ قَهْدٍ تَنَازَعَ شِلْوُهُ غُبْسٌ كَوَاسِبٌ لَا يُمَنُّ طَعَامُهَا ^(٥)
صَادَفَنَ مِنْهَا غِرَّةً فَأَصْبَنَهَا إِنَّ الْمَنَايَا لَا تَطِيشُ سِهَامُهَا ^(٦)
لأنَّ البقرة إذا كانت بحضرة ولدها لم تضيّعه ومنعت السباع منه ،
وقاتلتْ دونهُ بقرونها أشدَّ القتال ، حتّى تُنَجِّيه أو تعطب .

(١) هذه الزيادة من س .

(٢) الزيادة من س .

(٣) وحشية مسبوعة : بقرة من بقر الوحش أكل السبع ولدّها . والسبع كل حيوان مفترس . وأراد بالهادية الفحل الذى يتقدم الصوار أى القطيع . فالتاء فيه للمبالغة كملامة ونسابة . يقول جعلت هذه البقرة الهادية قوام أمرها ، فانطلقت وراءه ترعى وتركزت ولدّها فأفرده السبع فأكله ، فلما آبت لتفقدَه أضلته فانصرفت هائمة ثائرة فى طلبه .

(٤) الخنساء : القصيرة الأنف المتأخرته . والفريز : ولدّها . والشقائق : جمع شقيقة ، وهى الأرض الصلبة بين رملتين . والطوف : الذهاب والحجى .
والبغام : صوتها . ولم يرم : لم يبرح .

(٥) المعفر : الذى ألقى على العفر وهو التراب ، أو المعفر : الذى تدرجت أمه معه فى فطامه ، كما سبق فى كلام الجاحظ . والقهد : الأبيض . والشلو : الجسد ، أو بقيته . والغبس : الكلاب ، أو الذئاب لها لون شبيه بالغبرة . وكواسب : تكسب الصيد . وما يمن طعامها : ما ينقص ، مثله قوله تعالى « فلهم أجر غير ممنون » .

(٦) صادفن : يعنى للكلاب أو الذئاب .

(بعض من كنى بالكلاب)

[قال : و] ^(١) كان ابنُ لِسَانِ الحُمَرَاءِ ^(٢) يَكْنَى أبا كلابٍ ^(٣) . وكان زوجُ حَبِيّ المَدَنِيَّةِ يقال له ابنُ أمِّ كِلَاب ، وقال الشَّاعِرُ يذكُرُها ^(٤) :

(١) الزيادة من س .

(٢) ابن لسان الحمرة اسمه عبيد الله بن الحصين أو ورقاء بن الأشعر ، كما في القاموس والمعارف ٢٣٣ (وفي الفهرست ٩٩ ليبسك ، ١٣٢ مصر « ورقاء » وهو تحريف) وهو أعرابي من بني تيم الله بن ثعلبة ، وكان من علماء زمانه ، قال ابن قتبية « وكان أنسب العرب وأعظمهم بصرأ . دخل الكوفة ، وعليها المغيرة ابن شعبة ، وسأله المغيرة في طبائع قبائل من العرب ، وفي خاق النساء ، فأجاب أجوبة ممتعة ، تجدها في الأغاني ١٤ : ١٣٨ . وسأله معاوية يوماً فقال له : بم نلت العلم ؟ قال : بلسان سئول وقلب عقول ! انظر الديرى برسم (الحمرة) وفي البيان ٣ : ١٦٢ « إذا سمعت حديث أبي نضرة وكلام ابن أبي بسكرة فكأنك مع ابن لسان الحمرة » . والحمرة : طائر يشبه العصفور .

(٣) في الأصل : « أبو كلب » ، وتصحيحه من الحيوان ٢ : ٢٠٦ والمعارف ، والديرى ، وفهرست ابن النديم .

(٤) الشاعر هو هدية بن خشرم العذري ، كما في أمثال الميداني (١ : ٣٥٣) . وحبي هذه امرأة كانت مزواجا ، فتزوجت على كبر سنها فتى يقال له ابن أم كلاب فقام ابن لها (كهل !) فثنى إلى مروان بن الحكم — وهو والى المدينة — وقال : إن أوى السفينة ، على كبر سنها وسنى ، تزوجت شابا مقتبل السن ، فصيرتني ونفسي حديثاً . فاستحضرها مروان وابنها ، فلم تكترث لقوله ، ولكنها التفتت إلى ابنها وقالت : يا برذعة الحمار ! أما رأيت ذلك الشاب المقدود المنطظ ، والله ليصرعن أملك بين الباب والطاق فليشفين غليلها ولتخرجن نفسها دونه ! ولوددت أنه ضب وأنى ضبيته وقد وجدنا خلاء ! فانتشر هذا الكلام عنهما ، فغضبت بهما الأمثال . وقد حضرت حبي مصرع هدية بن الخشرم حين قدم للقتل ، وهو في ذلك ينشد الأشعار فقالت له : ما رأيت أقى قلبا منك ! أتندش الأشعار وأنت يمضى بك للقتل ، وهذه خلفك كأنها ظبي عطشان تولول ؟ ! تعنى امرأته . فوقف ووقف الناس معه ، فأقبل على حبي فأنشد البيتين الآتين . انظر أمثال الميداني والكامل ٧٦٦ ليبسك .

وَمَا وَجَدَتْ وَجَدَى بِهِ أُمُّ وَاحِدٍ وَلَا وَجَدْتُ حُبِّي بَابِنِ أُمِّ كِلَابٍ
رَأَتْهُ طَوِيلَ السَّاعِدِينَ شَمْرَدَلًا كَمَا انْبَعَثَ مِنْ قُوَّةٍ وَشَبَابٍ^(١)

(صفة عيون الكلاب)

وقال آخر^(٢) يَصِفُ عَيُونَ الْكِلَابِ إِذَا أَبْصَرَتِ الصَّيْدَ :

مَجْزَعَةٌ غُضْفٌ كَأَنَّ عَيُونَهَا

إِذَا آذَنَ الْقُنَاصُ بِالصَّيْدِ عَضْرَسُ

مَجْزَعَةٌ : فِي أَعْنَاقِهَا جَزْعٌ ، وَهُوَ الْوَدَعُ يُجْعَلُ فِي الْقَلَائِدِ . يَقُولُ : تَبْيِضُ

عَيُونُهَا حِينَ تَخْتَلُ الصَّيْدَ . وَالْعَضْرَسُ هَاهُنَا : الْبَرَدُ^(٣) .

وَقَالَ الْآخَرُ :

خُوصٌ تَرَّاحَ إِلَى الصُّرَاخِ إِذَا غَدَتْ

فَعَلَ الضَّرَاءُ تَرَّاحٌ لِلْكَالِبِ^(٤)

وَقَالَ آخَرُ وَذَكَرَ الضَّرَاءَ ، وَهُوَ يَصِفُ الشَّيْخَ وَضَعْفَهُ :

وَمِنْهَا أَنْ يُقَادَ بِهِ بَعِيرٌ ذَلُولٌ حِينَ تَهْتَرِسُ الْكِلَابُ

(١) فِي الْمِيدَانِ : « عَنطَنَطَا » مَوْضِعُ « شَمْرَدَلَا » .

(٢) هُوَ الْبَيْثُ كَمَا فِي اللِّسَانِ (عَضْرَسَ) . وَأَنْشَدَهُ ، فِي (حَرْجِ) بِدُونِ نَسْبَةٍ .

(٣) بِمِثْلِ ذَلِكَ فَسَرَهُ الْجَوْهَرِيُّ ، لَكِنْ عَقِبَ عَلَيْهِ ابْنُ بَرِي بِقَوْلِهِ « وَالْعَضْرَسُ

هَهُنَا نَبَاتٌ لَهُ لَوْنٌ أَحْمَرٌ تَشَبَّهُ بِهِ عَيُونَ الْكِلَابِ لِأَنَّهَا حُمْرٌ ، وَلَيْسَ هُوَ هَهُنَا حُبُّ الْغَمَامِ

كَأَنَّ ذَكَرَ - يَعْنِي الْجَوْهَرِيُّ - إِنَّمَا ذَلِكَ فِي بَيْتٍ غَيْرِ هَذَا وَهُوَ :

فَبَاتَتْ عَلَيْهِ لَيْلَةٌ رَجِيَّةٌ تَحْيَى بِقَطْرِ كَالْجَمَانِ وَعَضْرَسُ

قُلْتُ : وَلَا مَرِيءَ الْقَيْسِ بَيْتٌ يَلِيقُ بِتَأْوِيلِ ابْنِ بَرِي ، وَهُوَ كَمَا فِي اللَّدِّيَّانِ ١٤٧ :

مَغْرَثَةٌ زَرْقَا كَانَ عَيُونُهَا مِنَ الذَّمْرِ وَالْإِيحَاءِ نَوَارُ عَضْرَسِ

(٤) ط : « الْكِلَابُ » وَتَصَحِيحُهُ مِنْ س وَالْحَيَوَانِ ٥ : ٣٤٣ .

قال : وهم عند الحاجة يُعِدُّون الكلبَ والمطية ، وأنشد^(١) :

فَأَعْقَبَ خَيْرًا كُلُّ أَهْوَاجٍ مِهْرَجٍ وَكُلُّ مُفْدَاةٍ الْعُلَاةِ صِلْدِمٍ^(٢)
وَقَالَ الْآخِرُ :

* مُفْدَيَاتٌ وَمَلَقَّاتٌ^(٣) *

وأنشد قول أبي ذؤيب^(٤) في شبيهه بالمعنى الأول :

شَغِفَ الْكَلَابُ الضَّارِيَاتُ بِهِ فَإِذَا يَرَى الصُّبْحَ الْمُسَدِّقَ يَفْزَعُ
يقول : هذه الثَّيران لما قد لُقِّينَ^(٥) مع الصبح والإشراق من

(١) البيت لأوس بن حجر في ديوانه ١٢٠ تحقيق نجم وأمالى القالى ١ : ١٨٩ .

(٢) قال أبو علي : « أهوج يعني فرساً . أى أعقب خيراً ، بما أقاموا عليه وصنعوه .
والأهوج : الذى يركب رأسه فيمضى » . والمهرج والهراج : الكثير الجرى .
وفي الأصل : « مبرج » ، ولاوجه له ، وتصحيحه من الأمالى . والعلالة : الجرى
بعد الجرى الأول . ومفداة العلالة : التى يقال لها إذا طلبت علائها وهياً ، فداء
لك !! وفى ط : « معدات » وتصحيحه من س ومن الأمالى . والصلدم : الشديدة .

(٣) ط : « معديات وملقيات » . وانظر تائية أبي نواس المتقدمة ص ٣٨ .

(٤) ط : « ابن ذؤيب » ، س : « ابن أبي ذؤيب » وتصحيحه . من م . والبيت من
قصيدة أبي ذؤيب الهذلى المشهورة التى مطلعها :

أمن المنون وريبه تتوجع والدهر ليس بمعتب من يجزع

وهى قصيدة مفضلية ، اختارها ابن عبد ربه فى العقد ٢ : ١٦٤ . وقد رثى بها أبو ذؤيب
أولاده وكانوا سبعة فأتوا كلهم إلا طفلاً . ومنها البيت السائر :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيممة لا تنفع

وقال فيها فى الطفل الذى بقى له :

والنفس راغبة إذا رغبها وإذا ترد إلى قليل تقنع

وقد روى صاحب اللسان (مادة شغف) وكذا الراغب فى المحاضرات ٢ : ٢٩٦ :

شغف الكلاب الضاريات فؤاده فإذا يرى الصبح المصدق يفزع

قال ابن منظور : « يقول : ذهب بقلبه الكلاب فإذا نظر إلى الصبح ترقب
الكلاب أن تأتبه » . والشطر الأول فى رواية الجاحظ عروضة حذاء .

(٥) فى الأصل : « لبسن » .

الكلاب ، صار [أحدها حين^(١)] يَرَى ساطع الصبح يَفْزَعُ^(٢) ؛
وذلك أنها تَمْطَرُ ليلتها فَتَشْرِقُ في الشمس^(٣) ، فعندها تُرْسَلُ
عليها الكلاب .

٧٤

(صولة الذئب على الغنم مع الصبح)

ويقال إنَّ أكثرَ ما يعْرِضُ الذَّئْبُ للغنم مع الصُّبْح ، وإِنَّمَا رَقِبَ قُتْرَةَ
الكلب وكلالته ؛ لأنَّه باتَ ليلته دائباً يحرس .

وقال أعرابيٌّ وكَسَرَ ذئب شاةً له مع الصُّبْح^(٤) ، فقال :

أودى بوردة أمَّ الورْدِ ذو عَسَلٍ من الذَّئابِ إذا مارَحَ أو بَكَرَا^(٥)
لولا ابنُها وسليلاَتُها غُرَّرَ ما انفكَّتِ العَيْنُ تُذْذِرِي دمعها دِرَرَا^(٦)
كأنَّما الذَّئْبُ إذْ يعدو على غنَمي في الصُّبْحِ طالِبُ وترٍ كان فاتِّارَا^(٧)
اعتامها اعتامه شَنُّ برائِثه من الضَّواريِّ اللّوْاتي تَتَصِمُّ القَصْرَا^(٨)

(١) زدت الكلمة الأولى ليستقيم الكلام . وأما الثانية فهي من س ، م .

(٢) في الأصل : « فزع » .

(٣) كذا في س ، ط . وفي م : « فتشرق » . وبالرواية الأولى تكون إحدى

التأين قد حذفت تخفيفاً ، وذلك جائز وورد به القرآن قال تعالى : « ولا تيمموا »

« ولا تبرجن » ، « ولقد كنتم تمنون » . ويتشرق : يجلس في الشمس .

(٤) وكان يسمى هذه الشاة وردة ويجعل كنيها أم الورد كما سيأتي في ص ٢٧٦ من

هذا الجزء حيث يعاد هذا الشعر .

(٥) يقال عسل للذئب يعسل - كيضرب - عسلا بالتحريك وعسلاناً : إذا اضطرب في

علوه وهز رأسه .

(٦) أراد بالدرر الدموع الغزيرة ، وهي جمع درة بالكسر .

(٧) اتَّار : أدرك وتره .

(٨) اعتامه : اختاره . ومنه قول طرفة في معلقته :

أرى الموت يعتام الكرام ويصطفى عقيلة مال الفاحش المتشدد

والشنُّ البرائن : للغليظها ، وغنى به السبع . وتقسم القصر : تقطع الرقاب ، وهي

جمع قصرة بالتحريك .

(مسألة زيد الخيل للرسول الكريم)

ولما قال النبي ﷺ عليه الصلاة والسلام لزيد الخيل من الخير ما قال ،
وسمّاه زيد الخير ، ما سأله زيد شيئاً ، ولا ذكر له حاجة ؛ إلا أنه قال :
يا رسول الله ، فينا رجلان يقال لأحدهما ذريح^(١) ، والآخر يكنى أبا دجاجة ،
ولهما أكلب خمسة تصيد الطباء ، فما ترى في صيدهم^(٢) ؟ فأنزل الله عزّ
وجلّ : ﴿ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمُ
مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكَنَّ
عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ .

فأول شيء يعظم في عينك شأن الكلب ، أن هذا الوافد الكريم
الذي قبل له ما قيل ، وسمي بما لم يسم به أحد - لم يسأل إلا عن
شأن الكلب .

وثانية وهي أعظمها : أن الله تعالى أنزل فيه عند ذلك آياً مُحْكَمًا
[فقال^(٣)] : ﴿ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ ﴾ فسمي صيدها طيباً ، ثم قال :
﴿ وَمَا عَلَّمْتُمُ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ ﴾ مخبراً عن قبولها للتعليم^(٤)

(١) روى الحديث برواية أخرى في تفسير ابن أبي حاتم ، وهي أن عدى بن حاتم وزيد
الخيل الطائيين جاءا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالا : يا رسول الله إنا قوم
نصيد بالكلاب والبزاة ، وإن كلاب آل ذريح تصيد البقر والحمير والطيء . قال
ابن حجر في الإصابة ٢٤٣٩ : « فهذا يدل على أن ذريحاً بطن من طيء .
لا اسم رجل بعينه » .

(٢) كذا .

(٣) التكلة من س .

(٤) ط : « للتيم » ، وهو خطأ مطبعي فيما أحسب ، صوابه في س .

والتأديب . ثم قال : ﴿ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ ﴾ ولولا أن ذلك الباب من التعليم والعلم مَرْضَى عند الله عز وجل ، لَمَا أضافه إلى نفسه . ثم [قال (١)] : ﴿ فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ ﴾ فأولُ شَيْءٍ يَعْظُمُ بِهِ فِي عَيْنِكَ إِسْمُكَ عَلَيْهِ . وهكذا يقول أصحابُ الصيِّدِ ، إِنَّ كُلَّ صَائِدٍ فَإِنَّمَا يُمَسِّكُ عَلَى نَفْسِهِ إِلَّا الْكَلْبَ فَإِنَّهُ يُمَسِّكُ عَلَى صَاحِبِهِ .

ولو كان الجوابُ لزيد الخيل سُنَّةً مِنْ سُنَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَكَانَ فِي ذَلِكَ الرَّفْعَةُ ، فَكَيْفَ وَالْكِتَابُ فَوْقَ السُّنَّةِ .
وقد روى هشام أن ابنَ عَبَّاسٍ سَمَّى كِلَابَ ذَرِيحٍ هَذِهِ وَكِلَابَ أَبِي دُجَانَةَ فَقَالَ : الْمُخْتَلِسُ ، وَغَلَّابٌ ، وَالْقَنِيصُ ، وَسَلْهَبٌ ، وَسِرْحَانٌ ، وَالتَّعَاطِسُ (٢) .

(دواء الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ)

وزعم الأطباء أن من أجودِ أدويةِ الذُّبْحَةِ وَالْخَانُوقِ (٣) أن ينفع (٤) في حلق مَنْ كَانَ ذَلِكَ بِهِ ، مَا جَفَّ مِنْ رَجِيعِ الْكِلَابِ . وَأَجُودُ ذَلِكَ أَنْ يَكُونَ يَتَغَرَّغُ بِهِ وَرَبَّمَا طَلَّوْهُ عَلَى جِلْدِ الْحُمُومِ (٥) الْحَدِيدِ الْحُمَّى (٦) .

(١) زيادة يفترق إليها الكلام .

(٢) ط : « المغناطيس » ، وأثبت ما في س . وانظر ما سبق في ص ١٨ س ٤ .

(٣) الخانوق : داء يأخذ في الحلق .

(٤) ينفع : بمعنى يدفع .

(٥) ط : « لحوم » وهو تحريف ما أثبت من س .

(٦) الحديد الحمى : الشديدها . وفي الأصل : « الحديد الحمى » .

(رجيع الكلاب)

٧٥ وأجود رجيع الكلاب أن يشتدَّ بياضُه . وليس يعتريه البياضُ إلا
عن أكل الطعام ، وذلك ردىء للقانص منها .

والجُجور^(١) قد تبيضُّ إذا كان قوتُ صاحبها اللبن ، ولذلك قال
أبو كلاب - وهو ابن لسان الحمرة^(٢) - ومربّه رجلٌ من بني أسد فقال :
قد علمت العربُ يامعشرَ بني أسدٍ أنكم أشدُّها بياضَ جُجور ، فعكفَ
عليه فضرَّبه بالسَّيف حتى برَدَ^(٣) .

وذلك أنه عيَّره بأنهم لا يعرفون البَقْل ، ولا يعرفون إلا اللبن .

وقال الشاعرُ يهجو ناساً منهم :

عَراجِلُهُ بِيضُ الجُجُورِ كَأَنَّهُمْ بَمَنْعَرَجِ الغِيْطَانِ شُهْبُ العَنَّاكِيبِ^(٤)
والعرب تقول : اللَّحْمُ أَقْلُ الطَّعامِ بَخْرًا .

(١) س : « الجمر » بالإفراد . والجمر : ما ييس من العذرة في الجمر أى الدبر ، أو نجو
كل ذات غلب من السباع .

(٢) سبقت ترجمته في ص ٢٠٠ من هذا الجزء .

(٣) برد : انقضت حياته .

(٤) عراجلة : أى جماعة مشاة .

(دفاع عن الكلب)

وقال صاحب الكلب : وما للذيك وللكلاب ، والكلابُ يَزَالُ فيها القرآنُ ويُحَدَّثُ فيها السننُ ، ويُشْتَقُّ من أسمائها للناس وللأسد ، ولها أسماءٌ معروفةٌ وأعرافٌ منسوبة ، وبُلدان مشهورة ، وألقابٌ وسمات ، ومناقبٌ ومقامات !!

وما للذيك إلا ما تقول العوام : أنه إذا كان في الدار ديكٌ أبيضُ أفرق^(١) لم يدخله شيطان . وليس يقومُ خيرٌ^(٢) ذلك ، ولو كان ذلك حقاً ، بشؤمه ؛ لأنَّ العوامَ تقضى على مَنْ كان في داره ديكٌ أبيضُ أفرق^(٣) بالزندقة .

والذين يقولون إنَّ الدار إذا كان فيها ديكٌ أفرقُ لم يدخلها شيطان ، هم الذين يقولون مَنْ أَكَلَ لحمَ سنورٍ أسودَ لم يضره سحر ، وإذا دُخِنَتْ الدار بالدُّخْنَةِ^(٤) التي سَمَّوها بدُخْنَةِ مريم ، أو باللبان ، لم يكنْ عليها لُعْمَار الدَّار سبيل ، فإنَّ مَرَّتْ ساحرة^(٥) تطير سقطت . وهم الذين لا يشكُّون أنَّ مَنْ نام بين البابين تحبَّطَ العُمارُ وخبَلَتَه الجن .

(١) ديك أفرق : عرفه مفروق .

(٢) في الأصل : « خير » ، والوجه ما أثبت .

(٣) ط : « أفرق » بالقاف ، وتصحيحه من س .

(٤) للدخنة : ذريرة تدخن بها البيوت .

(٥) لعلها : « فإن مرت عابرة » . وفي م : « فإن موت ساحرة » . وانظر تأويل

(ما يقال له : جرو)

قال : ويقال لولد الكلب والذئبِ والسَّنورِ وأشباه ذلك : جرو .
ويقال للصغير من الحنظل على مثل ذلك : جرو . وقال النَّمِرُ بْنُ تَوَلَّب :
بَجْرُو يُلْقَى فِي سِقَاءٍ كَأَنَّهُ مِنَ الْحَنْظَلِ الْعَامِيِّ جَرَوْ مَفْلَقُ

(من قول صاحب الكلب)

ومِمَّا زَادَ فِي ذِكْرِ الكلب قولُ السَّيِّدِ بنِ مُحَمَّدٍ ^(١) فِي شَأْنِ عَائِشَةَ
فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ ^(٢) - وَكَانَ السَّيِّدُ رَافِضِيًّا غَالِيًّا ، وَلَيْسَ فِي ذِكْرِهِ
شَرَفٌ ، وَلَكِنَّهُ أَجْمَعُ لِلْفَنِّ ^(٣) - :

(١) السيد لقيه ، واسمه إسماعيل بن محمد بن يزيد بن ربيعة بن مفرغ الحميري . وجده
يزيد بن ربيعة شاعر مشهور ، وهو الذي هجا زياداً وبنيه ونفاهم عن آل حرب ،
وحبسه عبيد الله بن زياد لذلك وعذبه ، ثم أطلقه معاوية . قال أبو الفرج في
الأغاني ٧ : ٢ : يقال إن أكثر الناس شعراً في الجاهلية والإسلام ثلاثة : بشار
وأبو العتاهية ، والسيد . ثم قال : وإنما مات ذكره - يعني السيد - لما كان
يفرط فيه من سب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأزواجه في شعره .
قال الصلاح الكتبي في الفوات ٢٣ : « كان شاعراً محسناً كثير القول إلا أنه كان
رافضياً . . . وكان مقبلاً بالبصرة » . وفي الفوات أيضاً : « ومات أول أيام الرشيد
سنة ثلاث وسبعين ومائة وولد سنة خمس ومائة » .

(٢) يشير إلى ماروي : من أن عائشة لما أرادت المضي إلى البصرة في وقعة الجمل مرت
بالخواب - وهو موضع بئر قريب من البصرة - فسمعت نباح الكلاب فقالت :
ما هذا الموضع ؟ فقيل لها هذا موضع يقال له خواب . فقالت : إنا لله ، ما أراني
إلا صاحبة القصة . فقيل لها : وأي قصة ؟ قالت : سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول وعنده نساؤه : ليت شعري ، أيتكن تنبجها كلاب خواب سائرة
إلى الشرق في كتيبة ! وهمت بالرجوع فغالطوها وحلفوا لها أنه ليس خواب .
انظر معجم البلدان برسم (خواب) .

(٣) س : « الفن » .

تَهْوِي مِنَ الْبَلَدِ الْحَرَامِ فَبَيَّهَتْ بَعْدَ الْهُدُوِّ كِلَابَ أَهْلِ الْخَوَءِ
قال : ويقال صرّفت الكلبة صِرَافاً وصرُوفاً ، وظلّعت تظّلَع ظُلُوعاً .

(قولهم : لا أفعل حتى ينام ظالِع الكلاب)

قال : ومن الأمثال في ذلك : « لا أفعلُ حتى يَنَامَ ظَالِيعُ الْكِلَابِ » . قال
الأصمعيُّ : هذا باطل ، إنّما ذلك إذا أصابَ الكلبَ ما يظّلَع منه لم يُطِقْ ٧٦
سِفَادَ الْكَلْبَةِ حَتَّى تَهْدَأَ الرَّجُلُ ، وَحَتَّى تَمَلَّ الْكِلَابُ التُّبَاحَ ^(١) وَتَفْتَرِقَ ،
وَتَحْتَاجَ إِلَى النَّوْمِ لَطَوِلِ التَّعَبِ ^(٢) ، وَإِذَا كَانَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتُ يَلْتَمِسُ ^(٣) الظَّالِعُ
وَرَامَ سِفَادَ الْكَلْبَةِ ، لَمْ يَعْرِفْ ظَلْعَهُ إِلَّا الْكَلْبَةُ . وَأَنْشَدَ فَقَالَ ^(٤) :
تَسْدِئُهَا مِنْ بَعْدِ مَا نَامَ ظَالِيعُ الْكِلَابِ وَأَخْبَى نَارَهُ كُلُّ مُوقِدٍ
وَأَنْشَدَ غَيْرَهُ لَجِرَانَ الْعَوْدِ :
وَكَانَ فُوَادِي قَدْ صَحَّأَتْ هَاجَةً ^(٥) حَمَائِمُ . وَزُقُ بِالْمَدَائِنِ هُتْفُ
كَأَنَّ الْهَدِيلَ ^(٦) الظَّالِيعَ الرَّجُلِ وَسَطَهَا
مِنْ الْبَغْيِ شَرِيبٌ يُغَرِّدُ مُتَرَفٌ ^(٧)

(١) ط : « تفوق » ، وصوابه في س .

(٢) ط : « أطول التعب » ، وتصحيحه من س .

(٣) س ، م : « تلتمس » .

(٤) البيت للحطيئة ، وقد سبق الكلام فيه في ص ٥٩ من هذا الجزء .

(٥) الرواية في الديوان ١٣ : « ثم هاجني » .

(٦) ط : « الهزيل » ، وهو تحريف صحته من س والديوان . والهديل عنى به هنا الفرخ
أو الذكر من الحمام .

(٧) شريب يغرد : سكران يصيح . والمترف : المنعم . ويروى : « منزف » وبفتح
الزاي وكسرهما ، فالأول من أنزف الرجل : إذا سكر ، والثاني من أنزفه السكر :
ذهب بعقله . انظر أدب السكاكيب ١٤٩ والاقتضاب ٣٥٢ .

(ما قيل من الشعر في إشلاء الكلب على الضيوف)

وقالوا أبياتاً في غير هذا الباب ، قال الأعرابي :

نزلنا بعباد فأشلى كلابه علينا فكذبنا بين بابيه نُؤْكَلُ^(١)
فقلْتُ لأصحابي أُسرُّ إليهم إذا اليوم أو يوم القيامة أطولُ

وقال آخر^(٢) :

أعددتُ للضيّفانِ كلباً ضارياً عندي وفضلَ هراوةٍ من أرزنٍ^(٣)
وقال في خلاف ذلك مالكُ بن حريم^(٤) الحمداني :

وواحدةٌ إلا أبيتَ بغرةٍ إذا ماسوأمُ الحىّ بات مصرعاً^(٥)

(١) البستان رواها الجاحظ في البخله ٢٠٠ . ورواية البيت الأول فيه : « نزلنا بعمار » .

(٢) هو وبر بن معاوية الأسدي ، وكان يعامل تجار المعدن ويلويهم بحقوقهم . حاسة البحرى ٤١٥ .

(٣) كذلك الرواية في البخله ٢٠٠ وعيون الأخبار ٣ : ٢٤٢ . وفي خاتمة البحرى : « أعددت للفرما سيفاً صارماً » وهى الرواية الجيدة . وبعد هذا البيت في حاسة البحرى :

عجراً ظاهرة الحيوذ متينة أعددتها لتجار أهل المعدن .

وروى ابن قتيبة بدل البيت الثانى هذا البيت ، وهو :

ومعاذراً كذبا ووجهاً باسراً متشكياً عض الزمان الألزن

ومثل هذا في اللسان .

وقد روى البحرى لوبر هذا بيتين شبيهين بالمتقدمين وهما :

إنى وجدك ما أقضى الغريم إذا حان القضاء ولا تأوى له كبى

إلا عصا أرزن طارت برايتها تنوء ضربتها بالكف والعصد

(٤) فى الأصل : « خرتم » والصواب : « حريم » كما فى القاموس ونوادر أبى زيد وأمالى القالى . ومالك : شاعر جاهلى . انظر شرح المرزوقى للحماسة رقم ٤٣٥ والعمدة ٢ : ٣٠ .

(٥) صواب روايته : « فواحدة » . انظر العمدة ٢ : ٣٠ لأن قبله :

فإن يك شاب الرأس منى فإننى أبيت على نفس مناقب أربعاً

وثانيةً ألا تفزع جارتى إذا كان جَارُ القوم فيهم مفزعاً
وثالثةً ألا أصمتَ كلبنا إذا نزل الأضيافُ حرصاً لتوزعاً

(استطراد لغوى)

قال : ويقال لحز الكلبُ الإناء ، فهو يلحزه لحزاً ، ولحسه فهو يلحسه
لحساً . قال أبو يزيد^(١) : وذلك إذا لحس الإناء من باطنه . والقرو :
میلغة الكلب ، فإذا كان للكلب فائماً هو من أسفل كوزٍ أو ما أشبه
ذلك ، وإلاً فالقرو أسفل نخلةٍ يُنجر ويقوب ويُنتبدُ فيه .
وقال الأعشى :

أرعى بها البید إذا أعرضتْ وأنتَ بين القرو والعاصِر^(٢)
في مجدلٍ شید بُنيانُهُ يزلُّ عنه ظفرُ الطائر^(٣)

(أحجية في الكلب)

ومما يُحاجى به الناسُ بعضهم بعضاً أن يقولوا : أتعرفون شيئاً إذا
قام كان أقصرَ منه إذا قعد ؟ يريدون الكلب ، لأنَّ الكلب قعوده

(١) كذا في ط ، س . وفي م : « أبو يزن » ولعل الصواب : « أبو زيد » وهو
أستاذ الجاحظ .

(٢) س : « أرى به » وصوابه في ط ، والضمير للناقة في بيت قبل هذا ، وهو :

لقد أسلى لهم حين اعترى بحجرة دوسرة عاقر

(٣) المجدل ، كنبر : القصر المشرف ، سمي مجدلاً لوثاقة بنيانه . والقصيدة في ديوان.

الأعشى ١٠٤ - ١٠٨ . وانظر منه ص ٢٤٥ . وهي من خير شعر الأعشى .

٧٧ إقعاؤه ، وهو إذا ألقى كان أرفعَ لسمكه ، وأرفعَ في الهواء طويلاً منه إذا قام . وقال عمر^(١) بن لُجأ :

عليه حيوف مستقدم^(٢) مُقعٍ كإقعا^(٣) الكلبِ بالمعصم

ويقال ألقى الكلبُ إقعاءً ، ولا يقال قعد ولا جلس . وفي الحديث : « أَنَّهُ نَهَى أَنْ يُقْعَى أَحَدُهُمْ فِي الصَّلَاةِ إِقْعَاءَ الْكَلْبِ » .

(معرفة سنُّ الكلبِ)

قال صاحب الكلب : يُعرَفُ فتاء الكلب وهرمُهُ بالأسنان ، فإذا كانت سوداء^(٤) كانت دليلاً على كبره ، وإذا كانت بيضاء^(٥) حادةٌ دلَّت على الفتاء والحداثة . وقال : أسنان الذكر أكثر .

(أصناف الحيوان المشقوقة الأفواه)

وأصناف الجِهُوانِ المشقوقةُ الأفواه كالكلب والأسد والفهدِ موصوفاتٌ بشدةِ الماضيغ والفكِّ والخراطيم ، كالكلب والخنزير والذئب ؛ فأشبهَ الكلبُ الأسدَ في شحْوِ الفمِّ واتساعه ، وعلى أَنَّ شَحْوَهُ على مقدار

(١) ط : « عمرو » وهو على الصواب في م . وعمر بن لُجأ : شاعر إسلامي كانت له مهاجاة مع جرير . انظر لها ابن سلام ٣٦٣ - ٣٦٧ .

(٢) كذا ورد هذا الشطر .

(٣) ط ، س : « كإقعاء » ، وبذلك يخلط الوزن ، وصوابه في م .

(٤) ط : « سودا » ، وتصحيحه من س .

(٥) ط : « بيضاء » .

جسمه ، وأشبه الذئب والخنزير في طول الحطم وامتداد الخرطوم ؛
ولذلك كان شديد القلب ، جيد الاسترواح . فجمع الكلب دون هذه
الأصناف ما يصلح للرض والحطم ، كما جمع ما يصلح للابتلاع والالتهام
واخطم^(١) [و^(٢)] الاستمراء .

(بعض ما قيل في الأسد)

والأسد حريص واسع الشحو ، فهو يبتلع البضعة التي لو رآها الإنسان
لم يظن أن حلقه يدسع لمروحه ذلك . ويقال إن عنقه عظم واحد واللحم
لا تجول فيه^(٣) ، وهو في ذلك قليل الريق ، فلا يسلس في حلقه ما يمر فيه ،
بل يبتلع لفرط نهمه وشحو حليته ضعفى ذلك المقدار .
وقد زعم ناس أن الذى يدل على أن عنق السبع عظم واحد ، ضعفه
عن تصريفه عنقه ، فلا يلتفت إلا معاً ، فيسمى الأصيد^(٤) .

وقال جرّان العود في صفة الذئب :

شدّ المماضع منه كلّ ملتفت وفي الذراعين والخرطوم تسهيل^(٥)

(١) ليست هذه الكلمة في س .

(٢) التكلة من س .

(٣) اللقمة بالضم وتفتح : ما بهياً للقم أى الابتلاع . وجرى العامة في مصر على تخصيصه
بكسرة الخبز .

(٤) انظر مثل هذا الكلام في الجزء الثالث ص ٣٠٦ .

(٥) يريد : أن هذا الذئب شد ماضعه على ولد البقرة الوحشية ، التي ذكرها جرّان العود
في بيت متقدم من قصيدته ص ٤٠ من ديوانه ، وهو :

أو نعمة من إراخ الرمل أخذها عن ألفها واضح الخدين مكحول
وكل ملتفت ظرف مكان ، غنى به كل ناحية . والخرطوم : الحطم ، وهو مقدم
القم والأنف . وأراد بالتسهيل هنا الطول .

(أسنان الذئب وبعض الحيات)

وقالوا في أسنان الذئب وفي أسنان بعض الحيات بأنها ممطولة^(١) في الفكين ، يذهب إلى أنه^(٢) عظم مخلوق في الفك ، وأنه لا يتغير^(٣) . وأنشدوا :

مُطْلَنَ فِي اللَّحْيَيْنِ مَطْلًا إِلَى رَأْسٍ وَأَشْدَاقٍ رَحِيَّاتٍ^(٤)
وَالْحَيَّاتِ تَوْصَفُ بِسَعَةِ الْأَشْدَاقِ ، وَالْأَفَاعِي خَاصَّةٌ هِيَ الْمَنْعُوتَةُ بِذَلِكَ .
وقال الشاعر - وهو جاهلي^(٥) - :

[خَلَقْتَ لَهَا زِمَّةً عَزِينَ وَرَأْسَهُ

كَالْقُرْصِ فُلُطَحَ مِنْ طَحِينٍ شَعِيرٍ^(٦)]

(١) ممطولة : أى ممتدة داخلة ، أو بمعنى مطبوعة طبعا .

(٢) ط : « بأنه » .

(٣) أنغر : ألقى ثغره ، والثغر : الأسنان .

(٤) انظر الحيوان ٤ : ٥٣ ، ١٨٠ ، ٢٨٢ حيث توجد سوابق هذا البيت ولواحقه .

(٥) كذا ، والصواب أن صاحب الشعر إسلامي ، فقد نسب صاحب المؤتلف والمختلف ، وكذا صاحب اللسان (عزا ، فرطح) إلى ابن أحر البجلي . قال صاحب المؤتلف والمختلف ص ٣٧ : « وابن أحر هذا إسلامي قديم ، وشاعر مجيد ، وصاف للحيات وعلى قوله احتذت الشعراء » . وهو في الأصمعيات منسوب إلى ابن مهدي وهو أعرابي صاحب غريب روى عنه البصريون ، وعنه روايات في أمالي القائل وقد جاء برسم (أبو مهدي) . وابن النديم يعرفه بأبي مهدية ، ومثله في الحيوان ٥ : ٣٠٩ . وقبل هذا الشعر كما في الأصمعيات :

قد كاد يقتلني أصم مرقش من حب كلم والخطوب كثير
حتى أصد الله عني رأسه والله بالمره المضاف بصير

(٦) هذا البيت ساقط من ط وأثبتته من س ، م . لهازمه : أصول حنكيه . عزين : متفرقات ، وفي اللسان بمادة فرطح : « فرطح » بدل « فطوح » وهما بمعنى ، يقال فرطح الفرص وفططحه إذا بسطه . وفي الأصمعيات : « فطوح من صعين شعير » . ومثل هذا قول الراجز (اللسان كتب) :

كان قرصا من طحين معتل هامة في مثل كتاب البعث

وَيَدِيرُ عَيْنًا لِلْوِقَاعِ كَأَنَّهَا سَمَرَاءُ طَاحَتْ مِنْ نَفْيِضِ بَرِيرٍ ^(١)
وَكَأَنَّ شِدْقِيهِ إِذَا اسْتَعْرَضَتْهُ شِدْقًا عَجُوزٍ مَضْمُضَتٍ لَطَهُورٍ ^(٢)

(مما أشبه فيه الكلب الإنسان والأسد)

٧٨ ومما أشبه فيه الكلب الإنسان والأسد ، أن كل واحد من هذه الأجناس إنما له بطن واحد ، وبعد البطن المعى ، إلا أن بعض بطنها أعظم من بعض ، ويناسبها فى الذى ذكرنا الذئب والذئب ، فما أكثر ما يناسبان الكلب ، فلذلك صارا يتناكحان ويتلاقحان . وهذا قول صاحب المنطق . قال : وأمعاء الكلب أشبه شئ بأمعاء الحية . وهذا أيضاً مما يزيد فى قدره ، لأنه إما أن يشبه الإنسان ، وإما أن يشبه رؤساء السباع ودواهى الحشرات ، وكلما كانت هذه المعانى فيه أكثر كان قدره أكبر .

(١) فى اللسان (مادة فرطح) : « ويدير عينا للوداع » ! وسمراء عنى بها الواحدة من البرير ، وهو ثمر الأراك إذا اسود وبلغ . والنفيض (بالقاء) : المنفوس . وفى الأصل : « نقيض » بالقاف ، وفى اللسان : « نقيص » . والوجه ما أثبت كما فى الأصمعيات . وقد قال طرفة :

وفى الحى أحوى ينفض المرء شادن . مظاهر سملى لؤلؤ وزبرجد
والمرء : هو البرير .

(٢) روى العسكري فى ديوان المعانى (٢ : ١٤٥) : « فكأن شديقه . . الخ . وفى الأصمعيات : « وكان شديقه إذا ما أقبل » ، وفى اللسان : « وكان شديقه إذا استقبله » .

(ما يحلم من الحيوان وما يحتمل)

قال : والكلب يحلم ويحتمل ، وكذلك الفرس والحصان ، والضبى يحلم ولا يحتمل ، والثور في هذا كله كالضبى . ويعرف ذلك في الكلب إذا تفرَّع^(١) وأنعظ .

وزعم أن الاحتلام قد عُوِين من الفرس والبرذون والحصان .

(بعض الأمور التناسلية لدى الحيوان)

قالوا : وليس العظام والتحامُ الفرجين إلّا في الكلب والذئب ، ومن أراد أن يفرّق بين الكلاب إذا تعاظلت وتسافدت رامَ أمراً عسيراً .

قالوا : والحيوان الذى يطاول عند السَّفَادِ معروف ، مثل الكلب والذئب^(٢) والعنكبوت والجمل ، وإن لم يكن هناك التحام . وإذا أراد العنكبوت السَّفَادَ جلبت الأنثى [بعض^(٣)] خيوط نسجها من الوسط ، فإذا فعلت ذلك فعل الذكر مثل ذلك ، فلا يزالان يتدانيان حتى يتشابكا^(٤) فيصير بطن الذكر قُبالة بطن الأنثى . وذلك شبيهٌ بعبادات الضفادع .

(١) قبل هذه الكلمة موضع أبيض في كل من س ، م . وهذه الكلمة جاءت برسم « تفرغ » في كل من ط ، م . وهو تصحيف .

(٢) في الأصل : « والديك » وإنما عرف الديك بمرعة السَّفَادِ . ورأيت الصواب فيما كتبت ، معتمدا على السياق الآتى .

(٣) الزيادة من س .

(٤) في الأصل : « فلا يزالا يتدانيان حتى يتشابكا » وصوابه ما أثبت .

وقال أبو الحسن عن بعض الأعراب ، قال : إذا هَجَمَ الرَّجُلُ عَلَى الذُّبِّ
وَالذُّبَّةِ وَهُمَا يَتَسَاوَدَانِ ، وَقَدْ التَّحَمَ الْفَرْجَانِ ، قَتَلَهُمَا ذَلِكَ الْهَاجِمُ عَلَيْهِمَا كَيْفَ
شَاءَ ؛ لِأَنَّهُمَا قَلِيلٌ مَا يُوجَدَانِ كَذَلِكَ ؛ لِأَنَّ الذُّبَّ وَحَشَى جَدًّا وَشَهَى^(١)
جَدًّا ، صَاحِبُ قَفْرَةٍ^(٢) وَخُلُوةٍ ، وَانْفِرَادٍ وَتَبَاعَدٍ ، وَإِذَا أَرَادَ الذُّبَّةُ تَوْحَى
مَوْضِعًا مِنَ الْقِفَارِ لَا يَطْوُهُ الْإِنْيَسُ ؛ خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ ، وَضَنًّا^(٣) بِالَّذِي يَجِدُ
فِي^(٤) الْمَطَاوِلَةِ مِنَ اللَّذَّةِ .

(حَدِيثُ أَحْمَدَ بْنِ الْمَثْنَى)

وَحَدَّثَنِي أَحْمَدُ بْنُ الْمَثْنَى قَالَ : خَرَجْتُ إِلَى صَحْرَاءٍ خَوْخَ^(٥) لَجْنَايَةِ جَنَيْتِهَا
وَخِفْتُ الطَّلَبَ ، وَأَنَا شَابٌّ ، إِذْ عَرَضَ لِي ذُبٌّ فَكُنْتُ كُلَّمَا دُرْتُ مِنْ شِقِّ
اسْتَدَارَ بِي ، فَلِذَا دُرْتُ لَهُ دَارَ مَنْ خَلَنِي ، وَأَنَا وَسَطَ بَرِّيَّةٍ لَا أَجِدُ مُعِينًا
إِلَّا بِشَيْءٍ^(٦) أَسْنَدَ إِلَيْهِ ظَهْرِي ، وَأَصَابَنِي الدُّوَارُ ، وَأَيَقَنْتُ بِالْهَلَكَةِ . فَبَيْنَا
أَنَا كَذَلِكَ وَقَدْ أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي - وَذَلِكَ هُوَ الَّذِي أَرَادَهُ الذُّبُّ وَقَدَّرَهُ - إِذَا
ذُبَّةٌ قَدْ عَرَضَتْ ، وَكَانَ مِنَ الصُّنْعِ وَتَأْخِيرِ الْأَجَلِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ فِي
زَمَنِ اهْتِيَاجِهَا وَتَسَافُذِهَا ، فَلَمَّا عَايَنَهَا تَرَكْنِي وَقَصَدَ نَحْوَهَا ، فَمَا

(١) شهى هنا : بمعنى شديد الشهوة ، يقال رجل شهى : إذا اشتدت به شهوته .

كما يقال في غير هذا : ماء شهى ، وطعام شهى : أى لذيق سائغ .

(٢) س : « قفوة » .

(٣) ط : « ومنعاً » وفي س ، م : « وضعا » ، وصوابهما ما أثبت .

(٤) س : « من » وما كتبت من ط أشبه بلفظة الجاحظ .

(٥) لم أجِدْ هَذَا الْمَوْضِعَ فِيمَا لَدَى مِنَ الْمَرَاجِعِ .

(٦) لعلها : « ولا أعثر بشيء » .

٧٩ تَلَعَّمُ أَنْ رَكِبَهَا^(١) . وقد كنتُ قرأتُ في بعض الكتب أنها تلتحم ،
فَفَوَّقَتْ سَهْمِي^(٢) وهما ينظران إلى ، فلَمَّا لم أَرَ عندهما نكيراً خَفَقَ
ذلك عندي ما كان في الكتاب من تلاحمهما ، فَشَيْتُ إليهما بسِنِي
حَتَّى قَتَلْتُهُمَا .

(افاح الكلاب والخنازير)

قال : وما يُعَدُّ للكلاب أنها كثيراً^(٣) ما تَلْفَحُ وتَلْفَحُ لحال الدَّفءِ
أو الخِصْبِ ، والكلبُ والخنزير في ذلك سواء ، ولا يكاد غيرُهما من الأصناف
يتلاقح في ذلك الزمان . فالكلبُ كما ترى يَنازِعُ أيضاً مواضع الإساءة والمحاسن
في جميع الحيوان .

(أسوأ ما يكون الحيوان خلقاً)

قال : وإناثُ الكلاب تصعبُ أخلاقُها إذا كان لها جِراء . وكلُّ شيء
له بَيْضٌ أو جِراء أو فِرَاحٌ فأسوأ ما يكون خُلُقاً وأنزَقُ وأكثرُ ما يكون
أَذَى^(٤) وأَعْرَمُ - إذا كان كذلك^(٥) ، إلاَّ إناثُ البَقَرِ .
والكلبُ كلما كان أَسَنَّ كانَ صَوْتُهُ أَجْهَرَ وأَغْلَظَ .

(١) ما تلعم : ما لبث . مثلها : ما ثلث ، وما تلوم ، وما عثم ، وكثير غيرها .

(٢) ط ، م : « ففومت سهمي » وفي س : « ففومت سهمي » ، والوجه ما أثبت ،

يقال فوق سهمه : جعل له فوقاً . والفوق : موضع الوتر من السهم .

(٣) ط : « وما يعد الكلاب أنها كثير » ، وتصحيحه من س .

(٤) في الأصل : « إذا » .

(٥) في الأصل : « وإذا كان كذلك » .

(تناسل الكلاب)

قال : والكلب ينزو إذا تمت له ستة أشهر ، وربما كان ذلك منه وهو ابن ثمانية أشهر . والكلبة الأنثى تحمل واحداً وستين يوماً ، أطول ما يكون ، ولا تضع قبل أن يتم حملها ستون يوماً ، ولا يبق الجرو ولا يثرى إذا قصر عن ذلك ، والأنثى تصلح أن ينزى عليها بعد ستة أشهر .

(ولد البكر من الحيوان والإنسان)

والكلبة والحِجْر^(١) والمرأة وغير ذلك ، يكون أولُ نِتاجها أصغر جثة ، وكذلك البَيْضُ إذا كان بكرًا ، وكذلك ما يخرج منه من فرج أو فرخ .

(بقية القول في تناسل الكلاب)

وذكر الكلاب تهيج قبل الإناث في السن ، والإناث تهيج قبلها في وقت حركتها . وكلما تأخر وقت الحدث إلى تمام الشباب كان أقوى لولده .

(١) الحجر ، بالبكر : الأنثى من الخيل .

والكلابُ لا تريد السَّفادَ عُمرَها كُلَّهُ ، بل إلى وقت معلوم .
وهي تلقح إلى أن تبلغ ثمانى عشرة سنة ، وربما انتدرت ^(١) الكلبة
فبلغت العشرين .

والكلاب أجناسٌ كثيرة : الكلب السلوقى يَسْفَدُ إذا كان ابن
ثمانية أشهر ، والأنثى تطالب ذلك قبل الثمانية ، وذلك عند شُغور الذكر
ببوله . والكلبة تحمِلُ من نرؤ واحد . وقد عرف ذلك الذين عرفوا الكلاب
وحضروا ليعرفوا ذلك . قال : والكلبة السلوقية تحمِلُ سُدُسَ السنة سِتِّينَ
يوماً ، ورُبَّما زادت على ذلك يوماً أو يومين . والجرو إذا وُضِعَ يكون أعمى
اثنتى عشر يوماً ثمَّ يبصر ، والكلبة تسفد بعد وضعها فى الشهر الثانى ، ولا تسفد
قبل ذلك .

٨٠ ومن إناث الكلاب ما تحمِلُ خمسَ السنة ، يعنى اثنين وسبعين يوماً ،
وإذا وضعت الجراء تكون عمياء اثنين وعشرين يوماً .

ومن أصناف الكلاب ما يحمِلُ رُبْعَ السنة ، أعنى ثلاثة أشهر ، وتضع
جِراء وتبقى كذلك ^(٢) سبعة عشر يوماً ؛ ثمَّ تُرَضِعُ جِراءها على عدد أَيَّامها
التي لا تبصر فيها .

وزعم أن إناث الكلاب تحيضُ فى كلِّ سبعة أيام ، وعلامة ذلك
ورَمَ أُنْفارِها ، ولا تقبَلُ السفاد فى ذلك الوقت ، بل فى السبعة التى بعدها
ليكون ذلك تمامَ أربعة عشرَ يوماً أكثرَ ما يكون ، وربما كان كذلك
لتمام ستة عشرَ يوماً ^(٣) .

(١) كذا فى س . فى ط « ابتدرت » وهو تصحيف .

(٢) أى عمياء .

(٣) انظر العقد ٦ : ٢٤١ لجنة التأليف .

قالوا : وإنَّاثُ الكلابِ تُلقَى بَعْدَ وَضْعِ الجِراءِ رُطوبَةً غليظةً بلغميّةً ،
وإذا وضَعَتْها بعدَ الجِراءِ اعتراها هُزالٌ ، وكذلك عامّةُ الإناثِ . ولبنُها يظهرُ
في أطبائها قبل أن تَضَعَ بِخَمْسَةِ أيامٍ أكثرَ ذلكَ ، وربما كَثُرَ اللبنُ
في أطبائها قبل ذلك بسبعةِ أيامٍ ، وربما كان ذلك في مقدارِ أربعةِ أيامٍ .
ولبنُها يظهرُ ويجود إذا وَضَعَتْ من ساعتها . قال : فأما السلوقيّةُ فيظهرُ لبنُها
بعد حملها بثلاثين يوماً ، ويكونُ لبنُها أوَّلَ ما تَضَعُ غليظاً ، فإذا أَزْمِنَ رَقَّ
ودقَّ . ولبنُ الكلابِ يخالِفُ لبنَ سائرِ الحيوانِ بالغلظِ ، بعد لبنِ
الخنَازيرِ والأرانبِ .

وقد تكونُ علامةٌ مبلغُ سِفادها مثلَ ما يَعرِضُ للنِّساءِ من ارتفاعِ
الثَّدِينِ^(١) . ومعرفةُ ذلكَ عسيرةٌ ، وهذه علاماتُ تظهرُ لِإناثِ الكلابِ .
وذكورةُ الكلابِ تَرفعُ أرجلَها وتبولُ لتمامِ سِتَّةِ أشهرٍ ، ومنها ما لا يفعلُ
ذلكَ إلى أن يبلغَ ثمانيةَ أشهرٍ ، ومنها ما يَعتَجِلُ قبل ذلك . قال : ونقولُ
بقولِ عامٍّ إِنَّ الذكورَ تَفعَلُ ذلكَ إذا قَوِيَتْ ، فأما الإناثُ فهي تبولُ مُقْعِيَةً ،
ومنها ما تَشغُرُ .

وأكثرُ^(٢) ما تَضَعُ الكلبةُ اثنا عَشَرَ جِرواً ، وذلك في الفَرَطِ ،

(١) المَلحُ في الكلامِ نقصاً .

(٢) بعد هذه الكلمة كلامٌ في النسخة م ليس في ط ، س . وهو ركيكٌ دخيلٌ
على الكتابِ لا جرم . وأنا أثبتُه هنا إثباتاً تاريخياً فحسب : « الثعالبُ ربما
عرفت منهم هذه الحالة كما قيل : الثعالبُ كلابٌ إلا أنهم مجهولون النسبُ
وقال ابنُ عوفٍ في ثعلبِ بنِ بدرٍ حيث يقول :

وكرهت أن قال الميمِ ثعلبٌ يَرجى وإني عند ذلكَ مرتجى

ما ثعلبٌ إلا ابنُ عاويةِ الفِلا ناهيك من كلبٍ ولكن أهوجا

وإلى هنا تنتهي النسخة م . وستكونُ مقابلتنا بعد هذه الكلمة على النسخة
س في تحقيقٍ ومراجعةِ هذا الجزء من كتاب الحيوان .

وأكثر ذلك الخمسة والستة ، وربما وضعت واحداً . فأما إناث السلوقيّة فهي تضعُ ثمانية أجراء ، وإناثها وذكورها تسفد ما بقيت^(١) . ويعرض للكلاب السلوقيّة عرض خاصٌّ : وهي أنها كلّما بقيت كانت أقوى على السّفاد .

(أعمار الكلاب)

وذكورة السلوقيّة تعيش عشرَ سنين ، والإناث تعيش اثنتي عشرة سنة^(٢) ، وأكثر أجناس الكلاب تعيش أربعَ عشرة سنة ، وبعض الأجناس^(٣) تبقى عشرين سنة .

قال : وإناث الكلاب أطولُ أعماراً من الذكور ، وكذلك هي في الجملة ، وليس يُلقى الكلب من أسنانه سنّاً ما خلا النّابين ، وإنما يلقيهما إذا كان ابنَ أربعة أشهر .
قال : ومن أجل أن الكلاب^(١) لا تلقي غيرَ هذين النّابين يشكُّ بعض الناس أنها لا تلقي سنّاً ألّبتة .

(١) ط : « ماتت » وتصحيحه من س .

(٢) ط : « اثني عشر سنة » ، وهو على الصواب المثبت في س .

(٣) في الأصل : « والخاص » .

(٤) ط : « ومن أجل ذلك أن الكلاب ، والوجه حذف « ذلك » كما في س .

(أمراض الكلاب)

قال : وللكلاب ثلاثة أصنافٍ من المرض ، وأسمائها^(١) : الكلب ٨١
بفتح اللام ، والذُبْحَة ، والنقرس^(٢) . والكلبُ جنون ، فإنَّ عَرَضَ
لشيءٍ من الحيوان كَلَبٌ أيضاً أمانته ، ما خلا الإنسان . وهو دائماً يقتل
الكلاب ، وتقتل به الكلابُ كلَّ شيءٍ عَصَّته ، إلاَّ الإنسان فإنه
يعالج فيسَلَم .

(أدواء بعض الحيوان)

قال : وداء الكلب يعرض للحمار ، فأَمَّا الجنون وذهابُ العقل فإنه
يصيبُ كلَّ شيء ، فمن ذلك ما يصيب الدوابَّ ، فإنَّ منها ما يُصرَع كما
يُصرَع المجنون . والسائس^(٣) من الدوابَّ : الذاهب العقل .

(صرع أعين الطيب)

وقد كان شأن أعين الطيب عَجَباً ؛ وذلك أنه كان يُصرَع ، واتَّفَق أنه
كان له بغلٌ يصرَع ، فكان ربَّما اتَّفَق أن يُصرَعَا^(٤) جميعاً ! وقد رأى ذلك
كثير من أصحابنا البصريين .

(١) ط : « وأسماءهم » ، وهي على الصواب في س .

(٢) النقرس بالكسر : ورم ووجع في مفاصل الكعبين وأصابع الرجلين . وفي

ط : « النفوس » ، وفي س : « النفوس » بالفاء ، وصوابها ما أثبت .

(٣) س : « السائس » .

(٤) انظر كتاب البغال ٢٦٤ من رسائل الجاحظ بتحقيقنا .

(الصَّرْعُ عند الحيوان)

والصَّرْعُ عامٌّ في الحيوان ، ليس يسلم منه صِنْفٌ منها حتَّى لا يعرض له منه شيء . والإنسان فوق جميع الحيوان تعذيباً^(١) ، وكذلك هو^(٢) في العقل والمعرفة والاحتيال له ، مع دفع المضرة واجتلاب المنفعة ، ومَا أَكْثَرَ مَا يَعتَرِيهِمْ ذلك . ومن ذلك مَا يذهب ، ومن ذلك مَا لا يذهب .

(بعض من عرض لهم الصرع من الفضلاء)

وقد كان بَجْتِيْشَوْعُ المتطبِّبُ عَرَضَ له ذلك ، وقد كان عرض لعبد الملك بن قُرَيْبٍ^(٣) فذهب عنه . ودرَّبَمَا عرض للرَّجُلِ الذي لَا يُظَنُّ به ذلك في بيان ولا تبين ، ولا في أدبٍ ، ولا في اعتدالٍ من الأخلاط ، والصَّحَّةِ من المزاج ، ثُمَّ لَا يعرض من ذلك إِلَّا مَا لا حيلةَ له فيه ، كما [كان]^(٤) يعرض لبشر بن أبي عمرو بن العلاء النحويَّ

(١) كذا

(٢) س : « وذلك » .

(٣) هو الأصمعي إمام اللغة والغريب والأخبار والملح والنوادر . روى عن أبي عمرو ابن العلاء وقره بن خالد ونافع بن أبي نعيم وشعبة وحاد وغيرهم . وكان يتقن أن يفسر الحديث كما يتقن أن يفسر القرآن ، وهو من أكثر التأليف . وكان من أهل البصرة . توفي سنة ست عشرة أو خمس عشرة ومائتين ، عن ثمان وثمانين سنة . والجاحظ يروى عنه كثيراً في كتبه .

(٤) زدتها مساوقة للقول .

المازني^(١) وكما عرض لعبد الرحمن ومنصور الأسديين ، فما زال كذلك حتى ماتاً ، ولم يبلغنا أنهما صرعا .

(الموتة)

والموتة^(٢) جنس من الصرع ، إلا أن صاحبه إذا أفاق عاد إلى كمال عقله كالنائم والسكران والمغشي عليه ، وإن عاش صاحب الموتة في ذلك مائة عام .

وليس يلقى شيء من الحيوان في هذا الباب كما يلقى الورشان .

(اختلاف درجات السكر لدى الحيوان كتبائنها لدى الإنسان)

وأما السكر فليس شيء من الحيوان إلا وهو يسكر ، واختلاف سكره كاختلاف سكر الإنسان ؛ فإن من الناس من تراه يتحدث وهو يشرب فلا تنكر منه شيئاً ، حتى يغلب عليه نوم السكر ضربة واحدة ،

(١) أبو عمرو بن العلاء كان إمام أهل البصرة في القراءات والنحو واللغة . قالوا : وكانت دفتاره تملأ بيته إلى السقف ، ثم تنسك فأحرقها . اختلف في اسمه على واحد وعشرين قولاً سردها السيوطي في البغية ٣٦٧ قال : « وسبب الاختلاف في اسمه أنه كان لجلاته لايسأل عنه » . توفي أبو عمرو سنة أربع وقيل تسع وخمسين ومائة . وأما ابنه بشر فلم أعرف عنه إلا خبراً واحداً تجده في الأغاني (٢٠ : ١٨٣) .

(٢) في القاموس : « الموتة بالضم : الغشي والجنون » .

ومنهم من تراه والنبذ يأخذ منه الأوَّل فالأوَّل ، وتراه كيف تثقل حركته ، ويغلظ حسه ويتمحق ، حتى يطيش عليه السكر بالعبث ، ويطبق عليه النوم . ومنهم من يأخذه بالعبث لا يعدوه . ومنهم من لا يرضى بدون السيف ، وإلا بأن يضرب أمه ويطلق امرأته . ومنهم من يعتره البكاء ، ومنهم من يعتره الضحك ، ومنهم من يعتره الملل والتفدية ، والتسليم على المجالس ، والتقييل لزعوس الناس . ومنهم من يرقص ويثب ، ويكون ذلك على ضربين : أحدهما من العرض^(١) وفضل الأشر^(٢) ، والآخر تحريك المارة ، وهي علّة الفساد وهيجان الآفة .

وكل هذه الحالات والصُّور ، والذعوت ، والأجناس ، والتوليد ، الذى يختلف فى طبائع الناس ، وطبائع الأشربة ، وطبائع البلدان والأزمان ، والأسنان ، وعلى قدر الأعراق والأخلاق ، وعلى قدر القلّة والكثرة ، وعلى قدر التصريف والتوفيق ، قد^(٣) وجدوه فى جميع أصناف الناس والحيوان ، إلا أن فى الناس واحدة لم توجد فى سائر الحيوان قط ، فإن فى الناس من لا يسكر ألبتة ، كان^(٤) محمد بن الجهم^(٥) وأبو عبد الله العمى^(٦) .

(١) المرض هنا بمعنى الجنون وذهاب العقل ، يقال عرض كفى .

(٢) الأشر : المرح .

(٣) فى الأصل : « وقد » . والصواب ما أثبت ، فإن جملة « قد وجدوه » خبر لكلمة « كل » فى صدر هذه الفقرة .

(٤) لعلها « كما كان » أو « كذلك كان » .

(٥) هو محمد بن الجهم البرمكى ، ولاء الخليفة المأمون عدة ولايات . وقد ذكر أبو الفرج فى الأغاني (١٣ : ١٥) أسئلة طريفة فى الأدب والشعر وجهها إليه المأمون ، فأعجبه جوابها ، وكان هذا الاختبار الأدبى سبباً لحصوله على هذه الولايات . وروى له الجاحظ أخباراً فى البيان .

(٦) سيأتى فى ص ٢٤٠ من هذا الجزء أنه من المعتزلين .

وكان بين عقل زبيد بن حميد إذا شرب عشرة أرطال ، وبين عقله إذا ابتداء الشرب ، مقدارٌ صالح .

(سَكْرُ الْعَمَى)

وَأَمَّا الْعَمَى فَإِنَّ بَنِي عَبْدِ الْمَلِكِ الزِّيَادِيِّينَ دَعَوْنِي مَرَّةً لِيَعَجِّبُونِي مِنْهُ ، وَلَمْ يَنْبُهِوْنِي عَلَى هَذِهِ الْخَاصَّةِ الَّتِي فِيهِ ، لِأَكُونَ أَنَا الَّذِي أَنْتَبَهَ عَلَيْهِ ، فَدَخَلْتُ عَلَى رَجُلٍ ضَخْمٍ فَدَمَ (١) غَلِيظِ اللِّسَانِ ، غَلِيظِ الْمَعَانِي ، عَلَيْهِ مِنَ السَّكَّامِ أَشْلُ الْمُؤَنَةِ (٢) ، وَفِي مَعَانِيهِ اخْتِلَافٌ ، لَيْسَ مِنْهَا شَيْءٌ يُوَاقِي صَاحِبَهُ وَلَا يِعَاوُنُهُ وَلَا يَشَارِكُهُ وَلَا يَنَاسِبُهُ ، وَحَتَّى تَرَى أَنَّ أُذُنَهُ فِي شِقِّ وَلِسَانِهِ فِي شِقِّ ، وَحَتَّى تَظُنَّ أَنَّ كَلَامَهُ كَلَامُ مَحْمُومٍ أَوْ مَجْنُونٍ ، وَأَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَقْطَعُ نِظَامَ الْمَعَانِي (٣) ، وَيَخْلُطُ بَيْنَ الْأَسْفَلِ وَالْأَعَالَى . فَشَرِبَ الْقَوْمُ شُرْبَ الْهَيْمِ (٤) ، وَكَانَتْ لَهُمْ أَجْسَادٌ مَذْبُورَةٌ ، وَأَجْوَافٌ مَنْكَرَةٌ ، وَكَانَتْ كَأَنِّي رَجُلٌ مِنَ النَّظَّارَةِ . فَمَا زَالَ الْعَمَى يَشْرَبُ رِطْلًا بَعْدَ رِطْلٍ ، وَيَرِقُّ لِسَانُهُ ، وَيَنْحَلُّ عَقْدُهُ (٥) ، وَيَصْفُو ذَهْنُهُ ، وَيَذْهَبُ كَدْرُهُ . وَلَوْ قُلْتُ إِنِّي لَمْ أَرِ مِثْلَهُ حُسْنِ نَفْسٍ كُنْتُ صَادِقًا . فَالْتَفَتَ إِلَى الْقَوْمِ أَجْمَعِهِمْ فَقَالُوا : لَوْلَا هَذَا الْعَجَبُ مَا عَجَبْنَاكَ (٦) الْيَوْمَ مَعَ حَدَاثَةِ عَهْدِنَا بِكَ .

(١) القدم : الأخق الجاني .

(٢) كَذَا فِي الْأَصْلِ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « الْمَعَالَى » .

(٤) الْهَيْم : الْإِبِلُ الْعِطَاشُ .

(٥) الْعَقْدُ ، هُنَا ، بِمَعْنَى الْقُوَّةِ .

(٦) فِي الْأَصْلِ ، « مَا عَسَاكَ » .

وزعم العمى وكان كثير المنازعة عند القضاة ، أنه كان إذا قارب
العشرة الأرطال ثم نازع الخصوم ، كان ذلك اليوم الذى يفوت فيه
ذرع الخصوم للحن بحجته^(١) ، ويستميل فيه رأى القاضى المنعقد
فى مجلسه الطويل ، القطوب فى وجه من نازع إليه .
وقال الشاعر^(٢) :

وجدت أقل الناس عقلاً إذا انتشى أقلهم عقلاً إذا كان صاحباً
تزيد حسى الكاس السفية سفاهة وتترك أخلاق الرجال كما هيأ^(٣)
قال : وهذا شعر بعض المولدين ، والأعريب لا تخطئ هذا الخطأ ؛
قد رأينا أسفة الناس صاحباً أحلم الناس سكران ؛ وهو مرداس صاحب زهير ،
ورأينا أحسن الناس خلقاً وأوزنهم حلماً ، حتى إذا صار فى رأسه رطل
كان أخف من فراشة ، وأكثر نزواً من جرادة رَمْضة^(٤) ؛ فإن المثل
بها يضرب .

٨٣

(سبب ماله عرف المعتزلة سكر البهائم)

وكان سبب ماله عرف أصحابنا سكر البهائم ، أن محمد بن على بن سليمان
الهاشمي لما شرب على علويه كلب المطبخ ، وعلى الذئمان ، وعلى شراب

-
- (١) فات ذرعهم : غلبهم وتجاوز مداهم . والحن ، بالتحريك : أن يفتن المرء لحجته .
(٢) هو أبو نواس . ديوانه ٣٥٨ . وأنشدهما فى ديوان المعاني ١ : ٣٢٤ .
(٣) الحسى بالضم : جمع حصوة بالضم ، وهى المرة من الحسو . وأراد بالرجال هنا :
السكاملين فى معنى الرجولة . وفى ديوان المعاني : « أخلاق الكرم » .
(٤) الرَمْضة : التى أصابها الرمض ، وهو شدة الحر . والنزو : الوثب . وانظر
فى أمثال الميداني : « أنزى من جرادة » .

البصريين ، وعلى كُلٍّ من نَزَعٍ إليه من الأقطار ، وتحذاه من الشراب الجوّاد من الشراب ، أحبَّ أن يشرب على الإبل من البَخانيِّ والعِراب ، ثُمَّ عَلَى الظِّلْف من الجواميس والبقر ، ثُمَّ على الخيل العِتاقِ والبرّاذين ، فلمّا فرَغ من كُلِّ عَظِيمِ الجَنَّةِ واسعِ الجُفْرَةِ (١) ، صار إلى الشاء والطِّباء ، ثُمَّ صار إلى النُّسور والكلب وإلى ابن عِرس ، وَحَتَّى أَتَاهُمْ حَاوٍ (٢) فَأَرْغَبُوهُ ، فَكَانَ يَحْتَالُ لَأَفْوَاهِ الحَيَّاتِ حَتَّى يَصْبَ فِي حَاقٍ (٣) أَجْوَافِهَا بِالْأَقْبَاعِ المَدْنِيَّةِ ، وَبِالْمَسَاعِطِ ، وَيَتَّخِذُ لِكُلِّ شَيْءٍ شَكْلَهُ . وَكَانَ مَلِكاً تَوَاتِيهِ الْأُمُورُ ، وَتُطِيعُهُ الرِّجَالُ (٤) ، فَأَبْصَرُوا تِلْكَ الاختلافاتِ فِي هَذِهِ الْأَجْنَاسِ المَخْتَلِفَةِ .

(نعت النظام)

فخبرني أبو إسحاق إبراهيمُ النظام ، وقد كان جالسَهُ حيناً - وكان إبراهيمُ مأمونَ اللسان ، قَلِيلَ الزَّلَلِ والزَّيغِ فِي بابِ الصدق والكذب . ولم أزعَمْ أَنَّهُ قَلِيلُ الزَّيغِ والزَّلَلِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ قد كان يَكُونُ مِنْهُ وَإِنْ كان قَلِيلاً ، بَلْ إِنَّمَا قُلْتُ عَلَى مِثْلِ قولِكَ : فَلانَّ قَلِيلُ الحياءِ ، وَأَنْتَ لَسْتَ تَرِيدُ هُنَاكَ حياءً أَلْبَنَةً ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ رَبَّما وَضَعُوا القَلِيلَ فِي مَوْضِعٍ لَيْسَ . وَإِنَّمَا كانَ عَيْبُهُ الَّذِي لا يَفارِقُهُ سَوْءُ ظَنِّهِ ، وَجُودَةُ قِياسِهِ عَلَى العارِضِ

(١) الجفرة ، بالضم : ما يجمع البطن والجنبين . وفي الأصل : « الحفرة » بالحاء ، وهو تصحيف ما أثبت .

(٢) في الأصل : « حاو » ، والوجه حذف الياء .

(٣) حاق بمعنى وسط .

(٤) في الأصل : « وقطيعه الرجال » ، ووجهه ما أثبت .

والخاطر والسابق الذى لا يُوثق بمثله . فلو كان بدَل تصحيحه القياسَ التمس^(١) تصحيح الأصل الذى كان قاس عليه أمره على الخلاص^(٢) ، ولكنه كان يظن الظن ثم يقيس عليه وينسى أن بدء أمره كان ظناً . فإذا اتقن ذلك وأيقن ، جزم عليه ، وحكاه عن صاحبه حكاية المستبصر فى صحة معناه . ولكنه كان لا يقول سمعت ، ولا رأيت . وكان كلامه إذا خرج مخرج الشهادة القاطعة لم يشك السامع أنه إنما حكى ذلك عن سماع قد امتحنه ، أو عن معاينة قد بهرته .

(حديث النظام فى تجربة إسكار البهائم والسباع)

فحدثني إبراهيم قال : شهدت أكثر هذه التجربة التى كانت منهم فى إسكار البهائم وأصناف السباع ، ولقد احتال للأسد ٨٤ مقلم الأظفار يُنادى عليه : العجب العجب !! حتى سقاه وعرف مقداره فى الاحتمال ، فزعم ، أنه لم يجد فى جميع الحيوان أملح سُكراً من الظبي . ولولا أنه من الترفه لكنت لا يزال عندى الظبي حتى أسكره وأرى طرائف ما يكون منه :

(١) فى الأصل : « التمس » .

(٢) كذا بحذف جواب الشرط ؛ وهو كثير فى كلامهم .

(القول في سرعة التعلم والجرأة عند بعض الحيوان)

قال : وإناث الكلاب السلوقية أسرع تعلمًا من الذكور^(١) .

قال : وجميع أصناف السباع ذكورتها أجراً وأمضى^(٢) وأقوى ، إلا الفهدة^(٣) والذبيّة .

والعامة تزعم أنّ اللبوة أجراً من الأسد ، وليس ذلك بشيء ، وهو أنزق وأحد ، وأفرق من الهجعة^(٤) ، وأبعد من التصميم وشدة الصولة .

(بين عروة بن مرثد و كلب حسبه لصاً)

قال يشر بن سعيد : كان بالبصرة شيخ من بني نهشل يقال له عروة ابن مرثد ، نزل ببني أخت له في سكة بني مازن ، وبنو أخته من قريش ، فخرج رجالهم إلى ضياعهم وذلك في شهر رمضان ، وبقيت النساء يصلين في مسجدهم ، فلم يبق في الدار إلا كلب يعس^(٥) ، فرأى بيتاً فدخل وانصفق الباب ، فسمع الحركة بعض الإمام فظنوا أنّ لصاً دخل الدار ، فذهبت إحداهن إلى أبي الأعز^(٦) ، وليس في الحي رجل غيره ، فأخبرته

(١) الذكورة : جمع ذكر . وهي في ط : « المذكورة » وتصحيحها من ص .

(٢) ط : « أمضا » ، وتصحيحه من ص .

(٣) في الأصل : « الفهود » .

(٤) أي أن خوفه من صياح الناس به أشد من خوفها .

(٥) عس واعتس : طاف ليلاً .

(٦) ص : « أبو الأغر » ، وكذلك في كل موضع ترد فيه هذه الكلمة من القصة . وانظر عيون

فقال أبو الأعز: ما يبتغي اللص منا؟ ثم أخذ عصاه وجاء حتى وقف على باب البيت فقال: إيه ياملأمان^(١)! أما والله إنك بي لعارف، وإني بك أيضاً لعارف، فهل أنت إلا من لصوص بني مازن، شربت حامضاً خبيثاً، حتى إذا دارت الأقداح في رأسك منتك نفسك الأمانى، وقلت: دور بني عمرو^(٢)، والرجال خلوف، والنساء يصلين في مسجدهن، فأسرقهن! سوءة والله، ما يفعل هذا الأحرار! لبئس^(٣) والله مامنتك نفسك! فاخرج وإلا دخلت عليك فصرمتك^(٤) مني العقوبة! لايم^(٥) الله لتخرجن أو لأهفن هتمة مشومة عليك، ياتى فيها الحيان: عمرو وحنظلة، ويصير أمرك إلى تباب، ويحى سغد بعدد الحصى، ويسيل عليك الرجال من هاهنا وهاهنا!! ولئن فعلت لتكونن أشأم مولود في بني تميم!! فلما رأى أنه لا يجيبه أخذه باللين وقال: اخرج يابني وأنت مستور، إني والله ما أراك تعرفني، ولو عرفتني لقد قنعت بقولي واطمأنت إلى، أنا عروة بن مرثد أبو الأعز المرثدي، وأنا خال القوم وجلدة ما بين أعينهم^(٦) لا يعصونني في أمر، وأنا لك بالذمة كفيل خفير، أصيرك

(١) الملامن: اللثيم، ويقابله المكرمان بوزنه.

(٢) عامل المفعول مخذوف يدل عليه المقام، تقديره «آتى» أو «أقصد».

(٣) في الأصل: «ليس».

(٤) يقال: عقوبة صارمة: أى قاطعة شديدة. وفي الأصل: «صدمتك».

(٥) في الأصل: «لايم» بهزة القطع، والأصح أن تكون ألفها ألف وصل. وكتبت في القاموس واللسان وكتاب سيويه ٢: ٢٧٣ برسم «ليم». وانظر ما كتب ابن منظور في اللسان (يمن).

(٦) يقال هو جلدة ما بين العين والأنف، أى هو مثلها في مكان العزة والقرب.

قال عبد الله بن عمر - وكان يلام في شدة حبه لابنه سالم:

يديروني عن سالم وأديرهم وجلدة بين العين والأنف سالم

انظر الكلام عليه في اللسان (حوز، سلم) وثمار القلوب ١٧٤ والمعارف ٨٠.

بين شحمة أذني وعاتقي لا تُضارُّ ، فاخرج فأنت في ذمتي ، وإلا فإنَّ عندي قَوْصَرَتَيْنِ ^(١) إحداهما إلى ابنِ أختي البارِّ الوَصُولِ ، فخذُ إحداهما فانْتَيْدُها ٨٥
 حلالاً من الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم . وكان الكلبُ إذا سمعَ الكلامَ أطرقَ ، وإذا سكَّتْ وثبَ يُرْبِغُ ^(٢) الخرج ، فتهافت الأعرابيُّ ،
 أي تساقط ^(٣) ، ثم قال : يا ألامَ الناسِ وأوضعهم ، ألا يأتني لك أنا منذُ الليلة
 في وادٍ وأنت في آخرِ ، إذا قلتُ لك السَّوداءُ والبيضاءُ تسكَّتُ وتطرقُ ،
 فإذا سكَّتْ عنكَ تُرْبِغُ الخرج ؟! والله لنخرُجَنَّ بالعفو عنكَ أو لآلِجَنَّ
 عليك البيتَ بالعُقوبة ! فلما طال وقوفه جَاءَتْ جَارِيَةٌ من إماءِ الحَيِّ
 فقالت : أعرابيُّ مجنون !! والله ما أرى في البيتِ شيئاً !! ودفعت البابَ
 فخرج الكلبُ شداً ، وحادَ عنه أبو الأعزِّ مستلقياً ، وقال : الحمدُ لله الذي
 مَسَخَكَ كلباً ، وكفاني منك حرباً !! ثم قال : تالله ما رأيتُ كالأليَّةِ ، ما أراه
 إلا كلباً !! أما والله لو علمتُ بحالِهِ لوجَّلتُ عليه .

(بعض خصال الديك)

قال صاحب الديك : في الديك الشَّجَاعَةُ ، وفي الديك الصَّبْرُ عند اللقاء ،
 وهم لا يجدون الصَّبْرَ تحت السَّيَاطِ والعصا ، إلا أن يكون ذلك موصولاً بالصَّبْرِ
 في الحرب على وقع السَّلاح .

(١) القوصرة : وعاء من قصب يجعل فيه النمر .

(٢) يربغ : يريد .

(٣) في الأصل : « تضاحك » ولا تكون هذه الكلمة من معاني « تهافت » . وتساقط :
 تتخاذل ودب فيه الضعف .

وفى الدِّيَك الجَوْلَان ، وهو ضرب من الرِّوْغان ، وجنسٌ من تدبير الحرب ، وفيه الثَّقَافَةُ والتَّسْدِيدُ^(١) ؛ وذلك أَنَّهُ يَقْدَرُ إِيقَاعُ صَيْصِيَّتِهِ^(٢) بعين الديك [الآخر^(٣)] ، ويتمرَّب إلى المذبح فلا يخطئُ .

وهم يتعجَّبون من الجَزَّار ، ويضربون به المثل إذ كان لا يخطئُ اللَّبَّةَ ، ومن اللِّحَام إذا كان لا يخطئُ المَفْصِلَ ، ولذلك قالوا فى المثل : « يطبَّقُ الحَزَّ^(٤) » ولا يخطئُ المَفْصِلُ ! . وهذا القولُ يذمُّون به ويمدحون . والديك فى ذلك أعجبُ ، وله مع الطَّعْنَةُ سرعةُ الوَثْبَةِ ، والارتفاعُ فى الهواءِ . وسلاحه طَرِيرٌ^(٥) ، وفى موضعٍ عجيب ، وليس ذلك إلَّا له ، وبه سُمِّيَ قَرْنُ الثَّورِ صَيْصِيَّةَ ، ثُمَّ سَمَّوْا الآطَامَ^(٦) التى كانت بالمدينة للامتناع بها من الأعداءِ صِياصِيَّ ، قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صِيَاصِيهِمْ ﴾ . والعَرَبُ تسمَّى الدَّارِعَ وذو الجُنَّةِ^(٧) صاحبَ سلاح ، فلما كان اسم سلاح الديك وما يمتنع به صَيْصِيَّةَ ، سَمَّوْا قَرْنَ الثَّورِ الذى يُجَرِّحُ صَيْصِيَّةَ . وعلى أَنَّهُ يَشْبَهُ فى صورته^(٨) بصَيْصِيَّةِ الديك

(١) الثَّقَافَةُ : الخِذْقُ . والتَّسْدِيدُ : صدق الإصابة .

(٢) سبق الكلام فى هذا اللفظ فى ص ١٢٦ ، ١٢٧ .

(٣) الزيادة من نهاية الأرب ١٠ : ٢٢٠ . نقلا عن الحيوان .

(٤) الحَزَّ : موضع الحز ، مثل المفصل : موضع الفصل . وفى الأصل : « الحز » والوجه ما أثبت .

(٥) سلاح طرير : محدد ماض .

(٦) الآطَام : جمع أطم بضم وبضمتين ، وهو الحصن يبنى من الحجارة .

(٧) الدارِع : لابس الدرع ، وهو القميص الحديدى . والجنَّة : ما يلبسه المرء أو يحمله ليقى به نفسه . وفى الأصل : « الجارح وذو الجنَّة » وليس بشيء .

(٨) فى الأصل : « فى صَيْصِيَّةِ صورته » . وكلمة « صَيْصِيَّة » مقحمة .

وإن كان أعظم . ثم لما وجدوا تلك الآطام معاقليهم وحصونهم وجنتهم ، وكانت في تجرى الترس والدرع والبيضة ، أجروها مجرى السلاح ، ثم سموها صياصي . ثم أسموا شوكة الحائك التي بها تهيأ السداة واللحمة صيصية ؛ إذ^(١) كانت مشبهة بها في الصورة ، وإن^(٢) كانت أطول شيئاً ، ٨٦ ولأنها مانعة من فساد الحوك والغزل ؛ ولأنها في يده كالسلاح ، متى شاء أن يجأ به إنساناً وجأه به^(٣) .

وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ^(٤) :
نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالرَّمَا حُ تَنُوشُهُ
كَوَقَعِ الصَّيَّاصِي فِي النَّسِيجِ الْمَمْدَدِ

(استطراد اغوى)

وقد تسمى العربُ إبرة العقرب شوكة ، كما تسمى صيصية الديك شوكة ، وهي من هذا الوجه شبيهة بشوك النخل .

(١) في الأصل : « إذا » وإنما هي « إذ » التعليلية ، وقد نهت فيما مضى على كثرة تحريف هذه الكلمة .

(٢) في الأصل : « فإن » .

(٣) وجأه : ضربه وطعنه .

(٤) البيت الآتي من قصيدة اختارها أبو تمام في الحماسة ١ : ٢٣٦ ، مطلعها :

نصحت لعارض وأصحاب عارض ورهط بنى السوداء والقوم شهدي

يرثي بها دريد بن الصمة أخاه عبد الله بن الصمة . والبيت المستشهد به قال

فيه أبو هلال العسكري ديوان المعاني ٢ : ٥٨ : « أحسن ما قيل في سرعة

وقع الرماح وقداركه » .

ويقال لمن ضربته الحمرة . قد ضربته الشوكة ؛ لأن الشوكة إذا ضربت إنساناً ، فما أكثر ما تعتريه من ذلك الحمرة .

وقد قال القطامي في تسمية إبرة العقرب شوكة :

سرى في جليد الأرض حتى كأنما تخزم بالأطراف شوك العقارب^(١)
وتُوصف الحجر^(٢) وتشبه بالشوكة ؛ لأن الشوكة غليظة المآخر^(٣) ،
لطيفة المقادم . والشوك والسلائء سواء . وقال في ذلك علقمة بن عبدة
يصف الحجر :

سُلالة كعصا النهدي غلّ لها ذو فيئة من نوى قرآن معجوم^(٤)
ومن سُمي إبرة العقرب حمة فقد أخطأ . وإنما الحمة سموم ذوات الشعر
كالدبر^(٥) والزناير ، وذوات الأنياب والأسنان كالأفاعي وسائر

(١) هذا البيت في ديوان القطامي ٥٢ واللسان (وكع ، خزم) ، وصدره فيها :

* سرى في جليد الليل حتى كأنما *

وروى عجزه في مادة (وكع) : « وكع العقارب » بمعنى ضربها ولدغها .
وفي (خزم) : « شوك العقارب » كما في الديوان ورواية الجاحظ . وقال : « تخزم
الشوك في رجله : شكها ودخل فيها » .

(٢) الحجر ، بالكسر : الأثني من الخيل .

(٣) في الأصل : « المتأخر » وما كتبه أشبه بالكلام .

(٤) في اللسان (غلّ) : « النهدي : الشيخ المسن ، فعصاه ملساء » . وأراه أنا المنسوب

إلى نهد ، وهي قبيلة يمنية . وغلّ للداية : خلط لها النوى بالقت - والقت
هو ما يعرف في مصر بالبرسيم . عن داود الأنطاكي - وفي الأصل : « عل

بها » وتصحيحه من اللسان (فياً ، غلّ) والبيان ٣ : ١٢٠ والكامل ٤٩٦

ليبسك ونحسة دواوين العرب ١٣١ والمفضليات ٤٠٤ . وقوله « ذو فيئة » أي

ذورجمة ، يريد أن النوى علفته الإبل ثم بعرتة فهو أصلب . و « قران » :

قرية باليمامة مشهورة بالنخل الجيد . معجوم : منضوغ .

(٥) الدبر ، بالفتح : جماعة النحل .

الحيات ، وسموم^(١) ذوات الإبر من العقارب . فأما البيش^(٢) وما أشبهه من السموم ، فليس يقال له حمة .

وها هنا أمور^(٣) لها سموم في خراطيمها ، كالذبّان والبَعوض . وأشياء من الحشرات تعضّ وربما قتلت ، كالشّبث^(٤) ، وسام أبرص . والطبوع^(٥) شديد الأذى ، والرّتيلاء^(٦) ربما قتلت ، والضّمج^(٧) دون ذلك ، وعقارب طيّارة . ولم نرهم يسمّون جميع السموم بالحمة ، فقلنا مثل ما قالوا ، وانتهينا إلى حيث انتهوا .

(بعض من تقتل عضّته)

وقد يُعرف بعضُ النَّاسِ بأنّه متى عضّ قتل ، كان منهم صفوان أبو جشم الثّقفيّ ، وداودُ القرّاد .

وسيقع هذا البابُ في موضعه على ما يمكننا إن شاء الله تعالى .

(١) ط : « وسموا » وتصحيحه من س .

(٢) البيش ، بالكسر : نبات سام يكثر في تخوم الهند والصين . وفي الأصل : « فأما البيش » .

(٣) كذا .

(٤) في معجم الحيوان : « شبت : جنس من الرّتيلاء كبير يلسع . اسمه عند عرب السودان أبو شبت ، وفي مصر أبو صوفة » .

(٥) الطبوع : صغار القردان : جمع قراد .

(٦) الرّتيلاء : ضرب من العناكب ، يمد ويتصر .

(٧) الضّمج ، بالفتح : دويبة مثنّة تلسع ، وهي ما تسمى في مصر باسم « البق » . وفي الأصل : « الصحيح » ، وصوابه ما أثبت .

(استطراد لغوى)

والناس يسمّون الرَّجُلَ إذا بلغ مِنْ حرصه ألا يدعِ ذكراً ، غلاماً كان أو رجلاً ، وَخَصِيّاً كان أو فحلاً ، إلا نسكحه مِنْ فَرْطِ غُلْمَتِهِ ، ومن قوّة فِحْلَتِهِ : صَيْصِيّة . ويقولون : ما فلانُ إلا صَيْصِيّة ، وهو عندهم اسمٌ لمن اشتدَّ لواطه ؛ تشبيهاً منهم بصَيْصِيّة الديك في الحِدّة والصَّلابة .

(بعض مزايا الديك)

وللديك انتصابُهُ إذا قام ، ومباينَتُهُ صورةً في العين لصُورة الدجاجة ،
٨٧ وليس هذا الفرقُ الواضحُ من جميعِ الإناث والذكور موجوداً إلا فيه ،
وليس ذلك للحمام والحمامة ، ولا للحمار والحمارة ، ولا للبرذون والرمكة^(١) ،
ولا للفرس والحِجْر ، ولا للجمل والنّاقة ؛ وليس ذلك إلا لهذه الفحولة
لأنّها كالرَّجُل والمرأة ، والتَّيس والظبية^(٢) ، والديك والدَّجاجة ،
وكالفُحّال والنخلة المطعمة^(٣) . ألا ترى أنّك لو رأيتَ ناقةً مقبلة لم تدر

(١) الرمكة ، بالتحريك : البرذونة ، وهى الأنثى من الخيل الأعجمية ، وتعرف الخيل الأعجمية باسترخاء آذانها .

(٢) فى الأصل : « والضائنة » وإنما هى « الظبية » لصح المقابلة ، فإن المراد بالتيس هنا الذكر من الظباء .

(٣) أطعمت الشجرة : دنا إثمارها ، أو أثمرت . ويقال أطعمت الشجرة - بوزن افتعلت - إذا أدركت ثمرتها ، أى أخذت طعاماً وطابت . فكلمة « مطعمة » يصح أن تقرأ بإسكان الطاء أو تشديدها . ولكل وجه . وأما الفحال - كرمان - فهو الذكر من النخل . وفى الأصل : « وكالنخلة والفحال والنخلة المطعمة » بتكرار « النخلة » ، وأصلحت القول بما ترى . وانظر الحيوان ٣ : ١٣٧ و ٥ : ٢٠٩ .

أَنَاقَةُ هِيَ أُمُّ جَمَلٍ ، حَتَّى تَنْظُرَ إِلَى مَوْضِعِ الثَّيْلِ وَالضَّرْعِ ، وَإِلَى مَوْضِعِ الْحَيَا .
وَكَذَلِكَ الْعِزْزُ ، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ مَا وَصَفْتُ ، إِلَّا أَنْ يَدَّعُوا أَنَّ لِلْعَامَةِ أَوْ لِبَعْضِ
الْخَاصَّةِ فِي ذَلِكَ خُصُوصِيَّةً . وَلِذَلِكَ ضَرَبُوا الْمَثَلَ بِالتَّيْسِ وَالنَّخْلَةِ وَالْفُحَّالِ ،
فَاشْتَقَوْا مِنْ هَذَا الْفَحْلِ . وَهَذَا أَيْضاً مِنْ خُصَالِ الدَّيْكَ .

ثُمَّ لِلدَّيْكَ لَحْيَةٌ ظَاهِرَةٌ ، وَلَيْسَتْ تَكُونُ اللَّحْيُ إِلَّا لِلْجَمَلِ فَإِنَّهُ يُوصَفُ
بِالْعُثْنُونِ ، وَإِلَّا لِلتَّيْسِ وَإِلَّا لِلرَّجُلِ . وَقَالَ الرَّاجِزُ فِي الْجَمَلِ :
مَخْتَلَطٌ ^(١) الْعُثْنُونُ كَالتَّيْسِ الْأَحْمَرِ

سَامٍ كَأَنَّ رَأْسَهُ فِيهِ وَذَمٌ

* إِذْ ضَمَّ مِنْ قَطْرِيهِ هِيَاجٌ قَطِمْ *

ثُمَّ الدَّيْكَ بَعْدُ صَاحِبُ اللَّحْيَةِ وَالْفَرَقِ ^(٢) . وَقَالَتْ امْرَأَةٌ
فِي وَلَدِهَا وَزَوْجِهَا ^(٣) :

* أَشْهَبَ ذِي رَأْسٍ كِرَاسِ الدَّيْكَ *

أَمَّا قَوْلُهَا أَشْهَبَ ، فَإِنَّهَا تَرِيدُ أَنَّ شَعَرَ جَسَدِهِ قَدْ ابْيَضَّ مِنَ الْكِبَرِ ،
وَلِأَنَّمَا جَعَلَتْ شَعَرَ رَأْسِهِ كِرَاسَ الدَّيْكَ لِأَنَّهُ كَانَ مَخْضُوبَ الرَّأْسِ وَاللَّحْيَةِ
بِالْحُمْرَةِ ، ثُمَّ لَمْ تَرْضَ لَهُ بِشَبَهَ الرِّجَالِ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ حَتَّى جَعَلَتْ رَأْسَهُ

(١) ط : « مَخْتَلَطٌ » وَهُوَ تَغْيِيرُ مَطْبَعِي .

(٢) لِلْفَرَقِ : انْفِرَاقُ الْعُرْفِ .

(٣) فِي ص ٣٠٣ مِنْ هَذَا الْجُزْءِ : وَقَالَتْ امْرَأَةٌ فِي زَوْجِهَا وَهِيَ تَرْقُصُ ابْنًا
لَهَا مِنْهُ :

وَهَبْتَهُ مِنْ مَلْفَعِ أَفُوكَ وَمِنْ هَيْلِ قَدْ عَسَا حَنِيكَ
* أَشْهَبَ ذِي رَأْسٍ كِرَاسِ الدَّيْكَ *

أفرق ، وذلك شيء من الجمال والوقار والفضل ، لا يتهماً للناس مع كمالهم
وتمامهم إلا بالتكلف والاحتيال فيه .

ثم يبلغ من شدة تعجله ومن قوته على السَّفاد ، وعلى الباب^(١) الذي
يفخر به الإنسان إذا كان ذا حظٍّ منه وهو مما يُذكى النفس - كنعو^(٢)
ما ذكر عن التيس المراتي^(٣) ، وكنحو ما تراهم يُبركون للبُختي الفالَج عدَّة
قِلاص^(٤) ، فإذا ضَرَبَ الأُولى فخافوا عليها أن يُحطِّمها وهو في ذلك قد رمى
بِعمائه مراراً أَفْلَتَهُ الرَّجَالُ على التي تليه في القرب ، حتى يأتي على الثلاث
والأربع على ذلك المثال . وما دعاهم إلى تحويله عن الثالثة إلى الرابعة
إلا تخوفهم من العجز منه .

وزعم أبو عبد الله الأبرص العمي ، وكان من المعتزلين ، أن
التيس المراتي قرع في أول يومٍ من أوَّل هَيْجِه نَيْقاً وثمانين قرعة .

والناسُ يحكون ما يكون من العُصفور في الساعة الواحدة من العدَدِ
الكثير . والناسُ يُدخلون هذا الشكل في باب الفضل ، وفي باب شدة
العجلة وتظاهر القوة . والديك يكون له وحده الدجاج الكثير ، فيوسعها
قطاً وسفاداً .

(١) لعلها « الباه » .

(٢) في الأصل : « لأنه كنعو » وليس الكلام في حاجة إلى « لأنه » . وكلمة
« كنعو » صفة لمصدر محذوف من الفعل « يباع » المتقدم .

(٣) كذا . وقد جاء في (٢١٩ : ٥) برسم « المسرطي » ، و « المشرطي » .

(٤) البختي : الواحد من الإبل البختية ، وهي الحراسانية . والفالَج : الضخم
ذو السنامين . والقِلاص : جمع قلووس ، وهي الناقة الشابة .

وقد قلنا في حالة البيض الكثير الترابي وقلبه إياه بسفاد إلى الحيوانية^(١) . وعلى [أن^(٢)] الذي يخصه إنما يُخرج له من بين الزمكي^(٣) وموضع القطاة^(٤) بيضتين عظيمتين معروفتين .

وأنا رأيت ديكاً هندياً تسنم دجاجةً هنديّة فلم يتمكن منها ، فرأيت نطفته حين مجّها - وقد زلّتي عن ظهرها - على مدرة^(٥) ، وكانت الدار مثارة^(٦) لتجعل بُستانا ، فإذا تلك المجّة كالبرقة البيضاء ، فأخذها بعض من كان معنا فشمّها حين رأى بياضها وخثورتها وكدرتها ، ليعلم هل تناسب ريحها ريح نطفة الإنسان ، وريح طلع الفحل ، فلم يجد ذلك .

ثم معرفة الديك بالليل وساعاته ، وارتفاق بني آدم بمعرفته وصوته : يعرف آناء الليل وعدد الساعات ، ومقادير الأوقات ، ثم يقسط أصواته على ذلك تقسيطاً موزوناً لا يُغادر منه شيئاً . ثم قد علمنا أن الليل إذا كان خمس عشرة ساعة أنه يقسط أصواته المعروفة بالعدد عليها ، كما يقسطها والليل تسع ساعات ، ثم يصنع فيما بين ذلك من القسمة وإعطاء

(١) انظر ج ٣ : ١٧٧ حيث يسميه الجاحظ بيض الريح .

(٢) ليست بالأصل ، وبها يصلح الكلام .

(٣) الزمكي ، بكسر الزاي والميم وتشديد الكاف مقصوراً : أصل ذنب الطائر ، أو منبته . وكتبت في الأصل بالألف .

(٤) القطاة : ما بين الوركين ، أو العجز .

(٥) المدر : قطع الطين اليابس ، واحده مدرة . وفي ط : « عن مدرة » وفي س : « عن مدرة » ، وبها تحريف ما أثبت .

(٦) أرضي مثارة : محروثة .

الخصص على حساب ذلك . فليعلم الحكماء أنه فوق الأسطرلاب^(١) ،
فوق [مقدار^(٢)] الجزر والمد على منازل القمر ، وحتى كأن طبعه فلک^٣
على حدة . فجمع المعرفة العجيبة والرعاية العجيبة .
ورب معرفة تكون نبيلة وأخرى لا تكون في طريق النبالة . وإن
كانت المعارف كلها مفصلة مقدرة ، إلا أنها في منازل ومراتب . وليس
في الأرض معرفة بدقيق ولا جليل وهي في نفسها شريفة كريمة .
والمعرفة كلها بصر ، والجهل كله عمى ، والعمى كله شين ونقص ،
والاستبانة كلها خير وفضل .

ثم له بعد ذلك ارتفاق الناس بهذا^(٣) المعنى منه .
ومن ذلك بعد صوته ، وأنه يدل على أن موضعه مأهول مأنوس ،
ولذلك قالوا : لا يكون البُنيان قرية حتى يصقع فيها ديك .
وليس في الأرض طائر أملح ملحاً^(٤) من فروج ، وليس ذلك
الاسم إلا لولد الديك ، وإلا فكل شيء يخرج من البيض فإِنما هو فرخ^(٥)

(١) الأسطرلاب أو الأصطرلاب : مقياس النجوم . وهو باليونانية « أسطرلابون » .
وأصطر : وهو النجم ، ولابون هو المرأة . وقد يهذى بعض المولعين بالاشتقاق
في هذا الاسم بما لا معنى له ، وهو أنهم يزعمون أن لاب اسم رجل وأسطر جمع سطر .
وهذا اسم يوناني ، اشتقاقه من لسان العرب جهل وسخف . مفاتيح العلوم
١٣٤ . قلت : وقد وقع صاحب القاموس في هذا الوهم الذي نبه عليه الخوارزمي
(مادة لوب) .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب (١٠ : ٢٢٠) حيث نقل النويري عن الجاحظ

(٣) في الأصل : « لهذا » . يقال ارتفق بالأمر : انتفع به .

(٤) الملق هنا : بمعنى الملاحه .

(٥) في الأصل « فروج » وهو تحريف يفسد المعنى . والوجه ما أثبت .

والفرُّوج حين تنصدِّع عنه البَيْضَةُ ، يخرج كاسباً عارفاً بموضع لقط
الحب وسدَّ الحَلَّةِ ، وهو أصيْدُ للذُّباب من السُّوداني^(١) ، ويدرُّج مع
الولادة بلا فصل .

و [هذا^(٢)] مع ما أعطى من محبة النساء ، ورحمة الرجال ، وحُسن
الرأى من جميع الدار^(٣) ، ثم اتَّباعه لمن دَعَاه ، وإلفه لمن قرَّبه . ثم ملاحظة
صوته وحُسن قَدِّه ، ثم الذى فيه ممَّا يصحُّ له الفروج ويتفرَّج فيه^(٤) . ٨٩

(قول جعفر بن سعيد في تفضيل الديك على الطاوس)

وكان جعفر بن سعيد ، يزعم أنَّ الديك أحمدُ من الطاوس ، وأنَّه
مع جماله وانتصابه واعتداله وتقلُّعه^(٥) إذا مشى ، سَلِمٌ من مقابح الطاوس
[ومن موقه وقبح صورته^(٦)] ، ومن تشاؤم أهل الدار [به ، و^(٧)] من
قُبْح رجلبيه ، ونذالة مرآته^(٨) . وزعم أنَّه لو ملك طاوساً لألبسَ
رجليه خفّاً .

(١) السوداني : طائر من فصيلة الزرازير .

(٢) ليست بالأصل . والكلام في الديك .

(٣) كذا . ويصح أن تكون « من جميع من في الدار » أو « من جميع أهل الدار » .

(٤) كذا .

(٥) تقلع في مشيته : مشى كأنه ينحدر . وفي الحديث في صفته صل الله عليه وسلم
« أنه كان إذا مشى تقلع » . وفي الأصل « تعلقه » بتقديم العين ولا وجه له .
واعتمدت في تصحيحها على نقل الثعالبي عن الجاحظ في ثمار القلوب ٣٧٣ .

(٦) التكلة من ثمار القلوب ٣٧٣ . والموق ، بالضم : الحق .

(٧) التكلة من ثمار القلوب .

(٨) المرأة ، بالفتح : المنظر .

وكان يقول : وَإِنَّمَا يُفَخَّرُ لَهُ بِالتَّلَاوِينِ ، وبتلك التعاريج^(١) والتهاويل التي لألوان ريشه . وربما رأيت الديك النبطي وفيه شبيهة بذلك^(٢) . أَلَا إِنَّ الدِّيكَ أَجْمَلُ مِنَ التُّدْرُجِ^(٣) ؛ لمكان الاعتدال والانتصاب والإشراف ، وأسلم من العيوب من الطاوس .

وكان يقول : ولو كان الطاوس أحسن من الديك النبطي في تلاوين ريشه [فقط^(٤)] لكان فضل الديك عليه بفضل القد والخرط ، وبفضل حسن الانتصاب وجودة الإشراف [أكثر^(٥)] من مقدار فضل حسن ألوانه على ألوان الديك ، ولكان السليم من العيوب في العين أجمل^(٦) لاعتراض تلك الخصال القبيحة على حسن الطاوس في عين الناظر إليه . وأول منازل الحمد السلامة من الذم^(٧) .

وكان يزعم أن قول [الناس^(٨)] : فلان أحسن من الطاوس^(٩) ، وما فلان إلا طاوس^(١٠) ، وأن قول الشاعر :

(١) التعاريج : الخطوط المتنوعة . وفي ثمار القلوب : « التفاريح » .

(٢) في الثمار : « شبه بذلك » .

(٣) في الثمار : « الدراج » . والتدرج : ضرب من الدراج ، وهو طائر شبيه بالحمام ، حسن الصوت مبارك ، كثير النتاج يبشر بالربيع .

(٤) الزيادة من ثمار القلوب . وجملة « في تلاوين » هي في الأصل « وتلاوين » وتصحيحها من الثمار .

(٥) للزيادة من الثمار .

(٦) في الأصل : « ولكان السليم من العيوب في العين ، والعين فيه أعمل » وأثبت ما في الثمار .

(٧) في الأصل : « الذنب » والوجه ما أثبت من الثمار .

(٨) الزيادة من الثمار .

(٩) في الثمار : « فلانة أحسن من الطاوس » .

(١٠) في الأصل : « إلا طاوسا » وليس له وجه ، إذ أن من شروط عمل ما المجازية ألا ينتقص نفيها بإلا ، وهي على الصواب في الثمار .

* جلودها مثل طواويس الذهب ^(١) *

وأنتهم لما سموا جيش ابن الأشعث ^(٢) الطواويس لكثرة من كان
يجمع فيه من الفتيان المنعوتين بالجمال ، إنما ^(٣) [قالوا ذلك ^(٤)] لأن العامة
لا تبصر الجمال . ولفرس رائع كريم أحسن من [كل ^(٥)] طاوس
في الأرض ، وكذلك الرجل والمرأة . وإنما ذهبوا من حسنه إلى حسن
ريشه فقط ، ولم يذهبوا إلى حسن تركيبه وتنصبه ، كحسن ^(٦) البازي
وانتصابه ، ولم يذهبوا إلى الأعضاء والجوارح ، وإلى الشيات ^(٧) والهينة ،
والرأس والوجه الذي فيه .

وكان جعفر يقول : لما لم يكن في الطاوس إلا حسنه في ألوانه ، ولم
يكن [فيه ^(٨)] من المحاسن ما يراحم ذلك ويجاذبه وينازعه ويشغل عنه —
ذكر وتبين وظهر . وخصال الديك كثيرة ، وهي متكافئة في الجمال .
ونقول : لم يكن لعبد المطلب في قریش نظير ، كما أنه ليس في العرب
لقريش نظير ، وكما أنه ليس للعرب في الناس نظير ^(٩) ؛ وذلك حين لم
تكن فيه خصلة أغلب من أختها ، وتكاملت فيه وتساوت ، وتوافقت إليه

(١) انظر الجزء الأول (ص ١٥٥) .

(٢) هو عبد الرحمن بن الأشعث الخارج على الحجاج . انظر ثمار القلوب ٣٨٠ .

(٣) في الأصل : « وأما » وتصحيحه من الثمار .

(٤) ليست بالأصل . وفي الثمار : « قال ذلك » .

(٥) الزيادة من الثمار .

(٦) في الأصل : « الحسن » وتصحيحه من الثمار .

(٧) الشيات : جمع شية ، وهو اللون المخالف . وفي الأصل : « الشياب » .

(٨) كلمة يحتاج إليها القول .

(٩) ط : « ليس في العرب الناس نظير » وتصحيحه من س .

فكان الطَّبْع في وزن المعرفة ، فقالوا عند ذلك : سَيِّدُ الْأَبْطَحِ ^(١) وسَيِّدُ الوادى ، وسَيِّدُ قَرِيش . وإذا قالوا سَيِّدُ قَرِيش فقد قالوا سَيِّدُ الْعَرَب ، وإذا قالوا سَيِّدُ الْعَرَب فقد قالوا سَيِّدُ النَّاس . ٩٠

ولو كان مثل الإحنف الذى برع فى حلمه وبرع فى سائر خصاله لذكروه ^(٢) بالحلم ؛ ولذلك ذكر قيس بن زهير فى الدهاء ، والحارث بن ظالم فى الوفاء ، وعتيبة بن الحارث فى النجدة والثقافة .

ولو أنَّ الْأَحْنَفَ بن قيس رأى حاجبَ بن زُرارة ، أو زُرارة بن عُدَس ، أو حِصْن بن حذيفة ، لقدَّمهم على نفسه . وهؤلاء عيونُ أهلِ الْوَبَرِ لا يُذَكَّرُونَ بشئٍ دونَ شئٍ ، لاستواءِ خِصالِ الخيرِ فيهم .

وفى منحول شعر النابغة :

فَأَلْفَيْتُ الْأَمَانَةَ لَمْ تَخُنْهَا كَذَلِكَ كَانَ نُوحٌ لَا يَخُونُ

وليس لهذا الكلام وجهٌ ، وإِنَّمَا ذَلِكَ كَقَوْلِهِمْ كَانَ دَاوُدُ لَا يَخُونُ ، وكذلك كان موسى لا يخون عليهما السلام ؛ وهم وإن لم يكونوا فى حالِ من الحالات أصحابَ خِيَانَةٍ وَلَا تَجَوُّزٍ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّ النَّاسَ إِنَّمَا يَضْرِبُونَ المَثَلَ بِالشَّيْءِ النَّادِرِ مِنْ فِعْلِ الرِّجَالِ وَمِنْ سَائِرِ أُمُورِهِمْ ، كما قالوا : عيسى ابن مريم رُوحُ اللَّهِ ، وموسى كلِّمَ اللَّهِ ، وإبراهيمُ خليلُ الرَّحْمَنِ ، صلى اللَّهُ عليهم وسلم .

ولو ذكر ذاكَ ذَاكَ الصَّبْرَ عَلَى الْبَلَاءِ فَقَالَ : كَذَلِكَ كَانَ أَيُّوبُ لَا يَجْزَعُ

(١) س : « الْأَبْطَح » .

(٢) فى الأصل : « لَذَكَرَهُ » .

كان قولاً صحيحاً. ولو [قال (١)] : كان كذلك نوح عليه السلام لا يجزع لم تكن الكلمة أعطيت حقها .

ولو ذكر الاحتمال (٢) وتجرع الغيظ فقال : وكذلك كان معاوية لا يسهه ، وكان حاتم (٣) لا يفحش ، لكان كلاماً مصروفاً عن جهته . ولو قال : كذلك كان حاتم لا يخلل لكان ذلك كلاماً معروفاً ، ولكان القول قد وقع موقعه ، وإن كان حاتم لا يعرف بقلة الاحتمال وبالتسرع إلى المكافأة .

ولو قال : سألتك فنعنتي وقد كان الشعبي لا يمنع ، وكان النخعي لا يقول « لا » ، لكان غير محمود في جهة البيان ، وإن كان ممن يعطى ويختار « نعم » على « لا » . ولكن لما لم يكن ذلك هو المشهور من أمرهما لم تصرف الأمثال إليهما ، ولم تضرب بهما .

قال جعفر : وكذلك القول في الديك وجماله ؛ لكثرة خصاله ، وتوازن خلاله ، ولأن جمال الديك لا يلهمج بذكره إلا البصراء بمقادير الجمال والنوسط في ذلك ، والاختلاط والقصد ، وما (٤) يكون ممزوجاً [وما يكون (٥)] خالصاً . وحسن الطاوس حسن لا تعرف العوام غيره ، فلذلك لم يمت بذكره .

(١) زدتها ليستقيم الكلام .

(٢) في الأصل : « الاحتيال » ، والوجه ما أثبت .

(٣) في الأصل : « الأحنف » ، والكلام يقتضى ما أثبت .

(٤) في الأصل : « وما » .

(٥) زدتها ليستقيم الكلام .

ومن الدجاج الحِلاسي^(١) والهندي ، ومن الدجاج الزنجي^(٢) ومنها
الكسكري^(٣) ، ومن الديسكة ما يُخصى فلا يبلغه في الطيب والسمن
شيء وإن اشتد لحمه . وإن كان غير خصى فقد يمدح ذلك من وجه هو ٩١
أرد عليه في باب الفخر^(٤) ، من رخاوة اللحم واستطابة الأكل . وعلى
أنه لو كان أدناه من بعض سباع الطير ، أو عدا خلقه إنسان ، فكان
يريد أخذه حتى إذ فسخه البهر ارتد في موضعه لا يبرحه ، ثم ذبحه على
المكان ، لجمع به الخصال كلها .

ولو علّق في عنقه حجرٌ ليلته بعد أن ذبحه ، أو أولج بطنه شيئاً من
حلتيت^(٥) لجمع به الخصال ؛ فإنه أعملُ فيه من البورق^(٦) وقشور البطيخ
في اللحم المفصل^(٧) .

وهو بعدُ غيورٌ يحمي دجاجه^(٨) . وقال الرازي :

* يغارُ والغيرةُ خلقٌ في الذكْر * .

(١) الحلاسي ، بالكسر : ما تولد بين الهندي والنبطي . كتاب البغال ص ٢٩٨ .

(٢) س « الزنجري » !

(٣) الكسكري منسوب إلى كسكر ، قال ياقوت : « كورة واسعة ينسب إليها الفراريج
الكسكرية ، لأنها تكثر بها جداً ، رأيته أنا تباع فيها أربعة وعشرون فروجا
كباراً بدرهم واحد » . وقال الثعالبي في الثمار ٤٢٦ : « كسكر إحدى كور السواد من
ريف دجلة والفرات ، ودجاجها موصوف بالجودة والسمن ، ومذكور في أطايب
الأطعمة . وربما بلغت الواحدة منها وزن الجدي والحمل » . وهي في الأصل :
« الكسكري » تحريف ما أثبت .

(٤) أرد : أنفع . وفي الأصل : « رد عليه من باب الفخر ومن رخاوة اللحم » .

(٥) قال داود : « هو صمغ الأنجدان » .

(٦) في الأصل « فإنه من أعمل فيه البورق » ! البورق : النطرون ، أو النطرون
ضرب من ضروب البورق .

(٧) الفصل : المقطع . وفي الأصل : « المفصل » وهو تصحيف .

(٨) ط « دجاجته » وأثبت ما في س .

وقال الآخر :

* الفحل يَحْمِي شَوْلَهُ مَعْقُولاً ^(١) * .

(لحم الدجاج)

ولحمُ الدَّجَاج فوق جميع اللُّحمان في الطَّيب والبياض ، وفي الحسن .
والمملوك تقدّمه على جميع الفَراخ والنواهض ^(٢) ، والبَطّ ، والدَّرَّاج ، وهم
للدَّرَّاج آكلٌ منهم للجِداء الرُّضْع ، وللعُنُق الحُمُر ^(٣) من أولاد الصَّفايا .
والدَّجَاجُ أكثر اللُّحوم تصرُّفاً ، لأنّها تطيب شِواءً ، ثم حارّاً
وبارداً ، ثمّ تطيب في البَرِّ ما وُرِدَ ^(٤) ، ثمّ تطيب في الهرائس ^(٥) ،

(١) الشول : النوق التي خف لبنها وارتفع ضرعها وأقى عليها من نتائجها سبعة أشهر ، أو ثمانية ، والواحدة شائلة ، والشول جمع على غير قياس . يريد أن الحر يحتمل الأمر الجليل في حفظ حرمة وإن كانت به علة . أمثال الميداني (٢ : ١٦) .

(٢) النواهض : جمع ناهض ، وهو فرخ الطائر الذي وفر جناحه وتهيأ للطيران ، وتعرف في لغة عامة مصر بالزغاليل .

(٣) العنق : جمع عناق بالفتح ، وهي الأنثى من أولاد المعز . انظر الحيوان (١ : ٢٣٣) .

(٤) في القاموس « الزماورد بالضم : طعام من البيض واللحم ، معرب ، والغامة يقولون بزماورد ، وفي التاج : « وقوله بزماورد وهو الرقاق الملفوف باللحم . قال شيخنا : وفي كتب الأدب هو طعام يقال له لقمة القاضي . ولقمة الخليفة ، ويسمى بخراسان نواله ، ويسمى نرجس المائدة وميسر ومهنا » قلت : يبدو أن هذا الاسم تنقل بين هذه المسميات ، فضع أصل مسماه . وانظر ما سيأتي في ٦ : ٩١ .

(٥) الهرائس : جمع هريسة ، وهي طعام يتخذ من الخنطة واللحم ، وأجوده المتخذ من الخنطة النقية المقشورة ولحم الدجاج . وصنعها أن يغلى اللحم حتى تنزع رغوته ثم يرمى معه كنصفه من الخنطة ، أو أقل ، والماء مثلاً ، وتغلى مكشوفة حتى يذوب ما في اللحم من الدهن فينزع ، ويقوم الملح ، وتفوه بنحو الدارصيني والقرنفل وتسد بالمعجين إلى نحو عشر ساعات ثم ترفع وتضرب وتسبق دهنها المصفى أولاً . تذكره داود ١ : ٣٤٣ . وهي في ط « الهرائس » وأيضاً في س . وانظر الأشعار والأخبار التي وردت فيها بالمخاضات (١ : ١٩٣) .

ويحدث لها به نفحة لا تصاب مع غيرها ، وتطيب طيخاً ، وتطيب
فصوصها ، وإن قطعتها مع اللحم دسم ذلك اللحم . وتصلح للحشاوى ،
وللملاقسطى ^(١) ، وتصلح في الاسفرجات ^(٢) وسمينها يقدم في السكباجة ^(٣)
على البط ، إلا أنها تطعم المفصود ^(٤) وليس ذلك للبط .

(لفظ : الدجاج)

قال : والديكة دجاج إذا ذكرت في جملة الجنس ، وهذا الباب
مما تغلب فيه الإناث على الذكور . وقال آخرون : لا ، ولكن
الديك نفسه دجاجة ، إلا أنهم أرادوا إبانته بأنه ذكر فقالوا : ديك ،
كما يسمون الذكر والأنثى فرساً بلا هاء ، فإذا أرادوا أن يثبتوا إناثها قالوا
حجر ، وإن كانت حجرأ فهي فرس . وقال الأخطل :
نازعته في الدجى الرّاح الشمول وقد
صاح الدجاج وحانت وقفة السارى ^(٥)

(١) كذا .

(٢) كذا . ولعلها « الأسفيداجات » . انظر كتاب الطيخ للبغدادى ص ٣٢ .

(٣) يقال للسكياج الحلية والمخللة والصفصافة . ويبدو أنه اللحم يعالج بالخل والتوابل ويضاف
إليه أحيانا الزعفران والذباب . انظر المحاضرات (١ : ٢٩٢) .

(٤) أى يصح للمفصود أن يأكل منها ، بخلاف البط ، فإنه كما قال داود في تذكرته
١ : ٨١ « يولد دما كثيرا » . وفي الأصل : « المقصود » وأصلحته بما ترى .

(٥) السارى : الذى يسير ليلا . وإنما تحين وقفته للراحة من آخر الليل إذا اقترب
الفجر . والدجاج يطلق على الذكر والمؤنث ، وقد أراد الأخطل به هنا الديكة
والتاء في الدجاجة ليست للتأنيث ، بل هى للإفراد من الجنس . انظر اللسان
(دجج) وشرح شواهد المعنى ٦١ .

وقد بين ذلك القرشي^(١) حيث يقول :

اَطْرُدُوا الدِّيكَ عَنْ ذُوَابِ زَيْدٍ كَانَ مَا كَانَ لَا تَطَاهُ الدَّجَاجُ^(٢)

وذلك أنه كان رأى رأسَ زيد بن علي^(٣) في دار يوسف بن عمر^(٤) ،
فجاء ديك فوطى شجره ونقره في لحمه ليأكله .

(حوار في صياح الديكة)

قالوا : قد أخطأ من زعم أن الديكة إنما تتجاوب ، بل إنما ذلك
منها شيء يتوافق في وقت ، وليس ذلك بتجاوب كنباح^(٥) الكلاب ؛ ٩٢
لأن الكلب لا وقت له ، وإنما هو صامت ساكت ما لم يحس بشيء
يفزع منه ، فإذا أحس به نبّح ، وإذا سمع نباح كلب آخر أجاب ثم

(١) هو قرشي وشيبي . انظر الكامل . ٧١ ليسك .

(٢) الرواية في الكامل : « طالما كان لا تطاه الدجاج » .

(٣) في الأصل : « زيد بن عمر » وهو خطأ صوابه ما أثبت من الكامل ، ومعجم

البلدان (كناسة) ، وهو زيد بن علي بن الحسين ، وكان خرج على هشام بن عبد الملك ،

وقته يوسف بن عمر الثقفي وصلبه بالكناسة — هي موضع بالكوفة — عريانا . . .

وكان زيد يلقب بالمهدى . فقال شاعر أموى (انظر الكامل) :

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلة ولم نر مهديا على الجذع يصلب

(٤) هو يوسف بن عمر بن محمد بن الحكم الثقفي ، ولي اليمين لهشام بن عبد الملك

سنة ١٠٦ ثم نقله هشام إلى ولاية العراق سنة ١٢١ ، فاستخلف ابنه الصلت

على اليمين وقصد العراق ، فقتل خالدا القسرى (أمير العراق قبله) ، وأقام بالكوفة

إلى أيام يزيد بن الوليد ، فعزله سنة ١٢٦ وقبض عليه ، وحبسه في دمشق

إلى أن قتله يزيد بن خالد القسرى بشار أبيه سنة ١٢٧ . ابن خلكان (٢) :

٣٦٠ - ٣٦٥) . ويوسف هذا هو ابن عم الحجاج بن يوسف بن الحكم

(٥) في الأصل : « بتجاوب نباح » .

أجابَ ذلكَ آخرُ ، ثمَّ أجابهما الكلبُ الأوَّلُ ، وتبيَّن أنَّه المجاوبُ جميع الكلاب . والدَّيْكَ ليس إذاً من أجَلْ أنَّه أنكر شيئاً استجاب^(١) ، أو سمع صوتاً صقع^(٢) ، وإنَّما يصقع^(٣) لشيءٍ في طبعه ، إذا قابل ذلك الوقتَ من اللَّيْلِ هيجَه . فعَدَّدُ أصواتِه في الوقتِ الذي يُظَنُّ أنَّه تتجاوبُ فيه الدِّيكةُ ، كعدَّدِ أصواتِه في القريةِ وليس في القريةِ ديكٌ غيره ، وذلك هو في المواقيت . والعلَّةُ التي لها يصقعُ في وقتٍ بعينه شائعةٌ فيها في ذلك الوقت . وليس كذلك الكلاب ! قد تنبح الكلاب في الخربة^(٤) و كلابٌ في بني سعد غير ناجحة ، وليس يجوز أن تكون ديسكة المهالبة تصقع^(٥) ، وديكة المسامعة ساكنة^(٦) .

فإنَّ أراد مريدٌ بقوله إنَّ الدِّيكة تتجاوب ، على مثل قول العرب : هذه الجبال تتناظر ، إذا كان بعضها قُبالة بعضٍ ، وإذا كان الجبلُ من صاحبه بالمكان الذي لو كان إنسانٌ رآه — جاز ذلك . وعلى هذا المثال قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في نارِ المشركين ما قال ، حيث قال : « لا تترأى ناراها^(٧) » ، ومع قول الشاعر :

(١) في الأصل : « ليس من أجلْ أنه أنكر شيئاً إذا استجاب » .

(٢) في الأصل : « صقع » وإنَّما هي « صقع » بمعنى صاح .

(٣) في الأصل : « يصقع » .

(٤) الخربة ، بهيئة التصغير : موضع بالبصرة .

(٥) في الأصل : « تصفع » .

(٦) المسامعة : محلة بالبصرة تنسب إلى بني مسمع بن شهاب بن عمرو . معجم البلدان فاعل « المهالبة » أيضاً محلة أخرى بها منسوبة إلى بني المهلب بن أبي صفرة .

(٧) الرواية في اللسان والنهاية وأمثال الميداني (٢ : ١٦٢) : « لا تترأى » بإسقاطه إحدى التاءين . قال الميداني : « يعنى نارى المسلم والمشرک ، أى لا يحل للمسلم أن يسكن بلاد الشرك فيكون معهم بحيث يرى كل واحد منهما صاحبه ، فجعل الرؤية للنار ، والمعنى أن تدنو هذه من هذه . وأراد : لا تترأى ، فحذف إحدى التاءين . وهو نفي يراد به النهى » .

* لا تترأى قبورها^(١) *

وقال ابن مقبل العجلاني^(٢):

سَلِّ الدَّارَ مِنْ جَنْبَى حَبْرٍ فَوَاهِبٍ
وحيثُ يَرَى هَضْبَ الْقَلْبِ الْمَضِيحِ^(٣)

وتقول العرب : إذا كنتَ بمكان كذا وكذا ، حيثُ ينظرُ إليك الجبلُ
فخذُ عَنْ يساركِ أو عن يمينك .
وقال الرَّاَجَز :

* وكما يرى شَيْخُ الجبالِ ثَبِيرًا^(٤) *

وشِخُ الجبالِ عنده أبو قبيس .

وقال النبي صلى الله عليه وسلم وعلى آله الأخيار : « أنا برىء من كلِّ
مسلمٍ مع كلِّ مشركٍ » . قيل : ولم يارسولَ الله ؟ قال : « لا تترأى ناراهما » .

(١) كذا . ولعلها « لا تترأى قبورها » .

(٢) في الأصل : « ابن مقبر العجلاني » ، وصوابه « ابن مقبل » . وهو تميم بن مقبل
ابن عوف بن حنيف بن قتيبة بن العجلان ، كما في الإصابة ٨٥٨ ، أو هو تميم
ابن أبي مقبل . . . الخ كما في الخزانة (١ : ٣١٤ سلفية) . أدرك النبي
صلى الله عليه وسلم ولم يره وأسلم ، وله خبر مشهور مع عمر بن الخطاب
في استعدائه على التجاشي الشاعر . الإصابة والخزانة والعمدة (١ : ٢٧) .

(٣) في الأصل : « جبير » موضع « حبر » ، وتصحيحه من اللسان (رأى) ومعجم
البلدان (حبر) و (واهب) . وكلمة « فواهب » هي في الأصل « فراهب »
وتصحيحه من المعجم في الموضعين . و « يرى » هي في الأصل « ترى » مصحفة .
و « المضيق » هي في الأصل « المصحح » كما في اللسان محرفة . والصواب
ما أثبت من المعجم في موضعيه . وحبر ، وواهب ، والمضيق : أمكنة متقاربة
في ديار بني سليم . ويرى المضيق هضب القلب ، أي يقابله .

(٤) في الأصل : « وكما ترى » ، والوجه ما أثبت .

وقال الكسائي : تقول العرب : دارى تنظر إلى دار فلان ، ودورنا تتناظر . وقال الله تبارك وتعالى : ﴿ وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ .

ولأنما قال القوم فى تجاوب الديكة بيت شعر سمعوه للطرمّاح ، جهلوا معناه ، وهو :

فياصْبِحْ كَمْشَ غَبَرِ اللَّيْلِ مُصْعِدًا بِبِمٍ وَنَبَّهَ ذَا الْعِفَاءِ الْمَوْشَحِ (١)
إذا صاح لم يُخْذَلْ وجاوبَ صوته

حَاشُ الشَّوَى يَصْدَحُنْ مِنْ كُلِّ مَصْدَحِ (٢)

وكذلك غلطوا فى قول عبدة بن الطيب (٣) :

إذ صفق الديك يدعو بعض أسرته

إلى الصَّبَاحِ وهم قوم معازيل (٤)

ولأنما أرادَ توافقَ ذلك منها معًا ، فجعلها دعاءً وتجاوبا على ما فسرناه .

(١) كش : أسرع وعجل . وغبر الليل : بقيته . وبم : أرض من كرمان . وذو العفاء : الديك . والعفاء ، بالكسر : ما كثر من الوبر والريش ، الواحدة عفاة . وفى اللسان : « وديك موشح : إذا كان له خططان كالوشاح » وأنشد عجز هذا البيت . فبذلك يكون جر « الموشح » على المجاورة . وأنا أراه وصفا للعفاء ، كما يوصف الثوب فيقال : ثوب موشح : إذا كان فيه وشى . حكاه ابن سيده عن اللحياني ، كما فى اللسان . والبيت فى الأصل محرف ، فصدره فى ط ، س : « فياصبح كهش عبر الليل مصعدا » وعجزه فى ط : « بيم وبينها كالعفاء » و س : « بيم وبينه كالعفاء » وتصحيحه من ديوان الطرمّاح ٦٩ واللسان .

(٢) حاش الشوى : دقاق الأرجل ، وعنى بين الديكة . وفى س : « يصدحن منهن مصدح » وهو تحريف .

(٣) ط : « عبد الله بن الطيب » س : « عبادة بن الطيب » وهما تحريف ما أثبت . والبيت الآتى من قصيدة له مفضلية ، مطلعها :

هل جبل خولة بعد الهجر موصولى أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

انظر المفضليات ١٤٣ .

(٤) قد جعل للديك أسرة ، والأمرة للناس . وأراد بقوله « وهم قوم » جماعة الدجاج . والمعازيل : الذين لا سلاح معهم . انظر اللسان (عزل) .

(تفضيل صاحب الكلب الحمار على الديك)

قال صاحب الكلب : لولا أنا وجدنا الحمار المضروبَ به المثلُّ في الجهل ، يقومُ في الصُّباح وفي ساعات اللَّيل مقامَ الدِّيكة ، لقد كان ذلك قولاً ومذهباً غيرَ مرْدُود . ولو أنَّ متفقداً يتفقّد ذلك من الحمار لوجده منظوماً يتبع بعضه بعضاً على عددٍ معلوم ؛ ولوجدَ ذلك مقسوماً على ساعات الليل ، ولكان لقائلٍ أن يقول في نهيق الحمار في ذلك الوقت : ليس علي تجاوبٍ ، إنما ذلك شيء يتوافى معاً ، لاستواء العلة ، ولم تكن للديك الموصوفِ بأنّه فوق الأسطربلاب فضيلةً ليست للحمار .

وعلى أنَّ الحمار أبعدُ صوتاً ، وقد بلغ من شدة صوتهِ ما إن حلفَ أحمدُ بن عبد العزيز : إنَّ الحمار ما ينাম ! قيل له : وما ذاك ؟ قال : لأتّى أجدُ صياحه ليس بصياح شيءٍ انتبه تلك الساعة ، ولا هو صياحٌ من يريد أن ينام بعد انقضاء صياحه ! .

هذا والحمارُ هو الذي ضُرب به القرآنُ المثلَّ في بُعد الصوت ، وضُرب به المثلَّ في الجهل ، فقال : ﴿ كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَاراً ﴾ . فلو كان شيءٌ من الحيوان أجهلَ بما في بطون الأسفار من الحمار ، لضُرب الله المثلَّ به دونه .

(عشرة أمثال في شأن الحمار)

وعلى أنَّ فيه من الحصال ما ليس في الديك ، وذلك أنَّ العربَ وضعتهُ من الأمثال التي هي له في عشرة أماكن ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

«كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا» ^(١) وكفأك به مثلاً إذا كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم في تفضيل هداية أبي سفيان .

وقالت العرب : «أُنْكَحُ من الْفَرَا» . وَالْفَرَا مهموز مفتوحة الفاء مجموعهُ فِرَاءٌ ^(٢) ، قال الشاعر ^(٣) :

بِضَرْبِ كَأَذَانِ الْفِرَاءِ فُضُولُهُ وَطَعْنِ كَمِيزَاغِ الْخَاضِ تَبُورُهَا ^(٤)

وتقول العرب : «الْعَيْرُ أَوْقَى لِدَمِهِ» ^(٥) . وقولهم : «مَنْ يَنْكَ الْعَيْرِ

يَنْكَ نَيْكاً» ^(٦) . وقالوا : «الْجَحْشُ إِذَا فَاتَتْكَ الْأَعْيَارُ» ^(٧) وقالوا :

(١) ألفرا بالفتح ، يقصر ويهمز ويمد ، هو الحمار الوحشي . والحديث مثل تمثل به رسول الله . وانظر أصل المثل في الميداني (٢ : ٧٤) . والسبب في هذا الحديث أن أبا سفيان استأذن النبي فحجبه ثم أذن له فقال له : « ما كدت تأذن لي حتى تأذن لحجارة الجلهتين » - وكان قد أدخل غيره من الناس قبله - فقال « يا أبا سفيان أنت كما قال القائل : « كل الصيد في جوف الفراء » أراد أن يقول له إنه في الناس كحمار الوحش في الصيد ، كلها دونه ، يتألفه بذلك على الإسلام . وقال أبو العباس المبرد : معناه إذا حجبت قنع كل محجوب ورضى ، لأن كل صيد أقل من الحمار الوحشي ، فكل صيد لصقره يدخل في جوف الحمار ، وذلك أنه حجبه وأذن لغيره . اللسان (فرأ) وكذا ابن الأثير في النهاية . وانظر كامل المبرد ١٨١ ليسك والديري (فرأ) .

(٢) في الأصل : «مجموعة فراء» ، والصواب ما أثبت .

(٣) هو مالك بن زغبة الباهلي كما في اللسان (فرأ ، بور) . وانظر ٦ : ٤١٢ .

(٤) س : «كأيزاغ الخاض بواعا» ، ط : «كأيزاغ الخاض النوازع» . وكلاهما محرف وتصحيح البيت من اللسان (فرأ) و (بور) والكامل ١٨١ ليسك والمعاني (٢ : ٧٣) . يقول : إن ضربه لخصمه يترك لحمه معلقا يتحرك ، من شدة تمزقه . والإيزاغ : دفع الناقة ببولها . تبورها : تختبرها ، تعرضها على الفحل لتتزوج ألاتح هي أم حامل ، وهي إذا كانت حاملا بالت في وجه الفحل .

(٥) يضرب للموصوف بالخذر ، وذلك أنه ليس شيء من الصيد يحذر حذر العير إذا طلب . وفي الأصل : «أوفى» بالفاء . والوجه ما كتبت من أمثال الميداني (١ : ٤٢٠) . وانظر نهاية الأرب (١٠ : ٩٥) .

(٦) يضرب مثلاً لمن يغالب الغلاب . وأصل المثل في الميداني (٢ : ٢٣٢) . وانظر الحيوان (٣ : ٤١) .

(٧) الجحش نصب بفعل مضممر ، أى اطلب الجحش ، وهو ولد الحمار قبل أن يقطع . =

« أَصْبَرُ مِنْ عَيْرِ أَبِي سَيَّارَةَ »^(١) ؛ لَأَنَّهُ كَانَ دَفْعَ بِأَهْلِ الْمَوْسَمِ عَلَى ذَلِكَ الْحِمَارِ أَرْبَعِينَ عَامًا .

وقالوا : « إِنْ ذَهَبَ عَيْرٌ فَعَيْرٌ فِي الرِّبَاطِ »^(٢) . وقالوا في المديح لصاحب الرأي : « جُحِشَ وَحْدَهُ » ، و « عَيْرٌ وَحْدَهُ »^(٣) ، و « الْعَيْرُ يَضْرِبُ وَالْمِسْكَاةُ فِي النَّارِ »^(٤) ؛ وقالوا : « حِمَارٌ يَحْمِلُ أَسْفَارًا »^(٥) ، و « أَضْلُ مِنْ حِمَارِ أَهْلِهِ »^(٦) ، و « أَحْزَى اللَّهُ الْحِمَارَ مَالًا لَا يُزَكَّى وَلَا يَذَكَّى »^(٧) ، ٩٤ و « قَدْ حِيلَ بَيْنَ الْعَيْرِ وَالنَّزْوَانِ »^(٨) .

= والمثل يضرب لمن يطلب الأمر الكبير فيفوته ، فيقال له اطلب ما دون ذلك .

اللسان (جحش) والميداني (١ : ١٤٩ - ١٥٠) ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(١) انظر الحيوان (١ : ١٣٩) .

(٢) الرباط : حباله الصائده ، يقال للصائد : إن ذهب عير فلم يعلق في الحباله فافتصر

على ماعلق . يضرب في الرضا بالحاضر وترك الغائب . الميداني (١ : ٢٣)

ونهاية الأرب (١٠ : ٩٦) .

(٣) يضربان لمن يعتزل الناس ويستبد برأيه . اللسان (جحش) والميداني (١ : ٤٢١)

(٤) يضرب للرجل يخاف الأمر فيجزع قبل وقوعه فيه . وأصل المثل في الميداني

(٢ : ٣٧) بلفظ : « قَدْ يَضْرِبُ الْعَيْرَ وَالْمِسْكَاةُ فِي النَّارِ » .

(٥) مثل قرآني ، والأسفار : جمع سفر ، وهو الكتاب . وأصله قوله تعالى

« مِثْلَ الَّذِينَ حَمَلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمِثْلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَثْقَالًا » ، يعني اليهود في

تركهم استعمال التوراة وما فيها . والحمار يحمل الكتب وهو لا يعرف ما فيها

ولا يعيها . يضرب مثلاً للذي يحوز الشيء الجليل ولا يستطيع الانتفاع به ،

أو لمن يعلم ولا يعمل بعلمه .

(٦) لم أهد إلى مرجع لهذا المثل وانظر (١ : ٢٢١) .

(٧) لا يزكى : لا تجب فيه الزكاة ، فإن الحمير والبغال والحملان والفصلا والمجاجيل

لا تجب فيها الزكاة . ولا يذكى : من التذكية ، وهي الذبح ؛ فإن

الحمار مما لا يحل أكله في أصح الأقوال . وهذا المثل في الديمري (١ : ٣٧٣)

بلفظ : « شَرُّ الْمَالِ مَا لَا يَذَكُّ وَلَا يَزَكَّى » قال الديمري : « أَشَارُوا بِذَلِكَ إِلَى الْحِمَارِ »

(٨) قالوا : أول من قال ذلك صخر بن عمرو أخو الخنساء ، وقد كان طعن في =

فالذى مُدح به أكثر ؛ فقد وجدنا الحمار أبعدَ صوتاً ، ووجدناه يعرف من أوقات الليل ويميّز عدداً معلوماً إلى الصبح ، إلا أن له في الأسفار فضيلة .

والحمارُ أَجهلُ الخلق ، فليس ينبغي للديك أن يُقضى له بالمعرفة والحمار قد ساواه في يسير^(١) علمه ، ثم بآيته أن الحمار أحسنُ هداية . والديك إن سقط على حائط جاره لم يُحسن أن يهتدى إلى داره ، وإن خرج من باب الدار ضلّ ، وضلاله من أسفل كضلاله من فوق .

(ما روى صاحب الديك من أحاديث في الديك)

قال صاحب الديك : حَدَّثُونَا عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَتَبَةَ ، قَالَ : « صَرَخَ دَيْكٌ عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَسَبَّهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ ، فَقَالَ : لَا تَسْبَهُ فَإِنَّهُ يَدْعُو إِلَى الصَّلَاةِ » .

وعن ابن الماجشون ، عن صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن يزيد بن خالد الجهمي : « أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَهَى عَنْ سَبِّ الدِّيكِ وَقَالَ : إِنَّهُ يُؤْذِنُ لِلصَّلَاةِ » .

= غزوة فرض حولا ، فلكه زوجه وهرمت به ، وأظهرت غدراً ، حتى لقد هم بقتلها ، وطلب السيف ليقطعها فإذا يده لا تقبله ، فقال في ذلك منوها ببر أمه (الميقاتي ٢ : ٣٨) والكمال ٧٤٦ ليسك :

أرى أم صخر لا تمل عيادتي وملت سليمي مضجعي ومكاني
فأرى امرئ ساوى بأم حليمة فلا عاش إلا في شقا وهوان
أهم بأمر الخزم لو أستطيعه وقد حيل بين العير والنزوان

(١) في ط : « سيد » وتصحيحه من س .

الحسن بن عماره ، عن عمرو بن مرّة ، وعن سالم بن أبي الجعد^(١) ،
يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ تَعَالَى لَدَيْكَ
عَرْفُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ وَبَرَأْتُهُ فِي الْأَرْضِ السُّفْلَى ، وَجَنَاحَهُ فِي الْهَوَاءِ^(٢) ،
فَإِذَا ذَهَبَ ثُلَاثَا اللَّيْلِ وَبَقِيَ ثَلَاثُهُ ضَرَبَ بِجَنَاحِهِ ثُمَّ قَالَ : سَبَّحُوا الْمَلِكَ
الْمُقَدُّوسَ ، سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ — أَيْ أَنَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ — فَعِنْدَ ذَلِكَ تَضْرِبُ
الْخَطِيرُ بِأَجْنَحَتِهَا وَتَصْبِيحُ الدِّيَكَةِ » .

وأبو العلاء عن كعب : « إِنَّ لِلَّهِ تَعَالَى دِيكًا عَنْقُهُ تَحْتَ الْعَرْشِ ،
وَبَرَأْتُهُ فِي أَسْفَلِ الْأَرْضِينَ ، فَإِذَا صَاغَتِ الدِّيَكَةُ يَقُولُ : سَبَّحَانَ الْمَلِكِ
الْمُقَدُّوسِ الْمَلِكِ الرَّحْمَنِ ، لَا إِلَهَ غَيْرُهُ » . قال : والدِّيَكَةُ أَكْبَسُ شَيْءٍ
وَرَوَى عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « إِنَّ الدِّيَكَةَ الْأَبْيَضَ
صَدِيقِي ، وَعَدُوُّ عَدُوِّ اللَّهِ ، يَحْرُسُ دَارَ صَاحِبِهِ وَسَبْعَ دُورٍ » .
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيتُه معه في البيت .
وَرَوَى أَنَّ أَصْحَابَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانُوا يَسَافِرُونَ بِالدِّيَكَةِ .

(ذَبْحُ الدِّيَكِ الْأَفْرِقِ)

وزعم أصحابُ التَّجَرِبَةِ أَنَّهُ كَثِيرًا مَا يَرُونَ الرَّجُلَ إِذَا ذَبَحَ الدِّيَكَةَ
الْأَبْيَضَ الْأَفْرِقَ^(٣) ، أَنَّهُ لَا يَزَالُ يُنْكَبُ فِي أَهْلِهِ وَمَالِهِ .

(١) في الأصل : « سالم مول أبي الجعد » ، صوابه في تهذيب التهذيب والمعارف ٢٠٠ .

(٢) في الأصل : « الهوى » .

(٣) الأفرق : المقروق العرف .

(كيف تعرف الديك من الدجاجة إذا كان صغيراً)

ومَّا في المحاجة أن يقال : كيف تعرف الدَّيْكَ من الدجاجة إذا كان صغيراً حين يخرجُ من البيضة ؟ فقالوا : يعلّق بمنقاره ، فإن تحرك فهو ديك وإن لم يتحرك فهو دجاجة .

(بعض ما قيل من الشعر في حسن الدجاجة ونبل الديك)

قال الشاعر^(١) في حُسن الدَّجاجة ونَبَل الديك :

٩٥ غَدَوْتُ بِشَرِبَةٍ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ أبا الدهناء من حَلَبِ العَصِيرِ^(٢)
وَأُخْرَى بِالْعَقْنَقَلِ ثُمَّ رُحْنَا نرى العُصفورَ أعظمَ من بَعِيرِ
كَأَنَّ الدَّيْكَ دِيكَ بَنِي مُنْمِرٍ أميرُ المؤمنين على السَّرِيرِ^(٣)
كَأَنَّ دَجَاجَهُمْ فِي الدَّارِ رُقْطاً بناتُ الرُّومِ فِي قُصْرِ الحَرِيرِ^(٤)
فَبْتُ أُرَى الكَوَاكِبَ دَانِيَاتٍ يَنْلَنَ أَنَامِلَ الرَّجُلِ القَصِيرِ^(٥)
أَدَافُعُهُنَّ بالكُفَّيْنِ عَنِّي وأمسح جانبَ القمرِ المنيرِ^(٦)

(١) انظر الشعر في هذا الجزء ص ٣٥٦ وديوان المعاني (١ : ٣٣٠) ،
و (٢ : ١٣٦) ونثار الأزهار ٩٧ ، ونهاية الأرب (١٠ : ٢٢٧)
وحماسة ابن الشجري (٢٧٨) والعقد (٦ : ٣٤٧ لجنة التأليف) .

(٢) ذات عرق : هو الحد بين نجد وتهامة . والحلب : الشراب .

(٣) السرير هنا : عرش الخلافة ، أو هو الملك والإمارة .

(٤) الرقطة : جمع رقطاء ، وهي ذات اللون الأسود يشوبه نقط بيض أو العكس .
ورواية النهاية والنشار : « وفود الروم » .

(٥) أرادتنا نحن أنامل الرجل القصير ، في الكلام قلب . انظر الصاحبي ١٧٣ .

(٦) الرواية في ديوان المعاني : « وأمسح عارض القمر المنير » .

(طعن صاحب الكلب في الديك)

وقال صاحب الكلب : الأشياء التي تألفُ الناس لا تريد سواهم كالعصفور والخطاف والكلب والسنور . والدَّيْكُ مِمَّا يَتَّخِذُهُ النَّاسُ ، وليس مِمَّا يَحْنُ إِلَيْهِمْ فَيَقْطَعُ الْبِلَادَ زُرْعًا ، فيكون كالقواطع من الطير التي تريدُهم كالخطاف ، ولا هو من الأوابد كالعصفور الذي حيًّا دار رجع إليهم ، ولا هو كالكلب الذي [لا ^(١)] يعرف سواهم ، ولا هو كالأهليِّ من السنابير التي متى ألفتهم لم تفارقهم ، وتُعَسُّ بِاللَّيْلِ ، وتطوف في القبائل من دار إلى دار ثمَّ لا يكون مرجعُها إلَّا إليهم . والدَّيْكُ في خلاف ذلك كلِّه ، ثمَّ لا يألف منزله ولا يعرف رُبْعَه ، ثمَّ لا يَحْنُ إلى دجاجةٍ ، ثمَّ لا تتوق نفسه إلى طَروقتِه ^(٢) ، ولا يشتاقي إلى ولده ، ولا يعرف الذين غَذَوْه وربَّوه ، بل لم يدر قطُّ أنَّ له ولدًا ، ولو كان درى لكان على درايته دليل ، فإذا قد وجدناه لفراريجه ويبيضه المخلوقة منه ومن نجلِه ، كما نجده لما لم يلدْ ولما ليس من شكله أيضًا ولا يرجعُ إلى نسبه ، فكيف لا نقضى عليه بالنقص ، إذ كانت الأمور لا تعرف إلَّا بهذا وشبهه !! .

وهو لا يعرف أهلَ دارِه ، ولا يُثَبِّت وجهَ صاحبه الذي لم يُخْلَقْ إلَّا عنده ، وفي ظلِّه وتحت جناحه ، ولم يزل في رزقه وعياله . والحمام ترجع إليه من مائتي فرسخ ، ويُصْطَادُ فَيَتَحَوَّلُ عن وطنه عَشْرَ حِجَجٍ ، ثمَّ هو

(١) التكلة من س .

(٢) طروقتِه : أنثاه .

على ثباتِ عهده وقوّةِ عقده ، وعلى حِفَاظِهِ وإلْفِهِ ، والنِّزَاعِ إلى وطنه .
فإن^(١) وجدَ فُرْجَةً ووافقَ جناحَهُ وافيّاً وافاه وصارَ إليه ، وإن كانَ جناحُهُ
مقصوفاً جَدَفَ^(٢) إلى أهله ، وتكلّفَ المضىَّ إلى سكّنه ، فإِذَا بَلَغَ
وإِذَا أَعْذَرَ^(٣) .

وَالْحُطَّافُ يَقْطَعُ إِلَيْهِمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَبْلُغُهُ خَيْرٌ ، وَلَا يَطْوُهُ صَاحِبُ
سَفَرٍ ؛ عَلَى أَنَّا لَا نَرَاهُ يَتَّخِذُ وَكْرَهُ إِذَا صَارَ إِلَيْهِمْ إِلَّا فِي أَحْصَنِ مَوْضِعٍ ،
وَلَا يَحْمِلُهُ الْأَنْسُ بِهِمْ عَلَى تَرْكِ التَّحَرُّزِ مِنْهُمْ ، وَالْحَزْمِ فِي مُلَابَسَتِهِمْ ، ٩٦
وَلَا يَحْمِلُهُ الْخَوْفُ مِنْهُمْ عَلَى مَنَعِ نَفْسِهِ لَذَّةِ السُّكُونِ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَبْخَسُ
الْإِرْتِفَاقَ بِهِمْ حَظَّهُ .

وَالْعَصَافِيرُ لَا تَقِيمُ فِي دَارٍ إِلَّا وَهِيَ مَسْكُونَةٌ ، فَإِنْ هَجَرَهَا النَّاسُ لَمْ تُقِمْ
فِيهَا الْعَصَافِيرُ .

(قول صاحب الكلب في السنور والهرّة)

وَالسَّنُورُ يَعْرِفُ رَبَّةَ الْمَنْزِلِ ، وَيَأْلَفُ فَرْخَ الْحَمَامِ ، وَيُعَايِثُ فِرَارِيحَ
الدَّارِ . إِنْ سُرِقَ وَرُبِطَ شَهْرًا عَادَ عِنْدَ انْفِلَاتِهِ ، وَانْحِلَالِ رَبَاطِهِ .
وَالْهَرَّةُ تَعْرِفُ وَلَدَهَا وَإِنْ صَارَ مِثْلَهَا ، وَإِنْ أُطْعِمَتْ شَيْئًا حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ
وَأَثَرْتَهُ بِهِ . وَرَبَّمَا أُلْقِيَ إِلَيْهَا الشَّيْءُ فَتَدْنُو لِتَأْكَلَهُ ، وَيُقْبَلُ وَلَدُهَا فَتُمْسِكُ

(١) س : « فتي » .

(٢) جدف الطائر : طار وهو مقصوص ، كأنه يرد جناحيه إلى خلفه . ومجدافاه :
جناحاه . وفي الأصل : « حذف » وهو تصحيف . وانظر الحيوان (٣ : ٢٢٩) .

(٣) أي كان له عذر في عدم استطاعته الوصول .

عنه ، وترضه له . وربما طرح لها الشيء وولدها غائب عنها - ولها ضروب من النغم ، وأشكال من الصباح - فتصبح ضرباً من الصباح يعرف أهل الدار أنه صباح الدعاء لا غير ذلك . ويقال : « أبر من هرة ^(١) » .

ومتى أرادت ما يريد صاحب الغائط ، أتت مواضع تراب في زاوية من زوايا الدار فتبعته ، حتى إذا جعلت له مكانا كهينة الحفرة جعلته فيها ثم غطته من ذلك التراب ، ثم تشمت أعلى ذلك التراب وما ظهر منه ، فإن وجدت شيئاً من الرائحة زادت عليها تراباً ، فلا تزال كذلك حتى تعلم أنها قد أخفت المرئى والمشموم جميعاً . فإن هي لم تجد تراباً خمشت وجه الأرض ، أو ظهر السطح ، حتى تبلغ في الحفر المبلغ ، ومن ستر ذلك المجهود ^(٢) .

وزعم ناس من الأطباء أن السنور يعرف وحده ريح رجعه ، فإنما يستره لمكان شم الفأر له ، فإنها تفر من ^(٣) تلك الرائحة . أو يغطيه لما يكون [فيه] من خلق من أخلاق الأسد ^(٤) . [و ^(٥)] ما يشاكل فيه الأسد في الخلق ، على قدر ما يشاكله في الخلق . وتعداد ذلك كثير .

(١) قال الدميري : « أرادوا بذلك أنها تأكل أولادها من شدة الحب لهم » . قلت : ليس ذلك أرادوا ، وإنما عنوا ما بها من خلة الإيثار لولدها على نفسها كما هنا . والدميري تبع في قوله ما في أمثال الميداني (١ : ٤٥١) في كلامه على « أعق من ضب » ، ومثله لابن قتيبة في عيون الأخبار (٢ : ٧٢) . وانظر الحيوان (١ : ١٩٦) .

(٢) أي وحتى تبلغ غاية جهدها في ستر ذلك .

(٣) في الأصل : « إلى » ، ووجه ما أثبت . والفأر : جمع فأرة ، وضمير « تفر » راجع إليها .

(٤) في الأصل : « وتغطيه لما يكون من خلق من أخلاق الأسد » .

(٥) تكملة يحتاج إليها الكلام .

(سُلَاحُ الدِّيكِ)

وَالدَّيْكُ لَا تَرَاهُ إِلَّا سَالِحًا ، ثُمَّ لَا يَتَوَقَّى ثَوْبَ رَبِّ الدَّارِ وَلَا فِرَاشَهُ وَلَا بَسَاطَهُ . هَذَا ، وَحَيَاتُهُ التُّرَابُ ، وَلِذَا^(١) يَدْفَنُ نَفْسَهُ فِيهِ ، وَيُدْخِلُهُ فِي أَصُولِ رِيشِهِ .

ثُمَّ لَا تَرَى سُلَاحًا أَنْتَ مِنْ سُلَاحِهِ^(٢) ، لَا يَشْبَهُ ذَرَقُ الْحِمَامِ ، وَصَوْمُ النَّعَامِ ، وَجَعَرُ الْكَلْبِ . ثُمَّ مَعَ ذَلِكَ لَا تَرَاهُ إِلَّا سَائِلًا رَقِيقًا . وَلَوْ كَانَ مُدَحَّرَجًا كَأَبْعَارِ الشَّاءِ وَالْإِبِلِ وَالظُّبَاءِ ، أَوْ مَتَعَلِّقًا^(٣) يَابِسًا كَجَعَرِ^(٤) الْكَلْبِ وَالْأَسَدِ ، ثُمَّ لَوْ كَانَ عَلَى مَقْدَارِ نَتْنِهِ لَسَكَانُ أَهْوَنَ فِي الْجُمْلَةِ .

وَقَالَ أَبُو نُوَّاسٍ فِي دِيكَ بَعْضِ أَصْحَابِهِ :

أَذِينَا بِدِيكَ السَّلَاحِ فَنَجِّنَا مِنْ مُنَيْنِ الْأَرْوَاحِ^(٥)

(استخدام الخناقين للكلاب)

وَقَالَ صَاحِبُ الْكَلْبِ : وَمَنْ مَرَّاقِ الْكَلْبِ أَنَّ الْخَنَاقِينَ^(٦) يَظَاهِرُ

بَعْضُهُمْ بَعْضًا ، فَلَا يَكُونُونَ فِي الْبِلَادِ إِلَّا مَعًا ، وَلَا يَسَافِرُونَ إِلَّا مَعًا ؛

(١) فِي الْأَصْلِ : « وَلَمْ » .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « مِنْهُ » . وَالسَّلَاحُ بِالضَّمِّ : النُّجُورُ .

(٣) فِي الْأَصْلِ : « وَمَتَعَلِّقًا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « كَبِيرٌ » ، تَحْرِيفٌ .

(٥) الْأَرْوَاحُ هُنَا : جَمْعُ رِيحٍ .

(٦) الْخَنَاقُونَ هُمْ مِنَ الْمَنْصُورِيَةِ ، أَصْحَابُ أَبِي مَنْصُورِ الْكَسْفِ الَّذِي كَانَ قَالَ لِأَصْحَابِهِ : « فِي

نَزْلِ قَوْلِهِ تَعَالَى : وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا » . وَالْمَنْصُورِيَةُ مِنَ الرُّوَافِضِ ،

انْظُرْ خَبَرَهُمْ فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ (٢ : ١٤٧) وَتَأْوِيلَ مُخْتَلَفِ الْحَدِيثِ (٨٦) ، وَالْخِيَوَانُ

أَيْضًا (٦) وَالْمَقْدُ (١ : ٣٥٠) . وَانْظُرِ الْمَقَارَنَةَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْيَهُودِ

فِي الْعَقْدِ (١ : ٣٥٣) . وَتَعْلِيلَ لُجُومِهِمْ إِلَى هَذَا الضَّرْبِ مِنَ الْقَتْلِ فِي الْفَصْلِ

(٤ : ١٨٥) .

فربما استولوا على دربٍ بأسره ، أو على طريقٍ بأسره . ولا ينزلون إلا في طريق نافذ ، ويكون خلف دُورهم : إما صخاري وإما بساتين ، وإما مزابلٌ وأشباهُ ذلك . وفي كلِّ دارٍ كلابٌ مربوطة ، ودُفوفٌ وطُبول . ولا يزالون يجعلون على أبوابهم معلّمَ كُتّابٍ منهم ، فإذا خنقَ أهلُ دارٍ منهم إنساناً ضربَ النِّساءُ بالدُّفوفِ ، وضربَ بعضهم الكلابَ فسمعَ المعلّمُ فصاح بالصَّبيان : انبَحُوا ! وأجابهم أهلُ كلِّ دارٍ بالدُفوفِ والصُّنوجِ ، كما يفعل نساءُ أهلِ القرى ، وهيجوا الكلاب . فلو كان المخنوقُ حماراً لما شعرَ بمكانه أحد^(١) ، كما كان ذلك بالرقّة .

و [انظر^(٢)] كيف أخذوا أهلَ دَرَبٍ بأسره !! وذلك أن بعضهم رغب في ثوبٍ كان على حِمّال ، وفيه دريهمات معه ، فألقى الوَهَقَ^(٣) في عنقه فغشى عليه ولم يمت ، وتحركَ بطنه فألقى المتوضّأً وتحركَ الحِمّالُ والسَّاجور^(٤) في عنقه ، فرجعت نفسُ الحِمّالِ ، فلما لم يحسَّ بأحدٍ عنده ، قصَدَ نحوَ بابِ الدار ، وخرجَ وزياره^(٥) في عنقه ، وتلقته جماعة^(٦) فأخبرهم الخبر ، وتصايح الناس فأخذوا عن آخرهم .

(١) الحمار أجهر الحيوان صوتاً .

(٢) زدتها ليستقيم الكلام .

(٣) الوَهَق : حبلٌ مفتول يرمى فيه أنشودة ، فتؤخذ به الدابة . والأنشودة : عقدة تمدُّ بأحد طرفيها فتنتحل .

(٤) الساجور : أصله القلادة أو الخشبة توضع في عنق الكلب .

(٥) الزيار : - هو في الأصل - شناق يشد به البيطار جحفة الدابة . وما أثبت

من س . وفي ط : « وزيادة » ، وهو تحريف ما في س .

(٦) في ط : « جماعة » وأثبت ما في س .

(بعض الخبر والشعر في الخناقين)

وقد كان بالكوفة شبيهً بذلك ، وفي غيرها من البلدان . فقال حمادُ
الرَّأوِيَةُ ، وذكر المرميين بالخنق من القبائل وأصحاب القِيائل والنَّحْل ،
وكيف يصنع الخنَّاق ، وسمى بعضهم فقال :

إذا سرتَ في عَجَلٍ فسرْ في صحابةٍ وكِنْدَةُ فَاخْذَرْهَا حِذَارَكَ لِلخَسْفِ
وفي شِيعَةِ الْأَعْمَى زيارٌ^(١) وَغِيْلَةٌ وَقَشْبٌ وَإِعْمَالُ الْجُنْدَلَةِ الْقَذْفِ^(٢)
وكلُّهُمْ شَرٌّ عَلَى أَنْ رَأَسَهُم حَمِيدَةُ وَالْمِيلَاءُ حَاضِنَةُ الْكِسْفِ^(٣)
مَتَى كُنْتَ فِي حَيٍّ بِجِيلَةٍ^(٤) فَاسْتَمِعْ فَإِنَّ لَهُمْ قَصْفًا يَدُلُّ عَلَى حَتْفِ^(٥)
إذا اعتزموا يوماً على خنقِ زائرٍ تَدَاعَوْا عَلَيْهِ بِالنُّبَاحِ وَبِالْعَزْفِ^(٦)

(١) في الأصل وكذا في عيون الأخبار (٢ : ١٤٧) : « زياد » ، وصوابه ما أثبت
وانظر التنبيه الخامس من الصفحة السابقة .

(٢) القشب : خلط السم بالطعام ، ويقال قشبه : سقاها سما . والجندلة : واحدة
الجندل ، وهو الحجارة . وفي الأصل : « وأعمال مخدلة القذف » ، وفي الحيوان
(٦ : ١٢٩) حيث يكرر هذا الشعر : « وأعمال لخندلة القذف » ، وتصحيحه
من عيون الأخبار . وكان من هؤلاء المنصورية من يشدخ رموس الناس بالحجارة
وهم الشداخون ، كما سماهم ابن قتيبة في تأويل مختلف الحديث (٨٧) .

(٣) في الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « وأما حميدة فكانت من أصحاب ليل الناعظية ،
ولها رياسة في الغالية » . قلت : وقد عد الجاحظ « ليلي » هذه في البغلاء
(ص ٣١) . والكسف هو - كما سبق - أبو منصور صاحب المنصورية ، وكانت
الميلاء حاضنته . وفي الأصل : « والميلاء وصاحبة الكسف » وهو تحريف
صوابه في الحيوان (٦ : ٣٨٩) وعيون الأخبار .

(٤) ط : « حسي بجيلة » س : « حى بجيلة » وكلاهما تحريف ما أثبت من المرجعين
المتقدمين . قال ابن قتيبة : « كان المغيرة بجلياً ، مولى لهم » .

(٥) أى صوتاً مدوياً يدل على هلاك ، وكانوا يدقون للدقوف والطبول ويحدثون ضروباً
من الجلبة ، ليستروا أمرهم ، كما تقدم في الصفحة السابقة .

(٦) س : « بالعرف » وتصحيحه من ط والمرجعين السابقين .

وأما ذكره لبنى عجل فلمكان ذى الضفرتين وغيره من بنى عجل .
 وأما ذكره كندة ، فقد أشدنا سُفيان بن عينة ، وأبو عبيدة النحوى :
 إذا ما سرَّك العيشُ فلا تأخذ على كِنْدَه^(١)
 ومن كِنْدَة أبو قصبه^(٢) أخذ بالكوفة وقُتِل وصُلب .
 وكان بالكوفة مَن يأكلُ لحومَ النَّاسِ عَدِيَّةُ المَدِينَةِ الصَّفراءِ^(٣) . وكان
 بالبصرة رَادَوِيَه صاحب قصاب رادويه .

وأما الأعمى فى بنى ضَبَّة الذى ذكره فهو المغيرة بن سعيد صاحب ٩٨
 المَغِيرِيَّة ، وهم صِنْفٌ مَن يعمل فى الخنق بطريق المتصورِيَّة^(٤) .
 والمغيرة هذا من موالى بَجِيلَة ، وهو الخارج على خالد بن عبد الله
 القسرى ، وعند ذلك قال خالد وهو على المنبر^(٥) : أَطْعُمُونِي مَاءً !
 وفى ذلك يقول يحيى بن نوفل^(٦) :

-
- (١) كذا فى الأصل وعيون الأخبار . وفى الحيوان (٦ : ٣٨٩) : « فلا تمرر » .
 (٢) فى الجزء السادس من الحيوان : « أبو قطنَة » وفى عيون الأخبار : « أبو قطبة » .
 وفى البخلاء (٩٥) من يدعى « أبو قطبة » ، فلمله هو .
 (٣) فى الأصل : « الصغرى » وأثبت ما فى الجزء السادس من الحيوان .
 (٤) وقد أخذه خالد بن عبد الله فقتله وصلبه بواسط . عيون الأخبار (٢ : ١٤٨) .
 (٥) وعند ذلك : أى عند خروجه عليه . وقد تبدو هذه العبارة غريبة ، ولكنها
 صحيحة ، مثلها فى الحيوان (٦ : ٣٩٠) : « ومن أجل خروجه عليه قال :
 أطعمونى ماء » .
 (٦) فى الأصل : « بحر بن نوفل » وإنما هو « يحيى » كما فى الجزء السادس من
 الحيوان والبيان فى مواضع متعددة ، وقد قال يحيى فى خالد — غير الشعر الآتى —
 (البيان ١ : ١١٢) .

بل السراويل من خوف ومن وهل واستطمم الماء لما جد فى الهرب
 وألحن الناس كل الناس قنطبة وكان يولع بالتشديق فى الخطب
 ومن العجيب فى أمر خالد هذا أنه كان يليغا من الأيئاء ، وهو كذلك من رماهم
 الناس بالحن وكثرة الخطأ . (البيان ٢ : ٢٢٠) .

وقلتَ لِمَا أَصَابَكَ أَطْعِمُونِي شَرَاباً ثُمَّ بُلْتَ عَلَى السَّرِيرِ
لِأَعْلَاجِ ثَمَانِيَةٍ وَشَيْخٍ كَبِيرِ السِّنِّ ذِي بَصَرٍ ضَرِيرٍ^(١)

وأما حميدة فقد كانت لها رئاسة في الغالية ، وهي ممن استجاب لليلي
السبائية^(٢) الناعظية^(٣) ، والميلاء^(٤) حاضنة أبي منصور^(٥) صاحب
المنصورية ، وهو الكسف . قالت الغالية : إِيَّاهُ عَنِ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى
﴿وَأِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ . وقد ذكره
أبو السريِّ مَعْدَانُ الْأَعْمَى الشُّمَيْطِيُّ^(٦) في قصيدته التي صنّف فيها الرَّافِضَةَ
ثمَّ الغالية ، وقَدَّمَ الشُّمَيْطِيُّ^(٧) عَلَى جَمِيعِ أَصْنَافِ الشَّيْعَةِ^(٨) ، فقال :

(١) الشعر يروى بروايات مختلفة عند الجاحظ في البيان (٢ : ١٩٣) و (٣ :

١٢٢) والحيوان (٦ : ١٣٠) . ويروى قبل البيت الثاني :

وكننت لدى المغيرة عير سوء تصول من الخافة للزير

والمغيرة هو الأعمى صاحب المغيرة ، وإياه عني بقوله : « وشيخ كبير السن
ذى بصر ضير » .

(٢) ط : « الشبائية » س : « السبابة » والصواب ما أثبت . يقال سبائية وسبئية كما
في اللسان ، نسبة إلى عبد الله بن سبأ ، وهم فرقة من الغلاة .

(٣) في البخلاء ٣١ : « الباعظية » .

(٤) في الأصل : « والميل » ، وهو تحريف .

(٥) في الأصل : « صاحبة أبي منصور » .

(٦) في الأصل : « السميطي » وصوابه ما أثبت . وانظر التنبيه الآتي .

(٧) الشميطة : فرقة من الشيعة الإمامية الرافضة ، نسبت إلى أحر بن شميطة ،
وكان صاحب الاختار ، وقد قتلها معا مصعب بن الزبير . انظر الفرق ٣٦ ، ٣٩
ومفاتيح العلوم ٢٢ وكامل المبرد ٦٤٣ ليسك ، والملل والنحل (٢ : ٣) .

(٨) قد روى الجاحظ في البيان (١ : ٢٣) ثلاثة أبيات أخرى من هذه القصيدة ،
وفي (٣ : ٧٥) بيتين آخرين وفي (٣ : ٣٥٦) ستة آخر .

إِنَّ ذَا الْكِسْفِ صَدَّ آلَ كُمَيْلٍ وَكُمَيْلٌ رَذُلٌ مِنَ الْأَرْذَالِ^(١)
 تركا بالعراق^(٢) داءً دويًا ضلَّ فيه تَلَطُّفُ الْحَتَالِ
 منهم جاعلُ الْعَسِيبِ إِمَامًا وفريقٌ يرضُ زَنْدَ الشَّامِ
 وفريقٌ يقولُ إِنَّا بَرَاءٌ مِنْ عَلِيٍّ وَجُنْدُبٍ وَبِلَالٍ^(٣)
 وَبَرَاءٌ مِنَ الَّذِي سَلَّمَ الْأَمَّ رَ عَلَى قَدَرِهِ بغيرِ قَتَالِ^(٤)
 وفريقٌ يدينُ بالنصِّ^(٥) حَتَمًا وفريقٌ يدينُ بالإِهْمَالِ
 لَأَنَّ الْكَيْلِيَّةَ لَا تَجِيزُ الْوَكَالَةَ فِي الْإِمَامَةِ ، وَتَقُولُ لِأَبَدٍّ مِنْ إِمَامٍ صَامِتٍ
 أَوْ نَاطِقٍ ، وَلَا بَدْءَ مِنْ عِلْمٍ يَمُدُّ النَّاسُ إِلَيْهِ أَعْنَاقَهُمْ . وَأَبُو مَنْصُورٍ يَقُولُ
 بخلاف ذلك .

وَأَمَّا قَوْلُهُ :

وَفِي شِيعَةِ الْأَعْمَى زِيَارٌ^(٦) وَغِيْلَةٌ وَقَشْبٌ وَإِعْمَالٌ الْجَنْدَلَةُ الْقَذْفُ^(٧)

(١) فِي الْأَصْلِ : « زُولٌ مِنَ الْأَزْوَالِ » وَصَوَابُهُ مَا أُثْبِتَ ، كَمَا فِي الْخِيَوَانِ (٦ : ٣٩١)
 حَيْثُ أُعِيدَ هَذَا الشَّعْرُ . وَالرَّذُلُ : الدُّونُ الْخَسِيسُ . وَأَمَّا الزُّوْلُ فَهُوَ الْخَفِيفُ
 الظَّرِيفُ الْفُظْنُ ، وَلَيْسَ هَذَا مُرَادًا .

(٢) فِي الْأَصْلِ : « بِالْعَرَاءِ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْجُزْءِ السَّادِسِ مِنَ الْخِيَوَانِ .

(٣) جَنْدُبٌ هَذَا هُوَ ابْنُ زَهْرٍ بْنِ الْحَارِثِ ، كَانَ مَعَ عَلِيٍّ بِصَفَيْنَ ، وَكَانَ عَلَى الرِّجَالَةِ
 يَوْمَئِذٍ ، وَكَانَ هُوَ وَالْأَشْتَرُ أَقْوَى رَجُلَيْنِ مِنْ أَصْحَابِ عَلِيٍّ فِي يَوْمِ الْجَمَلِ . انْظُرْ
 الْإِصَابَةَ ١٢١٤ .

(٤) قَالُوا : إِنَّ عَلِيًّا كَفَرَ إِذْ سَلَّمَ الْأَمْرَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ ثُمَّ عَمِرَ ثُمَّ عُثْمَانُ . (الْفَصْلُ
 ٤ : ١٨٣) .

(٥) النَّصُّ ، أَيْ النَّصُّ عَلَى الْإِمَامِ ، بِأَنْ يَنْصَحَ كُلُّ إِمَامٍ عَلَى الْإِمَامِ الَّذِي يَخْلُفُهُ .
 انْظُرِ الْفَرْقَ ص ٤٥ . وَفِي الْأَصْلِ : « بِالنَّصْرِ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . وَانْظُرِ الْكَلَامَ عَلَى
 (النَّصِّ) فِي الْمَلَلِ وَالنَّحْلِ (١ : ٢٢٣) .

(٦) فِي الْأَصْلِ : « زِيَادٌ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ الْخَامِسَ مِنْ (ص ٢٦٥) .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « مَجْزَلَةُ الْقَذْفِ » . وَانْظُرِ التَّنْبِيهَ الثَّانِيَّ مِنْ (ص ٢٦٦) .

فقد قال معدان :

حبشى وكافر سيبانى حربي وناسخ قتال^(١)
تلك تيمية وهاتيك صمت^(٢) ثم دين المغيرة المغتال
خفق مرة وشم بخار ثم رضع بالجندل المتوالى^(٣)
لأن من الخناقين من يكون جامعاً ، وبذلك يسمونه إذا جمع الخنق
والتشميم ، وحمل معه في سفره حجرين مستديرين مدملكين وململين
فإذا خلا برجل من أهل الرفقة استدبره فرمى بأحدهما قحذوته^(٤) ،
وكذلك إن كان ساجداً . فإن دمه الأول سلبه ، وإن هو رفع رأسه طبق
بالآخر وجهه . وكذلك إن ألفاه نائماً أو غافلاً .

ولقد صحب منهم ناس رجالاً خرج من الرى ، وفي حقوه هيمان^(٥) ،
فكان لا يفارق معظم الناس ، فلما رأوه قد قرب من مفريق الطريقين ،
ورأوا احتراسه ، وهم نزول إماماً في صحراء وإماماً في بعض سطوح الحانات ،
والناس متشاغلون بأموالهم ، فلم يشعر صاحب الهيمان نهراً والناس حوله
إلا والوهق^(٦) في عنقه ، وطرحه الآخر حين ألقاه في عنقه ، ووثب إليه
وجلس على صدره ، ومد الآخر برجليه وألقى عليه ثوباً وأذن في أذنيه

(١) كذا . وفي البيت إقواء . و « حبشى » لعلها « خشبي » . والخشبية : فرقة
من المنصورية يقتلون بالخشب فقط . الفصل (٤ : ١٨٥) ومفاتيح العلوم ص ٢١ .

(٢) كذا .

(٣) ط : « وشنق » ، ولعلها « نشق » ، وأثبت ما في س .

(٤) انظر التنبيه الثاني من (ص ٢٦٦) .

(٥) القمحودة : الهنة الناشئة فوق القفا وأعلى للقدال خلف الأذنين ، وإصابة هذا
الموضع قاتلة .

(٦) الهيمان : وعاء للدراهم يشد إلى الوسط .

(٧) الوهق مر تفسيره في (ص ٢٦٥) .

فقام إليهم بعضُ أهل الرُّفقة كالمعين والمتفجّع ، فقالوا له : مكانك ؛ فإنه إن رآك خجل واستحى . فأمسك القومُ عنهم ، وارتحل القوم ، وأعجلوا بصاحبهم ، فلمّا خلّوا به أخذوا ما أحبّوا ، وتركوا ما أحبّوا ، ثمّ حملوه على أيديهم ، حتى إذا برزوا رموه في بعض الأودية .

(شعر أعشى همدان في السبئية)

وقد ذكر أعشى همدان السبئية^(١) وشأنهم في كرسى المختار^(٢) :
شهدتُ عليكم أنكم سبئية^(٣) ولئن بكم يا شرّطة الكُفر عارفُ
وأقسمُ ما كرسيتكم بسكينةٍ وإن كان قد لُفتَ عليه اللفائفُ
وأن لبسَ الثّابوتُ فتناً وإن سمّتُ حمامُ حواليه وفيكم زخارف^(٤)
ولئن امرؤُ أحببتُ آلَ محمدٍ وآثرتُ وحيّاً ضمّنته المصاحفُ

(١) في الأصل : « السيلية » ، وصوابه ما أثبت . والسبئية : فرقة من غلاة الرافضة . قال صاحب الفرق بين الفرق (ص ٣٤) : « ثم إن المختار خدعته السبئية الغلاة من الرافضة فقالوا له : أنت حجة هذا الزمان ! وحملوه على دعوى النبوة ، فادعاهما عند خواصه ، وزعم أن الوصى ينزل عليه وسجج . . . » . وقال (ص ٣٥) : « واجتمعت السبئية إليه مع عبيد أهل الكوفة . . . » .

(٢) المختار هذا هو ابن أبي عبيد الثقفى ، وكان أبوه من خيار الصحابة ، استشهد يوم الجسر في خلافة عمر (لسان الميزان ٦ : ٦) . وكان يقال للمختار « كيسان » وإليه تنسب فرقة « الكيسانية » من الرافضة ، أو هو أخذ المقالة من كيسان مولى على وقد قام بشار الحسين بن على وقتل أكثر الذين قتلوا حسيناً بكر بلاه . انظر أخباره وآراءه في الفرق بين الفرق (ص ٢٦ - ٢٧) والملل والنحل (١ : ١٩٧) . والطبرى (٧ : ١٤١) وابن الأثير (٤ : ١٠٩) . قتل المختار سنة ٦٧ .

(٣) في الأصل : « سبئية » ، تحريف .

(٤) انظر الكلام على هذا البيت في الاستدراكات .

وإن شاكرًا طافت به وتمسحت بأعواد ذاوٍ دبرت^(١) لا تساعف
ودانت به لابن الزبير رقابنا ولا غبن فيها أو تحز السوالف
وأحسب عقبها لآل محمد فينصر مظلوم ويأمن خائف
ويجمع ربي أمة قد تشنتت^(٢) . وهاجت حروب بينهم وحسائف
أبو عبيدة : الحسيفة^(٣) الضغينة ، وجمعها حسائف .

(من قتل نفسه بيده)

وما أكثر من قتل نفسه بيده ، إمامًا لخوف المسئلة ، وإمامًا لخوف
التعذيب والهوان وطول الأسر .

١٠٠ وقد كان الحكم بن الطفيل ، أخو عامر بن الطفيل ، وأصحابه خنقوا
أنفسهم في بعض الأيام^(٤) ، فعبروا بذلك تعبيراً شديداً ، فقال خراشة
ابن عامر بن الطفيل :

وقدّتهم للموت ثم خذلّتهم فلا وألت نفس عليك تحاذر^(٥)
فهل تبليغي عامراً إن لقيته أسليت عن سلمان أم أنت ذاكر

(١) كذا . وفي س : « بأعواد داود برت » .

(٢) ط : « تشنت » : وتصحيحه من س .

(٣) ط : « الحسيفة » ، وتصحيحه من س .

(٤) هو يوم ساحوق كما في الكامل لابن الأثير (١ : ٣٩٤) . وانظر المقد

الفريد (٣ : ٣١٨) .

(٥) وألت : نجت .

فَإِنَّ وراءَ الحَيِّ غِزْلَانَ أَيَكَةِ مُضْمَخَةً آذَانُهَا وَالْغَدَائِرُ (١)
وإِنَّكُمْ إِذْ تَخْنُقُونَ نفوسَكُمْ لَكُمْ تَحْتَ أَظْلَالِ الْعِصَاهِ جِرَائِرُ
وقال عُرْوَةُ بن الورد في يوم ساهوق (٢) ، ويذكر خنق الحكم بن الطفيل
وأصحابه أنفسهم ، فقال :

وَنَحْنُ صَبَحْنَا عامراً في ديارِها عُلَّالَةَ أَرماحٍ وَعَضْباً مُذَكِّراً (٣)
بِكُلِّ رَقِيقٍ الشَّفَرَتَيْنِ مُهَنِّدٍ وَلَدْنٍ مِنَ الْخَطِئِ قَدْ طَرَّ أَسْمَراً (٤)
عَجِبْتُ لَهُمْ إِذْ يَخْنُقُونَ نفوسَهُمْ وَمَقْتَلَهُمْ عِنْدَ الْوَعَى كَانَ أَعْذِراً (٥)
يَشُدُّ الْحَلِيمُ مِنْهُمْ عَقْدَ حَبْلِهِ (٦) أَلَا إِنَّمَا يَأْتِي الَّذِي كَانَ حُذِّراً (٧)

(١) الغدائر : جمع غديرة ، وهى الذؤابة .

(٢) هوى يوم لبنى ذبيان على بنى عامر . انظر تفصيله في كامل ابن الأثير .

(٣) صبحوهم علالة الأرماع : سقوهم وأشبعوهم طعنا بالرماح . العضب المذكور : السيف القاطع .

(٤) س : « لكل » والوجه ما في ط وابن الأثير والديوان ٩٧ ، والرواية في الأخيرين « بكل رقاق الشفرتين » . والرقاق ، بضم الراء ، هو الرقيق ، واللدن : اللين . والخطي : الرمح منسوب إلى الخط : أرض بالبحرين . قد طر : قد سن . أسمر ، نضجت قناته في منبتها ويبست فاكتسبت هذا اللون .

(٥) أى كانوا ذوى عذر بين ، لو أنهم جاهدوا في الحرب وقتلوا ، أما الآن فليس لهم عذر بين الرجال في خنقهم أنفسهم . ورواية العقد (٣ : ٣١٨) : « كان أجدرًا » .

(٦) في الأصل : « اشد الحليم منهم عقد حلة » ، وهو تصحيف ما أثبت من الديوان وخزانة الأدب (٤ : ٢١٨ بولاق) . وإنما يشد عقد الحبل ليتعجل خنق نفسه .

(٧) أى إنما يأتي الذى كان حذر منه وهو الموت . وفي الأصل : « ألا يأتي الأمر الذى كان أعذرا » ، وأثبت ما في الديوان والخزانة .

(رثاء أبي زيد الطائي كلبا له)

وقال أبو زَيْدٍ^(١) في كلبٍ له ، كان يُساور الأسدَ ويمنعه من الفساد ،
حين حطمه^(٢) الأسد ، وكان اسمه أكدر ، فقال :

أَخَالَ أَكْدَرُ مَخْتَالًا كَعَادَتِهِ^(٣) حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الْحَوْضِ وَالْعَطَنِ^(٤)
لَا قِيَّ لَدَيَّ ثُلَلٍ الْأَطْوَاءِ دَاهِيَةً^(٥) أَسْرَتْ وَأَكْدَرَتْ تَحْتَ اللَّيْلِ فِي قَرْنٍ^(٦)

(١) في الأصل : « أبو زيد » وإنما هو « أبو زيد » كما في الأغاني (١١ : ٢٤)
ومعجم الأديباء (١٠ : ٢٠٠) وهو أبو زيد الطائي . واسمه حرملة بن المنذر
وهو شاعر معمر عاش خمسين ومائة سنة — فيما زعموا — وعداؤه في المخضرمين ،
أدرك الإسلام ولم يسلم ، ومات نصرانيا ، وكان عثمان بن عفان يقربه ويدفئ
مجلسه . واشتهر أبو زيد بكثرة وصفه للأسد وتجويده في ذلك ، وقد نعتة نعتا
طويلا عجيبا في مجلس عثمان (الأغاني ، والمعجم) فلما أطال قال له عثمان : اسكت
قطع الله لسانك ، فقد أرعبت قلوب المسلمين ! ! . ومن طريف ما يروى في
أمر كلبه « أكدر » أنه كان قد أعد له سلاحا يلبسه إياه ، فيمتنع على الأسد
ولا يقوم له . وفي الليلة التي قتل الأسد فيها الكلب ، كان الكلب قد خرج
ولم يلبس سلاحه ، فتمكن منه الأسد .

(٢) س : « حطه » ، وتصحيحه من ط .

(٣) أخال ، لعله يريد مشى في اختيال ، والرواية في المعجم : « أحال أكدر مشيا لا كماداته »
وفي الأغاني : « أحال أكدر مشيا لا لماداته » . وفي البغال ٣١١ : « فجال أكدر
مشتالا كماداته » .

(٤) الرواية في الأغاني والمعجم والبغال « بين البئر والعطن » . والعطن : مبرك الإبل
حول الحوض .

(٥) الثلل : جمع ثلة بالفتح ، وهو ما أخرج من تراب البئر . والأطواء : جمع
طوى كقنى ، وهو البئر المطوية بالحجارة . وما أثبت هو رواية الأغاني والمعجم
وفي الأصل : « لاقى الذي جلل الأطواء داهية » .

(٦) يقول : سرت الدهية مع أكدر في قرن واحد ، والقرن : الحبل . وقد أثبت
رواية الأغاني والمعجم . وفي الأصل : « أشوت وأكدر تحت الليل في قرن »

حَطَّتْ بِهِ سُنَّةٌ وَرَهَاءُ تَطْرُدُهُ (١) حَتَّى تَنَاهَى إِلَى الْأَهْوَالِ فِي سَنَنِ (٢)
إِلَى مُقَارِبِ خَطْوِ السَّاعِدِينَ (٣) لَهُ فَوْقَ السَّرَاةِ كَذَفَرَى الْقَارِحِ الْغَضَنِ (٤)
رِيَالُ ظُلُمَاءٍ (٥) لَا قَحْمٌ (٦) وَلَا ضَرَعٌ كَالْبَغْلِ خَطَّ بِهِ الْعَجَلَانِ فِي سَكَنِ (٧)
فَأَسْرِيَا وَهَمَا سَنًا هُمُومُهُمَا إِلَى عَرِينِ كَعُشٍّ الْأَرْمَلِ الْيَفْنِ (٨)
هَذَا بِمَا عَلَقْتَ أَظْفَارَهُ بِهِمْ وَظَنُّ أَكْدَرَ غَيْرُ الْأَفْنِ وَالْحَتَنِ (٩)

(١) يقول : دفعت به خطة حمقاء جعلت تسوق به . ورواية الأغاني : « حطت به شيمة ورهاء تطرده » والشيمة في معنى الطبيعة . ويتجه المعنى بها أيضا . ورواية المعجم : « حفت به شيمة ورهاء تطرده » .

(٢) رواية الأغاني والمعجم : « حتى تناهى إلى الجولان . . . » . والجولان بفتح الجيم : التراب . وفي الأغاني : « في السن » .

(٣) في الأغاني والبغال : « إلى مقابل خطو الساعدين » . وفي المعجم : « إلى مقابل فتل الساعدين » .

(٤) السراة ، بالفتح : الظهر ، وأعلى كل شيء . والذفرى : ما بين المقذ إلى نصف القذال . والمقذ : ما بين الأذنين من خلف . والقذال : القفا . والذفرى أيضا : العظم الشاخص خلف الأذن . وأرى أبا زبيد أراد المعنى الأول . و « القارح » : الفرس في سن الخامسة . والرواية في الأغاني والمعجم : « كذفرى الفالج القمن » ، وفي البغال : « الفالج الغضن » . والفالج : البعير ذو السنامين . والقمن : السريع .

(٥) ط : « ظلمى » ، وصوابه في س . وبذله في الأغاني والمعجم والبغال : « غاب فلا » .

(٦) في الأصل : « فحَم » ، وهو تحريف تصحيحه من الأغاني والمعجم . والقحْم : الكبير السن ، يقابله الضرع ، بالتحريك ، وهو الصغير السن . ومثله قول لقيط الإيادى :

حَتَّى اسْتَمَرَّتْ عَلَى شَرْزِ مَرِيرَتِهِ مُسْتَحْكِمَ الرَّأْيِ لَا قَحْمًا وَلَا ضَرَعًا

(٧) كذا . وفي البغال : « حطمن المحلين في شطن » وفي المعجم « كالفيل يختطم الفحلين في شطن » . وفي الأغاني : « كالبغل يختطم العجلين في شطن » ! وإلى هنا تنتهى الرواية في الأغاني والمعجم .

(٨) فأسريا ، يبنى الأسد والكلب . وسنا همومهما : ونجا همما . وفي س : « وهما مبنا همومهما » ، محرف . والأرمل : الفقير المحتاج ، أو العزب . واليفن : الشيخ .

(٩) بهم لعلها « بهم » . والأفن : ضعف الرأى . والحنن : الباطل ، وحرك التاء للشعر . وفي الأصل : « الأمن والحسن » .

حَتَّى إِذَا وَرَدَ الْعِرْزَالَ وَانْتَبَهَتْ لِحِسِّهِ أُمُّ أَجْرٍ سَتَّةٍ شُزْنٍ (١)
 بَادٍ جَنَاحَيْهَا حَصَاءً قَدْ أَفْلَتْ لَهَا يَبْهَرُنْ تَعْبِيرًا عَلَى سَدَنٍ (٢)
 وَظَنَّ أَكْدَرُ أَنْ تَمَوْا ثَمَانِيَةً أَنْ قَدْ تَجَلَّلَ أَهْلُ الْبَيْتِ بِالْيَمِينِ (٣)
 ١٠١ فَخَافَ عَزَّتَهُمْ لَمَّا دَنَا لَهُمْ فَحَاصَ أَكْدَرُ مَشْفِيًّا مِنَ الْوَسَنِ (٤)
 بِأَرْبَعِ كُلِّهَا فِي الْخَلْقِ دَاهِيَةٌ (٥) غَضَفَ عَلَيْهِنَّ ضَافِي اللَّحْمِ وَاللَّبَنِ (٦)
 أَلْفَاهُ مَتَّخِذَ الْأَنْيَابِ جُنَّتَهُ وَكَانَ بِاللَّيْلِ وَلَا جَا إِلَى الْجَنَنِ

(رثاء أعرابي شاة له أكلها ذئب)

وقال صاحب الكلب : قال أعرابيٌّ وأكل ذيبٌ شاةً له تسمى
 وردة ، وَكُنِّيَتْهَا أُمُّ (٧) الْوَرْد :

(١) العرزال : عريسة الأسد ومأواه . وفي الأصل : « الغروال » ، تحريف . أجر : جمع : جرو ، وأم أجر عني بها اللبوة . شزن : جمع شزن ، بالتحريك ، وأصله الغليظ من الأرض . والشطر الثاني من البيت في ط : « لحسنه أن إحدى سنه سدن » وفي س : « لحسنه أم أحر سنه سدن » وأصلحته بما ترى .

(٢) ط : « بادي جناحهما » س : « باد جناحها » والصواب ما أثبت . والجناجن : عظام الصدر . مفردها جنجن وجنجنة ، بكسرهما ويفتحان . والحصاء : القليلة الشعر . وباق البيت محرف .

(٣) يقول : قد حسب أكدر - تمام عدد هذه الفرائس ثمانية - أنه بصيدها يجلب لأهله نعيما وعزا . وتجلل : اكتسى . واليمين : جمع يمنة ، كفرقة وهو ضرب من برود البن . والبيت في الأصل هكذا :

أتين أكدرا أن تموا ثمانية أن قد تحلل أهل البيت باليمن

(٤) س : « فخاف غرتهم » . وحاص : جال جولة يطلب المهرب والمحيص .

(٥) في هامش س : « أمنة » رواية في « داهية » .

(٦) كذا .

(٧) في الأصل : « وردة » ، والوجه ما أثبت ، كما في الشعر الآتي .

أودى بِوَرْدَةٍ أُمُّ الْوَرْدِ دُو عَسَلٍ من الذئب إذا مراح أو بَكَرَا
لولا ابنُها وسليلاَتُها غُرُّ ما انفكت العينُ تَذْرى دَمْعُها دِرَرا
كأنَّما الذئبُ إذ يَعْدُو عَلَى غَنَمِي فى الصُّبحِ طالِبٌ وَتِرِكانَ فَاتَّارَا
اعتامُها اعتامُهُ شَتْنٌ بَرائِنُهُ من الضَّواري اللَّوائى تَقْصِمُ الْقَصَرا^(١)

قال : فى هذا الشعر دليلٌ أَنَّ الذئبَ إنما يعدو عليها مع الصبح ، عند
فُتُورِ الكلبِ عن النَّباح ؛ لأنَّه باتَ ليلَتُهُ كلَّها دائِباً يقْظانَ يحْرُسُ ،
فلَمَّا جاءَ الصُّبحُ جاءَ وَقْتُ نَوْمِ الكلابِ وما يعترِيا من النَّعاسِ . ثم لم
يَدْعُ^(٢) اللهَ عَلَى الذئبِ بأن يأكله الأسدُ حَتَّى يَنْخارَهُ ويعتامه ، إلَّا والأسدُ
يأكل الذئبَ ، ويَنْخارُ ذلك . وإنَّما استطابَ لحم^(٣) الذئبِ بفضْلِ شَهِوتِهِ
للحمِ الكلبِ .

(قول صاحب الديك فى إجازة الشعراء بالدجاج)

وقال صاحب الديك : لم نر شريفاً قَطُّ أَجازَ شاعراً بـكَلْبٍ ، ولا
حَباً بِهِ زائِراً ، [و] ^(٤) قد رأيتهم يجيزون للشُّعراء بالدَّجاجِ . وأَعْظَمُ من

(١) سبق شرح هذه الأبيات فى ص ٢٠٣ من هذا الجزء .

(٢) ط : « يدعوا » ، س : « يدعو » ، والوجه ما أثبت .

(٣) فى الأصل : « لهم » .

(٤) من س .

ذلك أن لقيمَ الدَّجَاجِ^(١) ، لما قال في افتتاح خيبر ، وهو يعنى النبي صلى الله عليه وسلم :

رُمِيتْ نَطَاةٌ^(٢) من النبيِّ بفَيْلَقٍ شُهْبَاءَ ذاتِ مَنَاكِبٍ وفَقَارٍ^(٣)
وَهَبَ لَهُ دَجَاجٌ خَيْبَرَ عَنْ آخِرِهَا . رواه أبو عمرو^(٤) ، والمدائني
عن صالح بن كيسان ، ولتلك الدَّجَاجِ قيل : لقيم الدَّجَاجِ .

(إياس بن معاوية وأخوه)

وقال صاحب الكلب : قال أبو الحسن : كان إياسُ بنُ معاويةَ
وهو صغيرٌ ، ضعيفاً دقيقاً دميماً^(٥) ، وكانَ لَهُ أَخٌ أَشَدُّ حَرَكَةً مِنْهُ وَأَقْوَى ،
فكان معاويةَ [أبوه]^(٦) يقدمه على إياس ، فقال لَهُ إياسُ يَوْمًا : يا أَبْتَ !
[إِنَّكَ]^(٧) تَقْدِمُ أَخِي عَلَيَّ ، وسأضربُ لك مثلي ومثله : هو مثل الفَرُوجِ

(١) في السيرة ٦٥٦ ، ٧٦٧ « ابن لقيم » . وقد نقل الحافظ ابن حجر في الإصابة ٧٥٥٤
كلام الجاحظ في « لقيم » وقال في تعليل الخلاف بين السيرة والحيوان :
« فيحتمل أن يكون وافق اسمه اسم أبيه » ، يريد أن من المحتمل أن يكون اسمه
« لقيم بن لقيم » .

(٢) ط : « قطاة » وفي الإصابة « مطاة » وصوابهما ما أثبت من س. والسيرة ، وهي
اسم لأرض خيبر ، أو عين من عيون قرية من قرى خيبر ، كما في المعجم .

(٣) وصف الفيلق - وهو مذكر - بشبهاء ، لما ضمنه من معنى الكتيبة .
والشبهاء : العظيمة الكثيرة السلاح . وبعد هذا البيت أبيات سبعة في السيرة .

(٤) ط : « أبو عمر » ، وصوابه من س. والإصابة ، وهو أبو عمرو الشيباني ،
كما في الإصابة .

(٥) س : « ذميما » ، والأشبه ما في ط .

(٦) من ثمار القلوب ٧٢ نقلًا عن الجاحظ .

(٧) من الثمار .

حين تنفلق عنه البَيْضَةُ ، يخرج [كاسيا] كافياً نَفْسُهُ^(١) ، يلتقط ، ويستخفه الناس ، وكلّما كبر انتقص ، حتى إذا تَمَّ فصار دجاجةً ، لم يصلح إلا للذبح . وأنا مثلُ فرخ الحمام حين تنفلق عنه البَيْضَةُ عن ساقطٍ لا يقدر على حركة ، فأبواه يغذوانه حتى يقوى ويثبت^(٢) ريشه ، ١٠٢ ثمَّ يحسن بعد ذلك ويطير ، فيجدُ به الناس^(٣) ويكرمونه ، ويرسل من المواضع البعيدة فيجىء ، فيُصان لذلك ويُكْرَمُ ، [ويُسْتَرى بالآثمان الغالية^(٤)] . فقال أبوه : لقد أحسنت المثل !! فقدّمه على أخيه ، فوجد عنده أكثر مما كان يظنُّ فيه .

قال صاحب الكلب : وقد أغفل إياسُ في هذا القول بعضَ مصالح^(٥) الدَّجَاج ، وذلك أنَّ الدَّجَاجَ مِنْ لَدُنْ^(٦) يخرج من حَدِّ الصَّغَر والكَيْسِ إلى أن يدخل في حَدِّ الكبر واحتمالِ اللحم والشَّحم ، يكون أخبثَ حالاً لأنَّه لا يصلح فيه للذَّبح ، وقد خرج من حَدِّ الكَيْس والاستملاح . وإياسُ هو الذى يقول : لستُ بِخَبٍّ^(٧) والحَبُّ لا يخدعنى ، ولا يَخْدَعُ ابنَ سَيرينَ وهو يَخْدَعُ أبى وَيَخْدَعُ الحَسَنَ .

(١) فى الأصل : « يخرج كافيا بنفسه » ، وأثبت ما فى الثمار .

(٢) فى الأصل : « وينبت » ، والوجه ما نقلت من الثمار .

(٣) يقال وجد به أى أحبه شديداً . وفى س : « فيجده الناس » . وفى الثمار : « ويتخفونه الناس » ، وهما تحريف ما أثبت من ط .

(٤) من الثمار .

(٥) كذا

(٦) فى الأصل : « من له أن » .

(٧) الحَب ، بالكسر : الذى يخدع الناس . والخبر فى الليان (١ : ١٠١) .

باب

ما يحتاج إلى معرفته

يقال فرج المرأة والجمع فُروج ، وهو القُبُل ، والفرجُ كناية ، والاسم الحِرُّ ، وجمعه أحرّاح . وقال الفرزدق :

لئن أقودُ جملاً فمراحاً في قبةٍ موقرةٍ أحرّاحاً^(١)

قالوا : ولئنما جمعه على أحرّاح ، لأنَّ الواحد حِرْح . هكذا كان أصله . وقد يستعار ذلك وهو قليل ، قال الشاعر^(٢) :

تراها الضَّيْعَ أعْظَمَهُنَّ رأساً جَراهِمةً لها حِرّةٌ وثيلٌ^(٣)

فلم يرض الاستعارة حتّى ألحق فيها الهاء .

وهو الكعْثَب ، وقال الفرزدق :

إذا بطّحت فوق الأثافي رَفَعْنِها^(٤) بثديين مع نحر كريمٍ وكعْثَبٍ

وقال الأغلب^(٥) :

(١) في اللسان (حرج) : « ذاقبة » ، وفي أمالي ابن الشجري (٢ : ٣٨) : « وقد أقود ... ذاقبة علوة » .

(٢) انظر في اللسان تصريف هذه الكلمة .

(٣) هو ساعدة بن جؤية ، كما في اللسان (جرهم) .

(٤) عنى بالجراهمة للضخمة الثقيلة . وقوله : « لها حرة وثيل » عنى به ما يزعمون من أن كل ضبع خنثى . اللسان .

(٥) س : « رفعتها » . وانظر ديوان المعاني ١ : ٢٨١ والمقد ٤ : ١٦٥ .

(٦) هو الأغلب بن جشم بن سعد العجلي ، من رجال العرب ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام ، وقتل بنهاوند . قالوا : وهو أول من أطال الرجز ، - كما أن أول من طول القصيد امرؤ القيس ومهلهل - وكان الرجل قبله يقول البيت والبيتين من الرجز ، إذا غاخر أو شاتم ، وقال العجاج الراجز مفتخراً :

إني أنا الأغلب أضحي قد نشر

(الشعراء ٥٩٥) . وانظر أخباره في الأغاني (١٨ : ١٦٤ - ١٦٧) .

* حَيَاكَة عَنْ كَعْتَبٍ لَمْ يُصْنَحْ (١) *

وهو الأجم (٢)، وقال الرَّاجِز :

[جارية أعظمها أجْمها قد سَمَّنتُها بالسَّويق أمُّها (٣)]

* بَائِنَةُ الرَّجُلِ فَا تَضُمَّهَا *

وقال : وقد يسمَّى الشُّكْرُ ، بفتح الشَّينِ وإسكان الكاف ،

وأنشدوا :

وَكُنْتَ كَلِيلَةَ الشَّيْبَاءِ هَبَّتْ بِمَنْعِ الشُّكْرِ أَتَامَهَا الْقَبِيلُ (٤)

[أتَامها (٣)] : أفضاها . وأما قوله :

قَدْ أَقْبَلْتُ عَمْرَةً مِنْ عِرَاقِهَا مُلْصَقَةَ السَّرَجِ بِخَاقِ بَاقِهَا

قال : وهو إن أرادَ الحَرَافِلِسَ ذلك من أسمائه ، ولكِنَّه سَمَّاهُ بذلك ١٠٣

على المزاح .

(١) امرأة حياكة تتحيك في مشيها ، تمشي مفرجة ما بين رجلَيْها . ويصنع من الصلاح بالضم ، وهو المرق الكريه الرائحة .

(٢) ط : « الأخم » وفي سائر النسخ : « الأخم » ، صوابه بالجيم كما في اللسان (جيم) والمخصص ٢ : ٤٠ . والأجم : قبل المرأة .

(٣) الزيادة من س . وأجها هي في الأصل « أحها » ، والوجه ما أثبت .

(٤) البيت لعروة بن الورد ، كما في اللسان (شيب وتأم) ولم أجده في ديوانه

بشرح ابن السكيت . يقال : باتت بليلة شيباء : إذا افتقرت ليلة زفافها ،

ويقال : باتت بليلة حرة : إذا لم تفتقر في تلك الليلة . وفي الأصل : « الشهباء »

وهو تحريف صوابه في اللسان (شيب وتأم) . وانظر المثل في الميداني (١ : ٩٠)

وثمار القلوب ٥١١ . وفي اللسان : « همت » بدل « هبت » .

قالوا : والطَّيْبَةُ اسمُ الفَرْجِ من الحافر ، والجمع الطَّيْبَات . وقد استعاره أبو الأخرز^(١) فجعله للخَفِّ فقال :

ساوَرَهَا عِنْدَ الْقُرُوءِ الوَحْمِ فِي الْأَرْضِ ذَاتِ الطَّيْبَاتِ الْجَحْمِ
وقد قال الأوَّل :

فجاء بغُرمولٍ وفلكٍ مُدْمَلَكٍ فَخَرَّقَ طَبَيِّئُهَا الحِصَانُ المُشَبَّقُ
وهو من الظِّلْفِ والْحَفِّ الحيا ، والجمع أَحْيِيَّة . وهو من السَّبع ثَفَرٌ ،
وقد استعاره الأَخْطَلُ للظِّلْفِ فقال :

جَزَى اللهُ عَنَّا^(٢) الْأَعْوَرَيْنِ مَلَامَةً وَعَبَلَةً^(٣) ثَفَرَ الثَّوَرَةِ الْمُتَضَاخِمِ^(٤)
فلم يَرْضَ أَنْ استعاره من السَّبعِ للبقرة حَتَّى جعل البقرة ثورة .
وقد استعاره النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ للحافر ، كما استعاره الأَخْطَلُ
للظِّلْفِ ، فقال :

بُرَيْذَنَةٌ بَلَّ الْبَرَازِينَ^(٥) ثَفَرَهَا وَقَدْ شَرِبْتُ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ أُيْلًا

(١) ط : « الأحرز » س « الأخرز » وصوابه ما أثبت . وهو أبو الأخرز الحماني ، أحد رجاز العرب ، واسمه (قتيبة) كما في اللسان (مادة قجر) .

(٢) كذا . ورواية الديوان ٢٧٧ والكامل ١٥٩ ليسك والثعالبي في فقه اللغة ٧٦ : « فيها » .

(٣) في الكامل : « عبدة » وفي فقه اللغة واللسان - مادة ضجج - « فروة » قال ابن منظور : « وفروة : اسم رجل » .

(٤) المتضاجم : الموج القم ، كما في اللسان : وقال أبو الحسن في شرح الكامل : « المتضاجم : المتسع » ، ولم يزد على ذلك . وفي الأصل : « المتضاجم » وتصحيحه من المراجع المتقدمة .

(٥) « برīdzنة » مصغر « برذونة » تصغير ترخيم . ويروى « برīdzينة » كما في اللسان . وفي س « بل البراذن » . والأيل : جمع أيل ، وهو اللبن الخاثر . ورواية اللسان والمخصص ١٦ : ٩٩ : « وقد شربت من آخر الصيف أيلًا » . والبيت يقولو النَّابِغَةُ الجَعْدِيُّ في هجاء ليلي الأَخِيلِيَّة ، وقبله :

أَلَا يَا أَزْجَرَ لَيْلِي وَقَوْلَا لَهَا هَلَا وَقَدْ رَكِبْتُ أَمْرًا أَغْرَ مَحْجَلَا

وقد قالوا برذونة ، وقال الرَّاجز :

تَزَحَّحِي إِلَيْكَ يَا بَرْدُونَهُ إِنَّ الْبَرَاذِينَ إِذَا جَرَيْنَهُ (١)
* مَعَ الْجِيَادِ سَاعَةً أَعْيَيْنَهُ *

وقد استعاره آخرُ فَجَعَلَهُ لِلنَّعْجَةِ فقال :

وَمَا عَمُرُو إِلَّا نَعْجَةً سَاجِسِيَّةً (٢)
تَحَرَّكَ تَحْتَ الْكَبْشِ وَالْثَفَرِ وَارِمُ
وَالسَّاجِسِيَّةُ (٣) : ضَأْنٌ فِي تَغْلِبِ .

وقد استعاره آخرُ فجعله للمرأة فقال :

نَحْنُ بَنُو عَمْرَةٍ فِي انْتِسَابِ بِنْتِ سُودٍ أَكْرَمِ الضُّبَابِ (٤)
* جِلْدَتْنَا مِنْ ثَفْرِهَا الْمِنْجَابِ (٥) *

ويقال لجردان الحمار غُرْمُول ، وقد يقال ذلك للإنسان وقضيب البعير ،

وهو لكل شيء ، ومِقلَمُ الجمل فقط . ومن السباع العقدة (٦) ، وأصله للكلب
والذئب . وقال جرير :

إِذَا رَوَيْنَ عَلَى الْخَنَزِيرِ مِنْ سَكْرِ نَادِينَ يَا أَعْظَمَ الْقَسِينِ جُرْدَانَا (٧)
ويقال : صرفت الكلبة صرافا وصروفا ، وظلعت تظلع ظلوعا .

(١) الرجز في البغال ٣٤١ .

(٢) في الأصل « شاختية » والصواب ما أثبت . انظر اللسان (مجس وثفر)
والمخصص (٨ : ٢١) . والبيت في اللسان (ثفر) برواية « تحزل تحت
الكيش والثفر وارد » .

(٣) في الأصل : « والشاختية » وانظر التنبيه السابق .

(٤) الضباب ، بالكسر : أربعة بطون من بني كلاب : ضب ، وضبيب ، وحسل ،
وحسيل . العمدة (٢ : ١٥٧) والمعارف ٣٩ .

(٥) جلدتنا : قبيلتنا . المنجاب : المنجب . ورواية اللسان (مادة ثفر) :
« جاءت بنا من ثفرها المنجاب » .

(٦) ط « العقرة » وهو تحريف ما أثبت من س . وفي القاموس عند تفسير
« العقدة » : « ومن الكلب قضيبه » .

(٧) السكر ، بالتحريك : الخمر أو النبيذ . والقسين : جمع قس بالفتح ، وهو الرئيس من =

١٠٤ وقالوا فى الأمثال : « لا أَفْعَلُ حَتَّى يَنَامَ ظَالِغُ الْكِلَابِ » أى الصارف :

ولم يعرف الأصمعيُّ ظَلَعَتِ الْكَلْبَةُ بمعنى صَرَفَتْ . واستحرمت ، وأَجْعَلْتُ^(١) واستجعلت ، واستطارت^(٢) . والذئبة فى ذلك كالكلبة .

قال : ويقال فى السَّبَاعِ : قد وَضَعَتْ ، وولَدَتْ ، ورمَصَتْ^(٣) مثلَ ما يقالُ للنَّاسِ والغنمِ .

(بحث فى المذكر من الحيوان ومؤنثه)

قال : ويقال كلبه وكلب^(٤) ، وذئبة وذئب ، وبرذون وبرذونة . وأنشد :

= رؤساء النصارى فى الدين والعلم . والبيت من قصيدة لجرير ، مطلعها :
بان الخليل ولو طوعت ما بانا وقطعوا من حبال الوصل أقرانا
يهجو بها الأختل . وقيل البيت :

ياخزر تغلب ماذا بال نسوتكم لا يستفغن إلى الدينين تحننا

(١) فى ط : « جعلت » ، وهى على الصواب فى س .

(٢) يقال « استطارت » كما يقال « استظارت » . وفى اللسان (طير) :
« ويقال أجعلت الكلبة ، واستطارت ، إذا أرادت الفعل » . وفى مادة
(ظار) - : « قال أبو منصور : قرأت فى بعض الكتب استطارت الكلبة بالظاء أى
أجعلت واستحرمت » .

(٣) فى الأصل : « رمضت » والصواب ما أثبت . وفى القاموس : رمضت السباع :
ولدت . انظر مادة (رمض) . وامت تجدد هذه الكلمة بهذا المعنى فى اللسان .

(٤) فى الأصل : « ويقال فى السباع كلبة وكلب » . الخ . وكلمتا « فى السباع »
من زيادة الناسخين لاشتباه أول هذه الفقرة بسابقتها .

أَرَيْتَ إِذَا مَا جَالَتْ الْحَيْلُ جَوْلَةً وَأَنْتَ عَلَى بَرْدَوْنَةٍ غَيْرِ طَائِلٍ ^(١)
 ويقال رجل ورجال ، وامرأة ونساء ، وليس لها جمع من واحدها . ويقال
 بعير وناقة وجمل ، ولا يقال جملة ولا بعيرة ، وقد قالوا رجل ورجلة وشيخ
 وشيخة . ويقال كبش ونعجة ، ولا يقال كبشة ، كما لا يقال أسدة ^(٢) ويقال
 أسد ولبوة ولبوات ، ويقال ذئبة وذئب ^(٣) ، وقال الشاعر :
 كَأَنَّهُمَا ضِبْعَانَةٌ فِي مَفَازَةٍ وَذَيْبَةٌ مَحَلٌّ أَمْ جِرْوَيْنِ تَعْسَلُ ^(٤)
 ويقال إنسان وإنسانة ، وسبع وسبعة ، وحمام وحمامة ، وحمار وحمارة ،
 وسرحان وسرحانة ، وسيد وسيدة ، وهقل وهقلة ، وإلق وإلقة ^(٥) ،
 وقال رؤبة :

* جَدَّ وَجَدَتْ إِلْقَةً مِنَ الْإِلْقِ ^(٦) *

وزعم أنه يقال ضبع وضبعة ، وثعلب وثعلبة . وأصحابنا لا يقولون هذا
 ويضحكون ممن يقولون : ضبعة عرجاء . ويقال ثرملة ^(٧) .

- (١) أرئت بمعنى أرأيت . وفي س « أرأيت » وهو خطأ ، به يبطل الوزن . صوابه
 في ط . ورواية اللسان : (برذن) « رأيتك إذ جالت » . وفي البغال ٣٤١ :
 « أرأيتك » ويقال للشيء الخسيس الدون : غير طائل ، الذكر والأنثى فيه سواد .
 (٢) قلت : ذكر صاحب القاموس « الأسد » في مادتي (لبأ ، ولبو) .
 (٣) في الأصل : « ويقال لبوات وذئبة وذئب » ، وقد جعلت نظم الكلام كما ترى .
 واللبوة مخففة من اللبوة بالهمز .
 (٤) الضبعانة بالكسر : الأنثى من الضباع . وفي ط « مغارة » موضع « مفازة »
 وفي س « غنسل » مكان « تعسل » . وتعسل : تضطرب في عبوها وتهز
 رأسها . وأما « غنسل » فهو مصحف « عنسل » وهو في الأصل الناقة
 القوية السريعة .
 (٥) السرحان : الذئب ، وكذلك السيد بالكسر . والهقل بالكسر : الفتى من النعام .
 وفي الأصل : « مقل ومقلة » وهو تحريف . والإلق بالكسر : الذئب .
 (٦) ديوان رؤبة ١٠٧ . وانظر الحيوان ٦ : ٣١٤ وأراجيز البكري ص ٣٣ .
 (٧) الثرملة : الأنثى من الثعالب .

ويقال من الفراخ فرخ وفرخة ، ومن النور نَمِر ونَمِرة . قال : ويقال ذَبِيعٌ وَذَيْحَةٌ^(١) ، وَضِبَعَان وَضِبْعَانَةٌ ، وَجِيَالٌ وَجِيَالَةٌ^(٢) . ويقال عقرب ويقرب . والعُقْرَبَان الذَّكَر وَحَدَه . وقال الشاعر^(٣) :

كَأَنَّ مَرَعَى أُمَمِكُمْ إِذْ غَدَتُ عَقْرَبَةٌ يَكُومُهَا عُقْرَبَانٌ^(٤)

ومن الضفادع ضفدع وضفدعة ، ومن القنفاذ قنفذ وقنفذة ، وشَيْهَمٌ وشَيْهَمَةٌ^(٥) ، ومن القروود قرد وقردة .

ويقال إلقة وإلقشة^(٦) ، ولا يقال إلق وقش ، ويقال لولد القرد رُبَّاح والأُنثى إلقة . وقال الشاعر^(٧) :

وإِلْقَةُ تُرْعِثُ رُبَّاحَهَا وَالسَّهْلُ وَالنَّوْفَلُ وَالنَّضْرُ^(٨)

(١) هما الذكر والأنثى من الضباع .

(٢) هما في معنى سابقتيهما .

(٣) هو إياس بن الأرت الطائي كما في الحيوان (٤ : ٢٥٩) والحجاسة (٢ : ٢٠٢) واللسان (عقرب) .

(٤) مرعى : اسم أهمهم ، كما في اللسان . ويكومها : يخالطها . و « إذ غدت » هي في الأصل : « إذا غدت » وبهذا يختل الشعر ، وهو من السريع . ويروى « إذ بدت » كما في اللسان والحجاسة . ويروى : « سوءة » كما في الحيوان (٤ : ٢٥٩) . وانظر ياقوت (رسم العقربة) . وبعد البيت :

لِكَلِيلِهَا زَوْلٌ فِي شَوْطِهَا وَخَزْ أَلِيمٌ مِثْلُ وَخَزِ السَّنَانِ
كُلُّ عَدُوٍّ يَتَّقِي مَقْبَلًا وَأُمَمٌ سَوَّرَتْهَا بِالْعِجَانِ

(٥) الشيهم : العظيم من القنفاذ .

(٦) الإلقة : الذئبة . والإلقشة ، بالكسر : الصغيرة من إناث القروود .

(٧) هو بشر بن المعتز . وستأتي قصيدة البيت في (٦ : ٢٨٤ - ٢٩١) .

(٨) ترعث : ترضع . وهي في ط : « نزع » وفي س : « نزع » وهما محرفتان . وانظر اللسان (ربح) . السهل : الغراب . والنوفل : البحر . والنضر : الذهب . وهذه الأخيرة هي في الأصل « النمر » وتصحيحها من اللسان والحيوان (٦ : ٢٨٥ ، ٣١٣) .

وَمِنَ النِّعَامِ هِقْلٌ وَهَيْقَلَةٌ^(١) ، وَهَيْقٌ وَهَيْقَةٌ^(٢) ، وَصَعْلٌ وَصَعْلَةٌ^(٣) ،
وَسَفْنَجٌ وَسَفْنَجَةٌ^(٤) ، وَنَعَامٌ وَنَعَامَةٌ^(٥) ، وَالوَاحِدُ مِنْ فَرَاحِهَا الرَّأْلُ وَالْجَمْعُ رِئَالٌ
[وَرِئَالَانِ^(٦)] وَأَرَالٌ^(٧) وَأُرُولٌ ، وَالْأُنْثَى رَأْلَةٌ ، وَحَفَّانَةٌ وَالْجَمْعُ حَفَّانٌ ، وَقَدْ
يَكُونُ الْحَفَّانُ^(٨) أَيْضًا لِلوَاحِدِ . وَيَقَالُ لَهَا قِلَاصٌ وَالوَاحِدَةُ قِلَوُصٌ^(٩) وَلَا يَقَالُ
قِلَوُصَةٌ ، وَيَقَالُ ظَلِيمٌ وَلَا يَقَالُ ظَلِيمَةٌ ، وَيَقَالُ نِقْنِقٌ وَلَا يَقَالُ نِقْنِقَةٌ^(١٠) . ١٠٥
وَيَقَالُ مِنَ الْأَرْنَبِ أَرْنَبٌ وَلَا يَقَالُ أَرْنَبَةٌ ، وَالذَّكَرُ خُزْزٌ . وَيَقَالُ لِلْأُنْثَى
عِكْرِشَةٌ وَلَوْلَدُهَا خِرْنِقٌ . وَيَقَالُ هَذِهِ أَرْنَبٌ وَهَذِهِ عِقَابٌ ، وَلَا يَقَالُ هَذَا
الْأَرْنَبُ وَلَا هَذَا الْعِقَابُ . وَقَالَ الشَّامِيُّ :
فَمَا تَنْفَكُ بَيْنَ عُورِضَاتٍ تَجَرُّ بِرَأْسِ عِكْرِشَةٍ زُمُوعٍ^(١١)

-
- (١) انظر التنبيه رقم (٦) من ص ٢٨٥ .
(٢) هما بمعنى سابقتيهما .
(٣) الصعل من النعام : الدقيق الرأس والعنق .
(٤) السفنج : الخفيف من النعام .
(٥) نعام : يقع على الجنس وعلى الواحد أيضا ، كما هنا وكما في القاموس .
(٦) الزيادة من س . ومثله في القاموس والدميرى واللسان .
(٧) ط : « رال » وتصحيحه من س .
(٨) وردت هذه الكلمة وأختاها بالقاف في ط ، وصوابه بالفاء كما في س .
(٩) القلوص يقال للإبل كما يقال للنعام .
(١٠) النقق : الظليم . أى الذكر من النعام . وفي الأصل : « ويقال نقيق ولا يقال نقيقه »
وهو تصحيف ما أثبت .
(١١) يصف عقاباً تقتنص الأرناب اقتناصاً . والزموع : الأرنب قد تدلت في أرجلها
الزمرعات : شعرات في مؤخر أرجلها . وقد استعمل (بين) وهى لاتكون إلا بين اثنين
أو أكثر ؛ لأنه أراد بين نواحي ذلك المكان المسمى « عويرضات » وقد أتى
الملاحظ بالبيت شاهداً على تأنيث كل من الأرنب والعقاب .

قال ويقال لولد الكلب جرؤً والأُنثى جروة ، وهو درُص والجمع أدراص ، ويقال لمن عضَّه الكلبُ الكَلْبُ : بال كَأدِراص الكلاب .

(بدء الإبصار عند أولاد السباع)

وجرو الكلب يكون أعمى عشرةَ أيَّامٍ وأكثر ، وقد يعْرِضُ شبيهه بذلك لكثيرٍ من السَّباع .

(استطراد لغوى)

ويقال بصبص الجروُ وفتح^(١) وجصَّص ، إذا فتح عينه شيئاً . وصأصأ إذا لم يفتح عينه^(٢) . ولذلك قال عبد الله بن جحش^(٣) ، والسَّكران ابن عمرو^(٤) ، للمسلمين ببلاد الحبشة : « إِنَّا فَفَحْنَا وَصَأْصَأْتُمْ^(٥) » . قال بعض الرُّجَّاز^(٦) في بعض الصَّبَّيَّان :

(١) ط : « وفتح » وصوابه في س .

(٢) في القاموس : « صأصأ الجرو : حرك عينه قبل التفتيح أو كاد يفتحهما » .

(٣) س : « عبيد الله بن جحش » . وعبد الله وعبيد الله أخوان هاجرا معا إلى بلاد الحبشة . السيرة ٢١٠ جوتنجن ، وقد ترجم ابن حجر لعبد الله في الإصابة . وقد تزوج الرسول أختها زينب بنت جحش . وكانت قبله عند زيد بن حارثة مولاه . (٤) هاجر السكران إلى الحبشة ثم رجع إلى مكة فات بها ، فتزوج الرسول بعده زوجته سودة بنت زمعة . الإصابة ٣٣٣٠ والسيرة ١٠٠١ جوتنجن .

(٥) انظر اللسان (صأصأ) ومقاييس اللغة (صأ) .

(٦) ط : « ثم قال بعض الرُّجَّاز » ، والوجه ما أثبت من س . وفي الأغاني (٤ : ٤٢) أن صاحب الرجز الآق هو الأحوص . يهجو نفسه ويذكر حوصه - أى ضيق عينيه - وفي الحيوان (١ : ٢٥٤) أنه أبو الأحوص .

أَقْبَحُ بِهِ مِنْ وَلَدٍ وَأَشْقَحُ مِثْلَ جُرَى الْكَلْبِ لَمْ يَفْقَحْ^(١)
 إِنْ يَسِرَّ سَارٍ لَمْ يَقُمْ فَيَنْبَحْ^(٢) بِالْبَابِ عِنْدَ حَاجَةِ الْمُسْتَفْتَحِ
 ويقال لولد الأسد جرو وأجراء وجراء ، وهى لجميع السباع ، ويقال له
 خاصّة : شِبْل . والجمع أشبال وشُبُول . وقال زهير :
 وَلَآنْتَ أَشْجَعُ حِينَ تَتَّعِجُهُ الـ أَبْطَالُ مِنْ لَيْثٍ أَبَى أَجْرٍ^(٣)

(خبث الثعلب)

وحدّثنى صديقٌ لى قال : تعجّب أخٌ لنا من خُبث الثَّعلب ، وكان
 صاحبَ قَنَصٍ ، وقالَ لى ما أعجب أمر الثعلب ! يفصل بين الكلب
 والكلاب ، فيحتال للكلاب بما يعلم أنّه يجوز عليه ، ولا يحتال مثل تلك
 الحيلة للكلب ؛ لأنّ الكلب لا يخفى عليه الميّت من الغشيّ عليه . ولا ينفع
 عنده النّماوت . ولذلك لا يُحمل من مات من الجوس إلى النّار^(٤) حتى يُدنى
 منه كلبٌ ؛ لأنّه لا يخفى عليه مغمور الحسّ أحيّ هو أو ميت^(٥) . وللكلب عند
 ذلك عملٌ يستدلُّ به الجوس .

(١) فى الأصل : « مثل جرو » ، وأوجه ما أثبت من الأغاني والحيوان (١ : ٢٤٤) .

(٢) انظر الرواية فى الجزء الأول من الحيوان . والشعر يصح فيه أن يقرأ بإسكان
 الروى أو كسره .

(٣) أجر : جمع جرو .

(٤) فى الجزء الأول ص ٣٧٥ : « إلى النّاوس » ، بمعنى القبر .

(٥) ط : « أهوى أو ميت » وأثبت ما فى س .

قال : وذلك أَنِّي هَجَمْتُ عَلَى ثَعْلَبٍ فِي مَضِيَّتِي ، وَمَعِيَ بُنَى لِي ، فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ مُنْتَفِخٌ ، فَصَدَدْتُ عَنْهُ ، فَلَمْ أَلْبَثْ أَنْ لَحِقْتَنِي الْكِلَابُ ، فَلَمَّا أَحْسَسَ بِهَا وَثَبَ كَالْبَرْقِ ، بَعْدَ أَنْ تَحَايَدَ^(١) عَنِ السَّنَنِ ، فَسَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ فَإِذَا ذَلِكَ مِنْ فِعْلِهِ مَعْرُوفٌ ، وَهُوَ أَنْ يَسْتَلْقَى وَيَنْفَخَ خَوَاصِرَهُ وَيَرْفَعُ قَوَائِمَهُ ، فَلَا يَشْكُ مَنْ رَأَاهُ مِنَ النَّاسِ أَنَّهُ مَيِّتٌ مِنْذُ دَهْرٍ ، وَقَدْ تَزَكَّرَ بِالِانْتِفَاحِ بَدَنُهُ ، فَكُنْتُ أَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ^(٢) ، إِذْ^(٣) مَرَرْتُ فِي الزُّفَاقِ الَّذِي فِي أَصْلِ دَارِ الْعَبَّاسِيَّةِ وَمَنْفَذِهِ إِلَى مَازَنِ ، فَإِذَا جَرَوْا كَلْبٌ مَهْزُولٌ سَيِّئُ الْغِذَاءِ ، قَدْ ضَرَبَهُ الصَّبِيَّانِ وَعَقَرُوهُ فَفَرَّ مِنْهُمُ وَدَخَلَ الزُّفَاقُ ، فَرَمَى بِنَفْسِهِ فِي أَصْلِ أُسْطُوَانَةٍ^(٤) وَتَبِعُوهُ حَتَّى هَجَمُوا عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَدْ تَمَآوَتْ^(٥) فَضْرَبُوهُ بِأَرْجُلِهِمْ فَلَمْ يَتَحَرَّكَ فَاَنْصَرَفُوا عَنْهُ . فَلَمَّا جَاوَزُوا تَأَمَّلْتُ عَيْنَهُ فَإِذَا هُوَ يَفْتَحُهَا وَيُغْمِضُهَا ، فَلَمَّا بَعُدُوا عَنْهُ وَأَمِنَهُمْ عَدَا ، وَأَخَذَ فِي غَيْرِ طَرِيقِهِمْ فَأَذْهَبَ الَّذِي كَانَ فِي نَفْسِي لِلثَّعْلَبِ ؛ إِذْ كَانَ الثَّعْلَبُ لَيْسَ فِيهِ إِلَّا الرُّوَاعَانُ وَالْمَكْرُ ، وَقَدْ سَاوَاهُ الْكَلْبُ فِي أَجُودِ حِيلِهِ .

(١) فِي الْأَصْلِ : « تَحَايَر » .

(٢) تَزَكَّرَ : عَظُمَ . وَفِي ط : « وَقَدْ أَتَذَكَّرُ انْتِفَاحَ بَدَنِهِ فَاتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ » وَأَثْبَتَ مَا فِي س .

(٣) ط : « إِذَا » .

(٤) فِي الْأَصْلِ : « أُسْطُوَانَةٌ » ، وَإِنَّمَا هِيَ بِالسِّينِ كَمَا فِي اللِّسَانِ وَالْقَامُوسِ .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « تَمَرَدَ » وَوَجْهُهُ مَا أَثْبَتَ .

(مقايسة بين الثعلب والكلب)

ومع الكلب بعد ما ليس معه ، إلا أن يُفخر بفروته ^(١) في موضع انتفاع الناس به ؛ فجعر الكلب للذئبة أنفع منه ، إذ كان في الذئبة الموت وليس يقوم مقامه شيء . وجلد الثعلب منه عَوْض ^(٢) .

(قول صاحب الديك في الكلاب)

قال صاحب الديك : شرار عباد الله من قتل أولاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولم نجد شعراء الناس شبَّهوا أولئك القاتلين بشيء سوى الكلاب . قال أبو نضلة الأبار ، في قتل سلم بن أحوز المازني ، صاحب شرطة نصر بن سيار اللثي ، يحيى بن زيد ^(٣) وأصحابه ، فقال :

ألم تر ليثاً ما الذي ختمت به	لها الويل في سلطانها المتخاذل ^(٤)
كلابٌ تعاوت لا هدى الله سبلها	فجاءت بصيد لا يحل لا كل ^(٥)
بنفسى وأهلى فاطمى تقنصوا	زمان عمى من أمة وتخاذل
لقد كشفت للناس ليث عن استها	وغاب قبيل الحق دون القبائل

(١) أى فروة الثعلب .

(٢) أى يستعاض عنه بجلد غيره .

(٣) هو يحيى بن زيد بن علي بن الحسين ، أحد الأبطال الأشداء ، ثار على بني مروان وقتل في الجوزجان سنة ١٢٥ : أصابه سهم من رجال سلم بن أحوز فأرداه قتيلا ، فصلب بالجوزجان ، ولم يزل مصلوبا ، حتى ظهر أبو مسلم واستولى على خراسان ، فأنزله وصل عليه ودفنه .

(٤) أراد بليث القبيلة .

(٥) يعنى قتل العلويين .

قال صاحب الديك : وروى هُشيم عن المغيرة عن إبراهيم قال : لم يكونوا ينهوننا عن شيء من اللعب ونحن غلمان إلا الكلاب .

(التقامر بالبيض)

وذكر محمد بن عجلان المديني^(١) عن زيد بن أسلم^(٢) ، أنه كان لا يرى بأساً بالبيض الذي يتقامر به الفتيان ، أن يهدى إليه منه شيء أو يشتريه فيأكله .

وهشام بن حسان^(٣) قال : سئل الحسن عن البيض يلعب به الصبيان يشتريه الرجل فيأكله ، فلم ير به بأساً وإن أطعموه أن يأكل منه ، والجوز الذي يلعب به الصبيان .

وحاتم بن إسماعيل الكوفي قال : حدثنا عبد الرحمن بن حرملة ، عن سعيد بن المسيب ، أنه لم يكن يرى بأساً بالبيض الذي يلعب به الصبيان .

(١) ط : « محمد بن العجلان المديني » ، وهو تحريف ، وإنما هو مديني . ذكره ابن حجر في تقريب التهذيب وقال : « صدوق إلا أنه اختلط عليه أحاديث أبي هريرة . . . مات سنة ثمان وأربعين » ، أي ومائة ، كما هو اصطلاح ابن حجر . وفي النسبة إلى مدينة رسول الله كلام ذكره ياقوت في معجمه .

(٢) زيد بن أسلم العدوي مولى عمر ، أبو عبد الله ، أو أبو أسامة المديني ، ثقة عالم مات سنة ست وثلاثين . تقريب التهذيب .

(٣) هو أبو عبد الله هشام بن حسان الأزدي القرطوسي ، روى عن الحسن ومحمد بن سيرين وعكرمة وهشام بن عروة ، وعنه سعيد بن أبي عروبة والهادان والسفيانان . توفي سنة ١٤٨ . تهذيب التهذيب .

(قتل الحيات والكلاب)

قال : وحدَّثني ابن جُريج قال ، وأخبرني عبد الله بن عُبيد بن عمير ١٠٧

قال : أخبرني أبو الطفيل أنه سمع عليَّ بنَ أبي طالب يقول : اقتلوا [من]^(١)

الحيَّات ذا الطُّفَيْتَيْنِ^(٢) ، والكلبَ الأسودَ البهيمَ ذا الغُرَّتَيْنِ^(٣) .

قال : والغُرَّةُ^(٤) : حُوَّةٌ تكون بعينه^(٥) .

(قول صاحب الكلب في صقاع الديك)

قال صاحب الكلب : قد أخبرني أبو حرب عن منصور القصَّاب ،

قال : سألت الحسن عن البيض الذي يتقامرون به ، فكرهه .

وما رأينا قطُّ أحدًا يريد الإدلاج ينتظر صُقَاعَ الدِّيكِ^(٦) . وإنما

يوالى الدِّيك بين صياحه قُبيل الفجر ثمَّ مع الفجر إلى أن ينبسط النهار ؛

وفما بين الفجر وامتدادِ النهار لا يحتاج النَّاس إلى الاستدلال بأنَّ يصوَّت

الدِّيك^(٧) . ولها في الأسحار أيضاً بالليل الصَّيْحَةُ والصَّيْحَتَانِ ، وكذلك

(١) زيادة يقتضيها الكلام .

(٢) الطفتان : خطان أسودان في ظهر الحية . وانظر ٦ : ٢٢٤ .

(٣) في الأصل : « الغزتين » ، والصواب ما أثبت ، كما في النهاية لابن الأثير ، واللسان .

(٤) في الأصل : « والعزة » ، وانظر التنبيه السابق .

(٥) في النهاية واللسان ، أن الغرتين نكتتان بيضاوان فوق عينيه .

(٦) الإدلاج : افتعال من ادلج بتشديد الدال ، أى سار من آخر الليل ، وهو

المراد هنا . والإدلاج : إفعال من أدلج السير من أول الليل ، وليس مراداً .

وصقاع الديك : صياحه .

(٧) في الأصل : « لأن يصوت الديك » وصوابه ما أثبت .

الحمار . عَلَى أَنَّ الْحِمَارَ أَبْعَدُ صَوْتًا ، وَأَجْدَرُ أَنْ يَنْبَهُ كُلُّ نَأْمٍ لِحَاجَةٍ إِنْ كَانَتْ لَهُ ^(١) . وما رأينا صاحبَ سَحُورٍ يستعمله ^(٢) ، وكذلك صاحب الأذان ، وما رأيناه يتشكل في وقتِ أَذَانِهِ عَلَى صِيَاغِ الدِّيكِ ، لِأَنَّ صَوْرَةَ صَوْتِهِ وَمَقْدَارَ مَخْرَجِهِ فِي السَّحَرِ الْأَكْبَرِ كصِيَاغِهِ قَبْلَ الْفَجْرِ . وصِيَاغُهُ قَبْلَ الْفَجْرِ ؛ كصِيَاغِهِ وَقَدْ نَوَّرَ الْفَجْرُ وَقَدْ أَضَاءَ النَّهَارُ . ولو كان بين الصيحتين فرقٌ وعلامةٌ كَانَ لِعَمْرَى ذَلِكَ دَلِيلًا . وَلَكِنَّهُ مَنْ سَمِعَ هُتَافَهُ وَصُقَاعَهُ فَإِنَّمَا يَفْزَعُ إِلَى مَوَاضِعِ الْكَوَاكِبِ ، وَإِلَى مَطْلَعِ الْفَجْرِ الْكَاذِبِ وَالصَّادِقِ .

والديك له عِدَّةُ أَصْوَاتٍ بِالنَّهَارِ لَا يَغَادِرُ مِنْهَا شَيْئًا ؛ وَلِتِلْكَ أَوْقَاتٌ لَا يَحْتَاجُ فِيهَا النَّاسُ إِلَيْهِ . وَمَلَوْ كُنَّا وَعِلْمًاؤُنَا يَسْتَعْمَلُونَ بِالنَّهَارِ الْأَسْطُرْلَابَاتِ ^(٣) وَبَاللَّيْلِ الْبَنَكَامَاتِ ^(٤) ، وَلَهُمْ بِالنَّهَارِ سِوَى الْأَسْطُرْلَابَاتِ ^(٥) خُطُوطٌ وَظُلٌّ يَعْرِفُونَ بِهِ مَاضِيَّ النَّهَارِ وَمَا بَقِيَ . وَرَأَيْنَاهُمْ يَتَفَقَّدُونَ الْمَطَالِعَ وَالْمَجَارِيَ . وَرَأَيْنَا أَصْحَابَ الْبَسَاتِينِ [و] ^(٦) كُلِّ مَنْ كَانَ بِقُرْبِ الرِّيَاضِ ، يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِرِيحِ الْأَزْهَارِ . وَرَأَيْنَا الرُّومَ وَنَصَارَى الْقُرَى يَعْرِفُونَ ذَلِكَ بِمَحْرَكَاتِ الْخَنَازِيرِ وَبِبُيُكُورِهَا وَغَدُوِّهَا وَأَصْوَاتِهَا ؛ وَلِذَلِكَ قَالُوا فِي وَصْفِ الرَّجُلِ : لَهُ

(١) في الأصل : « وأجدد على أن ينبه » النخ . والوجه حذف « على » .

(٢) أراد بصاحب السحور من يتكفل بإيقاظ الناس للسحور .

(٣) مر القول في الأسطرلاب ص ٢٥٥ من هذا الجزء . وفي ص : « الأسطرلاب » .

(٤) في الأصل : « المنكبات » . وانظر الاستدراكات .

(٥) في الأصل : « الأسطرلابات » .

(٦) زدتها لحاجة القول إليها .

وَنُثْبَةُ الْأَسَدِ ، وَرَوَّغَانِ الثَّعْلَبِ ، وَانْسِلَابِ الذَّنْبِ ^(١) وَجَمْعِ الذَّرَّةِ ^(٢) وَبُكُورِ
الْحَنَزِيرِ . وَالرَّاعِي يَعْرِفُ ذَلِكَ فِي بُكُورِ الْإِبِلِ وَفِي حَنِينِهَا وَغَيْرِ ذَلِكَ
مِنْ أَمْرِهَا .

وَالْحَمَامُ أَوْقَاتُ صَبَاحٍ وَدُعَاءٌ مَعَ الصُّبْحِ وَقَبِيلَ ذَلِكَ عَلَى نَسَقٍ وَاحِدٍ ،
وَلَكِنَّ النَّاسَ إِذَا ذَكَرُوا ذَلِكَ فِي الذَّنْبِ وَالْحَمَارِ ، لَامْتَدَادَ أَصْوَاتِهِمَا .

(هَدِيلُ الْحَمَامِ)

وَهَدِيلُ الْحَمَامِ وَدُعَاؤُهُ لَا يَجُوزُ بَعِيداً ^(٣) ، إِلَّا مَا كَانَ مِنَ الْوَرَّاشِينَ ^(٤)
وَالْفَوَاحِشِ فِي رُءُوسِ النَّخْلِ وَأَعَالَى الْأَشْجَارِ ، فَلَعَمْرِي إِنَّ ذَلِكَ لَمَّا يُسْمَعُ ١٠٨
مِنْ مَوْضِعٍ صَالِحِ الْبَعْدِ .

(مَا يَصِيحُ مِنَ الطَّيْرِ مَعَ الْفَجْرِ وَالصُّبْحِ)

وَلِلْعَصَافِيرِ وَالْخَطَّاطِيْفِ وَعَامَّةِ الطَّيْرِ ، مِمَّا يَصْفِرُ أَوْ يُصْرِصِرُ ^(٥) ، وَمِمَّا
يَهْدِلُ مَعَ الْفَجْرِ إِلَى بُعِيدٍ ذَلِكَ - صَبَاحٌ كَثِيرٌ . ثُمَّ الَّذِي لَا يَدْعُ الصَّبَاحَ

(١) انْسِلَابِ الذَّنْبِ : انْفِلَاتِهِ وَسُرْعَةُ عُدُوهِ . وَفِي س : « اسْتِلَابِ الذَّنْبِ » مِنْ السَّلْبِ
بِمَعْنَى النِّهْبِ ، وَهُوَ الْمَوَافِقُ لِمَا فِي الْجُزْءِ الْأَوَّلِ ص ٣٠٣ .

(٢) ط : « اللَّذْر » . وَالذَّرَّةُ : الْوَاحِدَةُ مِنَ الذَّرِّ ، وَهِيَ ضَرْبٌ مِنَ التَّمَلِّ أَحْمَرٌ صَغِيرٌ .

(٣) لَا يَجُوزُ بَعِيداً : لَا يَنْتَهِي إِلَى مَدًى بَعِيدٍ .

(٤) الْوَرَّاشِينَ : جَمْعُ وَرَّشَانَ ، وَهُوَ ضَرْبٌ مِنَ الْحَمَامِ . وَفِي ط : « الْوَارَشِينَ » وَهُوَ
عَلَى الصَّوَابِ فِي س .

(٥) فِي اللَّسَانِ : « صَرْصَرُ الطَّائِرِ : صَوْتٌ . وَخَصَّ بَعْضُهُمْ بِهِ الْبَازِيَّ وَالصُّقْرَ » .

في الأسحار مع الصُّبْحُ أبدأ الضُّوع^(١) ، والصدى^(٢) ، والهامة ، والبومة وهذا الشَّكْلُ من الطَّير . وقد كتبنا في غير هذا الموضع الأشعارَ في ذلك^(٣) .
قال : وقد يصيح مع الصُّبْحِ البُوم ، والصدى^(٢) ، والهام ، والضُّوع^(١) والخطاطيف ، والعصافير ، والحمر^(٤) في ذلك الوقت أكثرَ من الديكة .
قال الوليد بن يزيد في ذلك :

سُلِّمى تَيْكَ^(٥) في العير قفى إن شئتِ أو سِيرى
فلما أن دنا الصُّبْحُ بأصواتِ العصافيرِ

وقال كلثوم بن عمرو العتّابي^(٦) :

ياليلةً لى بحوَّارينَ ساهرةً حتى تكلمَ في الصُّبْحِ العصافيرُ^(٧)

(١) ط : « الصوع » س : « الصوغ » ، وإنما هو « الضوع » ، وهو طائر ليل من جنس البوم .

(٢) الصدى ، بالقصر : ذكر البوم . وفي الأصل : « الصداء » بالمد ، وهو تحريف ، وقد جاء على الصواب في الصفحة التالية .

(٣) انظر ص ٢٩٩ - ٣٠٠ من هذا الجزء .

(٤) الحمر : ضرب من الطير كالصقور . وفي الأصل : « الحمر » ، وهو تحريف لاوجه له .

(٥) ط : « تيك » والصواب في س . و « تيك » بمعنى « تلك » .

(٦) كلثوم بن عمرو العتّابي : شاعر مترسل بليغ مطبوع مقدم ، من شعراء الدولة العباسية ، وكان منقطعاً إلى البرامكة فوصفوه للرشد ووصلوه به ، فبلغ عنده كل مبلغ . وهو من أحفاد أحفاد عمرو بن كلثوم صاحب المعلقة . انظر الأغاني

١٢ : ٢ - ٩ وتاريخ بغداد ٦٩٦١ ومعجم الأدباء ١٧ : ٢٦ - ٣١ . وفي ط : « كلثوم أبو عمرو العتّابي » ، وهي على الصواب في س .

(٧) حوارين بالضم وتشديد الواو ، من قرى حلب ، وحصن من ناحية حصص . وفي ط : « في حوران » وهي بالفتح كورة واسعة من أعمال دمشق . وقد أثبت رواية س .

وقد استعمل الكلام في معنى الصياح . مثله قول الآخر :

فصبحتِ والطير لم تكلم جاية جفت بسيل مغم

فالعصافير والخطاطيف والحمر^(١) والحام والضوعان^(٢) وأصناف البوم
كلها تقوم مقام الديك . وقال ثعلبة بن صعير المازني^(٣) :

أُعْمِرَ ما يُدْرِكُ أَنْ رُبَّ فِتْنَةٍ بِيضِ الْوَجْهِ ذُو نَدَى وَمَا ثَرِ^(٤)
حَسَنِي الْفَسَاكَةِ لَا تَنْدُمُ لِحَامَهُمْ سَبَطِي الْأَكْفُ لَدَى الْحُرُوبِ مَسَاعِرِ^(٥)
بَاكِرْتُهُمْ بِسَاءِ جَوْنٍ مُتَرَعٍ قَبْلَ الصَّبَاحِ وَقَبْلَ لَغْوِ الطَّائِرِ^(٦)

(صوت الديك وما قيل فيه من الشعر)

قال : ويقال لصوت الديكة الدُّعاء ، والزَّقاء ، والهُتاف ، والصُّراخ ،
والصُّتاع . وهو يهتف ويصقع ويزقو ويصرخ . وقال جرّان العود^(٧) :

- (١) في الأصل : « والخير » . وانظر الصفحة السابقة .
(٢) في الأصل : « الصوعان » ، وهو تحريف ، وأراد بالضوعان جمع الضوع :
الطائر الليلي ، والقياس في الجمع « ضيعان » كما في اللسان والقاموس .
(٣) ثعلبة بن صعير شاعر جاهلي ، ترجم له ابن حجر في الإصابة . والأبيات الآتية من
قصيدة مفضلية (المفضليات ١٢٨) مطلعها :

- هل عند عمرة من بتات مسافر ذى حاجة متروح أو باكر
(٤) قد خفف باء « رب » كما ترى . والرواية في المفضليات : « أسمى ما يدريك » والوجه
رواية الجاحظ . « وغير » تصغير ترخيم لـ « عمرة » .
(٥) في الأصل : « حسن الفسكاكة » والوجه ما أثبت من المفضليات . وفي ط : « لاتدم
كما هم » وهو تحريف صوابه في س ، والمفضليات ، وهذا كناية عن السكرم
وطيب القرى . وفي الأصل : « سبط الأكف » وتصحيحه من المفضليات . والمساعر :
جمع مسعر ، وهو الذي يوقد نار الحرب ويؤثرها . وفي المفضليات : « وفي الحروب
مساعر » فيكون في البيت إقواء .

- (٦) سباء : شراء . جون مترع : يعنى زقا أسود مثلثا نحرأ . ويصح أن يكون السباء
في معنى الخمر نفسها ، فالسباء الخمر كما في القاموس .

- (٧) من قصيدة مطولة مثبته في ديوانه ١٣ - ٢٤ والأبيات الآتية في ص ١٧ .
وقبل هذه الأبيات مما يرتبط بمعناها :

وقالت لنا والعيس صعر من البرى وأخافها بالجنبد الصم تقذف
وهن جنوح مصغيات كأنما براهن من جذب الأزمة علف
حمدت لنا حتى تمناك بعضنا وأنت امرؤ يعروك حمد فتعرف
رفيع العلا في كل شرق ومغرب وقولك ذاك الأبد المتلقف
وفيك إذا لاقينا عجرفية مراراً وما نستيع من يتعجرف

تميلُ بك الدنيا وَيَغْلِبُكَ الهوى كما مَالَ خَوَّارُ النَّقَا المتقصف^(١)
وَنُدْغَى كَأَنَّا مَغْنَمٌ قد حويته وترغبُ عن جَزَلِ العطاء وتصدفُ^(٢)
فمَوْعِدُكَ الشَّطُّ الذى بينَ أهلنا وأهلكَ حتى تسمعَ الديكَ يهتِفُ
وقال الممزقُ العبدىُّ :

وقَدْ تَخَذَتْ رِجْلَايَ فى جَنْبِ غَرَزِهَا
نَسِيفاً كأفحوصِ القَطَاةِ المطرُقِ^(٣)
أُنِخْتُ بِجَوِّ يَصْرُخُ الديكُ عندها وباتَتْ بِقَاعِ كَادِي النبتِ سَمْلَقِ^(٤)
وقال لبيد : ١٠٩

لَدُنْ أَنْ دَعَا دِيكَ الصَّبَاحُ بِسُحْرَةٍ إِلَى قَدَرِ وَرْدِ الْخَامِسِ الْمُتَأَوِّبِ

(طيور الليل)

ويقال للطائر الذى يخرجُ من وَكْرِهِ بِاللَّيْلِ البومة والصَّدَى والهامة
والضُّوْعُ^(٥) والوَطَواطُ والخُفَّاشُ ، وَغُرَابُ اللَّيْلِ ، وَيَصِيدُ بعضها الْفَأْرُ^(٦)

(١) خوار النقا المتقصف : الرمل اللين المهل ، الذى يثابت من لينة ونعومته . وفى الأصل :
« جوان النقى المتقصف » وهو تحريف أصلحته من الديوان .

(٢) فى الديوان : « ونلق » ، قال العسكرى : « من اللقاء » . وفيه « وتمرف »
موضع « وتصدف » ، ورواية الجاحظ هنا أشبه .

(٣) الغرز : ركاب الرجل من جلده . والنسيف : أثر ركض الرجل بمنجى الجير
إذا انحصر عنه الوبر . والقطة المطرق : التى حان خروج بيضها .
والأفحوص : يجشها .

(٤) الجو : المنخفض من الأرض . وكذا النبات : أصابه البرد فليده فى الأرض ،
أو أصابه العطش فأبطأ نبتة . وفى الأصل : « كاري النبت » ، والوجه ما أثبت .
والقاع السملق : الأرض المستوية الجرداء .

(٥) س : « الصوغ » ، وهو تصحيف .

(٦) فى الأصل : « يصيد بمضها والفأر » .

وساماً أبرصَ والقطا وصِغارَ الحشرات ، وبعضُها يصيد البعوضَ والفَرَاشَ وما أشبه ذلك . والبُومُ يدخل بالليل على كل طائرٍ في بيته ، ويُخرجه منه ويأكلُ فِرَاحه ويبيضه . وهذه الأسماء مشتركة .

(ما قيل من الشعر في الهامة والصدى)

وقال خزيمة بن أسلم :

فلا تَرْقُونِ لى هامةً فوقَ مَرْقَبٍ فَإِنَّ زُقَاءَ الهامِ أَخْبَثُ خَائِثٍ^(١)

وقال عبد الله بن خازم^(٢) أو غيره^(٣) :

فإِنَّ تَكُ هَامَةً بِهَرَاةٍ تَرْقُو فَقَدْ أَزْفَيْتَ بِالْمَرْوِينَ هَامَا^(٤)

وقال توبة بن الحمير^(٥) :

ولو أَنَّ لى الأَخِيلِيَّةَ سَلَّمْتُ عَلَى وَدُونِي جَنْدَلٌ وَصَفَائِحُ
لَسَلَّمْتُ تَسْلِيمَ البَشَاشَةِ أَوْزَقَا إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُحُ

(١) انظر مثل هذا البيت مع قرين له في بلوغ الأرب (٢ : ٣١٢) .

(٢) هو عبد الله بن خازم بن أسماء السلمي البصري ، أمير خراسان ، ولى إمرتها لبنى أمية فلما ظهر ابن الزبير كتب إليه ابن خازم بطاعته ، فأقره على خراسان ، ثم ثار به أهل خراسان فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى عبد الملك سنة ٧٢ . في الأصل : « عبد الله بن حازم » ، مصحف . والبيت يقوله في ابنه محمد الذى قتله شماس ابن دثار العطاردي بهراة . (المخصص ٨ : ١٦٢ والأمالى ٣ : ٣١) .

(٣) يروى البيت لابن عرادة ، كما في الأمالى .

(٤) المروان يعنى بهما مرو الشاهجان ومرو الروذ بخراسان .

(٥) هو صاحب ليلي الأخيلية . كان بينهما حب مشهور ، ولما قتل رثته بمرات كثيرة جيدة . انظر لها الأغاني (١٠ : ٧١ - ٧٤) وحمامة البحترى (٤٢٣ - ٤٢٦) .

وقال الراجز :

وَمَنْهَل طَامِسَةٍ أَغْلَامُهُ يَعْوِي بِهِ الذُّئْبُ وَيَرْقُو هَامُهُ
وَأُنْشَدَنِي فِي الصَّدَى ^(١) :

تَجَشَّمْتُ مِنْ جَرَّكَ وَالْبُومُ وَالصَّدَى
له صائح أن كنتِ أشرَّيتِ مِنْ أَجْلِ

وقال سويد بن أبي كاهل ^(٢) في الضَّوْع ^(٣) :
لَنْ يَضُرَّنِي غَيْرَ أَنْ يَحْسُدَنِي فَهَوَ يَرْقُو مِثْلَ مَا يَرْقُو الضَّوْعُ
قال : في قراءة ابن مسعود : ﴿ إِن كَانَتْ إِلَّا زَقِيَّةً وَاحِدَةً ^(٤) ﴾
﴿ وَنَفَخَ فِي الزَّقِيَّةِ ﴾ يريد الضُّور .

وصوتُ الدجاجةِ القوقاةُ ، تقول هي تقوقُ .

(شعر في الدجاج)

وقال أعرابيٌّ :

أَلَيْسَ يَرَى عَيْنِي جُبَيْرَ زَوْجُهَا وَمَحْجَرَهَا ، قَامَتْ عَلَيْهِ النَّوَائِحُ
تَنْجِبُهَا لَا أَكْثَرَ اللَّهُ خَيْرَهُ رُمِصَاءُ قَدْ شَابَتْ عَلَيْهَا الْمَسَائِحُ ^(٦)
لَهَا أَنْفٌ خَنِزِيرٍ وَسَاقًا دَجَاجَةٍ وَرُؤْيَتَهَا تَرَحُّ مِنَ الْعَيْشِ تَارِحُ

(١) في الأصل : « الصداء » ، وهو تحريف نهت عليه قريباً . ويبدو أن هنا سقطا بعد « وأنشدني » .

(٢) سويد بن أبي كاهل اليشكري : شاعر مخضرم ، ترجمته في ابن سلام والأغاني ١١ : ١٦٥ والخزانة ٢ : ٥٤٦ والإصابة ٣ : ١٧٢ والشعراء ٣٨٤ وقصيدته هذه في المفضليات ١٩١ .

(٣) س : « الصوغ » وهو تصحيف نهت عليه . والبيت الآتي من قصيدة مفضلية (٤) في المفضليات : « لم يضرني » .

(٥) أى صحيحة واحدة . انظر تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ٢٩ .

(٦) تنجبها : اختارها واصطفاها . وفي الأصل : « تنجبها » وهو عكس ما أريد . والرميصاء : التي رمصت عيناها ، أى ظهر بهما القذى . والمسائح : جمع مسيحة وهى الضفيرة ، أو شعر جانبي الرأس .

وقال العَجِير السُّلُولَى :

لَا نَوْمَ إِلَّا غَرَارُ الْعَيْنِ سَاهِرَةٌ حَتَّى أَصِيبَ بَغِيزِ آلِ مَطْلُوبٍ ^(١)
 إِنْ تَهْجُرُونِي فَقَدْ بَدَّلْتُ أَيْكُتْكُمْ ذَرَقَ الدَّجَاجِ بِحَفَازِ الْيَعَاقِبِ ^(٢)
 وقال أَبُو الْأَسْوَدِ الدُّثَيْلِيُّ :

أَلَمْ تَعْلَمَا يَا ابْنَ دَجَاجَةٍ أَنَّنِي أَغْشُ إِذَا مَا النَّصْحُ لَمْ يُتَقَبَّلِ ^(٣)

(شعر في هجاء الدجاج وهجاء من اتخذها)

وقال صاحب الكلب : وسروى في الدَّجَاجِ ونذكرُ كلَّ من هجأها
 وهَجَا مَنْ اتَّخَذَهَا وَأَشَبَّهَهَا فِي وَجْهِهِ مِنَ الْوُجُوهِ ، قال الراجز :

أَقْبَلَنَ مِنْ نَيْرٍ وَمِنْ سَوَاجٍ ^(٤) بِالْحَيِّ قَدْ مَلَّ مِنَ الْإِذْلَاجِ ^(٥)
 فَهَمَّ رَجَاجٌ وَعَلَى رَجَاجٍ ^(٦) يَمْشُونَ أَفْوَاجًا إِلَى أَفْوَاجٍ

(١) مطلوب : ماء كان نخشم ، جنوبي مكة ، وكان العجير دل عبد الملك عليه فاتخذ ذلك الماء ضيعة . وقد يسمى هذا الموضع المعمل . يا قوت (مطلوب ، ومعمل) والأغاني (١١ : ١٤٦) .

(٢) يا قوت : الأيكة : جماعة الأراك ، وذلك أنه نزع ووضع مكانه الفسيل . وذرق الدجاج : نجوه ، وفي الأصل « زرق » وصوابه ما أثبت من المعجم والأغاني . واليعاقب : جمع يعقوب ، وهو ذكر الحجل . يريد أن الدجاج حل موضع اليعاقب لتحول تلك الأيكة إلى قرية .

(٣) في ديوان الفرزدق ٧٠٧ : وقال الفرزدق لعوف بن القعقاع وأخيه :

أَلَمْ تَعْلَمَا يَا ابْنَ أَمَامَةٍ أَنَّنِي أَغْشُ إِذَا مَا النَّصْحُ لَمْ يُتَقَبَّلِ

(٤) النير : جبل . وكذلك سواج . وفي الأصل : « من بر » وتصحيحه من اللسان (رجب ونير) ومعجم البلدان (سواج) حيث يوجد فيهما الرجز . وفي الديميري (فروج) : « من بر » محرفة .

(٥) يروى : « بالقوم قد ملوا » .

(٦) الرجاج بالنصح : الضعفاء من الناس والإبل . وفي ط : « فهم دجاج على دجاج » و س : « فهم دجاج وعلى دجاج » وهو تحريف عجيب ، وتصحيحه من اللسان (رجب) . قال : أي ضعفوا من السير وضعفت رواحلهم .

* مَشَى الْفَرَارِيحَ إِلَى الدَّجَاجِ (١) *

وقال عبد الله بن الحجاج (٢) :

فَإِنْ يُعْرِضُ أَبُو الْعَبَّاسِ عَنِّي وَيَرْكَبُ بِي عَرُوضاً عَنْ عَرُوضِ (٣)
وَيَجْعَلُ وَدَّهُ يَوْمًا لَغِيرِي وَيُبْغِضُنِي فَلَأُنِّي مِنْ بَغِيضِ (٤)
فَنَضْرُ اللَّهُ يَأْتُو كُلَّ جُرْحٍ وَيَجْبُرُ كَسْرَ ذِي الْعَظْمِ الْمُهِيضِ (٥)
فِدَى لَكَ مَنْ إِذَا مَا جِئْتُ يَوْمًا تَلْقَانِي بِجَامِعَةِ رَبُوضِ (٦)
لَدَى جَنْبِ الْحِوَانِ وَذَاكَ فُحْشٌ وَيُسْتُ خُبْزَةُ الشَّيْخِ الْمَرِيضِ (٧)
كَأَنِّي إِذْ فَرَعْتُ إِلَى أَحْيَحٍ فَرَعْتُ إِلَى مُقَوِّقَةِ بَيَوضِ (٨)

(١) «إلى» هنا بمعنى «مع» ، وبالأخيرة جاءت الرواية في اللسان والدميري .

(٢) عبد الله بن الحجاج : شاعر فائق شجاع ، من معدودي فرسان مضر ، فكان من خراج مع عمرو بن سعيد على عبد الملك بن مروان ، فلما قتل عبد الملك عمراً ، خرج مع نجدة بن عامر الحنفي ، ثم هرب فلحق بعبد الله بن الزبير ، فكان معه إلى أن قتل ، ثم جاء إلى عبد الملك متذكراً واحتال عليه حتى أمنه ، وهو القائل :
رَأَيْتُ بِلَادَ اللَّهِ وَهِيَ عَرِيضَةٌ عَلَى الْخَائِفِ الْمَطْرُودِ كَفَّةَ حَابِلٍ
تَوَدَّى إِلَيْهِ أَنْ كُلَّ ثَنِيَّةٍ تَبِمُهَا تَرَى إِلَيْهِ بِقَاتِلٍ
الأغاني ١١ : ٢٤ - ٢٢ .

(٣) أبو العباس ، يعني به الوليد بن عبد الملك ، وكان حبس عبد الله فقال قصيدته هذه في الحبس .

(٤) يريد بغيض بن ريث بن غطفان ، وهو من أجداد عبد الله ، ولهذا البيت خير في الأغاني ١١ : ٢٧ .

(٥) المهيز : المكسور بهد أن كان جبر .

(٦) الجامعة الربوض : السلسلة الضخمة . وفي ط : « ريوص » و س : « ويوض » محرقتان . وهما على الصواب التي أثبت في الأغاني .

(٧) في الأغاني : « دست بخفة الشيخ المريض » ، صواب هذه « وبئت تحفة » .

(٨) أحيح هذا هو ابن خالد بن عقبة بن أبي معيط ، وكان عبد الله قد لجأ إليه ، فسعى به إلى الوليد فأخذه من دار أحيح فحبسه . س : « إذ دخلت على أحيح » ، والوجه ما أثبت من ط والأغاني . ط : « مقوقية ربوض » ، والوجه ما كتبت من س والأغاني . وعنى بالمقوقية الإوزة .

إِوَرَّةٌ غَيْضِيَّةٌ لَقِحتْ كَشَافاً لِفَقَحَتِهَا إِذَا بَرَكَتْ نَقِيضُ^(١)

وقالت امرأة في زوجها وهي ترقص ابناً لها منه :

وَهَبْتُهُ مِنْ سَلَفَعٍ أَفُوكَ^(٢) وَمِنْ هِبَلٍ قَدْ عَسَا حَنِيكِ^(٣)

* أَشْهَبَ ذِي رَأْسٍ كَرَأْسِ الدِّيكِ *

تريد بقولها « أشهب » أنه شيخ وشعر جسده أبيض وأن لحيته حمراء .

وقد قال الشاعر ، وهو الأعشى :

وَبَنِي الْمُنْذِرِ الْأَشَاهِبِ بِالْحِيَرَةِ يَمْشُونَ غُدُوَّةَ كَالسُّيُوفِ ١١١

وإنما أراد الأعشى أن يعظم ويفخم^(٤) أمرهم وشأنهم ، بأن يجعلهم

شيوخا . وأما قولها : « ذى رأس كراس الديك » فإيما تعني أنه مخضوب للرأس واللحية .

وقال الآخر^(٥) :

حَلَّتْ خَوْلَةٌ فِي حَيٍّ مَجَاوِرَةٍ أَهْلَ الْمَدَائِنِ فِيهَا الدِّيكُ وَالْفِيلُ

يَقَارِعُونَ رُيُوسَ الْعُجَمِ ضَاحِيَةً مِنْهُمْ فَوَارِسٌ لَا عُزْلٌ وَلَا مِيلُ^(٦)

(١) أصله من لقحت الناقة كشافا : إذا حملت بعد نتاجها . والنقيض : الصوت . ورواية أبي الفرج : « لققحها إذا درجت » . ولققح : بضم القافين : المظم المطيف بالدبر .

(٢) السلفع : الشجاع الجريء الجسور . وهو في الأصل : « سلفك » ، وتصحيحه من اللسان (حنك) .

(٣) الهبل : الثقل المن الكبير . وفي الأصل : « هبتل » ، وصوابه في اللسان . وعسا : كبر . والحنيك : الشيخ . وانظر هذا الجزء ص ٢٣٩ .

(٤) ط : « يفخر » ، س : « يفخم » وهما تحريف ما كتبت .

(٥) هو عبدة بن الطبيب من قصيدة له (في المفضليات ١٣٥) مطلعها :

هل حبل خولة بعد الهجر موصول أم أنت عنها بعيد الدار مشغول

(٦) العزل : جمع أعزل ، وهو من لا سلاح معه . والميل : جمع أميل ، وهو من لا ترس معه ، أو لا سيف ، أو لا رمح ، أو الجبان .

قال ابن أحر :

فِي رَأْسِ خَلْقَاءَ مِنْ عَنَقَاءَ مُشْرِفَةٍ لَا يُبْتَغَى دُونَهَا سَهْلٌ وَلَا جَبَلٌ^(١)
إِلَّا كَمَثَلِكَ فِينَا غَيْرَ أَنَّ لَنَا شَوْقًا وَذَلِكَ مِمَّا كَلَّفَتْ جَلَلُ
هَيْهَاتَ حَتَّى غَدَوْا مِنْ ثَجَرَ مَنَزِلُهُمْ
حَتَّى بَنَجْرَانَ صَاحَ الدِّيَكُ فَاحْتَمَلُوا^(٢)

وقال :

أَبْعَدَ حُلُولٍ بِالرِّكَاءِ وَجَامِلٍ غَدًا سَارِحًا مِنْ حَوْلِنَا وَتَنْشَرًا^(٣)
تَبَدَّلْتُ إِصْطَبَلًا وَتَلًّا وَجَرَّةً وَدِيكًا إِذَا مَا آنَسَ الْفَجْرَ فَرَفَرًا^(٤)
وَبَسْتَانَ ذِي ثَوْرَيْنِ لَا لَيْنَ عِنْدَهُ إِذَا مَا طَغَى نَاطُورُهُ وَتَغَشَّمَرَا^(٥)
وقال أوس بن حجر :

كَأَنَّ هِرًّا جَنِيْبًا عِنْدَ مَغْرَضِهَا وَالتَّفَّ دِيكَ بِرِجْلَيْهَا وَخِنْزِيرُ^(٦)

(١) الخلقاء : الصخرة الملساء . والمنقاء : الأكمة فوق جبل مشرف .

(٢) ط : « هيهات حتى » و « حتى بنجران » وتصحيحه من س . وفي ط أيضاً :

« من بحر » وفي س : « من ثجر » ، وصوابهما « ثجر » بالثاء ، وهو ماء قرب

بنجران ، كما في معجم البلدان والقاموس . ونجران : موضع من بلاد اليمن .

(٣) الركاء ، بالفتح أو بالكسر : اسم موضع . الجامل : الجمال . وتنشر : تفرق .

(٤) الفرفة ، بالفاء : الصياح .

(٥) ذو الثورين ، أراد به الزارع . والناطور : حافظ الزرع والكرم والتمر . وتغشمر : بدا

منه العنف والجفاء .

(٦) انظر هذا البيت في الجزء الأول ص ٢٧٧ . وفي الأصل : « وألف ديك » ، وهو من

عجيب التحريف .

وقال الحكم بن عَبدل :

مَرَرْتُ عَلَى بَغْلٍ تَزْفُكُ تِسْعَةً^(١) كَأَنَّكَ دِيكَ مَائِلُ الرَّاسِ أَعُورُ
تَخَيَّرْتَ أَثْوَابًا لِزِينَةٍ مَنَظَرٍ وَأَنْتَ إِلَى وَجْهِ يَزِينُكَ أَفْقَرُ
وقال النَّمِر بن تَوَلَب :

أَعِذْنِي رَبِّ مِنْ حَصَرٍ وَعِيٍّ وَمِنْ نَفْسٍ أَعَالِجُهَا عِلَاجًا
وَمِنْ حَاجَاتِ نَفْسِي فَاعْصِمْنِي فَإِنَّ الْمُضْمَرَاتِ النَّفْسِ حَاجَا^(٢)
وَأَنْتَ وَلِيُّهَا وَبَرُّتُ مِنْهَا إِلَيْكَ وَمَا قَضَيْتَ فَلَا خِلَاجًا^(٣)
وَأَنْتَ وَهَبْتَهَا كَوْمًا جِلَادًا أَرْجَى النَّسْلِ مِنْهَا وَالنَّتَاجَا^(٤)
وَتَأْمُرُنِي رَبِيعَةً كُلَّ يَوْمٍ لِأَشْرِيهَا وَأُقْتَنِي الدَّجَاجَا^(٥)
وَمَا تُغْنِي الدَّجَاجُ الضَّيْفَ عَنِّي وَلَيْسَ بِنَافِعِي إِلَّا نِضَاجَا^(٦) ١١٢
أَهْلِكُهَا وَقَدْ لَاقَيْتُ فِيهَا مِرَارَ الطَّعْنِ وَالضَّرْبِ الشَّجَاجَا^(٧)

(١) ط : « تزفك نعسة » ، وأثبت ماني س وكتاب البغال للجاحظ . ورواية اللسان (زين) :

أجئت على بغل تزفك تسعة كأنك ديك مائل الزين أعور

والزین : العرف ، كما في اللسان .

(٢) الحاج : جمع حاجة .

(٣) الخلاج هنا : بمعنى الاعتراض .

(٤) الكوم : جمع كوما ، وهي للناقة العالية السنام . والجلاد : الصلاب الكبار .

(٥) لأشريها : لأبيهما . وهي في الأصل : « لأشريها » ، مصحفة . وفي الخزانة

٤ : ٣٧٦ بولاق : « لأهلكها » ، بفتح لام التعليل ، لغة لبني العنبر .

(٦) رواية اللسان : « ولا ينفعي إلا نضاجا » . والنضاج : جمع نضيج .

(٧) ط : « الشجاجة » .

وَتَذَهَبَ بِاطْلَاءٍ غَدَوَاتُ صُهْبِي عَلَى الْأَعْدَاءِ تَخْتَلِجُ اخْتِلَاجًا^(١)
بَجُومِ الشَّدِّ شَائِلَةُ الذَّنَابِي تَخَالُ بَيَاضَ غُرَّتِهَا سِرَاجًا^(٢)
وَشَدَى فِي الْكَرِيهَةِ كُلَّ يَوْمٍ إِذَا الْأَصْوَاتُ خَالَطَتِ الْعَجَاجَا^(٣)
وقال عبد الرحمن بن الحكم^(٤) :

وَلَلْأَنْصَارُ آكَلُ فِي قُرَاهَا نُحْبِثُ الْأَطْعِمَاتِ مِنَ الدَّجَاجِ^(٥)
وقال الآخر^(٦) لصاحبه :

آذَيْنَا بِدِيكَ السَّلَاحِ فَنَجِّنَا مِنْ مُتْنِ الْأَرْوَاحِ
وقالوا : « هو أسلح من حُبَارَى » ساعة الخوف ، ومن « دَجَاجَةٍ » ،
ساعة الأمن .

وقال عقيل بن علفة :

وَهَلْ أَشْهَدَنْ خَيْلًا كَانَ غُبَارَهَا بِأَسْفَلِ عِلْكَدٍ دَوَاخِنْ تَنْضُبُ^(٧)
تَبَيْتُ عَلَى رَمَضٍ كَانَ عِيُونَهُمْ فِقَاحُ الدَّجَاجِ فِي الْوَدِيِّ الْمَعْصَبِ^(٨)

(١) صهبي : فرس النمر بن تولب ، كما في صحاح الجوهري ولسان العرب والاقطصاب
٣٣١ ونهاية الأرب ١٠ : ٤٧ والعمدة ٢ : ١٨٢ . وهي في ط : « صهبي »
محرفة ، وعلى الصواب في س . وفي (صهبي) يقول النمر أيضاً :
لقد غدوت بصهبي وهي ملهبة إلهابها كضرام النار في الشبح
(٢) قال ابن قتيبة في أدب الكاتب ٨٩ ، « ويستحب في الخيل أن ترفع أذناها في
العدو » . واستشهد بهذا البيت .

(٣) ط : « وشد » س : « وشدو » . والوجه ما أثبت .

(٤) انظر ترجمته في الجزء الأول ص ٢٣٢ .

(٥) في الأصل : « فخبث » وتصحيحه من الجزء الأول ص ٢٣٣ .

(٦) هو أبو نواس كما مر في ص ٢٦٤ من هذا الجزء .

(٧) علكد : موضع لم يذكره ياقوت وصاحب القاموس واللسان . وفي س : « علكيد » .
والدواخن : جمع دخان ، وهو جمع شاذ ، مثله عشان وعوان . والتنضب :
شجر ضخام ليس له ورق ، وهو يسوق ، ودخانه أبيض في مثل لون الغبار ، ولذلك
شبهت الشعراء الغبار به . وقال النابغة الجعدي :

كَانَ الْغُبَارُ الَّذِي غَادَرَتْ ضَحِيًّا دَوَاخِنْ مِنْ تَنْضُبِ

اللسان (دخن) وسيبويه ٢ : ١٣٨ .

(٨) عني بالمرض القلق . ط : « ريض » . والودي المعصب : صغار النخيل المتجمع .

(كلب الرفقة)

وقال صاحب الديك : حَدَّثَ الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : أَخْبَرَنِي الْعَلَاءُ بْنُ أَسْلَمٍ
قَالَ : أُرِدْتُ الْخُرُوجَ إِلَى مَكَّةَ الْمَعْظَمَةِ ، شَرَّفَهَا اللَّهُ تَعَالَى ، فَجَاءَنِي هِشَامُ
ابْنُ عَقْبَةَ - وَهُوَ أَخُو ذِي الرُّمَّةِ - فَقَالَ لِي : يَا ابْنَ أَخِي ، إِنَّكَ تَرِيدُ سَفَرًا
يَحْضُرُ الشَّيْطَانُ فِيهِ حُضُورًا لَا يَحْضُرُهُ فِي غَيْرِهِ ، فَاتَّقِ اللَّهَ وَصَلِّ الصَّلَوَاتِ لَوْقَهَا
فَإِنَّكَ مَصْلِيهَا لَأَمَحَالَةٌ ، فَصَلِّهَا وَهِيَ تَنْفَعُكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ رُقْفَةٍ كَلْبًا
يَنْبَحُ عَلَيْهِمْ ، فَإِنْ كَانَ نَهْبٌ شَرَّكَوه فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَارٌ تَقْلَدُهُ دُونَهُمْ
فَلَا تَكُنْ كَلْبَ الرُّقْفَةِ (١) !!

وقد رووا شبيهاً بذلك عن تبيع بن كعب (٢) .

(أم كلبة)

وقال زيد الخيل :

يَا نَصْرَ نَصْرَ بَنِي قُعَيْنٍ إِنَّمَا أَنْتُمْ إِمَاءٌ يَتَّبِعْنَ الْأَشْتَرَا (٣)

(١) مثل هذا الخبر في ثمار القلوب ٣١٥ . وقد عزا الميداني المثل إلى لقمان الحكيم
انظر الأما إلى ٢ : ٢٣٤ .

(٢) هو ابن امرأة كعب الأحبار ، لابن كعب . ترجم له ابن حجر في الإصابة
٨٥٦ ، وهو كما في القاموس تبيع بن عامر ابن امرأة كعب الأحبار .

(٣) في الأصل : « نصر أبي قعين » ، وليس كذلك . وقعين : بطن من أسد .
وفي اللسان : « وسئل بعض العلماء أي العرب أفصح ؟ فقال : نصر قعين » .

يَتَّبَعْنَ فَضْلَةَ أَيْرِ كَلْبٍ مُنْعِظٍ عَصَّ الْكِلَابُ بِعَجْبِهِ فَاسْتَشْفَرَا^(١)
 قال : فلمَّا قَدِمَ زَيْدٌ مِنْ عِنْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ « أَبْرَحَ
 فَتَى إِنْ لَمْ تُدْرِكْهُ أُمُّ كَلْبَةٍ^(٢) » ، يَعْنِي الْحُمَى .

(الكلب بين الهجاء والفخر)

وقال جرير في البعيث :

إِذَا أَنْتَ لَأَقَيْتَ الْبَيْثَ وَجَدْتَهُ أَشَحَّ عَلَى الزَّادِ الْحَبِيثِ مِنَ الْكَلْبِ

وقال صاحب الكلب : وقد قال عمرو بن معد يكرب :

وَقَدْ كُنْتُ إِذَا مَا الْحَيُّ يَوْمًا كَرَّهُوا صَلْحِي
 أَلْفُ الْخَيْلِ بِالْخَيْلِ وَأَكْفَى النَّبَحِ النَّبَحِ

(استعارات من اسم الكلب)

قال ومن الاستعارات من اسم الكلب قولُ الرَّجُلِ مِنْهُمْ ، إِنْ أَوْطَنَ
 نَفْسَهُ عَلَى شَيْءٍ : قَدْ ضَرَبْتَ جَرَوْتِي ، وَضَرَبْتَ عَلَيْهِ^(٣) . وقال أبو النّجْم :

(١) استشفّر الكلب : أدخل ذنبه بين فخذيه حتى يلزقه ببطنه .

(٢) أبرح فتى : أى ما أعجبه فتى . و « فتى » تمييز . مثله قول الأعشى
 الخزانة ٣ : ٢٧٥ :

تقول ابنتي حين جد الرحي ل أبرحت ربا وأبرحت جارا

وانظر للخبر السيرة ٩٤٧ جوتنجن (وفد طي) والجزء الأول من الحيوان
 ٣١٧ والأغانى ١٦ : ٤٧ - ٤٨ . والإصابة ٩١٣٤ وقد حم زيد منصرفه من عند
 الرسول ومات ببلده . الخزانة ٢ : ٤٤٨ بولاق .

(٣) الجروة بمعنى النفس ، كما فى اللسان (جرا) وكما فى أمثال الميداني ١ : ٣٨٣ .

و « ضربت عليه » يريد : « ضربت عليه جروق » . وفى الأصل :
 « ضربت جروه وضربت عليه » وهو تحريف . قال ابن برى : وأنشد
 أبو عمرو :

حَتَّى إِذَا مَا ابْيَضَّ جَرَوْ التَّنْفُلَ ^(١) وَبُدِّلَتْ وَالْدَّهْرُ ذُو تَبَدُّلٍ
وقال ^(٢) :

من الحنظل العائى جرؤ مفلق

وقال عتبة الأعور ^(٣) :

ذهبَ الذينَ أحبُّهمَ وَبَقِيَتْ فِيمَنْ لَا أَحِبَّهُ
إِذْ لَا يَزَالُ كَرِيمٌ قَوْى فِيهِمْ كَلْبٌ يَسْبُهُ

(احتقار العرب للصيد)

[قال صاحب الديك ^(٤)] :

فخرتم علينا بصيْد الكلب ، وهَجَوتُمْ ^(٥) الديك إِذْ كَانَ مِمَّا لَا يَصِيدُ
وَلَا يُصَادُ بِهِ ، وَقَدْ وَجَدْنَا الْعَرَبَ يَسْتَذِلُّونَ الصَّيْدَ وَيَحْقِرُونَ الصَّيَّادَ ، فَمِنْ
ذَلِكَ قَوْلُ عَمْرِو بْنِ مَعْدٍ يَكْرَبُ :

= ضربت بأكتاف الولى عنك جروقه . وعلقت أخرى لاتخون المواسلا
أى اطمأنت نفسى . ويقال أيضاً - كما فى اللسان - : ضرب جروة نفسه .
قال الفرزدق :

فضربت جروتها وقلت لها اصرى . وشدت فى ضنك المقام إزارى

ويقال أيضاً : ألقى جروته ، بمعنى ماتقدم . اللسان والميدانى .

(١) التنفل : الثعلب ، أو نبات أخضر فيه خطبة ، أى غبرة ؛ وهو آخر
ما يحف من النبات . وهذا المعنى الأخير هو المراد . والجرو : الثمر ،
واحدته جروة .

(٢) القائل هو النمر بن تولب . وانظر صدر البيت فى هذا الجزء ص ٢٠٨ .

(٣) عتبة الأعور ، ذكره ابن النديم فى الفهرست ١٦٣ ليسك ، ٢٣٢ مصر ، قال :
« عتبة الأعور الكوفى ، مقل » . ووجدت فى معجم المرزبانى ص ٢٦٥ « عتبة
ابن أبى عاصم الحمصى الأعور ، هجا بنى عبد الكريم الطائى من أهل الشام ، فعارضه
أبو تمام الطائى وهجاه ومدحهم » .

(٤) زدتها حاجة الكلام إليها .

(٥) ط : « وهجرتهم » وتصحيحه من س .

ابنى زيادِ أنتمُ فى قَوْمِكُمْ ذَنْبٌ ونحنُ فروعُ أصلِ طيِّبِ
 نَصِلُ الحَمِيسَ إلى الحَمِيسِ وأنتمُ بالقَهَرِ بينَ مَرَبِقٍ ومكَلَّبٍ^(١)
 لا يَحْسَبَنَّ بنو طَلِيحَةَ حَرْبَنَا سَوَقَ الحَمِيرِ بِحَانَةِ فَالِكَوْكَبِ^(٢)
 حَيْدٌ عَنِ المَعْرُوفِ سَعَى أبِيهِمْ طَلَبُ الوُعُولِ بِوَفْضَةٍ وبِأَكْلِبِ^(٣)
 حَتَّى يَكْهَنَ بَعْدَ شَيْبِ شَامِلٍ تَرْحاً لَهُ مِنْ كَاهِنٍ مُتَكَذِّبِ

(الاستفتاء بدماء الملوك والأشراف)

وأما قولُ زهير :

وإن يُقْتَلُوا فَيُشْتَفَى بدمائِهِمْ وكانوا قَدِيمًا مِنْ مَنَايَاهُمُ القَتْلُ^(٤)
 فهذا البيتُ نَفْسُهُ ليس يَدُلُّ على قولِهِمْ أَنَّ كُلَّ مَنْ كانَ بِهِ جُنُونٌ
 أو كَلْبٌ ثُمَّ حَسَا مِنْ دَمِ مَلِكٍ أو سَيِّدٍ كَرِيمٍ أَفاقَ وبرئ .

(فرار الكلبِ السكلبِ من الماء)

وَقَدْ ضَرَبُوا لِصَاحِبِ الكَلْبِ أَمْثالًا فى شِدَّةِ طَلَبِهِ المَاءَ ، وفى شِدَّةِ
 فِرارِهِ مِنْهُ إِذا عَينَهُ .

(١) الحَمِيسُ : الجَيْشُ . والقَهَرُ : الذَّلُّ . والمَرَبِقُ : أرادَ بِهِ الصَّائِدَ بالرَبْقَةِ ،

وهى الهَرَّةُ فى الحَبْلِ . والمَكَلَّبُ : الصَّائِدُ بالكَلابِ .

(٢) لعلَّ فى البيتِ تحريفاً .

(٣) الوَفْضَةُ : جَمْعَةُ السَّهَامِ إِذا كانتْ مِنْ أَدَمَ .

(٤) يَقُولُ : هُمُ أَهْلُ حُرُوبٍ فَلَا يَمُوتُونَ عَلَى فَرَشِهِمْ حَتَّى أَنْوَفَهُمْ .

وقالوا وقلتم : فالماء المطلوبُ إذا عاينته من غير أن يمسه ، وهو الطالب له ولم يحرص عليه إلا من حاجة إليه . فكيف صار إذا رآه صاح ^(١) ؟ !
قالوا : وقد يعتري الناظر إلى الماء ، والذي يديم التحديقَ إليه وهو يمشى على قنطرة أو جُرُف أو جسر الدُّوَارُ ؛ فإنه ربّما رمى بنفسه من ١١٤
تلقاء نفسه إلى الماء ، وإن كان لا يحسن السباحة . وذلك إنّما يكون على قدر ما يصادف ذلك من المرّار ^(٢) ، ومن الطّباع .
فمَن فعل ذلك بنفسه أبو الجهجهاه محمد بن مسعود ، فكاد يموت حتى استخرج . ومنهم منصور بن إسماعيل التّمار ، وجماعة قد عُرفت حالهم .

(ما يعتري المختنق والمرور)

وهذا كما يعتري الذى يصيبه الأسن ^(٣) من البخار المختنق فى البئر إذا صار فيها ؛ فإنه [ربّما] ^(٤) استقى واستخرج وقد تغيّر عقله . وأصحاب الرّكايا ^(٥) يرون أنّ دواءه أن يُلقوا عليه دثاراً ثقيلاً ، وأن يزملَ زميلاً ^(٦) وإن كان فى تمثوز وآب ^(٧) ، ثم يحرس وإن كان قريباً من رأس البئر ؛ فإنه

(١) ضمير : « قالوا » عائد إلى العرب . وضمير « قلتم » راجع إلى أنصار الكلب وجملة « فكيف إذا رآه صاح ؟ ! » اعتراض عليهم من صاحب الديك .
وضمير : « قالوا » الآتية لأنصار الكلب .

(٢) المرار : جمع مرة بالكسر ، وهى مزاج من أمزجة البدن .

(٣) الأسن : مصدر أسن كفرح : دخل البئر فانتشق هواء فاسداً ففشى عليه .

(٤) للتكلمة من س .

(٥) الركايا : جمع ركية وهى البئر .

(٦) زمّل : يلف فى ثوب .

(٧) شهران من الشهور الرومية ، وفيها يشتد الحر . انظر عجائب المخلوقات ٧٥ - ٧٦ .

إن لم يُحَلِّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا طَرَحَ نَفْسَهُ فِي تِلْكَ الْبُئْر ، أُنَاسُهَا سَعِيًّا فِي أَوَّلِ مَا يَفْتَحُ عَيْنَهُ وَيَرْجِعُ إِلَيْهِ الْيَسِيرُ مِنْ عَقْلِهِ ، حَتَّى يُكْفِيَ^(١) نَفْسَهُ فِيهَا مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ ، فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قَدْ لَقِيَ مِنْهُ مَا لَقِيَ ، وَقَدْ كَانَ عِنْدَهُ مَعْلُومًا أَنَّ الْقَوْمَ لَوْ تَرَكُوهُ طَرْفَةً عَيْنٍ لَهْلَكَ . هَكَذَا كَانَ عِنْدَهُ أَيَّامَ صِحَّةِ عَقْلِهِ ، فَلَمَّا فَسَدَ أَرَاهُ الْفَسَادُ أَنَّ الرَّأْيَ فِي الْعُودِ إِلَى ذَلِكَ الْمَوْضِعِ .

وَكَمَا يَعْتَرِي الْمُرُورَ^(٢) حَتَّى يَرْجُمَ النَّاسُ ؛ فَإِنَّ الْمِرَّةَ تَصَوِّرُ لَهُ أَنَّ الَّذِي رَجَمَهُ قَدْ كَانَ يَرِيدُ رَجْمَهُ ، فَيَرَى أَنَّ الصَّوَابَ أَنْ يَبْدَأَهُ بِالرَّجْمِ . وَعَلَى مِثْلِ ذَلِكَ تُرْبِيهِ الْمِرَّةُ أَنَّ طَرَحَهُ نَفْسَهُ فِي النَّارِ أَجُودُ وَأَحْزَمُ .

وَلَيْسَ فِي الْأَرْضِ إِنْسَانٌ يَذْبَحُ نَفْسَهُ أَوْ يَخْتَنِقُ أَوْ يَتَرَدَّى فِي بُئْرٍ ، أَوْ يَرْمِي نَفْسَهُ مِنْ حَالَتِهِ ، إِلَّا مِنْ خَوْفِ الْمِثْلَةِ أَوْ التَّعْذِيبِ أَوْ التَّعْيِيرِ^(٣) وَتَقْرِيعِ الشَّامِتِينَ ، أَوْ لِأَنَّ بِهِ وَجَعًا شَدِيدًا فَيَحْرِّكُ عَلَيْهِ الْمِرَّةَ فَيَحْمِي لَذَلِكَ بَدَنَهُ وَيَسْخُنُ جَوْفَهُ ، فَيَطِيرُ مِنْ ذَلِكَ شَيْءٌ إِلَى دِمَاغِهِ أَوْ قَلْبِهِ ، فَيُوهِمُهُ ذَلِكَ أَنَّ الصَّوَابَ فِي قَتْلِ نَفْسِهِ ، وَأَنَّ ذَلِكَ هُوَ الرَّاحَةُ ، وَأَنَّ الْحَزْمَ مَعَ الرَّاحَةِ .

وَلَا يَخْتَارُ الْخَنْقَ الْوَادِعُ الرَّابِعَ^(٤) الرَّافَهُ ، السَّلِيمُ الْعَقْلَ وَالطَّبَاعَ . وَلِلْغَيْظِ رَجْمًا رَمَى بِنَفْسِهِ فِي هَذِهِ الْمَهَالِكِ ، وَقَذَفَ بِهَا^(٥) فِي هَذِهِ الْمَهَاوِي . وَقَدْ يَعْتَرِي الَّذِي يَصْعَدُ عَلَى مِثْلِ سُنْسِيرَةٍ أَوْ عَقْرُقُوفٍ^(٦) أَوْ خَضِرَاءَ

(١) خَفَّفَ « يَكْفِي » بِمَعْنَى يَقْلِبُ .

(٢) الْمُرُورُ : مَنْ غَلَبَتْ عَلَيْهِ الْمِرَّةُ فَفَسَدَ عَقْلُهُ .

(٣) ط : « التَّعْيِيرُ » وَوَجْهَهُ مَا أَثْبَتَ مِنْ س .

(٤) كَذَا .

(٥) فِي الْأَصْلِ : « بِهِ » وَالضَّمِيرُ لِلنَّفْسِ .

(٦) عَقْرُقُوفٌ : قَرْيَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ بَغْدَادَ أَرْبَعَةُ فَرَاسِخَ ، إِلَى جَانِبِهَا تَلٌّ عَظِيمٌ يَرَى مِنْ خَمْسَةِ فَرَاسِخَ كَأَنَّهُ قَلْعَةٌ عَظِيمَةٌ . وَفِي الْأَصْلِ : « عَقْرُقُوبٌ » .

زوج^(١) ، فإنه يعتريه أن يرمى^(٢) بنفسه من تلقاء نفسه ، فيرون عند ذلك أن يصعد إليه بعضُ معاودين المحرّبين ، ولا يصنع شيئاً حتى يشدَّ عَيْنَيْهِ^(٣) ، ويحتال لإزاله . فهذا المعنى عامٌ فيمن^(٤) كانت طبيعته تثور عند مثل هذه العلة . وما أكثر من لا يعتريه ذلك .

وقد قال الناسُ في عذر هؤلاء ولأنَّ فيهم^(٥) ضرراً من الأقاويل . وإِنَّمَا تسكلمنا على المغلوب . فأما من كانت هذه العوارضُ لا تُفسد ١١٥ عقله ، ولا تنقصُ^(٦) استطاعته ، فليس بيننا اختلافٌ في أنه ملوم . على أن إلزامه اللائمة لا يكون إلا من بعدِ خصومةٍ طويلة ، لا يصلح ذكرها في هذا الباب .

(لؤم الغراب وضعفه)

وقال صاحب الكلب^(٧) : الغراب من لئام الطير وليس من كرامها ، ومن بغائها وليس من أحرارها ، ومن ذوات البرائن الضعيفة والأظفار

(١) لم يذكره ياقوت .

(٢) ط : « يرميه » ، وصوابه من س .

(٣) ط : « حتى ليسد عينيه » ، وفي س : « حتى يسد عينيه » والوجه ما أثبت .

(٤) في الأصل : « فن » وهو تحريف .

(٥) كذا . وفي س : « ولأنَّ منهم » ولعل صواب ذلك : « ولهم فيهم ضروب من الأقاويل » .

(٦) في الأصل : « تنقص » ، وما كتبت أشبه بلغة الجاحظ .

(٧) سيحدث صاحب الكلب عن الغراب ليبين أن الغراب مع لؤمه واتضاعه ، قد أمكنه أن يخدع الديك ويسخر منه . كما سيظهر ذلك فيما يأتي ص ٣١٩ . وليس الحديث في الغراب مقصوداً لذاته .

الكليلة ، وليس من ذوات الخالب المعقفة والأظفار الجارحة^(١) ، ومن ذوات المناقير وليس من ذوات المناسر^(٢) . وهو مع أنه^(٣) قوى النظر^(٤) . لا يتعاطى الصيد . وربما راوغ العصفور ، ولا يصيد الجرادة إلا أن يلقاها في سُدٍّ من الجراد^(٥) . وهو فسلٌ إن أصاب جيفة نال منها وإلا مات هزلاً ، ويتقمّم كما يتقمّم بهائم الطير وضعافها ، وليس بهيمة لمكان أكله الجيف ، وليس بسبع لعجزه عن الصيد .

(ألوان الغربان)

وهو مع ذلك يكون^(٦) حالك السواد شديد الاحتراق ، ويكون مثله من الناس الزنج فإثم شرار الناس ، وأردأ الخلق تركيباً ومزاجاً ، كمن بردت بلاده فلم تطبخه^(٧) الأرحام ، أو سخنت فأحرقت الأرحام . وإنما صارت عقول أهل بابل وإقليمها فوق العقول ، وجمالهم فوق الجمال^(٨) لعلّة الاعتدال .

(١) ط : « الكليلة » وتصحيحه من س . وفي س ، ط : « المقصار » موضع « الأظفار » ولا وجه له . وأثبت ما تقتضيه المقابلة .

(٢) المناسر : جمع منسر ، كنبير ، وهو المنقار لسباع الطير .

(٣) في الأصل : « ذلك » ، وكذلك في نهاية الأرب ١٠ : ٢١٠ حيث نقل للنويري عبارة الجاحظ .

(٤) في الأصل : « البطن » ، وفي النهاية : « البدن » . وأثبت ما في هامش س ، حيث كتب « ن : النظر » ، إشارة إلى كلمة (نسخة) .

(٥) السد ، بالضم : جماعة الجراد تسد الأفق .

(٦) س : « ذلك أن يكون » وفي النهاية : « ذلك إما أن يكون » والأول تحريف ، والثاني تصرف من النويري حيث أوجز النقل إيجازاً .

(٧) الديميري حيث نقل كلام الجاحظ : « تنضجه » .

(٨) الديميري : « وكانهم فوق الكمال » .

والغراب إمّا أن يكونَ شديدَ الاحتراق فلا يكون له معرفةٌ ولا جمال ،
وإمّا أن يكونَ أبَقَ فيكونَ اختلافُ تركيبه وتضادُّ أعضائه دليلاً على فسادِ
أمره . والبَقُّ أَلَمٌ من السُّود وأَضَعَفُ .

(أنواع الغربان)

ومن الغربان غُراب الليل ، وهو الذى ترك أخلاقَ الغربان ونشبهه
بأخلاق البوم .

ومنها غُراب البين . وغراب البين نوعان : أحدهما غِرْبَانُ صِغارٌ معروفةٌ
بالضعف واللؤم ، والآخر : [كُلُّ غُرَابٍ يُنْشَاءُ بِهِ ^(١)] . و [إِنَّمَا لَزِمَهُ هَذَا
الاسمَ لِأَنَّ الْغُرَابَ إِذَا بَانَ أَهْلُ الدَّارِ لِلنَّجْعَةِ ، وَقَعَ فِي مَرَابِضِ ^(٢) بيوتهم
يلتمس ^(٣) ويتقمّم ، فيتشاعمون به ويتطيّرون منه ؛ إِذْ كَانَ لَا يَعْتَرِي
منازلهم إِلَّا إِذَا بَانُوا ، فَسَمَوْهُ غُرَابَ الْبَيْنِ . ثُمَّ كَرِهُوا إِطْلَاقَ ذَلِكَ الْاسْمِ
لَهُ مَخَافَةَ الزَّجَرِ وَالطَّيْرَةِ ^(٤) ، وَعَلِمُوا أَنَّهُ نَافِذُ الْبَصَرِ صَافِي الْعَيْنِ — حَتَّى قَالُوا
« أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الْغُرَابِ » ، كَمَا قَالُوا : « أَصْفَى مِنْ ^(٥) عَيْنِ الدِّيكِ » —

(١) الزيادة من ثمار القلوب ٣٦٢ حيث نقل الثعالبي كلام الجاحظ .

(٢) فى النهاية : « مواضع » ، وكذلك فى الديميرى وثمار القلوب .

(٣) ط : « ويتلمس » وتصحيحه من س وثمار القلوب . وفى النهاية : « يتلمس » ،
وكذلك فى أمشال الميدانى (١ : ٣٤٩) حيث نقل عن الجاحظ ، ولو أنه
لم يصرح بذلك .

(٤) الطيرة ، كعنبية : التشاؤم .

(٥) فى الأصل : « عن » .

فسمّوه الأعور [كناية^(١)] ، كما كنّوا طيرةً عن الأعمى فكنّوه أبا بصير^(٢) .
وبها اكتنى الأعشى بعد أن عمى . ولذلك سمّوا الملدوغ^(٣) والمنهوش سليماً ،
وقالوا للمهالك^(٤) من الفياق : المفاوز . وهذا كثير .
والغدّفان^(٥) جنس من الغربان ، وهى لثام جداً .

(التشاؤم بالغراب)

[و] من أجل تشاؤمهم بالغراب اشتقوا من اسمه الغربة ،
والاغتراب ، والغريب .

١١٦ وليس فى الأرض بَارِحٌ وَلَا نَطِيحٌ^(٦) ، ولا قَعِيدٌ ، ولا أَعْضَبٌ^(٧)
ولا شَيْءٌ مما يتشاءمون به إلا والغرابُ عندهم أنكدُ منه ، يرون أن
صِيَاحَهُ^(٨) أكثر أخباراً ، وأن الزَّجْرَ فيه أعمُّ . وقال عنترة :
حَرِقَ الجَنَاحَ كَأَنَّ لِحْيَ رَأْسِهِ جَلَمَانِ ، بالأخبارِ هَشٌّ مُولَعٌ^(٩)

(١) الزيادة من أمثال الميداني .

(٢) فى الأصل : « كما كنّوا عن الطير الأعمى بالبصير » وهو تحريف عجيب اعتمدت
فى تصحيحه على ما فى أمثال الميداني (١ : ٣٥) .

(٣) ط : « الملد » ، وتصحيحه من س وأمثال الميداني .

(٤) المهلكة : المفازة ، جمعها مهالك .

(٥) الغدّفان ، بالكسر : جمع غداف بالضم ، وهو الأسود الضخم من الغربان .

(٦) البارح : مامر من الطير من ميامتك إلى مياسرك ، يقابله السانح . والنطيح :
مايأتى إليك من أمامك من الطير والوحش .

(٧) القعيسد : ما أتى إليك من ورائك من ظبى ، أو طائر . والأعضب :
المكسور القرن .

(٨) فى الأصل : « صاحبه » ، وهو على الصواب الذى أثبتته فى أمثال الميداني .

(٩) فى الأصل : « خرق الجناح » ، وتصحيحه من الحيوان (١ : ٣٤) .

(التعابير بأكل لحم الغراب)

وهو عندهم عار ، وهم يتعابرون بأكل لحمه . ولو كان ذلك منهم لأنه يأكل اللحوم ، ولأنه سبع ، لكانت ^(١) الضَّوَارِي والجوارحُ أحقُّ بذلك عندهم . وقد قال وَعَلَّةُ الْجَرْمِيِّ ^(٢) :

فما بِالْعَارِ مَا عَيَّرْتُمُونَا شِوَاءَ النَّاهِضَاتِ مَعَ الْخَيْصِ ^(٣)
فما لَحْمُ الْغُرَابِ لَنَا بَزَادٍ وَلَا سَرَطَانُ أَنْهَارِ الْبَرِيصِ ^(٤)

(فسق الغراب وتأويل رؤياه)

قال : والغُرْبَانُ جنسٌ من الأجناس التي أمر بقتلها في الحِلِّ والحرم ، وسميت بالفسق وهي فواسق ، اشتقَّ لها من اسم إبليس .
وقالوا : رأى [فلان] ^(٥) فيما يرى النَّائمُ أنه يُسْقِطُ أعظمَ صومعةٍ بالمدينة غرابٌ . فقال سعيدُ بن المسيَّب : يتزوج أفسقُ الفاسقين امرأةً من أهل المدينة . فلم يلبثوا إلَّا أيَّاماً حتى كان ذلك .

(١) ط : « فكانت » ، وتصحيحه من س .

(٢) هو وعلة بن الحارث الجرمي . ذكره صاحب المؤتلف ص ١٩٧ . وفي العرب وعلة بن عبدالله الجرمي ، أحد فرسان قضاة ، وله خبر في يوم الكلاب الثاني . الأغاني (١٥ : ٧١) .

(٣) الناهضات : أرادها الفراخ الناهضات ، وهي التي وفرت أجنحتها وقويت على الطيران وعنى الدجاج والحمام وما أشبهه ، وليس كما وهم بعضهم فزعم أنها جمع ناهضة بمعنى الأنثى من فرخ العقاب . في ط : « سواء » وتصحيحه من س ونهاية الأرب (١٠ : ٢١١) . والخبيص : ضرب من الحلوى ، ذكر له البغدادي (في كتاب الطبخ ٧٣ - ٧٤) ست صنعات . وفي الأصل : « المبيض » ، وصوابه في النهاية .
(٤) البريص : نهر دمشق . وفي الأصل : « البريص » محرفة ، صوابها في النهاية ومعجم البلدان (البريص) واللسان (برص) .

(٥) الزيادة من س .

(غراب نوح)

وقالوا في المثل : « لا يرجعُ فلانٌ حتَّى يرجعَ غرابُ نوح » ، وأهل البصرة يقولون : « حتَّى يرجعَ نَشِيطٌ من مَرَوْ^(١) » ، وأهل الكوفة يقولون : « حتَّى يرجعَ مَصْقَلَةٌ^(٢) من سِجِسْتان » . فهو مثلٌ في كل موضعٍ من المكروه .

(قبح فرخ الغراب وفرخ العقاب)

وزعم الأصمعيُّ عن خلفِ الأحمر ، أنَّه قال : رأيت فرخ غراب فلم أر صورة أقيحَ ولا أسمعَ ولا أبغضَ ولا أقدرَ ولا أننَ منه . وزعم أن فراخ الغراب أننٌ من الهدهد - على أن الهدهدَ مثلٌ في الثَّئِن - فذكر عِظَمَ رأسٍ وصِغَرِ بدن ، وطولَ منقار وقصَرَ جناح ، و [أنه^(٣)] أمرط أسود ، وساقط النفس ، ومُنِنَ الرِّيح .

-
- (١) قال هذا المثل زياد ، وكان « نشيط » قد بنى له داراً وهرب إلى مرو قبل إتمامها ، وكلما قيل لزياد : تتم ، قال : حتَّى يرجع نشيط من مرو ! . وكان زياد لا يرضى إلا عمله . القاموس والميداني (١ : ١٩٨) .
- (٢) في الأصل : « مسعر » ، وهو تحريف صوابه في ثمار القلوب ٣٠ حيث نقل الثعالبي كلام الجاحظ ، وكذا في المعارف ١٧٧ ومعجم البلدان (رسم طبرستان) . وفي المعجم والمعارف (طبرستان) : ومصقلة هذا هو مصقلة بن هيرة كان معاوية وجهه إلى طبرستان فسار وأوغل بجيشه ، وكان عشرين ألف رجل ، فأخذهم العدو وأهلك أكثرهم ، وهلك مصقلة فغضب الناس به مثلاً . انظر المثل في المراجع المتقدمة والحيوان (٥ : ٥٢٩) .
- (٣) ليست بالأصل .

وصاحب المنطق يزعم أن رؤية فرخ العقاب أمرٌ صعب ، وشيءٌ عسير .
ولست أحسن أن أقضى بينهما ^(١) .

والغربان عندنا بالبصرة أوابدٌ غير قواطع ، وهى تُفرخ عندنا فى رءوس
النخل الشائخة ، والأشجار العالية .

(أسطورة خداع الغراب للديك)

فالغرابُ عند العرب مع هذا كله ، قد خدع الديك وتلعب به ، ورهته
عند الحمار ^(٢) وتخلص من الغرم ، وأغلقه ^(٣) عند الحمار ، فصار له الغنم وعلى
الديك الغرم ، ثم تركه تركاً ضارب به المثل .

فإن كان معنى الخبر على ظاهر لفظه ، فالديك ^(٤) هو المغبون والمخدوع
والمسخور به ، ثم كان المتلعب به أنذل الطير والأمة .

وإن كان هذا القول منهم يجرى بجرى الأمثال المضروبة ، فلولا أن علياً ^{١١٧}
الديك فى قلوبهم ^(٥) دون محل الغراب — على لؤم الغراب ونذالته وموقه وقلة
معرفته — لما وضعوه فى هذا الموضع .

(١) أى بين خلف وصاحب المنطق .

(٢) انظر الصفحة الآتية ، ثم ٣ : ٤١٠ وتأويل مختلف الحديث ٣٦٤ .

(٣) أغلقه كما يعلق الرهن : إذا لم يستطع فكاه .

(٤) فى الأصل : « والديك » .

(٥) كذا فى ط . وفى س : « على الديك من قلوبهم » ، ولعل صوابهما « محل

الديك فى قلوبهم » .

(دهاء أمية بن أبي الصلت)

فإن أردتم معرفة ذلك فأنظروا في أشعارهم المعروفة، وأخبارهم الصحيحة ثم ابدعوا بقول أمية بن أبي الصلت ؛ فقد كان داهيةً من دواهي ثقيف ، وثقيفٌ من دُهاة العرب ، وقد بلغ من اقتداره في نفسه أنه قد كان همَّ بادِّعاد النبوة ، وهو يعلم كيف الخصالُ التي يكون الرجل بها نبياً أو متنبياً إذا اجتمعت له . نعم وحتى ترشح^(١) لذلك بطلب الروايات ، ودرس الكتُب . وقد بَانَ^(٢) عند العرب علامةً ، ومعروفاً بالجولان في البلاد ، راويةً^(٣) .

(حديث العرب في الغراب والديك وطوق الحمامة)

وفي كثيرٍ من الروايات من^(٤) أحاديث العرب ، أن الديك كان نديماً للغراب ، وأنَّهما شربا الخمر عند خمَّارٍ ولم يعطياه شيئاً ، وذهب الغرابُ ليأتيه بالتمسن حين شرب ، ورهن الديك ، فخاس به^(٥) ، فبقى محبوساً .

(١) ترشح : تقوى ، من ترشح الفصيل ، إذا قوى على المشي .

(٢) بان بمعنى : برز ونبغ . وفي س : « كان » .

(٣) في الأصل : « رواية » .

(٤) في الأصل : « مع » .

(٥) خاس به : غدر به .

وَأَنَّ نُوحًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَقِيَ فِي اللَّجَّةِ أَيَّامًا بَعَثَ الْغَرَابَ ،
فَوَقَعَ عَلَى جَيْفَةٍ وَلَمْ يَرْجِعْ ، ثُمَّ بَعَثَ الْحَمَامَةَ لِتَنْظُرَ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ مَوْضِعًا
يَكُونُ لِلسَّفِينَةِ مَرَفَأً ، وَاسْتَجْعَلَتْ عَلَى نُوحٍ الطُّوقَ الَّذِي فِي عُنُقِهَا ^(١) ، فَرَشَاهَا
بِذَلِكَ - أَيْ فَجَعَلَ ذَلِكَ جُعْلًا لَهَا .

وَفِي جَمِيعِ ذَلِكَ يَقُولُ أُمِّيَّةُ بْنُ أَبِي الصَّلْتِ .
بَآيَةٍ قَامَ يَنْطِقُ كُلُّ شَيْءٍ وَخَانَ أَمَانَةُ الدَّيِّكِ الْغَرَابُ
يَقُولُ : حِينَ تَرَكَهُ فِي أَيْدِيهِمْ وَذَهَبَ وَتَرَكَهُ .
وَالْعَامَّةُ تَضْرِبُ بِهِ الْمَثَلَ وَتَقُولُ : « مَا هُوَ إِلَّا غَرَابُ نُوحٍ » .
ثُمَّ قَالَ :

وَأُرْسِلَتِ الْحَمَامَةُ بَعْدَ سَبْعٍ تَدُلُّ عَلَى الْمَهَالِكِ لَا تَهَابُ
تَلَمَّسُ هَلْ تَرَى فِي الْأَرْضِ عَيْنًا وَغَايَتُهُ مِنَ الْمَاءِ الْعِيَابُ ^(٢)
فَجَاءَتْ بَعْدَ مَا رَكَضَتْ بِقِطْفٍ عَلَيْهِ الثَّأُطُ وَالطِّينُ الْكُبَابُ ^(٣)
فَلَمَّا فَرَسُوا الْآيَاتِ صَاغُوا لَهَا طَوْفًا كَمَا عُقِدَ السَّخَابُ ^(٤)

(١) استجعل : طلب الجمالة - كسحابة - وهى الرشوة . والرشوة : المطاء
في مقابل نفع .

(٢) كذا . وفي نهاية الأرب (١٠ : ٢٧٧) : « وغايته من الماء العياب »
ولعل صوابهما ما في الديوان ١٨ : « وغايته بها الماء العياب » أى أن الماء
العياب غايته وأنتهاؤه إلى الأرض . والعين هنا : الناحية . جاء في
اللسان : « والعين : الناحية » .

(٣) الركن هنا بمعنى الطيران . والثأط : الطين الأسود الممتن . وفي ط : « عليها
الشاة » و س : « عليها الشاط » ، وأثبت ما في اللسان والديوان ١٨ . وفي أصل
نهاية الأرب : « عليها الناط » . والكباب ، بالضم : الطين اللازب .

(٤) للسخاب ، بالكسر : القلادة . وفي ثمار القلوب ٣٦٨ : « فلما
فتشوا الآيات » .

إذا ماتت تورثه بنهما وإن تقتل فليس لها استلاب^(١)
 كذى الأفعى بربها لديه وذى الجنى أرسله يتاب^(٢)
 * فلا رب المنية يأمنها ولا الجنى أصبح يُستتاب^(٣)
 الجنى : إبليس ؛ لذنوبه . والأفعى هى الحية التى كلم إبليس آدم

١١٨ من جوفها . ومن لا علم عنده يروى أيضاً أن إبليس قد دخل جوف الحمار
 مرة ؛ وذلك أن نوحاً لما دخل السفينة تمنع الحمار بعسره وتكديه ، وكان
 إبليس قد أخذ بذنبه . وقال آخرون : بل كان فى جوفه فلما قال نوح للحمار :
 ادخل ياملعون ! ودخل الحمار ، دخل إبليس معه ؛ إذ كان فى جوفه .
 قال : فلما رآه نوح فى السفينة قال : ياملعون من أدخلك السفينة ؟ قال :
 أنت أمرتنى . قال : ومتى أمرتك ؟ قال : حين قلت ، ادخل ياملعون ،
 ولم يكن ثم ملعون غيرى .

(شعر أمية فى الديك والغراب والحمامة)

قال أمية بن أبى الصلت :

هو أبدى من كل ما يثر النسا س أمائيل باقيات سُفورا^(٣)
 خلق النخل مُصعدات تراها تقصف اليابسات والخضورا^(٤)

-
- (١) أى فلا يستلب منها ذلك الطوق . وأجود من هذه الرواية المثبتة هنا ، وفى نهاية
 الأرب - رواية الثعالبي فى الثمار : « فليس له استلاب » .
 (٢) كذا فى س . وفى ط : « تباب » .
 (٣) فى الأصل : « هو أبدى كل » . والشعر من الخفيف .
 (٤) كذا . وفى الديوان : « الخضورا » . وفى اللسان : « والخضر والخضور
 اسمان للرخص من الشجر إذا قطع وخضر » .

والتماسيح والتماثيل والأبَّيْلَ شَتَّى والرَّيْمَ واليَعْفُورَ^(١)
وصواراً من النواشطِ عِيناً ونَعَاماً خَوَاضِباً وَحَمِيرَ^(٢)
وَأَسُوداً عَوَادِيّاً وَفَيُولاً وَذِيَاباً وَالْوَحْشَ وَالْخَنْزِيرَ
وَدُبُوكاً تدعو الغرابَ لِصُلْحٍ وإوزينَ أخرجتْ وصقوراً^(٣)
قال : ثم ذكر الحمامة فقال :

سمع الله لابنِ آدَمَ نُوحَ رَبُّنَا ذُو الْجَلَالِ وَالْإِفْضَالِ
حِينَ أَوْفَى بِذِي الْحَمَامَةِ وَالنَّاسِ جَمِيعاً فِي فُلْكِهِ كَالْعِيَالِ
فَأَتَتْهُ بِالصَّدْقِ لَمَّا رَشَاهَا وَبَقِطْفٍ لَمَّا غَدَا عِشْكَالِ^(٤)
ووصف في هذه القصيدة أمرَ الحمامة والغراب صفةً ثانية ، وغيرَ ذلك ،
وبدأ بذكر السفينة فقال :

تَرْفَعُ فِي جَرْنِي كَأَنَّ أَطِيطَهَ صَرِيفَ مَحَالٍ تَسْتَعِيدُ الدَّوَالِيَا^(٥)

(١) « التماثيل » لعلها « التماثيل » : جمع تِثْل . وبدلها في الديوان : « السنادل »
وفي اللسان : « السندل : طائر يأكل البيش » . والبيش : نبات سام . والرَّيْمَ :
الظبي الخالص البياض . واليعفور : الظبي لونه كلون العفر .

(٢) الصوار يضم الصاد وكسرهما : قطع بقر الوحش . والنواشط : التي تنشط من بلد
إلى آخر . والعين : الواسعات العيون . والخواضب : جمع خاضب ، وهو من النعام
الأحر الساقين :

(٣) الإوزون : جمع إوزة ، وهو من نادر الجمع . وجاء مثل هذا في قول القائل :
(السان وزز ، دور) :

تلقى الإوزين في أكتاف دارتها فوضى وبين يديها التين منشور

(٤) ومثل هذه الرواية في الديوان . وفي نهاية الأرب ١٠ : ٢٧٨) :
« لما بدا » .

(٥) ترفع : تترفع ، أي تصرع في جريها . والأطيط : الصوت ، وكذلك الصريف .
والحال بالفتح : جمع محالة ، وهي المنجنون أو البكرة العظيمة . وفي الأصل : « يستعيد
الدوالي » ، ووجهه بالتاء .

على ظَهْر جَوْنٍ لم يُعَدِّ لراكبٍ سَرَاهُ وَغِيْمَ أَلْبَسَ الْمَاءَ دَاجِيَا^(١)
فصارتُ بها أَيَّامَهَا ثُمَّ سَبْعَةٌ وستَ لَيَالٍ دَائِبَاتٍ غَوَاطِيَا^(٢)
تَشَقُّ بِهِم تَهْوَى بِأَحْسَنِ لِمَرَةٍ كَأَنَّ عَلَيْهَا هَادِيَا وَنَوَاتِيَا^(٣)
وكان لها الْجُودَى نِهْيَا وَغَايَةً وَأَصْبَحَ عَنْهُ مَوْجُهُ مَتَرَاخِيَا
[ثُمَّ قَالَ]^(٤) :

١١٩ وما كان أصحابُ الحِمَامَةِ خِيفَةً غَدَاةً غَدَّتْ مِنْهُمْ تَضَمُّ الْخَوَافِيَا^(٥)
رَسُولًا لَهُمُ وَاللَّهُ يُحْكِمُ أَمْرَهُ يُبَيِّنُ لَهُمْ هَلْ يُؤْنَسُ الثُّوبُ بَادِيَا^(٦)
فَجَاءَتْ بِقِطْفِ آيَةٍ مُسْتَبِينَةٍ فَأَصْبَحَ مِنْهَا مَوْضِعُ الطَّيْنِ جَادِيَا^(٧)
عَلَى خَطْمِهَا وَاسْتَوْهَبَتْ ثُمَّ طَوَّقَهَا وَقَالَتْ: أَلَا لَا تَجْعَلِ الطَّوْقَ حَالِيَا
وَلَا ذَهَبًا ، لِأَنِّي أَخَافُ نِيَابَهُمْ يَخَالُونَهُ مَالِي وَلَيْسَ بِمَالِيَا^(٨)
وَزِدْنِي عَلَى طَوْقِي مِنَ الْحَلِيِّ زِينَةً تُصِيبُ إِذَا أُتْبِعْتَ طَوْقِي خِضَابِيَا

(١) الجون : أراد به البحر ، وجعله أسود لكثرة مائه . ط : « راجيا » وتصحيحه من س ، والديوان .

(٢) في الأصل : « غواطيا » ، ولا وجه له . وفي اللسان (غطا) : « وغطاه الليل وغطاه - أى بالتشديد - : ألبسه ظلمته » .

(٣) الإمرة ، بالكسر : اسم من أمر عليهم إذا ولي . وفي الأصل : « أمر » . وتصحيحه من الديوان . والنواقي ، مخفف النواقي : جمع نوق ، وهو الملاح .

(٤) الزيادة من س .

(٥) كذا في نهاية الأرب والديوان . وفي ط : « جيفة » وفي س : « حيفة » .

(٦) كذا في الأصل والديوان . ويونس : مخفف يؤنس : يرى . والرواية في النهاية « برنس الترب » .

(٧) الجادى : الزعفران . والمعنى : صارلون خطمها كالزعفران . وفي الأصل : « جاريا » ، وتصحيحه من الديوان والنهاية .

(٨) كذا في الأصل والنهاية . وفي الديوان : « ولا ذاهبا » .

وزِدْنِي لَطْرَفَ الْعَيْنِ مِنْكَ بِنِعْمَةٍ وَأَرِثْ إِذَا مَامَتْ طَوْقِي حَمَامِيَا^(١)
يَكُونُ لِأَوْلَادِي جَمَالًا وَزِينَةً وَيَهْوِينَ زِينِي زِينَةً أَنْ يَرَانِيَا^(٢)
ثُمَّ عَادَ أَيْضًا فِي ذِكْرِ الدَّيْكِ فَقَالَ :

[وَلَا غَرُّوْا إِلَّا الدَّيْكَ مُدْمِنْ خَمْرَةٍ نَدِيمِ غُرَابٍ لَا يَمْلُؤُ الْحَوَانِيَا]^(٣)
وَمَرَهْنُهُ عَنْ الْغُرَابِ حَبِيْبُهُ فَأَوْفَيْتَ مَرْهُونًا وَخَلَفَا مُسَابِيَا^(٤)
أَدْلَ عَلَى الدَّيْكِ إِنِّي كَمَا تَرَى فَأَقْبِلْ عَلَى شَأْنِي وَهَآكَ رِدَائِيَا
أَمْنَتِكَ لَا تَلْبَثْ مِنَ الدَّهْرِ سَاعَةً وَلَا نِصْفَهَا حَتَّى تَتُوبَ مَايَا^(٥)
وَلَا تَدْرِكَنَّكَ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا فَأَعْلَقَ فِيهِمْ أَوْ يَطْوِلَ ثَوَانِيَا^(٦)
فَرَدَّ الْغُرَابُ وَالرَّدَاءُ يَحْوِزُهُ إِلَى الدَّيْكِ وَعَدًّا كَاذِبًا وَأَمَانِيَا
بِأَيَّةٍ ذَنْبٍ أَوْ بِأَيَّةٍ حُجَّةٍ أَدْعُكَ فَلَا تَدْعُو عَلَيَّ وَلَا لِيَا
فَلِإِنِّي نَذَرْتُ حُجَّةً لَنْ أَعُوقَهَا فَلَا تَدْعُونَنِي مَرَّةً مِنْ وَرَائِيَا^(٧)

(١) كَذَا فِي الدِّيَوَانِ وَالْأَصْلُ . وَفِي النِّهَايَةِ : « لَطْرَفُ الطَّيْنِ » وَهِيَ أَيْضًا : « وَورث » كَمَا فِي الدِّيَوَانِ . وَهِيَ لَفْتَانٌ .

(٢) هَذِهِ رَوَايَةُ الْأَصْلِ وَالدِّيَوَانِ . وَفِي النِّهَايَةِ : « وَعَنْوَانُ زِينِي زِينَةً مِنْ تَرَابِيَا » .

(٣) زِدْتَ هَذَا الْبَيْتَ مِنْ نِهَآيَةِ الْأَرْبِ ١٠ : ٢٢٢ ، وَقَدْ نَقَلَ النُّوَيْرِيُّ هَذَا الْبَيْتَ وَمَا بَعْدَهُ مِنْ كِتَابِ الْخَيَوَانِ . الْخَوَالِي : الْخَانَتَاتُ ، مَفْرَدُهَا الْخَانِيَّةُ ، وَهَذِهِ مِثْلُ الْخَانَوَاتِ وَالْخَانَاةِ .

(٤) كَذَا فِي الدِّيَوَانِ وَالْأَصْلُ . وَفِي النِّهَايَةِ :

وَمَرَهْنُهُ عِنْدَ الْغُرَابِ جَبِيْنُهُ فَأَوْفَيْتَ مَرْهُونًا وَخَانَ مُسَابِيَا !

(٥) فِي الْأَصْلِ : « وَلَا تَصِفْهَا » ، وَتَصْحِيْحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ وَالنِّهَايَةِ .

(٦) كَذَا فِي الْأَصْلِ وَالدِّيَوَانِ . وَفِي النِّهَايَةِ : « فَأَعْلَقَ » ، مِنْ عَلَقَ الرَّهْنَ إِذَا لَمْ يَفْكَ وَآلَ إِلَى الْمَرْتَنِ .

(٧) فِي الْأَصْلِ : « أَنْ أَعُوقَهَا » ، وَتَصْحِيْحُهُ مِنَ الدِّيَوَانِ وَالنِّهَايَةِ . وَفِيهَا : « دَعْوَةٌ » مَكَانَ « مَرَّةً » .

تَطِيرَتْ مِنْهَا وَالِدُعَاءُ يَعُوقُنِي وَأَزْمَعْتُ حَجًّا أَنْ أَطِيرَ أُمَامِيَا
 فَلَا نِيَّاسَنْ إِيَّيْ مَعَ الصُّبْحِ بَاكِرٌ أَوَانِي غَدًا نَحْوَ الْحَجِيجِ الْغَوَادِيَا^(١)
 لِحَبٍّ أَمْرِي فَأَكْهَتُهُ قَبْلَ حَجَّتِي وَآثَرْتُ عَمْدًا شَانَهُ قَبْلَ شَانِيَا
 هُنَالِكَ ظَنُّ الدَّيِّكَ إِذْ زَالَ زَوْلُهُ وَطَالَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ أَلَا مُفَادِيَا^(٢)
 فَلَمَّا أَضَاءَ الصُّبْحُ طَرَبَ صَرْخَةٌ أَلَا يَا غَرَابُ هَلْ سَمِعْتَ نِدَائِيَا
 عَلَى وَدِّهِ لَوْ كَانَ ثُمَّ مَجِيبُهُ وَكَانَ لَهُ نَدْمَانٌ صِدْقِ مُوَاتِيَا
 وَأَمْسَى الْغَرَابُ يَضْرِبُ الْأَرْضَ كُلَّهَا
 عَتِيقًا وَأَضْحَى الدَّيِّكَ فِي الْقِدِّ عَانِيَا^(٣)
 ١٢٠ فذلِكَ مِمَّا أَسْهَبَ الْخَمْرُ لُبَّهُ وَنَادَمَ نَدْمَانًا مِنَ الطَّيْرِ عَادِيَا^(٤)

-
- (١) ط : « تبتئس » س : « يئأسن » ، وصوابها ما أثبت من النهاية والديوان .
 وفي النهاية : « مع الصبح باكراً » .
 (٢) زال زوله : فارقه شخصه ، من الذعر والفرق . والمعروف في هذا : زال
 زويله وزواله ، كما في القاموس واللسان وأمثال الميداني ١ : ٢٩٦ . وفي ط :
 « زل دولة » و س : « زل دوله » ، وأثبت ما في النهاية .
 (٣) رواية النويري : « لو كان ثم يجيبه » وهما بمعنى . والنَّدْمَانُ المَوَاتِ : اللنديم الموافق .
 (٤) عتيقاً : طليقاً حراً ، يقابله « عانيا » : أسيراً . والقصد ، بالكسر :
 السير يقصد من جلد غير مذبوغ .
 (٥) أسهبه الخمر وأسهبته : ذهب قلبه . والمعروف في هذا الفعل أن يكون بالبناء
 للمفعول . والرواية في النهاية « أسهت » . وفي س : « عاريا » مكان « عاديا »
 وفي نسخة من أصل نهاية الأرب : « غاويا » . هذا وأبيات هذه القصيدة كما رأيت
 بها كثير من التحريف والتصحيف ، وهي عزيزة في المراجع . ولست تجد في شواهد
 كتب اللغة والنحو منها إلا قدراً ضئيلاً . وقد اجتهدت قدر الطاقة في تخريج
 ما استطعت تخريجه ، وتصحيح ما قدرت على تصحيحه .

(ما يلقيم فراخه وما يزقها)

قال : ومن الطير ما ^(١) يُلقِم فراخه مثل العصفور ؛ لأنَّ العصفور لا يزُق . وكذلك أشباه العصفور .

ومن الطير ما يزُق فراخه ، مثل الحمام وما أشبه ذلك كبهايم الطير الخالصة ؛ لأنَّ الدَّجاجة تأكل اللَّحْم ، وتلغ في الدم ، وولدها حين يخرج من البيض يخرج كاسباً مليحاً ، كيساً بصيراً بما يُعيشه ويقوته ، ولا يحتاج إلى تلقيم سباع الطير والعصافير لأولادها ؛ لأنَّ أولادها إذ لم ترضع ^(٢) ولم تلتقط الحبَّ كالفراريج أوَّلَ ما تخرج من البيض ولم تزقَّها الآباء ولا الأمهات كأجناس الحمام — فلا بدَّ لها من تلقيم .

(ماله طبيعة مشتركة من الطير)

والفروخ مشترك الطبيعة ، قد أخذ من طبائع الجوارح نصيباً ، وهو أكله للحم ، وحسوه للدم ، وأكله للديدان وما هو أقدر من الذباب . والعصفور أيضاً مشارك الطباع ؛ لأنَّه يجمع بين أكل الحبوب واللحمان ، وبين لقط الحبوب وصيد أجناس كثيرة من الحيوان ، كالنمل إذا طار ^(٣) ،

(١) في الأصل : « من » .

(٢) في الأصل : « إذا لم » ، وهو تحريف . وفي س : « ترضع » .

(٣) يريد أنه يصيد النمل الطائر . وقد سبق الكلام في طيران النمل في الجزء الأول ص ٢٩ .

وانظر الجزء الرابع ص ٣٢ ، ٣٥ - ٣٦ .

وكالجراد ، وغير ذلك . وليس في الأرض رأسٌ أشبهُ برأس الحية
من العصفور .

(هداية العصفور)

والعصفور يتعالى ويطير ، ويهتدى ويستجيب . ولقد بلغني أنه قد
رجع من قريبٍ من فرسخ . وهي تكون عندنا بالبصرة في الدور ، فإذا
أمكنت الثمار^(١) لم تجِد منها إلا اليسير ، فتصير^(٢) من القواطع إلى قاصي
النخل ؛ وذلك أنها إذا مرّت بعصافير القرى وقد سبقت إلى ماهو إليها
أقرب ، جاوزتها إلى ماهو أبعد ، ثم تقربُ الأيام الكثيرة إلى ماهو
أبعد ، ثم تقربُ الأيام الكثيرة المقدار ، في المسافة [إلى] أكثر ممَّا
ذكرت من الفرسخ أضعافاً .

(تحنن العصافير وتعطفها)

والعصافير لا تقيم في دورِ الأمصار إذا شخّص أهلها عنها ، إلا ما كان
منها مقبلاً على بيض أو فراخ ؛ فإنه ليس في الأرض طائرٌ أحنى^(٣) على ولده
ولا أشدَّ تعطفاً من عصفور . والذي يدلُّ على أن في طبعها من ذلك ما ليس

(١) أمكنت الثمار : نضجت وصار في الإمكان أكلها .

(٢) ط : « فيصير » وتصحيحه من س .

(٣) في الأصل : « أحن » ، والوجه ما أثبت من ٥ : ٢١٠ .

في طبع سواها من الطير - الذي تجدد من إسعاد^(١) بعضهم لبعض ، إذا دخلت الحية إلى جحر بعضهم لتأكل فرخاً ، أو تبتلع بيضاً ؛ فإن لأبوى الفرخ عند ذلك صياحاً وقلقاً وطيراناً ، وتدقيقاً وترقيقاً^(٢) فوق الجحر ودونه وحواليه ، فلا يبقى عصفور من حيث يسمع صياحهما أو يسمع أصواتهما إلا جئن أرسلالاً^(٣) مُسعداتٍ ، يصنعن معهما كما يصنعان .

(حذر العصفور)

وليس في الأرض أصدق حذرًا منه . ويقال إنه في ذلك لأكثر من العقق^(٤) والغراب .

١٢١

وخبرني من بصيد العصافير قال : ربما كان العصفور ساقطاً على حائطٍ سطح بجذائي ، فيغمي صياحه وحدة صوته ، فأصيح وأومي إليه يدي^(٥) ، وأشير كائي أرميه ، فما يطير . حتى ربما أهويت إلى الأرض كائي أتناول شيئاً ، كل ذلك لا يتحرك له . فإن مسّت يدي أدنى حصاة أو نواة وأنا أريد رميها ، طارَ قبل أن تستمكن منها يدي .

(١) الإسعاد : الإعانة . وفي الأصل : « إشعار » ، والسياق يقتضي ما أثبت .

(٢) في الأصل : « وترقيقاً » صوابه من ٥ : ٢١١ . والترقيق : أن يخفق بجناحيه في الهواء ولا يطير .

(٣) الرسل - بالتحريك - : الطائفة ، جمعها أرسلال .

(٤) العقق - كشمب - طائر في قدر الحماة وشكل الغراب ، طويل الذنب ؛ وهو يخفي بيضه بورق الدلب .

(٥) في الأصل : « فأصيح إليه وأومي يدي » ، ووجه ما أثبت .

(سَفَادُ المَصْفُورِ وَأَثَرُهُ فِي عَمْرِهِ)

وليس في الطَّيْرِ أَكْثَرُ عَدَدَ سِفَادٍ مِنَ العَصَافِيرِ ، ولذلك يُقالُ إِنَّهَا أَقْصَرُ الطَّيْرِ أَعْمَارًا . ويُقالُ إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا يَأْلَفُ النَّاسَ وَيَعَايِشُهُمْ فِي دُورِهِمْ أَقْصَرَ عَمْرًا مِنْهَا . يَعْنُونَ : مِنَ الْخَيْلِ وَالْبِغَالِ وَالْحَمِيرِ ، وَالْبَقَرِ وَالْغَنَمِ ، وَالْكِلَابِ وَالسَّنَانِيرِ ، وَالْخَطَاطِيفِ وَالزَّرَازِيرِ ، وَالْحِمَامِ وَالْدَّجَاجِ .

(نَقْزَانُ المَصْفُورِ)

وَلَا يَقْدِرُ العَصْفُورُ عَلَى الْمَشْيِ ، وَلَيْسَ عِنْدَهُ إِلَّا النَّقْزَانُ^(١) ، وَلِذَلِكَ يُسَمَّى النَّقَّازَ ، وَإِنَّمَا يَجْمَعُ رَجْلَيْهِ ثُمَّ يَثْبُ ، وَذَلِكَ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِهِ ، وَفِي جَمِيعِ ذَهَابِهِ وَجِيئِهِ . فَهِيَ الصَّغْوُ ، وَالْعَصَافِيرُ ، وَالنَّقَاقِيزُ^(٢) . وَإِنْ هُوَ مَشَى هَذِهِ الْمَشْيَةَ - الَّتِي هِيَ نَقْزَانٌ - عَلَى سَطْحٍ وَإِنْ ارْتَفَعَ سَمَكَهُ ، فَكَأَنَّكَ تَسْمَعُ لَوِطَتَهُ وَقَعَ حَجَرٍ ؛ لَشِدَّةِ وَطْئِهِ ، وَلَصَلَابَةِ مَشْيِهِ . وَهُوَ ضِدُّ الْفِيلِ ؛ لِأَنَّ إِنْسَانًا لَوْ كَانَ جَالِسًا وَمِنْ خَلْفِ ظَهْرِهِ فِيلٌ لَمَّا شَعَرَ بِهِ ، لَخَفَتْ وَقَعَ قَوَائِمُهُ ، مَعَ سُرْعَةِ مَشْيِهِ وَتَمَكُّنِهِ فِي الْخَطَا .

(١) النَقْزَانُ : الْوُثْبُ .

(٢) النَّقَاقِيزُ : جَمْعُ نَقَازٍ . وَكَلِمَةُ « فَهَى » تَفِيدُ الْمَسَاوَاةَ فِي إِطْلَاقِ تِلْكَ الْأَلْفَاظِ عَلَى الْعَصَافِيرِ . لَكِنَّ الصَّغْوَ - كَمَا ذَكَرُوا - ضَرْبٌ مِنَ صَفَارِ الْعَصَافِيرِ . وَفِي ط : « فَهَى الصَّقُورِ الْعَصَافِيرِ » ، وَهُوَ تَحْرِيفٌ صَوَابُهُ فِي س .

(سُبُعِيَّة الرِّخْم والنسر)

والرِّخْم والنَّسْر سِبَاع ، وَلَئِنَّمَا قَصَّرَ بِهَا عَدَمُ السِّلَاح . فَأَمَّا الْبَدَن
وَالْقُوَّةُ فَفَوْقَ جَمِيعِ الْجَوَارِح ، وَلَسَكُنَّهَا فِي مَعْنَى الدَّجَاج ؛ لِمَسْكَانِ الْبَرَاثِنِ
وَلَعَدَمِ الْخَالَِب ^(١) .

(وفاء المصافير)

وَلَقَدْ رَأَيْتُ سِنِّيْرًا وَثَبَ عَلَى فَرْخٍ عَصْفُورٍ فَأَخْطَأَهُ ^(٢) فَتَنَاولَ الْفَرْخَ
بَعْضُ الْغِلْمَانِ فَوَضَعَهُ فِي الْبَيْتِ ، فَكَانَ أَبُوهُ يَجِيءُ حَتَّى يَطْعَمَهُ ، فَلَمَّا
قَوِيَ ^(٣) وَكَادَ يَطِيرُ جَعَلَهُ فِي قَفْصٍ ، فَارَأَيْتُ أَبَاهُ يَجِيءُ يَتَخَرَّقُ السَّنَانِيرَ وَهِيَ
تَهْمُّ بِهِ ، حَتَّى يَدْخُلَ إِلَيْهِ مِنْ أَعْلَى فَتُفْتَحُ الْبَابُ ، وَهِيَ تَهْمُّ بِالْوُثُوبِ
وَالِاخْتِطَافِ لَهُ ، حَتَّى يَسْقُطَ عَلَى الْقَفْصِ فَيَنَازِعُهُ سَاعَةً ، فَإِذَا لَمْ يَجِدْ إِلَى
الْوُصُولِ سَبِيلًا طَارَ فَسَقَطَ خَارِجًا مِنَ الْبَيْتِ ، ثُمَّ لَا يَصْبِرُ حَتَّى يَعُودَ . فَكَانَ
ذَلِكَ دَأْبَهُ . فَلَمَّا قَوِيَ فَرْخُهُ أَرْسَلُوهُ مَعَهُ فَطَارَا جَمِيعًا .

وَعَرَفْنَا أَنَّهُ الْأَبُ دُونَ الْأُمِّ لِسَوَادِ اللَّحْيَةِ .

(١) النَّسْرُ مِنْ سِبَاعِ الطُّيُورِ ، وَلَيْسَ مِنْ جَوَارِحِهَا ، فَهُوَ لَا يَصِيدُ إِلَّا فِي النَّدْرَةِ ،
وَلَا يَخَالِبُ لَهُ بَلْ لَهُ أَظْفَارٌ ، وَلَا يَقْوَى عَلَى جَمْعِ أَظْفَارِهِ وَحَمْلِ فَرِيَسَتِهِ كَمَا تَفْعَلُ
الْعُقَابُ بِمَخَالِبِهَا . انْظُرْ مَعْجَمَ الْمَعْلُوفِ ٢٦٠ . وَالرَّيْحَةُ تُشَبِّهُ فِي ذَلِكَ ، كَمَا يَفْهَمُ
مَنْ صَنَعَ الْجَاخِظَ . وَالْخَالَِبُ هُوَ ظَفَرُ الطَّائِرِ الصَّائِدِ .

(٢) ط : « فَأَخْصَاهُ » ، وَصَوَابُهُ فِي س .

(٣) ط : « قَرَبَ » ، وَتَصْحِيحُهُ مِنْ س .

(القول في سماعة صوت الديك)

قال : والدليلُ على أنَّ صوتَ الديك كريةٌ في السَّماعِ ، غيرَ مطربٍ ،
قولُ الشاعر^(١) :

ذَكَرَ الصَّبُوحَ بِسُحْرَةٍ فَارْتَاخَا وَأَمَلَّهُ دِيكَ الصَّبَّاحِ صِيَاخَا
أَوْفَى عَلَى شُرْفِ^(٢) الْجِدَارِ بِسُدْفَةٍ غَرْدًا يَصْفُقُ بِالْجَنَاحِ جَنَاحَا

(صغر قدر الدجاج)

قال : ويدلُّ على صِغَرِ قَدْرِ الدَّجَاجِ عندهم قولُ بَشَّارِ بْنِ بُرْدِ الْأَعْمَى : ١٢٢
بِحَدِّكَ يَا ابْنَ أَقْرَعَ نِلْتَ مَالًا أَلَا إِنَّ اللَّئَامَ لَهُمْ جُدُودُ^(٣)
فَنَ نَذِرُ الزِّيَادَةَ فِي الْمَهْدَايَا أَقْتَ دَجَاجَةً فَيَمْنُ يَزِيدُ^(٤)

(أثر كثرة الدجاج في عدد بيضها وفراريجها)

قال : وإذا كثر الدَّجَاجُ في دارٍ أو إصطبلٍ أو قريةٍ ، لم يكن عددُ
بيضِها وفراريجِها على حَسَبِ ما كان يبيض القليلُ منهم ويَفْرُخُه^(٥) . يعرف
ذلك مُجَّارُ الدَّجَاجِ وَمَنْ اتَّخَذَهَا لِلْغَلَّةِ .

(١) هو أبو نواس . وهذه الخمرية في ديوانه ٢٥٦ .

(٢) الشرف : جمع شرفة ، كغرفة ، وهو ما يوضع في أعلى القصر . وفي الأصل :
« سَعَف » : ولا وجه له . وأثبت ما في الديوان .

(٣) الجِد : الحظ ، جمعه جُدود .

(٤) س : « فن حذر الزيادة . . . » .

(٥) انظر تعليل هذه الظاهرة في ص ٣٣٥ الآتية .

(رعى الدجاج فى مصر)

وهى بِمِصْرَ تَرَعَى كما يَرَعَى الغنم ، ولها راعٍ وقيمٌ .

(فراخ الدجاج وفراخ الحمام)

والموتُ إلى الدَّجاج سريعٌ جداً ، والعادة فى صِغار فراريها خلاف ما عليها
نتوُّ فراخ الحمام ^(١) ؛ لأنَّ الفرَّوج تتصدَّع عنه البَيضة فهو كيَّسٌ ظريف ،
مليح مقبول ، مُحَبٌّ ، غنىٌ بنفسه ، مكتفٍ بمعرفته ، بصيرٌ بموضع معيشته
من لَقَط الحب ، ومن صَيَّد الذُّباب وصغار الطير من الهوام . ويخرج
كاسياً حتى كأنَّه من أولاد ذوات الأربع . ويخرج سريعَ الحركة شديدَ
الصوت حديده ^(٢) ، يُدعى بالنَّقْرِ فيُجيب ، ولا يقال له : قَر ، قَر ، ثلاثَ
مرَّات - حتى يَلْقَنَه . فإن استدبره مستدبرٌ ودعاه عطفَ عليه ، وتنبَّع الذى
يطعمه ويلاعبه ، وإن تباعد من مكانه الأوَّل . فهو آلفٌ شىء . ثمَّ
كلما مرَّت عليه الأيامَ ماق وحق ، ونقص كيسه ، وأقبل قبْحُه وأدبر
مِلْحُه ^(٣) . فلا يزال كذلك حتى ينسلخ من جميع ما كان يُحِبُّ له إلى
ضدِّ ذلك ، ويصير من حالة إلى حال لم يبلغ الانتفاع بذبحه وبيضه
وفراريجه ^(٤) ، وذهب عنهم الاستمتاع بكيسه . ولا يكاد يقبل الشَّحم

(١) ط : « . . . فراريها على ما عليها نتن فراخ الحمام » ، وأصلحته من س . والتتو :
مُخَفَّف التتو أى الظهور .

(٢) حديده : مرادف شديده . وفى الأصل : « حنينه » ، ولا وجه له .

(٣) الملح ، بالكسرة : الملاحه .

(٤) كذا .

حتى يلحقَ بأبيه ، وكذلك إن كانت أنثى ، لا تقبل السمن ، ولا تحمل اللحمَ حتى تكادَ تلحقُ بأمِّها في الجنة .

والفرخ يخرج حارصاً^(١) ساقطاً، أنقصَ من أن يقالَ له مائق ، وأقبحُ شيء . وهو في ذلك عارى الجلد مختلف الأوصال^(٢) متفاوت^(٣) الأعضاء ، ضعيفُ الحوصلة^(٤) ، عظيم المنقار . فكلَّمَا مرَّت به الأيام زادت في لحمه وشحمه ، وفي معرفته وبصره ، حتى إذا بلغ خرجَ منه من الأمور المحمودَةِ ما عسى لو أنَّ واصفاً تنبَّع ذلك ملأً منه الأجساد الكثيرة^(٥) . ثم إذا جاز حدَّ الفراخ إلى حدِّ النواهض^(٦) ، إلى حدِّ العُتق والمخالب^(٧) ، قلَّ لحمه وذهب شحمه على حساب ذلك ينقص . فإذا تمَّ وانتهى لم تكنْ في الأرض دابةً ولا طائرٌ أقلَّ شحمًا ولا أخبثَ لحمًا منه ، ولا أجدرَ ألاَّ يقبلَ شيئاً من السمن ١٢٣ ولو تخيَّروا له فؤارة^(٨) المسمنات وما يسمَّن به — ما سمن .

(١) الحارص : الضعيف المريض .

(٢) الأوصال : الأعضاء . وفي صفة الرسول الكريم أنه كان « فعم الأوصال » وفي اللسان : أى يملأ الأعضاء .

(٣) في الأصل : « متقارب » .

(٤) في الأصل : « ضعيف القوة » ! واعتمدت في تصحيحه على ما سيأتى من مثل هذا الكلام في ٣ : ١٥٢ .

(٥) مبالغة جاحظية .

(٦) الناهض : الفرخ الذى قد وفر جناحاه ونهض للطيران .

(٧) العتق : جمع عاتق ، وهو فوق الناهض ، حين ينبت له ريش شديد . و « المخالب » هكذا جاءت ، ولعلها « الجوازل » .

(٨) الفؤارة والفؤرة والفيرة : حلبة وتمر يطبخ للنساء . في الأصل : « فؤارة » محرفة .

(علة قلة البيض والفراخ إذا كثر الدجاج)

وسألت عن السبب الذى صار له الدجاجُ إذا كثُرَ قلَّ بيضهنَّ وفراجهنَّ ، فزعموا أنَّها فى طباع النخل ، فإن النخلة إذا زحمت أختها ، بل إذا مسَّ طرفُ سعفِها طرفَ سعفِ الأخرى وجاورتها ، [و] ^(١) ضيقت عليها فى الهواء ، وكذلك أطراف العروق فى الأرض — كان ذلك كرباً عليها وغماً .

قالوا : فتدانيها وتضاغطُها ، وأنفاسها وأنفاسُ أبدانها ، يحدث لها فساداً .

قال : وكما أنَّ الحمامَ إذا كثُرَ ^(٢) فى الكُنَّة والشريعة ^(٣) احتاجت إلى شمس وإلى ماء تغتسل فيه فى بعض الأحيان ، وإلى أن تسكون يئونها مكنوسة ^(٤) فى بعض الأوقات ومرشوشة ، وإلا لم يكن لها كبيرُ بيض . على أنه إذا كان لها [فى الصميمين ^(٥)] الدَّفء فى الشتاء والكن فى الصيف ، لم تُغادر الدهر كله أن تبيض .

(١) ليست بالأصل .

(٢) فى الأصل : « كثر » .

(٣) الكنة ، بالضم : جناح يخرج من حائط ، أو سقيفة فوق باب الدار ، أو رف فى البيت . والشريعة : بيت من قصب يتخذ للحمام . وفى الأصل : « الشريعة » ، وليس لها وجه .

(٤) ط : « مكنونة » ، وتصحيحه من س .

(٥) للصميمان يراد بهما الصيف والشتاء فى أشد حالتيهما . وهذه التسمية من س .

(فخر صاحب الديك بكثرة ما اشتق من البيض)

قال صاحب الديك : فخرتم للكلب بكثرة ما اشتق^١ للأشياء من اسم الكلب ، وقد اشتق^٢ لأكثر من ذلك العدد من البيض ، فقالوا لقلائس الحديد : بيض^٣ ، وقالوا : فلان يدفع عن بيضة الإسلام ، وقالوا : قال على^٤ ابن أبي طالب رضي الله عنه : أنا بيضة البلد . وفي موضع الظم من قولهم^(١) : تأتي قضاة أن تدري لكم نسباً وابننا نزار^٢ وأنتم بيضة البلد ويسمى رأس الصوامة والقبعة بيضة . ويقال للمجلس إذا كان معموراً غير طول بيض^٣ جائمة^(٢) ، ويقال للوعاء الذي يكون فيه الحبن^(٣) والخراج^(٤) وهو الذي يجتمع فيه القيح - بيضة . وقال الأشر بن عبادة :

يكف^١ غروبها ويغض^٢ منها وراء القوم خشية أن يلاموا
مظاهرها بيضتين على دلاص^٣ به من وقعة^٤ أخرى كلام^٥

وقال النابغة :

فصبحتهم ملئمة^١ رداحاً كأن رؤوسهم بيض^٢ النعام

(١) أي قول شاعرهم ، وهو الراعي كما في الحيوان ٤ : ٣٣٦ واللسان (بيض) وثمار

القلوب ٣٩٢ والعمدة ٢ : ١٥٣ ، يهجو على بن الرقاع العامل .

(٢) كذا .

(٣) الحبن ، بكسر الحاء : الدمل . وفي الأصل : « الحبن » ، وهو تصحيف .

(٤) الخراج ، كفراب ، ورم قرح يخرج بدابة أو غيرها من الحيوان .

وقال العجير السلولى (١) :

إذا البَيضةُ الصَّمَاءُ عَضَّتْ صَفِيحَةً يَحْرِبُهَا صَاحَتْ صِيحَاً وَصَلَّتْ (٢)

(شرط أبي عباد في الخمر)

ولما أنشدوا أبا عبيد النمرى (٣) قول ابن ميادة ، وهو الرَّمَّاح :

ولقد غَدَوْتُ عَلَى الْفَتَى فِي رَحْلِهِ قَبْلَ الصَّبَاحِ بِمُتَرَعٍ نَشَاجٍ (٤)

جَادَ الْقَلَالُ لَهُ بَدْرٌ صَبَابَةٌ حَمَرَاءُ مِثْلَ سَخِينَةِ الْأَوْدَاجِ (٥) ١٢٤

حُبِسَتْ ثَلَاثَةٌ أَحْرُسٍ فِي دَارَةٍ قَوْرَاءَ بَيْنَ جَوَازِلٍ وَدَجَاجٍ (٦)

تَدْعُ الْغَوَى كَأَنَّهُ فِي نَفْسِهِ مَلِكٌ يَعَصَّبُ رَأْسُهُ بِالنَّجَاجِ (٧)

(١) العجير السلولى : شاعر من شعراء الدولة الأموية ، مقلد . ويصح أن يقرأ اسمه بضم العين وفتحها . (الخزائن ٢ : ٢٩٨ يولاق) . وعده ابن سلام في الطبقة الخامسة من شعراء الإسلام . وانظر الأغاني ١١ : ١٤٦ - ١٥٤ . وفي الأصل : « العجيز » ، محرفة .

(٢) يقول : إذا ضرب السيف مسمار تلك البيضة بدا لها صوت عال وصليل .

(٣) انظر هذا الجزء ص ١٩٣ .

(٤) المترع أراد به قبح الخمر . والنشاج : الذى يغلى مافيه من الخمر حتى يسمع صوته .

(٥) القلال : جمع قلة ، بالضم ، وهى الجرة العظيمة .

(٦) الأحرس : جمع حرس بالفتح ، وهو الدهر . وفي الأصل : « أحرس » وهو تصحيف .
والدارة : الرملة المستديرة . والقوراء : اللواصة .

(٧) الغوى : الضال . وفي ط : « القوى » .

وَيُظَلُّ بِحَسَبِ كُلِّ شَيْءٍ حَوْلَهُ مُنْجَبَ الْعِرَاقِ نَزَلْنَ بِالْأَحْدَاجِ

فَحِينَ سَمِعَهُ أَبُو عَبَّادٍ يَقُولُ :

حُبِسَتْ ثَلَاثَةٌ أُخْرُسٍ فِي دَارَةٍ قَوْرَاءَ بَيْنَ جَوَازِلٍ وَدَجَاجٍ^(٢)

قال : لو وجدتُ خُمرًا زَيْتِيَّةَ ذَهَبِيَّةَ^(٣) ، أَصْنَى مِنْ عَيْنِ الْمَدِيكِ ، وَعَيْنِ الْغَرَابِ ، وَلِعَابِ الْجُنْدِبِ وَمَاءِ الْمَفَاصِلِ^(٤) ، وَأَحْسَنَ حَمْرَةً مِنَ النَّارِ ، وَمِنْ نَجِيعِ غَزَالٍ^(٥) ، وَمِنْ قُوَّةِ الصَّبَاغِ^(٦) - لَمَّا شَرِبْتُهَا حَتَّى أَعْلَمَ أَنَّهَا مِنْ عَصِيرِ الْأَرْجَلِ ، وَأَنَّهَا [مِنْ] ^(٧) نَبَاتِ الْقَرْيِ ، وَمَا لَمْ تَكْدُرْ فِي الزَّقَاقِ^(٨) ،

(١) النجب هنا : جمع نجبية ، وهى النافقة السكرية . وهذه اللفظة مهملة من الأعجام فى س .

(٢) فى الأصل : « حبست ثلاثة أخرس » وانظر الصفحة السابقة . والأحداج : جمع حنج بالكسر : مركب للنساء . والمعنى أنه يخال الشيء الدقيق عظيمًا ، مما لعبت برأسه الخمر ، مثله قوله :

وَأُخْرَى بِالْمَقْتَنَلِ ثُمَّ رَحْنَا نَرَى الْمَصْفُورَ أَكْظَمَ مِنْ بَعِيرٍ

(٣) س : « لو وجدت حمرًا . . . » و « زيتية » : لونها لون الزيت . ومنه قول أبى نواس (انظر أخبار أبى نواس ٢٠٨ ، ٢٢١) :

فَجَاءَ بِهَا زَيْتِيَّةٌ ذَهَبِيَّةٌ فَلَمْ نَسْتَطِعْ دُونَ السُّجُودِ لَهَا صَبْرًا

(٤) المفاصل هى منفصل الجبل من الرملة يكون بينها رضراض وحصى صفار ، فيصفو ماؤه ويرق . (٥) نجيع الغزال : دمه .

(٦) القوة : جاء فى المعتمد نقلًا عن كتاب ابن جزلة : « وتعرف بقوة الصباغين » .

وفى تذكرة داود : « القوة وتسمى عروق الصباغين » . وقد جاء هذا اللفظ فى كل من اللسان والقاموس بمادى (ف وو) و (ف وه) ، فعلى الأولى يكون منتهيًا بـ تاء مثل قوة ، وحوه . وعلى الثانية يكون منتهيًا بالهاء على وزن سكر . والحق أنه من المادة الأولى بدليل الاشتقاق منه ، تقول : ثوب مقوى : مصبوغ بها ، كما تقول شيء مقوى من القوة . وتقول أيضًا : أرض مقواة : ذات قوة ، أو كثيرة القوة . وجاء فى صحاح الجوهري من المادة الأولى فقط . والقوة ، كما قال أبو حنيفة : عروق ولها نبات يسمو دقيقًا فى رأسه حب أحمر شديدة الحمرة ، كثير الماء ، يكتب بمائه وينقش . قال الأسود بن يعفر :

جَرَّتْ بِهَا الرِّيحُ أَذْيَالًا مَظَاهِرَةً كَمَا تَجْرُ ثِيَابُ الْقُوَّةِ الْعَرَسِ

والصباغ : من يلون الثياب . وفى الأصل : « قوة الصباغ » وهو تحريف - صوابه ما أثبت .

(٧) التشكلة من س . (٨) س : « وما لم تكدُر فى الزقاق » .

وَأَنَّ الْعَنْكَبُوتَ قَدْ نَسَجَتْ عَلَيْهَا ، وَأَنَّهَا لَمْ تَصِرْ كَذَلِكَ إِلَّا وَسْطَ دَسْكَرَةٍ ،
وَفِي قَرْيَةٍ سَوَادِيَّةٍ^(١) وَحَوْلَهَا دَجَاجٌ وَفَرَارِيحٌ . وَإِنْ لَمْ تَكُنْ رَقِطَاءً أَوْ فِيهَا
رُقُطٌ فَإِنَّهَا لَمْ تَمْ كَمَا أُرِيدُ . وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا أَنِّي لَا أُنْتَفِعُ بِشُرْبِهَا حَتَّى يَكُونَ
بَاطِعُهَا عَلَى غَيْرِ الْإِسْلَامِ ، وَيَكُونَ شَيْخًا لَا يُفْصَحُ بِالْعَرَبِيَّةِ ، وَيَكُونَ قَبِيضُهُ
مَنْقُطًا^(٢) بِالْقَارِ . وَأَعْجَبَ مِنْ هَذَا أَنَّ الَّذِي لَا بَدْءَ مِنْهُ أَنْ يَكُونَ اسْمُهُ إِنْ كَانَ
مُجُوسِيًّا شَهْرِيَّارَ ، وَمَازِيَّارَ ، وَمَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، مِثْلَ أَدِيرَ ، وَارْدَانِ ، وَبَازَانَ .
فَإِنْ كَانَ يَهُودِيًّا فَاسْمُهُ مَانِشَا ، وَأَشْلُومَا ، وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ . وَإِنْ كَانَ نَصْرَانِيًّا فَاسْمُهُ
يُوشَعَ وَشَمْعُونَ وَأَشْبَاهَ ذَلِكَ .

(استطراد لغوى)

وَيَقَالُ حَمْسَ الشَّرِّ وَأَحْمَسَ إِذَا اشْتَدَّ . وَيَقَالُ قَدْ احْتَمَسَ الدِّيكُ إِنْ كَانَ
احْتِمَاسًا ، إِذَا اقْتَتَلَ اقْتِتَالًا شَدِيدًا . وَيَقَالُ وَقَعَ الطَّائِرُ يَقَعٌ وَقُوعًا . وَكُلُّ وَاقِعٍ
فَصْدْرُهُ الْوُقُوعُ ، وَمَكَانُهُ مَوْقَعَةٌ^(٣) ، وَالْجَمْعُ مَوَاقِعُ . وَقَالَ الرَّاجِزُ^(٤) :
كَأَنَّ مَتْنِيهِ مِنَ النَّقْيِ^(٥) مَوَاقِعَ الطَّيْرِ عَلَى الصُّبْحِ

-
- (١) سَوَادِيَّةٌ : مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَوَادِ الْعِرَاقِ ، أَيْ قَرَاهُ .
(٢) أَيْ مَلُوثًا بِهِ فِي مَوَاضِعَ مُخْتَلِفَةٍ . س : « مَنْقُطًا » .
(٣) فِي الْأَصْلِ : « مَوْقَعُهُ » وَتَصْحِيحُهُ مِنَ الْأَمْثَالِ ٢ : ٨ وَاللَّسَانُ وَالْقَامُوسُ
(وَقَعُ ، وَهِيَ يَفْتَحُ الْكُفَّافُ وَتَكْسُرُ .
(٤) هُوَ الْأَخْبِيلُ كَمَا فِي اللَّسَانِ (وَقَعُ ، صُنِيَ ، نَقِيَ) . يَصِفُ سَاقِيَا يَسْتَقِي مَاءَ مَلْحَا .
(الْأَمْثَالُ ٢ : ٨) .
(٥) الْمَتْنَانُ : مَكْتَنَفَا الصَّلْبِ . وَفِي ط : « مَتْنِيهِ » وَصَوَابُهُ فِي س ، وَمَا سَبَقَ مِنَ الْمَرَاجِعِ .
وَفِي اللَّسَانِ : (قَالَ ابْنُ سَيِّدِهِ : كَذَا أَنْشَدَهُ أَبُو عَلِيٍّ . وَأَنْشَدَهُ ابْنُ دُرَيْدٍ
فِي الْجُمُحَةِ : « كَأَنَّ مَتْنِي » ، قَالَ : وَهُوَ الصَّحِيحُ لِقَوْلِهِ بَعْدَهُ :
* مِنْ طَوْلِ إِشْرَاقِي عَلَى الطَّوِيِّ *)

يقال صَفَاءً وَصُنًى . وَالنَّفْيُ : مانى الرِّشَاءَ من الماء ، وما تَنَفَّيه مشافراً
الإبل من الماء المَدِير^(١) . فَشَبَّهَ مكانَهُ على ظهر الساقى والمستقى بِذَرْقِ الطَّيْرِ
على الصَّفا .

ويقال « وقع الشيء من يدي وقوعاً ، وسقط من يدي سقوطاً » . ويقال
وقع الربيع بالأرض ، ويقال سقط . وقال الراعى :
وقع الربيع وقد تقاربَ خطُّوه ورأى بعقوبته أزلَّ نسولاً

(لؤم الفروج)

١٢٥ قال : وكان عِنْدَنَا فَرْجٌ ، وفى الدار سنائيرُ تُعَابِثُ الحمامَ وفراخه ،
وكان الفروج يهرَّب منها إلى الحمام ، فجاءونا^(٢) بِدُرَّاج ، فترك الحمامَ وصار
مع الدُّرَّاج ، ثمَّ اشترينا فَرْجاً كَسَكْرِيًّا^(٣) للذَّبْحِ فجعلناه فى قفص ، فترك
الدُّرَّاج ولزم قُرْبَ القفص ، فجئنا بِدَجَاجَةٍ فترك الدُّيكَ وصار مع الدَّجاجة ،
فَدَكَرْتُ قولَ الفِزْرِ^(٤) عبد بنى فزارة - وكانت بأُذُنِهِ خُرْبَةٌ^(٥) - :

(١) الماء المَدِير : الذى به المدر ، وهو الطين اليابس .

(٢) كذا فى س . وفى ط : « فجاءنا » !

(٣) سبق القول فى الدجاج الكسكرى ص ٢٤٨ .

(٤) ش : « العرر » وسائر النسخ : « الغرير » ، صوابه من رسائل الجاحظ ٥٤ ساسى .

(٥) الخربة ، بالضم : ثقب شحمة الأذن . فى الأصل : « ضربة » تحريف . قال ذوالرمة :

كانه حبشى يبتغى أثراً - أو من معاشر فى آذانها الخرب

إِنَّ الْوَنَامَ يَتَبَرَّعُ فِي جَمِيعِ الطَّمَشِ^(١) ، لَا يَقْرُبُ الْعِزُّ الضَّانَ مَا وَجَدَتْ الْمِعْزَ ،
وَتَنْفِرُ مِنَ الْمِسْخَلَبِ وَلَا تَتَأَنَسُ بِالْخَفِّ . فَجَعَلَهَا كَمَا تَرَى تَنْفِرُ وَلَا تَتَأَنَسُ مَنْزِلَهُ
وَكَذَلِكَ حَدَّثَنَا الْأَصْمَعِيُّ قَالَ : قُلْتُ لِلْمُنْتَجِعِ بْنِ نَبْهَانَ - وَكَانَتْ
بِأُذُنِهِ خَرِبَةٌ^(٢) - أَكَانَ تَمِيمٌ مُسْلِمًا ؟ قَالَ : إِنْ كَانَ هُوَ الَّذِي سَمَّى ابْنَهُ زَيْدًا
مِنَاةً فَكَانَ مُسْلِمًا ، وَإِلَّا يَكُنْ هُوَ الَّذِي سَمَّاهُ فَلَا أَدْرَى . وَلَمْ يَقُلْ : وَإِلَّا يَكُنْ
هُوَ سَمَّاهُ فَقَدْ كَانَ مُسْلِمًا .

(الْوَنَامُ)

والوئام : المشاكلة . وقالوا : نقول العرب : « لولا الوئام لهلك الأنام^(٣) » .
وقال بعضهم : تأويلُ ذلك : لولا أَنَّ بعضَ الناسِ إذا رأى صاحبه قد صنعَ
خيرًا فتشَبَّهَ بِهِ لهلك الناسُ . وقال الآخرون : إِنَّمَا ذَهَبَ إِلَى أَنَسٍ بَعْضُ
الناسِ بَبَعْضٍ ، كَأَنَّهُ قَالَ : إِنَّمَا يَتَعَايَشُونَ عَلَى مَقَادِيرِ الْأُنْسِ الَّذِي بَيْنَهُمْ ؛ وَلَوْ
عَمَّتْهُمُ الْوَحْشَةُ عَمَّتْهُمُ الْهَلَكَةُ . وقال قومٌ بن مالك ، في الوئام :
عَلَامَ أَوَائِمِ الْبِخْلَاءِ فِيهَا فَأَقْعَدَ لَا أَزُورُ وَلَا أُزَارُ

(١) في الأصل : « إِنْ الْوَمُ يَسْرِعُ فِي جَمِيعِ الْعَطَشِ » . صوابه من رسائل الجاحظ ١ : ١٧٧
بتحقيقنا . والمراد بالطمش الخلق من إنسي ووحشي . والتزوع : التسرع .

(٢) في الأصل : « ضَرْبَةٌ » . وانظر رسائل الجاحظ ١ : ١٩٨ .

(٣) ويروى : « هَلَكَ اللَّثَامُ » و : « هَلَكْتَ جِذَامٌ » . قال الزخشرى في الأساس

(وأم) : « أَيْ لَوْلَا أَنَّ الْكِرَامَ وَأَهْلَ الْخَيْرِ يَحْكِيهِمْ غَيْرُهُمْ وَيَتَشَبَّهُونَ بِهِمْ لَكَانَ

الْهَلَاكُ » . وانظر المثل في الميداني ٢ : ١١١ والمخصص ١٢ : ١٥١ .

وقال الأخطل :

نازعته في الدجى الرَّاحَ الشُّمُولَ وقد

صاحَّ الدَّجَاجُ وحانتْ وقفة المسارى^(١)

وقال جرير :

لَمَّا مَرَزْتُ عَلَى الدَّيْرَيْنِ أَرْقَى صَوْتُ الدَّجَاجِ وَقَرَعُ الْبُلْبُلِ^(٢)

(شعر في الديكة والدجاج)

قالوا : وقد وجدنا الدِّيَكَةَ والدَّجَاجَ وأفعالها ، مذكورات في مواضع

كثيرة ، قال ذو الرُّمَّة :

كَأَنَّ أَصْوَاتَ مَنْ يُغَالِنُ بَنَى أَوَاخِرَ الْمَيْسِ أَصْوَاتُ الْفَرَارِيحِ^(٣)

وقال الهذلي^(٤) :

وَمِنْ أَيْنِهَا بَعْدَ إِبْدَانِهَا وَمِنْ شَحْمِ أَثْبَاجِهَا الْهَابِطُ^(٥)

(١) ط : « وقعة السارى » .

(٢) هذا البيت من الشواهد المتنازعة في كتب اللغة والأدب والنحو . والرواية المشهورة فيه : « لما تذكرت بالديرين » . وصاحب العقد يرى أنه أراد ديـرا واحدا هو دير الوليد بالشام (العقد ٤ : ١٠) . وصاحب معجم البلدان يصرح بأنه أراد ديرين وهما « دير فطرس » و « دير بطرس » بظاهر دمشق . وروى بيتاً آخر لجرير في رثاء ولده ، وهو :

إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالْدَيْرَيْنِ بَاكِيَةٌ فَرَبَ بَاكِيَةٍ بِالرَّمْلِ مَعْوَالٍ

(٣) قد فصل بين المتضايقين — وهما أصوات ، وأواخر — بالجار والمجرور . يريد : كأن أصوات أواخر الميس — بسبب إيغال هذه الإبل بنا — أصوات الفراريج . والميس : شجر تتخذ منه الرحال . وانظر الكلام على هذا البيت في الخزانة ٤ : ٨٠ سلفية وكتاب سيويو ١ : ٩٢ ، ٢٩٥ ، ٣٤٧ بولاق .

(٤) هو أسامة الهذلي . ديوان الهذليين ٢ : ١٩٥ وفي اللسان (هبط) .

(٥) كذا في ط : واللسان (مادة هبط) . وفي س : « بعد إبدائها » . والأثباج : الأعلى .

تَصِيحُ جَنَادِيَهُ رُكْدًا صِيَاَحَ الْمَسَامِيرِ فِي الْوَاسِطِ (١)
فَهُوَ عَلَى كُلِّ مُسْتَوْفَزٍ سَقُوطُ الدَّجَاجِ عَلَى الْخَائِطِ

١٢٦

وَقَالَ مَرْوَانُ بْنُ مُحَمَّدٍ (٢) :

ضِيَعٌ مَأُورَثُهُ رَاشِدٌ مِنْ كَيْلَةِ الْأَكْدَاسِ فِي صَفِّهِ (٣)
غَرْبًا كُدْسٍ قَدْ عَلَا رَمْسَهُ كَالَّذِيكَ إِذْ يَعْلُو عَلَى رَفِّهِ

(بَيْضَةُ الدِيَكِ وَبَيْضَةُ الْعُقْرِ)

وَيَقَالُ فِي الْمَثَلِ لِلَّذِي (٤) يُعْطَى عَطِيَّةً لَا يَعُودُ فِي مِثْلِهَا : « كَانَتْ بَيْضَةُ
الدَّيْكَ » . فَإِنْ كَانَ مَعْرُوفٌ لَهُ قَبِيلٌ : « بَيْضَةُ الْعُقْرِ » (٥) .

(اِسْتِطْرَادُ لُغَوِي)

وَيَقَالُ دَجَاجَةٌ بَيَوضُ فِي دَجَاجٍ بَيْضٍ وَيُبْيَضُ ، بِإِسْكَانِ مَوْضِعِ الْعَيْنِ
مِنْ الْفَعْلِ مِنْ لُغَةِ سَفْلَى (٦) مُضَرٌ ، وَضَمٌّ مَوْضِعِ الْعَيْنِ مِنْ نَظِيرِهِ مِنْ الْفَعْلِ مَعَ
الْفَاءِ مِنْ لُغَةِ أَهْلِ الْحِجَازِ .

(١) واسط الرحل : وسطه .

(٢) هو الشاعر المعروف بأبي الشمقمق . انظر ترجمته في الجزء الأول ٢٢٥ .

(٣) الأكداس : جمع كدس بالضم ، وهو الحب المحصود المجموع . ط : « ضيع
ماورثه راشد » .

(٤) في الأصل : « الذي » .

(٥) أى فإن كان قد سبق معروف له قبل هذه المرة التى قطع فيها معروفه . قال أبو عبيد :

يَقَالُ لِلْبَيْخِيلِ يُعْطَى مَرَّةً ثُمَّ لَا يَعُودُ : كَانَتْ بَيْضَةُ الدَّيْكَ . فَإِنْ كَانَ يُعْطَى
شَيْئًا ثُمَّ قُطِعَ قَبِيلُ الْمَرَّةِ الْآخِرَةِ : كَانَتْ بَيْضَةُ الْعُقْرِ . انظر اللسان وأمثال الميداني

١ : ٨٦ وثمار القلوب ٣٩٢ - ٣٩٣ .

(٦) في الأصل : « سفلى » .

ويقال عمد الجرح يعمد عمداً ، إذا عُصر^(١) قبل أن ينضج فورم ولم يُخرج بيضته^(٢) ، وذلك الوعاء والغلاف الذي يجمع المدة يسمى بيضة . وإذا خرج ذلك بالعصر من موضع العين فقد أفاق صاحبه .
ويقال حصن الطائر فهو يحصن حصناً^(٣) .

(السفاد والضراب ونحوهما)

ويقال هو التسافد^(٤) من الطير ، والتعاظم من السباع . ويقال قَط الحام الحامة وسفدها . ويقال قَعَا الفحل يقعو قَعُوا ، وهو إرساله بنفسه عليها في ضرابه . والفحل من الحفَّ يَضْرِب ، وهو القَعُو والضراب . ومن الظِّلْف والحافر ينزو نزواً ، وكذلك السنائر . والظليم يقعو ، وكلّ الطير يقعو قَعُوا . وأما الحفَّ والظِّلْف فإنه يقَعُو بعد التسنم . وهو ضراب^(٥) كلّه ما خلا التسنم . وأما الظِّلْف خاصّة فهو قَافِط ، يقال قَفَط يقفُط قَفْطاً . أو القفُط نزوة واحدة . وليس في الحافر إلاّ النزو .

(حصن الدجاج بيض الطاوس)

قال : ويوضع بيض الطاوس تحت الدجاجة ، وأكثر ذلك لأنّ الذَّكَر يعبث بالأنثى إذا حصنت . قال : ولهذه العلة كثير من إناث

(١) ط : « عصر » ، وتصحيحه من س .

(٢) في اللسان : « ولم تخرج بيضته » .

(٣) وكذا حصنا ، وحصانة بالكسر ، وحصونا .

(٤) في الأصل : « السفاد » .

(٥) ط : « ضرابه » ، وأثبت ما في س .

طير الوحش يهْرَبْنَ بيضهنَّ من ذكورتها ، ثمَّ لاتضعه بحيث يشعر به ذكورتهنَّ .

قال : ويُوَضَّعُ ^(١) تحت الدجاجة بيضتان من بيض الطاوس ، لانتقوى على تسخين أكثر من ذلك . على أنَّهم يتعهدون الدجاجة بجميع حوائجها خوفاً من أن تقوم عنه فيفسده الهواء .

(خصى ذكور الطير)

قال : وَخَصَّى ^(٢) ذكور أجناس الطير تكونُ في أوان أول السفاد أعظم . وكلَّما كان الطير أعظم سفاداً ، كانت خصيته أعظم ، مثل الديك ، والقَبَج ، والحَجَل .
وخصية العصفور أعظم من خصية مايساويه في الجثة مرتين .

(بيض الدجاج)

قال : وكلُّ ما كان من الدجاج أصغر جثةً يكون أكبر لبيضه ^(٣) .
وبعض الدجاج يكون يبيض ببيضاً كثيراً ، وربما باض بيضتين في يوم واحد ؛
وإذا عرض له ذلك كان من أسباب موته

(١) ط : « ترضع » وتصحيحه من س .

(٢) في الأصل : « وخصا » .

(٣) كذا بالأصل . وهو تحريف ، انظر لتصحيحه ج ٣ ص ١٦٩ - ١٧٠ .

(شعر في صفة الديك)

وقال آخر^(١) في صفة الديك :

ماذا يُؤرِّقني والنومُ يُعجِّبني

مِنْ صَوْتِ ذِي رَعَنَاتٍ سَاكِنِ الدَّارِ^(٢)

كَأَنَّ حُمَاضَةً فِي رَأْسِهِ نَبَتَتْ . مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَدْ هَمَّتْ بِإِثْمَارِ^(٣)

وقال الطَّرمَّاح :

فِيَا صَبِيحُ كَمْ شِئْ غَبَرَ اللَّيْلُ مُصْعِدًا بَيْمَ وَنَبَّةٍ ذَا الْعَفَاءِ الْمَوْشِحِ^(٤)

إِذَا صَاحَ لَمْ يُخَذَّلْ وَجَاوَبَ صَوْتَهُ

حَمَاشُ الشَّوَى يَصْدَحْنَ مِنْ كُلِّ مَصْدَحِ^(٥)

(١) البيتان في اللسان (حمض) والحماسة ١٨٨٣ بشرح المرزوقي ومحاضرات الراغب

٢ : ٣٠١ بدون نسبة . والبيت الأول في اللسان (رعث) منسوب إلى الأخطل .

(٢) في اللسان : « ورعثة الديك : عشونه ولحيته » .

(٣) قال أبو حنيفة : « الحماض من العشب ، وهو يطول طولاً شديداً ، وله ورقة عظيمة

وزهرة خراء . وإذا دنا يبسه ابيضت زهرته ، والناس يأكلونه » . ورواية اللسان :

« من آخر الصيف » ، ورواية الراغب : « من أول الصيف » .

(٤) سبق البيتان في ص ٢٥٤ ، وفي الأصل : « غير الليل » محرف . وفي ط : « ينم »

وتصحيفه من س والديوان . وفي الأصل : « وفيه ذا العفاء » ، وتصحيحه من الديوان .

(٥) انظر ص ٢٥٤ . وفي س : « يصرخن من كل مصرخ » .

(حضن الحمام بيض الدجاج)

قال : والفروج إذا خرج من بيضه عن حضن الحمام ، كان أكيس له .

(بيض الطاوس)

وبيضُ الطَّائِوس إذا لم تحضنه الأنثى التي باضته خرج الفرخ أفاقاً^(١) وأصغر .

(بيض الدجاج)

قال : وإذا أهرمت^(٢) الدجاجة فليس لأواخر ماتبيض صفرة . وقد عاينوا للبيضة الواحدة مُحْتَيْن ، خبرني بذلك جماعة مَن يتعرّف^(٣) الأمور . وإذا لم يكن للبيضة مُحٌّ لم يُخلق من البيضة فروج ولا فرخ ؛ لأنّه ليس له طعام يغذوه ويُرِيّيه . [والبيض^(٤)] إذا كان فيه محتان وكان البياض وافراً - ولا يكون ذلك للمسنّات - فإذا [كان كذلك^(٤)] خلق الله تعالى من البياض فروجين ، وتربّى الفروجان^(٥) ، وتمّ الخلق ؛ لأنّ الفرخ إنّما يخلق من البياض ، والصفرة غذاء الفروج .

(١) أفاقاً : من القماء ، بمعنى الصغر .

(٢) هي صحيحة . يقال : أهرمه الدهر وهرمه بالتشديد .

(٣) كذا في س . وفي ط : « يعرف » .

(٤) زدت هذا لحاجة الكلام إليه .

(٥) في الأصل : « وهناك محتين (كذا) تربى الفروجان » .

(استطراد لغوى)

قال : ويقال قَفَطَ الطائر يقفط قفطاً ، وسفد يسفد سفاداً ، وهما واحد .
ويكون السفاد للكلب والشاة . ويقال قَطَ الحمام يقمط قطاً .

ويقال ذَرَقَ الطائر يذرق ذرقاً ، وخزق يخزق خزقاً ، ويقال ذلك للإنسان . فإذا اشتق له من الخدقة نفسه ومن اسمه الذى هو اسمه ^(١) قيل خرى ، وهو الخرق والخراء ^(٢) . ويقال للحافر راث يروث ، وللمعز والشاة ^(٣) : بعربع . ويقال للنعام : صام [يصوم] ، وللطير : [نجا] ينجو ^(٤) واسم نجو النعام الصوم ، واسم نجو الطير العرة . وقال الطرمّاح :
فى شَنَاطِي أَقْنِ بَيْنَهَا عُرَّةَ الطَّيْرِ كَصَوْمِ النِّعَامِ ^(٥)
ويقال للصبى عَقَى ^(٦) ، مأخوذ من العقى .

ويقال لحمت الطير . ويقال لحم طائر كإلحاما ^(٧) ، أى أطعمته لحماً واتخذ له . ويقال هى لحمة النسب . ويقال ألحمت الثوب إلحاما ، وألحمت الطائر إلحاماً ، وهى لحمة الثوب ، ولحمة ، بالفتح والضم .

(١) عبارة مبهمة . ومبلغ الظن أنها محرفة .

(٢) فى الأصل : « والخراة » .

(٣) فى الأصل : « والشاة » ، ووجه ما أثبت .

(٤) زدت الكلمتين السالفتين ليلتئم الكلام . و « ينجو » هى فى الأصل : « نجو » .

(٥) فى اللسان : « شَنَاطِي الجبال : أعاليها وأطرافها ونواحيها ، واحدها شَنْطُوة » .
و « الأَقْنِ » : حفر تكون بين الجبال ينبت فيها الشجر ، واحدها أَقْنَة و « عرة الطير : ذرقها » . وصدر البيت محرف فى سر هكذا : « فى شَنَاطِي أمر بها » . وانظر ديوان الطرمّاح ٩٧ و اللسان (شَنْطُ وَأَقْنِ) .

(٦) فى الأصل : « عَقَى » ، وتصحيحه من اللسان والقاموس .

(٧) فى الأصل : « لحم طائر كإلحاما » .

(صفاء عين الديك)

ومن خصال الديك المحموده قولهم في الشراب : « أَصْفَى مِنْ عَيْنِ
الديك » وإذا وصفوا عين الحمام الفقيع ^(١) بالحمرة ، أو عين الجراد قالوا :
« كَأَنَّهَا عَيْنُ الدِّيكِ . » وإذا قالوا : « أَصْفَى مِنْ عَيْنِ الْغَرَابِ » فإِنَّمَا يريدون ١٢٨
جِدَّتْهُ وَنَفَاذَ الْبَصَرِ .

(ما قيل في عين الديك)

وفي عين الديك يقول الأعشى :
وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرَتْ حَدَّهَا
بَغَرْتَهَا إِذْ غَابَ عَنْهَا بُغَاثُهَا ^(٢)
وقال آخر ^(٣) :

وَكَأْسٍ كَعَيْنِ الدِّيكِ بَاكَرَتْ حَدَّهَا
بِفَتْيَانٍ صِدْقٍ وَالنَّوَاقِيسَ تُضْرَبُ

(١) الفقيع : جنس من الحمام أبيض .

(٢) في ديوان الأعشى ٦٠ : « كَاءُ النِّعَاءِ » . وقالوا : حَدَّ الخمر : صلابتها . الصحاح
واللسان . والمراد بالصلابة قوة تأثيرها . وانظر لوصف الخمر بالصلابة محاضرات
الراغب ١ : ٣٢٨ . وفي الديوان : « إِذَا غَابَ عَنِ » .

(٣) هو الأعشى أيضا ، في الصحاح واللسان . وانظر ديوانه ١٣٧ .

وقال آخر (١) :

قَدَّمْتُهُ عَلَى عُقَارٍ كَعَيْنِ الدِّيبِ لَكَ صَفًى زُلَاهَا الرَّأْوُوقُ

وقال الآخر (٢) :

ثَلَاثَةَ أَحْوَالٍ وَشَهْرًا مُجْرَمًا تَضَى كَعَيْنِ الْعُرْفَانِ الْمَجَاوِبِ

وَالْعُرْفَانِ مِنْ أَسْمَاءِ الدِّيبِ ، وَسَمَاءِ الْمَجَاوِبِ كَمَا سَمَّاهُ بِالْعُرْفَانِ .

(وصف الماء الصافي)

وإذا وصفوا الماءَ والشَّرَابَ بِالصَّافِي قَالُوا ، كَأَنَّهُ الدَّمْعُ ، وَكَأَنَّهُ مَاءُ قَطْرٍ ، وَكَأَنَّهُ [ماء] (٤) مَفْصِلٌ ، وَكَأَنَّهُ لِعَابُ الْجَنْدَبِ . إِلَّا أَنَّ هَذَا الشَّاعِرُ قَالَ :

مَطْبَقَةٌ مَلَانَةٌ بَابِلِيَّةٌ كَأَنَّ حُمَيْهَا عُمُونُ الْجَنَادِبِ (٥)

(١) هو عدى بن زيد العبدي كما في الأغاني ٥ : ١٥٨ ، ١٥٩ ، ١٦٥ و ٦ = ١١٩ ، ١٢٨ . والرواية فيما عدا الموضع الثالث :

قَدَّمْتُهُ عَلَى عُقَارٍ كَعَيْنِ الدِّيبِ صَفًى سَلَفَهَا الرَّأْوُوقُ
وَفِي الْمَوْضِعِ الثَّلَاثِ :

قَدَّمْتُهُ عَلَى سَلَفٍ كَرِيحِ السَّمَكِ صَفًى سَلَفَهَا الرَّأْوُوقُ
وَقَبْلَ الْبَيْتِ :

ثُمَّ ثَارُوا إِلَى الصَّبُوحِ فَقَاهَتْ قَيْنَةً فِي يَمِينِهَا إِبْرِيْقُ

(٢) هو عدى بن زيد العبدي كما في اللسان (عترف) وحياة الحيوان ٢ : ١٥٧ برسم (عترفان) .

(٣) في الأصل ، وكذا في اللسان : « محرما » بالخاء ، وهو تصحيف ما أثبت . يقال حوله مجرم ، وسنة مجرمة وشهر مجرم ، ويوم مجرم ، أى تام . انظر اللسان والقاموس . و (العترفان) شرحه الجاحظ .

(٤) زيادة يقتضيها الكلام .

(٥) حيا الخمر : أثر إسكارها ، أو شدتها . في ط : « حليها » وتصحيحه من س .

وقال آخر ^(١) :

وَمَا قَرَفْتُ مِنْ أَذْرَعَاتٍ كَأَنَّهَا إِذَا سُكِبَتْ مِنْ دَنْهَا مَاءٌ مَقْصِلٌ ^(٢)

(المفاصل وماء المفاصل)

والمفاصل : ماء بين السَّهْل والجَبَل . وقال أبو ذؤيب :

مَطَافِيلَ أَبْكَارٍ حَدِيثٌ نِتَاجُهَا تُشَابُ بِمَاءٍ مِثْلَ مَاءِ الْمَفَاصِلِ ^(٣)

وقال ابن نجيم ^(٤) : إِنَّمَا عَنَوْنَا مَفَاصِلَ فَقَارِ الْجَمَلِ ؛ لِأَنَّ لِكُلِّ مَقْصِلٍ حَقًّا ، فَيَسْتَنْقَعُ فِيهِ مَاءٌ ^(٥) لَا تَجِدُ مَاءً أَبَدًا أَصْفَى وَلَا أَحْسَنَ مِنْهُ وَإِنْ رَقَّ ^(٦) .

(١) هو كثير ، كما في ثمار القلوب ٤٤٦ .

(٢) أَذْرَعَاتٌ : بلد في أطراف الشام يحاور أرض البلقاء وعمان ، ينسب إليه الخمر . ياقوت .

(٣) المطافيل : جمع مطفل ، وهى ذات الولد . والأبكار : جمع بكر ، بالكسر ، وهى الناقة التى ولدت بطناً واحداً ، وولدها بكرها أيضاً . وقيل هذا البيت :

وإن حديثاً منك لو تبذله جنى النخل أو ألبان عوذ مطافل
وانظر الحديث عنه في البيان ١ : ٢٧٨ وأمالى المرتضى ١ : ١٨٧ وثمار القلوب ٤٤٦ والمخصص ٧ : ٢٨ .

(٤) هو يحيى بن نجيم ، قال الجاحظ في شأنه (البيان ٤ : ٢٣) « وقد جلست إلى أبي عبيدة والأصمى ويحيى بن نجيم وأبى مالك عمرو بن كركرة ، مع من جالست من رواة البغداديين ، فا رأيت أحداً منهم قصد إلى شعرى النسب فأنشده » . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست (١٧٠ ليسك ، ٢٤٢ مصر) مع أصحاب القصائد التى قيلت في الغريب . وفي أصل الحيوان : « أبو نجيم » محرف .

(٥) ط : « ما » ، وأثبت ما فى س .

(٦) س : « إن روق » ، والوجه ما أثبت من ط . وفى ط بعد هذا زيادة ليست فى س فحذفتها ، وهى : « ولا قول أصحابنا » .

(ثقوب بصر الكلب وسمعه)

وقال مرةً قطربٌ ، وهو محمد بن المستنير ^(١) النحوى : « والله لفلانٌ أبصرٌ من كلب ، وأسمعٌ من كلب ، وأشمٌ من كلب » ! . فقل له : أنشدنا فى ذلك ما يُشبه قولك . فأنشد قوله ^(٢) :

يا رَبَّةَ الْبَيْتِ قَوْمى غَيْرَ صَاغِرَةٍ حُطِّى إِلَيْكَ رِحَالُ الْقَوْمِ فَالْقُرْبَا ^(٣)
 ١٢٩ فى لَيْلَةٍ مِنْ بُهَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظَلَمَائِهَا الطُّنْبَا ^(٤)
 لَا يَنْدَبُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَجْرَّ عَلَى خَيْشُومِهِ الذَّنْبَا ^(٥)

(١) فى الأصل : « المنتشر » وصوابه ما أثبت . لازم محمد بن المستنير سيويه ، وكان يدلج إليه ، فإذا خرج رآه على بابه فقال : « ما أنت إلا قطرب ليل ! » . وكان قطرب يرى رأى المعتزلة النظامية ، واتصل بأبى دلف العجلي وأدب ولده . توفى قطرب سنة ست ومائتين . بغية الوعاة ، ونزهة الألباء ١١٩ .

(٢) هو مرة بن محكان التميمى السعدي ، كما فى الحماسة ٢ : ٢٥٣ والأغاني ٢٠ : ١٠ ومعجم المرزبانى ٣٨٣ ، وكما سيأتى بعده .

(٣) القرب : جمع قراب ، وهو غمد السيف أو جفن غمده . ورواية الحماسة :

* ضمى إليك رحال القوم والقربا *

وسئل أبو عبيدة عن معنى هذا الشطر فقال : « كان الضيف إذا نزل بالعرب فى الجاهلية ضموا إليهم رحله ، وبقي سلاحه معه لا يؤخذ ، خوفا من البيات . فقال مرة يخاطب امرأته : ضمى إليك رحال هؤلاء الضيفان وسلاحهم ؛ فإنهم عندى فى عز وأمن من الغارات . (الأغاني ٢٠ : ١٠) .

(٤) الأندية : جمع ندى . والطنب : حبل البيت .

(٥) أى لا ينبج غير نيحة واحدة لشدة البرد ، ثم هو يجر ذنبه إلى خيشومه ليستنقئ به . ورواية الحماسة :

* حتى يلف على خيشومه الذنبا *

وأنشد هذا البيت في ثُقُوب بصره ، والشعر لمرة بن مُحَكَّان السعدي^(١) .
ثم أنشد في ثُقُوب السَّمْع :

خَفِيَ السَّرَى لَا يَسْمَعُ الْكَلْبُ وَطَأَهُ

أَتَى دُون نَبْحِ الْكَلْبِ وَالْكَلْبُ دَابِ^(٢)

(خصال القائد التركي)

قال أبو الحسن : قال نصر بن سيار اللبني^(٣) : كان عظماء الترك يقولون للقائِد العظيم القيادة : لا بدَّ أن تكون فيه عشرُ خصالٍ من أخلاق

(١) مرة بن مُحَكَّان : شاعر إسلامي مقل ، من شعراء الدولة الأموية . وكان في عصر جرير والفرزدق فأخلا ذكره لنباهتهما في الشعر . كان مرة شريفاً جواداً ، وكان أنهب ماله الناس فحببه زياد ، فقال في ذلك الأبيرد الرياحي :

حبست كريماً أن يجود بماله ستعرف مافي قومه من مقام

وقتله مصعب بن الزبير . وذلك أن الحارث بن أبي ربيعة كان والياً على البصرة أيام ابن الزبير ، فخاصم إليه مرة بن مُحَكَّان رجلاً ، فلما أراد إهضام الحكم عليه أنشأ يقول :

أحار تثبت في القضاء فإنه إذا ما إمام جار في الحكم أقصدا

وإنك موقوف على الحكم فاحتفظ ومهما تصبه اليوم تدرك به غدا

فإني مما أدرك الأمر بالآفي وأقطع في رأس الأمير المهندا

فلما ولي مصعب بن الزبير دعاه فأنشده الأبيات ، فقال : أما والله لأقطعن السيف في رأسك قبل أن تقطعه في رأسي ، فأمر به فحبس ، ثم دس إليه من قتله (الأغاني ٢٠ : ١٠) والشعراء ٦٦٧ .

(٢) كذا . ولعلها « دائب » أي دائب النباح .

(٣) نصر بن سيار : أمير من الدهاة الشجعان ، كان أمير خراسان سنة ١٢٠ ولاء هشام بن عبيد الملك . ثم غزا ما وراء النهر ففتح حصونا وغنم كثيراً ، وأقام بمرور ، وقد انتبه إلى استفحال الدعوة العباسية ، فكتب إلى بني مروان بالشام ، فلم يأبهوا للخطر ، وظل يكافح هو حتى عجز وتغلب أبو مسلم على خراسان ، فخرج نصر من مرور إلى قومس ، واستمر في كفاحه إلى أن لحقه المرض في مفازة بين الرى وهذان ، ومات بساوة سنة ١٣١ .

الحيوان : سخاء الديك ، وتحنُّن الدجاجة ، وقلب الأسد ، وحيلة الخنزير^(١) وروغان الثعلب ، وختل الذئب ، [وصبر الكلب على الجراحة ، وحذر الغراب ، وحراسة الكركي^(٢) ، وهداية الحمام^(٣)] .
وقد كتبنا هذا في باب ما للدجاج والديك ؛ لأنَّ صاحبَ هذا الكلام قسَّم هذه الخصال ، فأعطى كلَّ جنسٍ منها خصلةً واحدة وأعطى جنس الدجاج خصلتين .

(بعض ماورد من الحديث والخبر في الديك)

وعبَّاد بن إبراهيم عن عبد الرحمن بن زيد قال : كان مكحول يسافر بالديك .

وعنه في هذا الإسناد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : « الديك صديقي ، وصديق صديقي ، وعدوُّ عدوِّ الله ، يحفظ داره وأربعَ دُور من حواليه » .

والمسيب بن شريك عن الأعمش نحسبه عن إبراهيم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لا تَذَبْجُوا الديك ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُفْرَحُ بِهِ^(٣) » .

(١) أصل معنى الحملة : الكرة في الحرب . قال الثعالبي في ثمار القلوب ٣٢١ : « يضرب المثل بحرص الخنزير وقبحه وقذره ، وحلته ، وصعوبة صيده ، وشدة الخطر في طرده » .

(٢) الزيادة من ثمار القلوب ٣٠٦ والإمتاع والمؤانسة ١ : ١٤٤ وجمهرة العسكرى ٨٥ والفخرى ٥١ حيث يوجد هذا النص . وبها تمَّ الخصال العشر .

(٣) يفرح به : يغم . وهذا الحرف من الأضداد : يقال أفرحه إذا سره ، وأفرحه إذا غمه وأثقل عليه .

(ريش جناح الطائر)

قال : وليس جناح إلا وفيه عشرون ريشة : فأربعٌ قوادم ، وأربعٌ متاكب ، وأربع أباهر ، وأربع كلى^(١) ، وأربعٌ خَوَافٍ . ويقال : سبعٌ قوادم ، وسبعٌ خَوَافٍ ، وسائرُه لقب .

(الكف والرُّكبة لدى الإنسان وذوات الأربع)

قال : وكلُّ شيء من ذوات الأربع فركبتاه في يديه ، وركبتا الإنسان في رجليه ، قال : والإنسان كفُّه في يده ، والطائر كفُّه في رجله .

(أسنان الإنسان)

قال : وفي الفم ثنيتان ورباعيتان ونابان وضاحكان وأربعةٌ أرحاءٍ سوى ضيرس الحُكْم^(٢) . والنواجذ والعوارض سواء . ومثلها أسفل^(٣) .

(١) في الأصل : « أربع أباهن وأربع طلى » ، وهو تحريف ما أثبت . انظر أدب الكتاب ١١٩ والخصص ٨ : ١٣٠ ناقلا عن ابن قتيبة ، ومبادئ اللغة ١٦٩ ، واللسان (بهر) .

(٢) الحُكْم والحلم بمعنى ، وهذا هو الضرس المعروف بضرس العقل ، وجاء في أدب الكتاب ١١٦ : « والنواجذ : ضرس الحلم » .

(٣) أى مثل ما ذكر .

(التفاؤل بالدجاجة)

قال صاحب الديك : والدَّجَاجَةُ يُتَفَاءَلُ بِذِكْرِهَا ، ولذلك لما ولد لسعيد بن العاص عَنبَسَةُ بن سعيد ، قال لابنه يحيى : أى شئ تَنَحَّلُهُ ^(١) ؟ قال : دَجَاجَةٌ بفراريجها ! يريد احتقاره بذلك ، إذ كان ابن أمة ولم يكن ابن حرة . فقال سعيد - أوقيلَ له - : إن صدق الطير ليكوننَّ أكثرهم ولدأ !
فهم ^(٢) اليوم أكثرهم ولدأ ، وهم بالكوفة والمدينة .

(شعر فى الدجاج)

وقال الشاعر ^(٣) :

غَدَوْتُ بِشَرْبَةٍ مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ أبا الدهناء من حلب العصير
وَأُخْرَى بِالْعَقْنَقْلِ ثُمَّ سِرْنَا نرى العصفور أعظم من بَعِيرٍ
كَأَنَّ الدِّيكَ دِيكَ بَنِي مُنِيرٍ أمير المؤمنين على السَّيرِ
كَأَنَّ دَجَاجَهُمْ فِي الدَّارِ رُقْطًا بنات الروم في قُصْرِ الحَرِيرِ
فَبْتُ أَرَى الْكُؤَاكِبَ دَانِيَاتٍ يَنْلَنَ أَنْامِلَ الرَّجُلِ الْقَصِيرِ
أُدَافِعُهُنَّ بِالْكَفَّيْنِ عَنِّي وَأَمْسَحُ جَانِبَ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ

(١) نَحْلُهُ يَنْحُلُهُ : أعطاه . والمصدر : النحل ، بالضم ، كمقل .

(٢) أى فأولاده . وانظر نهاية الأرب ٢ : ١٤٣ .

(٣) انظر الشعر ومراجعته فى هذا الجزء ص ٢٦٠ .

(نطق الدجاج)

قال : ويوصف بالدُّعاء وبالمنطق ، قال لييد بن ربيعة :
وصدَّهمْ مَنْطِقُ الدَّجَاجِ عن القَصَصِ د وضربُ الناقوسِ فاجتنبنا
وقال :

لَدُنْ أَنْ دَعَا دِيكَ الصَّبَاحَ بِسُحْرَةٍ إِلَى قَدَرٍ وَرَدَ الْخَامِسَ الْمُتَأَوِّبِ

(دعاية أعرابي ، وقسمته للدجاج)

قال أبو الحسن : حدَّثني أعرابيٌّ كان ينزل بالبصرة قال : قدِم
أعرابيٌّ من البادية فَأَنزَلته ، وكان عندي دَجَاجٌ كثيرٌ ، ولى امرأةً وابنان
وابنتان منها ، فقلت لامرأتى : بَادِرِي واشوئى لنا دَجَاجَةً وقَدِّمِها إلينا
نتغذَّاها^(١) فلَمَّا حضر الغداء جلسنا جميعاً أنا وامرأتى وابنائى وابنتائى
والأعرابيُّ . قال : فدفعنا إليه الدَّجَاجَةَ فقلنا له : اقسمها بيننا - نريد
[بذلك ^(٢)] أَنْ نضحك منه - فقال : لا أحسنُ القِسْمَةَ ، فإن رَضِيتُم
بقِسْمَتِي قَسَمْتُهَا بينكم . قلنا : فَإِنَّا نَرْضَى . فَأَخَذَ رَأْسَ الدَّجَاجَةِ فَقَطَعَهُ^(٣)
فَنَاولَ كُنْيَةَ وقال : الرَّأْسُ للرَّأْسِ^(٤) . وَقَطَعَ الْجَنَاحَيْنِ وقال : الْجَنَاحَانِ

(١) رفع هذا الفعل على الاستثناف ، وقد نقل النويرى فى نهاية الأرب هذه القصة
١٠ : ٢٢٣ وفيها : « تتغذاها » بالجزم على جواب الأمر . وفى أخبار الطراف ٦٧ :
« نتغذى بها » .

(٢) الزيادة من نهاية الأرب .

(٣) فى الأصل : « فقلعها » والرأس مذكر . فالصواب ما أثبت من نهاية الأرب .

(٤) فى النهاية : « للرئيس » والرأس والرئيس بمعنى .

للابنين . ثمَّ قطع السَّاقين فقال : السَّاقان للابنتين . ثمَّ قطع الزُّمكى
وقال : العَجْزُ للعُجْزِ^(١) . وقال : الزُّور للزَّائِرِ^(٢) قال : فَأَخَذَ الدَّجَاجَةَ بِأَمْرِهَا
وَسَخِرَ بِنَا . قال : فلما كان من الغد قلتُ لامرأتى : اشوى لنا خَمْسَ
دَجَاجَاتٍ . فلما حضر^(٣) الغداء . قلت : اقسم بيننا . قال : إِنِّ أَظُنُّ أَنَّكُمْ
وَجَدْتُمْ^(٤) فِي أَنْفُسِكُمْ ! قلنا : لا ! لم نجد في أنفسنا فاقسم . قال : أقسم
شفعاً أو وِترًا ، قلنا : اقسم وِترًا . قال : أنت وامرأتك ودجاجة ثلاثة .
ثمَّ رمى إلينا بدجاجة . ثمَّ قال : وابنتك ودجاجة ثلاثة . ثمَّ رمى إليهما
بدجاجة . ثمَّ قال : وابنتك ودجاجة ثلاثة . ثمَّ رمى إليهما بدجاجة .
ثمَّ قال : أنا ودجاجتان ثلاثة . وأخذ دجاجتين وسخِرَ بنا . قال :
فرآنا ونحن ننظر إلى دجاجتيه فقال : ما تنظرون ! لعلَّكم كرهتم قسمتي^(٥)
الوتر لا يجيء إلا هكذا ، فهل لَكُمْ في قِسْمَةِ الشَّفْعِ ؟ قلنا : نعم . فضمَّهنَّ
إليه ، ثمَّ قال : أنت وابنتك ودجاجة أربعة . ورمى إلينا بدجاجة ، ثمَّ قال :
١٣١ والعجوز وابنتها ودجاجة أربعة ، ورمى إليهنَّ بدجاجة ، ثمَّ قال : أنا

(١) العَجْز : جمع عجوز . وفي نهاية الأرب : « للعجوز » . والزمكى :
أصل الذنب .

(٢) هكذا جاء في الأصل ونهاية الأرب . ومقتضى الكلام : ثم قطع الزور
وقال . . . الخ .

(٣) في الأصل : « حضرا » ، وتصحيحه من النهاية .

(٤) وجدتم هنا بمعنى غضبتم .

(٥) في الأصل : « قسمة » ، وأثبت ما في نهاية الأرب .

وثلاث دَجَاجَاتٍ أربعة ، وضمَّ إليه الثَّلاث ، ورفعَ يديه إلى السماء وقال :
اللهم لك الحمد ، أنتَ فَهَّمْتَنِيهَا !

(قول صاحب السَّكَب في كيس الفروج)

قال صاحب السَّكَب : [أَمَّا قَوْلُهُمْ ^(١)] : من أعظم مَفَاخِرِ الدِّيكِ
وَالدَّجَاجِ عَلَى سَاءِ الْحَيَوَانِ ، أَنَّ الْفَرْجَ يُخْرُجُ مِنَ الْبَيْضَةِ كَاسِيَا يَكْفِي
نَفْسَهُ ، ثُمَّ يَجْمَعُ كَيْسَ الْخِلْفَةِ وَكَيْسَ الْمَعْرِفَةِ ، وَذَلِكَ كُلُّهُ مَعَ خُرُوجِهِ مِنَ
الْبَيْضَةِ - فَقَدْ زَعَمَ صَاحِبُ الْمَنْطِقِ أَنَّ وَلَدَ الْعَنْكَبُوتِ يَأْخُذُ فِي النَّسِجِ سَاعَةً
يُولَدُ . وَعَمَلُ الْعَنْكَبُوتِ عَمَلُ شَاقٍّ وَلَطِيفٌ دَقِيقٌ ، لَا يَبْلُغُهُ الْفَرْجُ
وَلَا أَبُو الْفَرْجِ ! !

على أَنَّ مَا مَدَحُوا الْفَرْجَ بِهِ مِنْ خُرُوجِهِ مِنَ الْبَيْضَةِ كَاسِيَا ، قَدْ شَرِكَهُ
فِي حَالِهِ غَيْرُ جِنْسِهِ . وَكَذَلِكَ ذَوَاتُ الْأَرْبَعِ كُلُّهَا تُوَلِّدُ كَوَاسِيَا كَوَاسِبَ ،
كَوَلَدِ الشَّاءِ .

وَفِرَاحُ الْقَبْجِ وَالْذَّرَاجِ ، وَفِرَاحُ الْبَطِّ الصَّيْنِيِّ فِي ذَلِكَ كُلُّهُ لَاحِقَةٌ
بِالْفَرَارِيجِ ، وَتَزِيدُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّهَا تَزْدَادُ حُسْنًا كُلَّمَا كَبُرَتْ . فَقَدْ سَقَطَ
هَذَا الْمَخْرَجُ .

(١) ليست بالأصل ، وزيادتها ضرورية .

(شعره هزلي في الديك)

ومن الشعر الذي قيل في الديك ، مما يُكتب للهزل وليس للجد
والفائدة ، قول أبي الشَّعْمَق :

هَتَفْتُ أُمَّ حُصَيْنٍ ثُمَّ قَالَتْ : مَنْ يَنْدِيكَ
فَتَحْتُ فَرْجًا رَحِيًّا مِثْلَ صَحْرَاءِ الْعَتِيكَ
فِيهِ وَزٌّ فِيهِ بَطٌّ فِيهِ دُرَّاجٌ وَدِيكَ

(حديث صاحب الأهواز عن العرب)

قال : ومما فيه ذِكْرُ الدَّجَاجِ وليس من شِكْلِ ما بَيْنَنَا كَلَامَنَا عَلَيْهِ ،
وَالَكُنْهُ يُكْتَبُ لِمَا فِيهِ مِنَ الْعَجَبِ . قال : قال الهامِزُ . قال صاحب
الأهواز^(١) : ما رأينا قوماً أعجب من الْعَرَبِ ! أَتَيْتُ الْأَخْنَفَ بْنَ قَيْسٍ
فَكَلَّمْتُهُ فِي حَاجَةٍ لِي إِلَى ابْنِ زِيَادٍ ، وَكُنْتُ قَدْ ظَلَمْتُ فِي الْخِرَاجِ ، فَكَلَّمَهُ
فَأَحْسَنَ إِلَيَّ وَحَطَّ عَنِّي ، فَأَهْدَيْتُ إِلَيْهِ هَدَايَا كَثِيرَةً فَغَضِبَ وَقَالَ : إِنَّا
لَا نَأْخُذُ عَلَى مَعُونَتِنَا أَجْرًا ! فَلَمَّا كُنْتُ فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ سَقَطْتُ مِنْ رِدَائِي
دَجَاجَةٌ فَاحِقَنِي رَجُلٌ مِنْهُمْ فَقَالَ : هَذِهِ سَقَطَتْ مِنْ رِدَائِكَ . فَأَمَرْتُ لَهُ
بِدِرْهَمٍ ، ثُمَّ لَحِقَنِي بِالْأَبْلَةِ^(٢) فَقَالَ : أَنَا صَاحِبُ الدَّجَاجَةِ ! فَأَمَرْتُ لَهُ

(١) في القاموس : « الهامِزُ بفتح الميم من ملوك العجم » . فلعل وجه الكلام :

« قال الهامِزُ صاحب الأهواز » . والأهواز : كورة بين البصرة وفارس .

(٢) الأبله : بلد بالعراق على شاطئ دجلة .

بندراهم ، ثمَّ لحقني بالأهواز فقال : أنا صاحب الدَّجاجة ! فقلت له : إن رأيتَ زادى بعد هذا كُلُّه قد سقط فلا تُعلمني ، وهوَّ لك !!

(جرو البطحاء)

قال صاحب الكلب : كان يقال لأبي العاصي بن الربيع بن عبد العزَّى ابن عبد شمس^(١) ، وهو زوج زَيْنَب بنتِ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولأخيه كنانة بن الربيع^(٢) : جروُ البطحاء^(٣) .

(الموريات وأسطورة البازي والديك)

قال صاحب الديك لصاحب الكلب : وسنضرب لك المثلَّ الذي ضربه المورياتي^(٤) للديك والبازي : وذلك أنَّ خلاد بن يزيد^(٥) الأرقط ١٣٢

(١) كان أبو العاصي قبل البعثة مواخيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم : وكان يكثر غشيانه في منزله ، وزوجه زينب أكبر بناته ، ولم يسلم إلا بعد الهجرة . وأمه هالة بنت خويلد أخت خديجة . ومات في خلافة أبي بكر سنة اثنتي عشرة من الهجرة ، الإصابة (باب الكنى ٦٨٤) .

(٢) انظر خبرا طريقاً له في السيرة ٤٦٦ - ٤٦٨ جوتنجن .

(٣) أى بطحاء مكة ، وهو مسيل وادها . وفي ط : « البطاء » وتصحيحه من س : والإصابة .

(٤) هو سليمان بن مخلد ، المكشي بأبي أيوب ، ونسب إلى موريان : قرية من قرى الأهواز . كان أبو أيوب وزير المنصور العباسي بعد خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان في أول أمره مقرباً لدى المنصور ، ثم نقم عليه فأوقع به وعذبه ، وأخذ أمواله . وتوفي سنة ١٥٤ . وفيات الأعيان ١ : ٢١٥ - ٢١٦ .

(٥) خلاد بن يزيد الأرقط : أحد الرواة للأخبار والقبائل والأشعار . انظر الفهرست لابن النديم ١٠٧ لينسك و ١٥٦ مصر . وفي ط : « زيد » ، وتصحيحه من س والفهرست .

قال : بينما أبو أيوب المورياني جالس في أمره ونهيه ، إذ أتاه رسول أبي جعفر فانتقع لونه^(١) ، وطارت عصافير رأسه^(٢) ، وأذن بيوم بأسه^(٣) ، وذعر ذعراً نقض حُبوته^(٤) ، واستطار فؤاده^(٥) ، ثم عاد طلق الوجه ، فتعجبنا من حاله وقلنا له : إنك لطيف الحاصة قريب المنزلة ، فلم ذهب بك الذعر واستفرغك الوجل^(٦) ؟ فقال : سأضرب لكم مثلاً من أمثال الناس .

زعموا أن البازي قال للديك : ما في الأرض شيء أقل وفاء منك ! قال : وكيف ؟ قال : أخذك أهلك بيضة فحضنوك ، ثم خرجت على أيديهم فأطعموك على أكفهم^(٧) ، ونشأت بينهم ، حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلا طرت هاهنا وهاهنا وضججت وصحت . وأخذت أنا من الجبال [مُسِنًا^(٨)] فعلموني وألفوني^(٩) ، ثم يخلى عني فأخذ صيدى

(١) انتقع لونه وامتقع ، بالبناء للمجهول فيهما : تغير .

(٢) يضرب للمذخور ، أى كأنما كانت على رأسه عصافير عند سكونه ، فلما ذعر طارت . الميداني (١ : ٣٩٦) .

(٣) البأس : العذاب . وأذن به : علمه . وفي التنزيل العزيز : « فأذنوا بحرب من الله ورسوله » أى كونوا على علم .

(٤) أصل الحبة أن يجمع الرجل بين ظهره وساقيه بعمامة ، وكذلك كانوا يفعلون في جلوسهم ، ولا ينقضونها إلا لأمر هام .

(٥) ط : « فؤاه » ، وصوابه في س . واستطار بمعنى انتزع . وفي اللسان : « استطار فلان سيفه : إذا انتزعه من غمده مسرعاً » .

(٦) استفرغه الوجل : أخذ منه قواه وذهب بها . وفي ط : « استفرغك » وأثبت ما في س .

(٧) في الديمري وقد روى هذه القصة ١ : ١٦٢ : فيطعمونك بأكفهم » . وفي الوفيات ١ : ٢١٦ : « وأطعموك في أكفهم » .

(٨) الزيادة من الوفيات . وفي الديمري : وقد كبرت سنى » .

(٩) ألفه ، بالتشديد : جعله أليفاً . وفي الوفيات : « وألفوا بي » ، محرفة . وفي الديمري : « وأونس » .

في الهواء فَأَجْبَىٰ بِهِ إِلَىٰ صَاحِبِي . فقال له الدَّيْكَ : إِنَّكَ لو رأيتَ من البُرَاةِ
في سَفَافِيدهم مثلَ ما رأيتُ من الدُّيُوكِ لَكُنْتَ أَنْفَرَمَنِّي !
ولَكِنَّكُمْ أَنْتُمْ لو عَلِمْتُمْ مَا عَلِمَ ، لم تَتَعَجَّبُوا من خَوْفِي ، مع ما رَوَى من
تَمَكُّنِ حَالِي^(١) .

(استجادة الخيل والكلاب)

قال صاحب الكلب : ذكر مُحَمَّد بن سَالَمٍ عن سَعِيد بن صَخْر^(٢)
قال : أرسلَ مُسْلِمَ بنَ عَمْرٍو^(٣) ، ابنَ عَمٍّ لَهُ إلى الشَّامِ ومِصرَ يشتري لَهُ
خيلاً ، فقال له : لا علم لي بالخيل - وكان صاحبَ قَنْصٍ - قال : أَلَسْتُ
صاحبَ كَلَابٍ ؟ قال : بلى . قال : فَانْظُرْ كُلَّ شَيْءٍ تَسْتَحْسِنُهُ في الكلب
فَاسْتَعْمَلْهُ في الفَرَسِ . فَقَدِمَ بِخَيْلٍ لم يَكُنْ في العَرَبِ مِثْلُهَا^(٤) .

(١) الفقرة الأخيرة من كلام أبي أيوب . وقد سبق في ترجمته أنه كان متسكن الحال
لدى المنصور . وقد وقع ما كان يترقبه أبو أيوب ، فقد عذبه المنصور وأخذ
أمواله ، كما مر .

(٢) سعيد بن صخر : أبو أحمد الدارمي ، روى عن حماد بن سلمة ، مجهول . وولده
أحمد من كبار الحفاظ . روى عنه البخاري ومسلم ، لسان الميزان ٣ : ٣٤ .

(٣) مسلم بن عمرو : قائد عربي ، كان على ميسرة إبراهيم بن الأشتر النخعي صاحب
مصعب بن الزبير . أصيب مسلم بجراحات شديدة في حرب « مسكن » التي كانت
بين مصعب وبين عبد الملك بن مروان في سنة ٧٢ هـ ومات بها . (انظر
الأغاني ١٧ : ١٦١ - ١٦٤) . وقال يزيد بن الرقاع العاطلي يذكره هو ،
ومصعبا ، وابن الأشتر :

نحن قتلنا ابن الحواري مصعبا أخا أسد والمذحجي اليماني

ومرت عقاب الموت منا لمسلم فأهوت له طير فأصبح ثاويًا

(٤) انظر هذا الخبر في العقد ١ : ٧٩ .

(حاجة الديك إلى الدجاجة)

قال محمد بن سلام . استأذن رجلٌ عَلَى امرأةٍ فقالت له : مَالَهُ مِنْ
حاجةٍ^(١) . قالت الجارية : يريدُ أن يذكر حاجة . قالت : لعلها حاجة
الديك إلى الدجاجة !

(هرب الكميّ من السجن متنكراً بثياب زوجته)

محمد بن سلام عن سلام أبي المنذر^(٢) قَالَ : حبس خالد بن عبد الله^(٣)
الكميّ بن زيّد ، وكانت امرأته تختلف إليه في ثيابٍ وهَيْئَةٍ ، حتّى
عرَفها البوّابُونَ ، فلبسَ يوماً ثيابها وخرج عابهم . فسَمِيَ في شِعْره البوّابينَ
النّوايحَ ، وسَمِيَ خالداً المشلى^(٤) :

(١) كذا .

(٢) هو سلام بن سليمان ، ويكنى أبا المنذر ، وهو من أصحاب القراءات غير السبع .
ابن النديم (٣٠٠ ليسك ، ٤٥ مصر) والمعارف ٢٣٢ . وقد عده ابن النديم
في عداد المجبرة ، وقال : « ويكنى أبا المنذر ، ويلقبه أهل العدل (يعنى المعتزلة)
أبا المدبر » وروى خبراً له في الإخبار : أنه أصاب غلامه على جاريته ، فقال له :
ما هذا ويلك ؟ ! قال : كذا قضاء الله . فقال له : أنت حر لعلمك بالقضاء
والقدر . وزوجه الجارية . ابن النديم (١٨٠ ليسك و ٢٥٦ مصر) .

(٣) هو خالد بن عبد الله القمري ، والخبر الآتي مفصل تفصيلاً في الأغاني

١٥ : ١١٤ - ١١٥ .

(٤) المشلى : الذي يغرى الكلاب بالصيد .

خرجت خُروجَ القِدْحِ قَدَحَ ابنِ مُقْبِلٍ^(١)
على الرِّغْمِ من تِلْكَ النَّوَابِحِ والمُسْلَى
على ثِيَابِ الغَانِيَاتِ وتَحْتَهَا صَرِيحَةُ عَزَمِ أَشْبَهَتْ سَلَّةَ النَّصْلِ^(٢)

(فتيا الحسن في استبدال البيض)

قال : وأخبرنا خَشْرَمُ قال : سمعتُ فلاناً البَقَّالَ يسألُ الحسنَ^(٣) قَالَ :
إِنَّ الصَّبِيَّانِ يَتَوَنَّنِي بَبِيضَتَيْنِ مَكْسُورَتَيْنِ ، يأخذون منِّي صَحِيحَةً واحدة .
قال : ليس به بَأْس .

(أرحام الكلاب)

مُحَمَّدُ بنُ سَلَامٍ عن بعض أشياخه قال : قال مُصْعَبُ بنُ الزُّبَيْرِ على ١٣٣
منبر مسجد البصرة ، لبعض بني أبي بَكْرَةَ^(٤) : إِنَّمَا كَانَتْ أُمُّكُمْ مِثْلَ الْكَلْبَةِ ،
يَنْزُو عَلَيْهَا الْأَعْفَرُ وَالْأَسْوَدُ وَالْأَبْقَعُ ، فتَوَدَّى إلى كُلِّ كَلْبٍ شِبْهَهُ .

(١) هو قَدَحٌ من قَدَاحِ المَيْسَرِ ، كان لبني عامر بن صعصعة ، لا يجعل في القَدَاحِ إِلَّا خُرْجَ
فَائِزًا أَبَدًا . انظر الميسر والقَدَاحِ ص ٦٦ . وقال ابن قتيبة ص ٣١ في الحديث
عن الشعراء : « ولم أجِدْ فيهم أحدا أُلْهِجَ بِذِكْرِ القَدَاحِ من ابنِ مُقْبِلٍ ، ثم
الطَرَمَاحِ بعده » . والبيتان اللذان اشتهر بهما قَدَحُ ابنِ مُقْبِلٍ هما ، كما
في الأُمَالِ ١ : ١٥ وثمار القلوب ١٧٣ :

غدا وهو مجذول وراح كأنه من المش والتقليب بالكف أفلح
خروج من القمى إذا صك صكة بدا والعيون المستكفة تلح

(٢) سل النصل : أخرجه . والنصل : حديدية السيف . وفي س : « صلة
النصل » . وفي الأغاني :

عزيمة أمر أشبهت سلة النصل

(٣) هو الحسن البصري .

(٤) هو نفع بن الحارث ويقال ابن مروح ، وقيل اسمه مروح ، كان من فضلاء =

هذا في هذا الموضع هجاء ، وأصحابُ الكلاب يرون هذا من باب
النَّجَابَةِ ، وأنَّ ذلك من صِحَّةِ طِبَاعِ الأَرْحَامِ ، حين لا تَخْتَلِطُ النَّطْفُ فَتَجِيءَ
جَوَارِحُ الأولادِ مُخْتَلِفَةً مُخْتَلِطَةً .

(من وصية عثمان الحياط للشطار)

وقال صاحب الكلب : في وصية عثمان الحياط للشطار الأصوص :
إِيَّاكُمْ إِيَّاكُمْ وَحَبَّ النَّسَاءِ وَسَمَاعَ ضَرْبِ الْعُودِ ، وَشَرْبَ الزَّيْبِ الْمَطْبُوحِ ،
وَعَلَيْكُمْ بِاتِّخَاذِ الْعِلْمَانِ ؛ فَإِنَّ غَلَامَكُمْ هَذَا أَنْفَعُ لَكُمْ مِنْ أُخِيكَ ، وَأَعُونُ لَكُمْ مِنْ
ابْنِ عَمِّكَ ، وَعَلَيْكُمْ بِبَيْذِ التَّمْرِ ، وَضَرْبِ الطُّنْبُورِ ^(١) ، وَمَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ
وَاجِعِلُوا النُّقْلَ بِأَقْلَاءَ ، وَإِنْ قَدَرْتُمْ عَلَى الْفُسْتَقِ ، وَالرَّيْحَانِ شَاهَسْفَرَمَ ^(٢) ،

= الصحابة وسكن البصرة وأنجب أولادا لهم ثمرة . وكان تدلى إلى النبي صلى الله
عليه وسلم من حصن الطائف ببكرة - أى خشبة مستديرة في وسطها محز للحبل تدور على
محور - لما قال رسول الله لأهل الحصن : أيما عبد نزل إلى فهو حر . فاشتهر لذلك
بأبي بكرة . توفى أبو بكرة عن أربعين ولدا من بين ذكر وأنثى ، في خلافة عمر .
الإصابة ٨٧٩٤ - وانظر ١٤٣ من باب الكنى والمعارف ١٢٥ والروض الأنف
٢ : ٣٠٤ - ٣٠٥ .

(١) الطنبور : آلة موسيقية .

(٢) شاهسفرم : نوع من الريحان يقال له الريحان السلطاني . شفاء الغليل ١١٩ ، وجاء
في اللسان : شاهسفرم : ريحان الملك . قال أبو حنيفة : هى فارسية دخلت
في كلام العرب ، قال الأعشى :

وشاهسفرم والياسمين ونرجس يصبحنا في كل دجن تغيما

وقد وصفه داود (في تذكرته ١ : ٢١٢) بقوله : « وهو الأخضر الضارب
إلى الصفرة ، الدقيق الورق » . وفي الأصل : « وشاهبتر » ، وهو تحريف ما أثبت .

وإن قدرتم على الياسمين^(١) . ودعوا لبس العماثم وعليكم بالقناع . والقَلْدَسْرَه
كُفْر ، والحف شرك واجعل لهُوك الحَمَام ، وهارِش السِكلاب وإِيَّاك
والسِكلابش واللَّعب بالصُّقُورَة والشَّواهين ، وإِيَّاكُم والفُهودَ .

فلما انتهى إلى الديك قال : والديك فَإِنَّ لَهُ صَبْرًا وَنَجْدَةً ، وَرَوَّغَانَا
وتدبيراً ، وإِعْمَالاً لِلسَّلَاح ، وهو يبهر بهر الشُّجاع .

ثم قال : وعليكم بالترد ودعوا الشُّطْرَنَج لِأَهْلِهَا ، ولا تلعبوا في التُّرْد إلا
بالطويلتين . والودعُ رأس مالٍ كبير ، وأوَّلُ منافعه الخدق باللقف .
ثم حَدَّثَهُم بِحَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ مَسْعُودِ الْقَيْسِيَّ .

(ما يصيده السكاب الأسود البهم)

وقال صاحب الديك : ذكر محمد بن سلام عن يحيى بن النضر ، عن
أبي أمية عبد الكريم المعلم قال : كان الحسن بن إبراهيم يكره صيد الكلب
الأسود البهم .

(قصيدة ابن أبي كريمة في السكاب والفهد)

وأنشد صاحب الكلب قول أحمد بن زياد بن أبي كريمة^(٢) في صفة صيد
الكلب ، قصيدة طويلة أوَّلُهَا :

(١) ط : « ثم إن قدرتم على الياسمين » ، س : « تم إن قدرتم على الياسمين »
وكلمة « ثم » أو « تم » هي تحريف الميم الذي كان ينقص كلمة « شاهسفرم »
في الصفحة السابقة . وقد جعلت بدلها هنا حرف الواو ، ليتساقط القول .

(٢) ابن أبي كريمة من معاصري الجاحظ . وانظر خبرين طريفيين له مع الجاحظ
في الحيوان ٣ : ٣٤٩ ، ٣٥٠ .

- وغيَّبَ غمامٌ مَزَّقَتْ عن سمائه شاميةٌ حصاءً جُونِ السَّحَابِ (١)
مُواجِهٍ طَلَقَ لم يَرُدُّ جَهَامَه تَذَاوُبَ أرواح الصَّبَا والجنائب (٢)
بعثتُ وأثوابُ الدُّجَى قد تَقَلَّصَتْ لغرةٌ مشهور من الصُّبْحِ ثاقب (٣)
وقد لاح ناعى الليل حتى كأنه لسارى الدُّجَى فى الفجر قنديلُ راهب (٤)
بهاليلَ لا يثنيهم عن عزيمة وإن كان جمَّ الرشدِ، لومُ القرائب (٥)
بتَجَنُّبِ غُصْفٍ كالقِداحٍ لطيفةٍ مُشرَّطةٍ آذانها بالخالب (٦)

(١) غب غمام : أى بعده . والشامية : الريح الشمالية التى تهب من ناحية الشام .
والحصاء : الصافية بلا غبار .

(٢) يقول : هذا الغمام واجه هواء طلقاً : لاحاراً ولا بارداً . وأن الرياح لم تتذاب
أى لم تجىء من هنا ومن هنا ، فلذلك لم يتردد جهام هذا الغمام . وجاء البيت
محرّفاً على الوجه التالى - وأثبت صوابه من نهاية الأرب ٩ : ٢٦٦ حيث
توجد هذه القصيدة - :

- مواجه طلق لم يرد رجاءها تذاب بأرواح الصبا والجنائب
(٣) الغرة : أصلها البيضاء فى الجبهة . وعنى بها أول النهار ووجهه . والرواية فى النهاية :
« بغرة » وما هنا أجزل . وفى س : « لغزة » وهو تحريف . والصباح المشهور :
الظاهر الساطع . وفى الأصل : « مشهور » ، ولا وجه له وتصحيحه من النهاية .
(٤) قنديل الراهب يعنى به أبداً ويتفقده ، فهو زاهر منير . وقد نظر ابن أبى كريمة
إلى امرئ القيس فى قوله :

- يفضى سناه أو مصابيح راهب أهان السليط بالذبال المفتل
(٥) البهلول ، بالضم : العزيز الكريم ، جمعه بهاليل . وهذه معمول « بعثت »
فى البيت الذى قبل السابق ، والقرائب : جمع قريبة . وهذه الرواية أجود من رواية :
« الأقارب » فى نهاية الأرب . فإنما يلوم الرجل على عزمته الجرئية ، ويخشى
عليه الخطار أهل من النساء .

- (٦) الغصف : الكلاب المسترخية الأذان . وتجنّب الكلاب : أراد به قيادتها ،
كما يجنب الرجل البعير : أى يقوده إلى جنبه . وتشريط الكلاب آذانها بالخالب أماراة
من أمارات فرائها ونشاطها وقوتها فى العدو . ومثله قول أبى نواس فى ص ٢٩
من هذا الجزء :

* خرق أذنيه شياً أظفاره *

وقوله فى ص ٣١ من هذا الجزء :

* منتشطا من أذنه سيورا *

وقوله فى ص ٣٣ :

* ينشط أذنيه بهن نشطا *

- ١٣٤ نَخَالَ سِيَّاطًا فِي صَلَاحِهَا مَنُوطَةً طوال الهوادي كالقداح الشواذب (١)
- إِذَا افْتَرَشَتْ خَبْتًا أَثَارَتْ بِمَتْنِهِ عجاجاً وبالكذّان نار الحجاجب (٢)
- يَقُوتُ خُطَاهَا الطَّرْفَ سَبْقًا كَأَنَّهَا سهامٌ مُغالٍ أو رُجُومٌ الكواكب (٣)
- طِرَادُ الْهُوَادَى لَاحِهَا كُلَّ شَتْوَةٍ بطامسة الأرجاء مَرَّتِ المسارب (٤)
- تَكَادُ مِنَ الْأَحْرَاجِ تَنْسَلُّ كُلَّمَا رأتُ شَبَحًا لَوْلَا اعْتِرَاضُ الْمَنَاقِبِ (٥)
- تُسُوفُ وَتُوفِي كُلَّ نَشْرٍِ وَفَدْفِدٍ مرايضَ أبناء النِّفاق الأَرَانِبِ (٦)
- كَأَنَّ بِهَا دُعْرًا ، يُطِيرُ قُأْوَهَا أنينُ الْمَكَاكِي أَوْ صَرِيرُ الْجَنَادِبِ (٧)

(١) منوطة في صلاحها : معلقة في مقرز ذنبها ، ولعله عن وجود حافظ دائم يحفظها على العدو . وبالأصل : « من صلاحها » وهو تحريف صوابه من النهاية . والهوادي : الأعناق . والشواذب من قداح الميسر : الذي ضمير من كثرة المدولة والتقليب . وفي الأصل : « الشواذب » بالذال ، وتصويبه من نهاية الأرب .

(٢) الخبت : البطن الواسع من الأرض . وفي ط : « جبتا » وفي س : « جتنا » والأولى لا وجه لها . وليس للثانية معنى . والعجاج : الغبار . والكذّان ، بالفتح : حجارة فيها رخاوة . وفي الأصل : « بالكذّان » . ونار الحجاجب : الشرر يحدث من تصادم الحجارة .

(٣) المغالى بالسهم : الرافع يده به يريد أقصى الغاية .

(٤) يقول : مطاردتها للهوادي ، أى أوائل الوحش ، قد غيرتها وأضرمتها . وطامسة الأرجاء : أراد فلاة متباعدة النواحي ، أو لا أثر بها لسالك لما يسقى عليها من الريح . ومرت المسارب : قفزة المسالك . وفي الأصل : « بطامية الأرجاء » . وهو تحريف ، إذ أن الطمى إنما يكون مع الخصب . وهى على الصواب الذى أثبت في نهاية الأرب .

(٥) الأخرج : قلائد الكلاب ، واحدها حرج بالكسر . وفي الأصل : « الأخرج » وليس بشئ . و « تنسل » هى فى الأصل : « تسأل » وتصحيحه من النهاية .

(٦) تسوف المرائض : تشمها لتتعرف ما بها . وتوفى النشز : أى تأتى السكان المرتفع . والفدقد : الفلاة لاشئ بها . والنفاق : جمع نفق وهو الجحر .

(٧) المكّاكي : جمع مكاء ، بضم الميم وشد الكاف ، طائر من القنابر ، له صغير حسن ، وتصعيد فى الجو وهبوط ، وهو فى ذلك يمشى أى يصفر ، وهو من الطيور الجواثم التى تبنى أفاحيصها فى الأرض . انظر معجم المملوك ١٤٧ - ١٤٨ وقد خففت الياء هنا للشعر .

- تديرُ عيوناً رُكَّبت في بَراطِلٍ كجَمَرِ الغَضَى خُزراً ذِرَابُ الأَنَائِبِ^(١)
 إذا مَا اسْتَحِثَّتْ لم يُجِنَّ طَرِيدَهَا لهنَّ ضَرَاءٌ أو مجَارِي المَذَانِبِ^(٢)
 وإن باصها صَلَّتْ أمدَى الطَّرْفِ أَمْسَكَتْ عليه بَدُونُ الجُهدِ سُبُلَ المَذَاهِبِ^(٣)
 تَكَادُ تَفَرَّى الأُهْبُ عنها إذا انتَحَت
 لنبأَةِ شَخْتِ الجِرْمِ عارى الروَّاجِبِ^(٤)

- (١) البرطيل بالكسر : حجر أو حديد طويل صلب خلقة ، ينقر به الرمح ، أو هو المول . وجمعه براطيل ، وحذف الياء في نحو ذلك هو مذهب الكوفيين . انظر مع الهوامع ٢ : ١٨٢ . شبه محاجر عيون هذه الكلاب في شدتها بالبراطيل . وخزرا : جمع خزراء أى ضيقة صغيرة . وفي الأصل : « خزر » وإنما هى صفة « عيوناً » . و « ذراب الأنايب » : حداد الأنايب ، و « ذراب » هى فى التسخين : « دواب » محرفة تصحيحها من النهاية . والأنايب أصلها « الأنايب » حذفت الياء الثانية على مذهب الكوفيين ، ثم أبدلت الياء الباقية بهزة وهى لغة شاذة . والرواية فى نهاية الأرب : « الأنايب » .
- (٢) يقول : إذا أهيب بهذه الكلاب لتدرك الصيد ، فإن ذلك الصيد لا يمهل حتى يستتر بذلك الشجر الملتف ، أو يتلك المجارى . « يجن » هى فى الأصل : « يجن » محرفة . ويقال « جنه » من باب نصر ، و « أجنه » أيضا . و « المذانب » جمع مذنب - كنبر - وهو المسيل ، أو المسيل فى الحضيض ، أو الجدول يسيل عن الروضة بمائها إلى غيرها . وهى فى الأصل : « المقانب » ولا وجه له . وصوابه من نهاية الأرب .
- (٣) باصها : سبقها ، يريد الصيد . صلتا : ركضا ، وأصل الصلت بمعنى الركض فى الخيل . مدى الطرف : غاية امتداد العين . وفى الأصل : « باصها صلت مدى الدهر » وتصحيحه من النهاية .
- (٤) يقول : إذا سمعت هذه الكلاب صوتا خفيا من صاحبها ، كادت أن تشفق جلودها من شدة نشاطها . وقد أخذ هذا المعنى من ذى الرمة حيث يقول :
 لا يذخران من الإيغال باقية حتى تكاد تفرى عنهما الأهب
 والشخت : الضامر الدقيق لامن هزال . والرواجب : مفصل أصول الأصابع ، أو قصب الأصابع ، وقيل غير ذلك . الواحدة راجبة أو رجة بالضم . وعارية : ليس عليها لحم .

كَأَنَّ غَصُونَ الْخِيزَرَانِ مُتَوْنَهَا إِذَا هِيَ جَالَتْ فِي طِرَادِ الثَّعَالِبِ (١)
 كَوَاشِرُ عَنْ أَنْبَاهِنَ كَوَالِحُ مُذَلِّقَةُ الْأَذَانِ شَوْسِ الْحَوَاجِبِ (٢)
 كَأَنَّ بَنَاتِ الْقَفْرِ حِينَ تَفَرَّقَتْ غَدُونَ عَلَيْهَا بِالْمَنَايَا الشَّوَاعِبِ (٣)
 ثُمَّ وَصَفَ الْفُهُودَ :

بِذَلِكَ أَبْغَى الصَّيْدَ طَوْرًا وَتَارَةً بِمُخْطَفَةِ الْأَكْفَالِ رُحْبِ التَّرَائِبِ (٤)
 مَرْقَقَةُ الْأَذْنَابِ نُمُرٍ ظَهُورُهَا مَخْطَطَةُ الْأَمَاقِ غُلْبِ الْغَوَارِبِ (٥)
 مُدْنَرَةٌ وَرَقٍ كَأَنَّ عَيُونَهَا حَوَاجِلُ تَسْتَذِي مَتُونِ الرُّوَاقِبِ (٦)

- (١) متونها : ظهورها ، مفردة متن .
 (٢) كشر عن نابه : أبداه . وكوالح : عوايس . مذلقه : مخددة . وفي س : « مذلة » .
 (٣) بنات القفر : عني بها الوحوش . وجاء في س : « غدوت عليها بالمنايا » ، ومثل هذه الرواية في الحيوان ٦ : ٤٧٥ . والشواعب : المفرقات .
 (٤) في الأصل : « أبقى الصيد » وهو تحريف صوابه في النهاية . وفي الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « بذلك يبغى » ولها وجه . ومخططة الأكفال : ضامرة الأعجاز صغيرتها . وأجود من هذه الرواية ما في الجزء السادس : « بمخطفة الأحشاء » . والترائب : عظام الصدر .
 (٥) نمر : جمع أعر ، وهو الذي فيه نمر ، بضم ففتح أي نكت ببيضاء وسوداء . وفي ط : « ثم » وتصحيحه من س ونهاية الأرب والجزء السادس من الحيوان . والاماق : جمع موق ، وهو طرف العين مما يلي الأنف . ومثل هذه الرواية في الجزء السادس . وفي النهاية : « الآذان » . وغلب الغوارب : غلاظها . والغارب : ما بين العنق والظهر .
 (٦) مدنرة : بها نكت كأنها الدنانير . وفي الأصل : « مدرية » وتصحيحه من مباحج الفسکر . والورق : مفردة أورك ، وهو الذي في لونه سواد وبياض . والحواجل : جمع حوجلة ، وهي القارورة الصغيرة الواسعة الرأس ، قال العجاج :
 كَانَ عَيْنِيهِ مِنَ الْغُثُورِ قَلْتَانِ فِي لَحْدِي صَفَا مَنَقُورِ

صفيران أو حوجلتا قارور

والرؤاكب : جمع راكب ، وهو رأس الجبيل . وتستذي : تتنبح . وإنما تتنبح لتتعرّف الصيد ، وتبحث عنه . وفي الأصل : « تستذي » ولا يصح إلا بتكلف وتعمل ؛ فإن معنى استذى : استخرج من غريمه الدين في رفق .

- إذا قلبتها في الفجاج حسبتهما سنا ضرم في ظلمة الليل ثاقب^(١)
 مؤلعة فطح الجباه عوابس تحال على أشداقها خط كاتب^(٢)
 نواصب آذان لطاف كائنهما مداهن ، للإجراس من كل جانب^(٣)
 ذوات أشاف ركبت في أكنمها نوافذ في صم الصمخور نواشب^(٤)
 ذراب بلا ترهيف قين كائنهما تعقرب أصداع الملاح الكواعب^(٥)
 فوارس مالم تلق حرباً ، ورجلة إذا آنست بالبيد شهب السكتائب^(٦) ١٣٥

- (١) الفجاج : جمع فج ، وهو الطريق الواسع بين جبلين . ورواية نهاية الأرب : « في الحجاج » وهو بكسر الحاء وفتحها : العظم المستدير حول العين .
 (٢) المؤلعة : المستطيلة البلق ، وهو سواد وبياض ، أو ارتفاع التحجيل إلى الفخذين .
 و « فطح الجباه » : عريضتها . ومفرد « فطح » : أظفح . في ط : « قيج »
 وفي س : « فتح » وفي الحيوان ٦ : ٤٧٦ : « قطع » وذلك كله تحريف
 ما أثبت . والرواية في نهاية الأرب : « فطس الأنوف » .
 (٣) المداهن : جمع مدهن بضم الميم والهاء ، وهو آلة الدهن أو قارورته ، وأراد هنا
 آلة الدهن . والإجراس : استماع الجرس ، بفتح الجيم ، وهو الصوت . وفي الأصل :
 « للأجراس » وليس بشيء . يقول : قد نصبت هذه الفهود آذانها الصغيرة
 الشبيهة بالمداهن ، لتسمع الأصوات من شتى الجوانب .
 (٤) الأشافي : جمع إشف ، وهى مثقب الإسكاف ، وقد غنى بها الأظافر ، وفي الأصل :
 « أئاف » جمع أئفية ، ولا وجه له هنا . والصخرة الصماء : الصلبة المصمتة .
 (٥) القين : الحداد ، والترهيف : تزيين الحد . والصدغ ، بالضم : الشعر المتدلى
 بين العين والأذن . وتعقرب الصدغ : تلويه وتعطفه .
 (٦) رجلة : جمع راجل ، وهو الماشي على رجله . قال أبو عمرو : وليس في الكلام
 فملة جاء بهما غير رجلة جمع راجل . وكأمة جمع كم . وفي الأصل : « رحله »
 وصوابه ما أثبت ، لثم مقابله لكلمة « فوارس » . وما يحسن الإشارة إليه
 أن الفهود تركب الخيل ، جاء في نهاية الأرب ٩ : ٢٤٧ عند الكلام على
 الفهد : « وأول من حمله على الخيل يزيد بن معاوية بن أبي سفيان » . ومثل ذلك
 عند الدميري في رسم (الفهد) ، ومحاضرة الأوائل للبسنوى ص ١٢١ . ولابن
 المعتز في هذا المعنى (انظر الأوراق قدم أشعار أولاد الخلفاء ص ٢١٥
 وديوانه ٢ : ١٠٢) :

= يلاحق الوثبة بمعد النفس نعم للرديف زاننا فوق الفرس

تَرَوُّ وَتَسْكِينٌ يَكُونُ دَرِيئَةً لَهْنٌ يَذَى الْأَسْرَابَ فِي كُلِّ لَاحِبٍ (١)
تَضَاعُلٌ حَتَّى لَا تَسْكَادُ تُدِينُهَا عُمُيُونٌ لَدَى الصَّرَاتِ غَيْرِ كَوَاذِبٍ (٢)
حِرَاصٌ يُقَوِّتُ الْبَرْقَ أَمْكَثُ جَرِيهَا ضِرَاءٌ مِبَلَّاتٌ بَطُولُ التَّجَارِبِ (٣)
تَوْسَدُ أَجْيَادُ الْفَرَائِيسِ أَذْرَعَا مَرْمَلَةٌ تَحْكِي عَنَاقَ الْحَبَائِبِ (٤)

= ولأبي نواس في صفة الفهد (الديوان ٢٢٣) :

فجاء يزكيه على سمته

والسمند : الفرس ، كلمة فارسية .

وشهب الكتائب : غنى بها جماعة الوحش التي تصيدها هذه الفهود . والكتيبة

الشهباء : هى العظيمة الكثيرة السلاح .

(١) يقول : قد جعلن التروى وتسكين الجوارح دريئة لهن . وأصل الدريئة ماتستمر

به من الصيد لتختله . و « يذى الأسراب » أى بتلك الطرق ، مفردها سرب

بفتح السين وبكسرهما . فى ط : « يذى الأسوار » ، ولا وجه له ، وأثبت ما فى س .

واللاحب : الطريق الواضح .

(٢) يقول : هذه العيون التي لا تكذب صاحبها عند صرّها وشدها ، لا تستطيع مع

ماها من القوة والحدة أن تبصر هذه الفهود عند ماتضاعل وتجهّد فى إخفاء

أشخاصها . « الصرات » هى فى الأصل : « الضرات » . وفى الحيوان ٦ : ٤٧٦ :

« الصراب » والوجه فيها ما كتبت .

(٣) يقول : إن سرعة البرق لاتداني أبطأ جرية لهذه الفهود . ضراء : معتادة

الصيد ، واحدها ضرو بالكسر . والمبيل ، بكسر الميم وفتح الباء :

الثبت الجرى .

(٤) يقول : هى تمسك بفرائمها بين أذرعها المرملة - أى المملطخة بالدم - وتضعضها فلا

تفلت منها ، وهى فى ذلك تحكى صنع الحب يعانق حبيبه ، فهو أشد التزام

وأقوى ضم . (الفرائس) : هى فى الأصل : (الفوارس) وليس يكون منها

أن تفعل ذلك بالفرسان . ولأبن المعتز فى مثل المعنى الذى وجهنا به البيت ،

يصف فهدة :

تضم الطريد إلى نحرها كضم المحبة من لا يحب

أى أن طريدها لا يحبها ولكنها تحبه فهى تضمه ، ومهما حاول الخلاص ضمته .

(مرملة) هى فى الأصل : « مزملة » بالزاي ، وليست تتجه ، وتصحيحها من

نهاية الأرب ٩ : ٢٥٢ . وفى ط : « عناق الجنائب » وهو تحريف ، صوابه

فى س ونهاية الأرب .

(سهل بن هارون وديكه)

قال دِعْبَلُ الشاعر^(١) : أَقْنَا عِنْدَ سَهْلٍ بَنِ هَارُونَ فَلَمْ نَبْرَحْ ، حَتَّى كَدْنَا
نَمُوتُ مِنَ الْجُوعِ ، فَلَمَّا اضْطَرَرْنَا قَال : يَا غَلَامَ ، وَيْلَكَ غَدْنَا ! قَالَ : فَأَتَيْنَا
بِقَصْعَةٍ فِيهِامِرْقٌ فِيهِ لَحْمٌ دِيكَ [عَاسٍ هَرَمٌ^(٢)] لَيْسَ قَبْلَهَا وَلَا بَعْدَهَا غَيْرُهَا
لَا تَحْزُ فِيهِ السَّكِينُ ، وَلَا تَوَثِّرُ فِيهِ الْأَضْرَاسُ . فَاطَّلَعَ فِي الْقَصْعَةِ وَقَلَّبَ
بَصَرَهُ فِيهَا ، ثُمَّ أَخَذَ قِطْعَةً خَبَزٍ يَابَسَ فَقَلَّبَ جَمِيعَ مَا فِي الْقَصْعَةِ حَتَّى
فَقَدَ الرَّأْسَ مِنَ الدَّيْكَ وَحْدَهُ ، [فَبَقِيَ مَطْرِقًا سَاعَةً^(٣)] ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى
الْغَلَامِ فَقَالَ : أَيْنَ الرَّأْسُ ؟ فَقَالَ : رَمَيْتُ بِهِ . قَالَ : وَلَمْ رَمَيْتُ بِهِ ؟ قَالَ :
لَمْ أَظْنِكُ تَأْكُلُهُ ! قَالَ : وَلَآئِي شَيْءٌ ظَنَنْتَ أَنَّي لَا آكُلُهُ ؟ فَوَاللَّهِ إِنِّي
لَأَمَقْتُ مَنْ يَرْمِي بَرَجْلِيهِ [فَسَكِيفٌ مِنْ يَرْمِي بِرَأْسِهِ^(٤)] ؟ ! ثُمَّ قَالَ لَهُ : لَوْلَمْ

(١) هو دِعْبَلُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ رَزِينِ الْخَزَاعِي ، شَاعِرٌ مُتَقَدِّمٌ مَطْبُوعٌ هِجَاءٌ خَبِيثٌ اللِّسَانُ ،
لَمْ يَسْلَمْ عَلَيْهِ أَحَدٌ مِنَ الْخُلَفَاءِ وَلَا مِنْ وَزَرَانِهِمْ وَلَا أَوْلَادِهِمْ ، وَلَا ذُو نِبَاهَةٍ . وَكَانَ
شَدِيدَ التَّعَصُّبِ لِلْقَحْطَانِيَةِ عَلَى الْبَزْزَانِيَةِ ، وَكَانَ شَيْعِيًّا ، وَكَانَ يَتَشَطَّرُ وَيُصْحَبُ
الشُّطَارُ . وَأَخْبَارُهُ مُسَبَّحَةٌ فِي الْأَغَانِي ١٨ : ٢٩ - ٦١ . وَمِنْ خَيْرِ شَعْرِهِ
الْأَبْيَاتُ الْمَشْهُورَةُ :

أَيْنَ الشَّبَابِ وَأَيَّةُ سَلَكَا لَا أَيْنَ يُطْلَبُ ضَلَّ بِلْ هَلَكَا
لَا تَعْجَبِي يَا سَلَمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحَكَ الْمَشِيبَ بِرَأْسِهِ فَبَكَ
يَا لَيْتَ شَعْرِي كَيْفَ يَوْمَكَا يَا صَاحِبِي إِذَا دَمِي مَفَكَا
لَا تَأْخُذَا بِظِلَامَتِي أَحَدَا قَلْبِي وَطَرَفِي فِي دَمِي اشْتَرَكَا .

كَانَ دِعْبَلُ يَتَنَقَّلُ فِي الْبِلَادِ ، وَأَقَامَ بِبَغْدَادَ مَدَّةً ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا هَارِبًا مِنَ الْمُعْتَصِمِ لِمَا
هِجَاهُ ، وَعَادَ إِلَيْهَا بَعْدَ ذَلِكَ . وَلَدَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَأَرْبَعِينَ وَمِائَةً ، وَتَوَفَّى سَنَةَ سِتِّ
وَأَرْبَعِينَ وَمِائَتَيْنِ . تَارِيخُ بَغْدَادَ ٤٤٩٠ .

(٢) التَّكَلُّةُ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ ٣ : ٢٥٩ نَقْلًا عَنِ الْجَاهِظِ . وَالْعَاسِي : الَّذِي أَسْنَى
حَتَّى صَلَبَ وَجَفَ .

(٣) التَّكَلُّةُ مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ .

(٤) مِنْ عَيُونِ الْأَخْبَارِ . وَفِي الْعَقْدِ الْفَرِيدِ ٤ : ٢١٧ مِثْلُ هَذَا الْمَعْنَى .

أَكْرَهُ مَا صَنَعْتَ إِلَّا لِلطَّيْرَةِ وَالْفَالِ ، لَكَرَهُتُهُ ^(١) ! الرَّأْسُ رَيْسٌ وَفِيهِ
الْحَوَاسُ ^(٢) ، وَمِنْهُ يَصْدَحُ الدِّيكُ ، وَلَوْلَا صَوْتُهُ مَا أُرِيدَ ، وَفِيهِ فَرْقُهُ ^(٣)
الَّذِي يُتَبَرَّكُ بِهِ ، وَعَيْنُهُ الَّتِي يَضْرِبُ بِهَا الْمَثْلَ ، يُقَالُ : « شَرَابٌ كَعَيْنِ
الدِّيكِ » ^(٤) ، وَدِمَاغُهُ عَجِيبٌ لَوْجَعِ الْكَلْبَةِ ، وَلَمْ أَرْ عَظْمًا قَطُّ أَهْشَ تَحْتَ
الْأَسْنَانِ مِنْ عَظْمِ رَأْسِهِ ، فَهَلَّا إِذْ ظَنَنْتَ أَنِّي لَا آكُلُهُ ، ظَنَنْتَ أَنَّ الْعِيَالِ
يَأْكُلُونَهُ ؟ ! وَإِنْ كَانَ بَلَغَ مِنْ نُبُلِكَ أَنَّكَ لَا تَأْكُلُهُ ، فَإِنَّ عِنْدَنَا مَنْ
يَأْكُلُهُ . أَوْ مَا عَلِمْتَ أَنَّهُ خَيْرٌ مِنْ طَرَفِ الْجَنَاحِ ، وَمِنْ السَّاقِ وَالْعُنُقِ !
انْظُرْ أَيْنَ هُوَ ؟ قَالَ : وَاللَّهِ مَا أَدْرَى أَيْنَ رَمَيْتُ بِهِ ! قَالَ : لَكِنِّي أَدْرَى
أَنَّكَ رَمَيْتَ بِهِ فِي بَطْنِكَ ، وَاللَّهُ حَسِيدُكَ !

كَمَلِ الْمَصْحُفَ ^(٥) الثَّانِي مِنْ كِتَابِ الْحَيَوَانِ بِحَمْدِ اللَّهِ تَعَالَى وَحَسَنِ عَوْنِهِ

وَيَتْلُوهُ فِي الثَّالِثِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ذَكَرَ الْحَمَامِ ^(٦)

(١) أَيْ لَكَرَهُتْ مَا صَنَعْتَ .

(٢) فِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ وَكَذَا فِي الْعَقْدِ : « الْحَوَاسُ الْخَمْسُ » وَلَيْسَ بِشَيْءٍ ، إِذْ أَنْ
فِي الرَّأْسِ أَرْبَعًا مِنَ الْحَوَاسِ ، هُنَّ السَّمْعُ وَالْبَصَرُ وَالْثَّمُّ وَالذَّوْقُ . وَفِي وَفَيَاتِ الْأَعْيَانِ
١ : ١٧٩ : « وَالرَّأْسُ رَيْسٌ وَفِيهِ الْحَوَاسُ الْأَرْبَعُ » .

(٣) فَرْقُ الدِّيكِ : انْفِرَاقُ عَرَفِهِ ، وَقَدْ أَسْلَفَ الْجَاهِظُ . فِي ص ٢٠٧ مِنْ هَذَا
الْجُزْءِ كَلَامًا فِي التَّبَرُّكِ بِالدِّيكِ الْإِفْرَاقُ وَانْظُرْ كَذَلِكَ ص ٢٥٩ . وَفِي ط : « وَفِيهِ قَرْنُهُ » وَهُوَ
تَحْرِيفٌ مَا أُثْبِتَ مِنْ س . وَفِي عَيُونِ الْأَخْبَارِ : « عَرَفُهُ » .

(٤) أَيْ فِي الصَّفَاءِ ، وَقَدْ سَبَقَ كَلَامُ الْجَاهِظِ فِي هَذَا الْمَثَلِ ص ٣٤٩ .

(٥) هَذَا مَا أُثْبِتَ مِنْ س . وَفِي ط : « تَمَّ الْجُزْءُ » .

(٦) هَذَا مَا فِي س . وَفِي ط : « وَيَتْلُوهُ الْجُزْءُ الثَّالِثُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَوَّلَهُ ذَكَرَ الْحَمَامِ » .

تذييل واستدراك

صفحة سطر

١٤٠ ١١ مثل هذه العقيدة فاشٍ بين النساء إلى اليوم ، فهنَّ يعتقدن أن المرأة إذا قامت أثناء الحيض بعملية حفظ الفواكه أو الخضراوات ، فإنَّها تتلف . كما يعتقدن أنَّ الحائض يتلف عجينها ولا يختمر . كما لوحظ أنَّ الزَّهرة تذبل بعد ساعات قليلة إذا قبضت عليها حائض أو تأبطتها بضع دقائق . وقد فسَّرت هذه الظاهرة تفسيراً علمياً ؛ إذ أنَّ إفراز الحيض ، المكون من الزرنينخ ، والجليكوكين ، والليبوتيد ، وبعض الحماض والفسفور ، والمغنيزيا ، والكبريت ، والجير — له أثره الذي لا ينكر . انظر مجلة الرياضة البدنية ، ديسمبر سنة ١٩٣٨ .

١٤٣ ٨ ش كليب بن أبي عهمة الظفرى . كذا في الأغاني ومعاهد التنصيص . وقد عده ابن حجر في الإصابة ٧٤٤٨ من الصحابة ، وجعل اسمه «كليب بن عيممة» . أما ابن الشجرى في أماليه (١ : ١١١) فقد جعله «كليب بن عيممة» وقد ضبطه وذكر اشتقاقه فقال : «عيممة : منقول من محقر العيممة ، وهى شهوة اللبن : أو محقر العيممة ، بكسر العين ، وهى خيار المال» . فُلعل هذا صوابه .

١٨١ ٨ قد استغل الشيعة مثل هذا الخبر فنسبوا مثله إلى عبد الله بن جعفر . جاء في معجم الأدباء (١٠ : ٢٤٨ — ٢٤٩) : « وجاء رجل إلى عبد الله بن جعفر فقال له : يابن رسول الله ، هذا

حكيم الكلبيّ يَشْدُ الناس هجاءكم بالكوفة ! فقال : هل
حفظت منه شيئاً ؟ قال : نعم . وأنشده :
صَلَبْنَا لَكُمْ زَيْدًا عَلَى جِذْعِ نَخْلَةٍ وَلَمْ نَرْمِهِ دِيَّاعِي الْجَذَعِ يُصَلَّبُ
وَقَسْتُمْ بَعْمَانٍ عَلِيًّا سَفَاهَةً وَعُمَانُ خَيْرٌ مِنْ عَلِيٍّ وَأَطِيبُ
فَرْعِ عَبْدِ اللَّهِ يَدِيهِ إِلَى السَّمَاءِ ، وَهِيَ يَنْتَفِضَانِ رَعْدَةً فَقَالَ :
اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ كَاذِبًا فَسَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْبًا ! فَخَرَجَ حَكِيمُ مِنَ
الْكُوفَةِ فَأَدْلَجَ فَاقْتَرَسَهُ الْأَسَدُ فَأَكَلَهُ .

٢٧١ ٨ السكينة معناها الاطمئنان . وجاء في القرآن الكريم :
﴿ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ
فِيهِ سَكِينَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ والكلام في بني إسرائيل .
والنبي هذا هو يوشع ، أو شمعون ، أو اشمويل . والملك :
طالوت . والتابوت : صندوق التوراة ، قالوا : رفع بعد موسى
إلى السماء ، ثم نزل من السماء تحمله الملائكة ، علامة على ملك
طالوت . وكان بنو إسرائيل يحملونه في حروبهم ليكسبهم
طمأنينة . انظر الكشاف ، وتفسير الفخر . قدّمت هذا لألقى
ضوءاً على الشعر ؛ فقد كان المختار اتخذ كرسيّاً قديماً العهد ،
غشاه بالديباج ، وزيّنه بأنواع الزينة ، وقال : هذا الكرسي
من ذخائر أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه ،
فضعّوه في حومة القتال وقاتلوا عنه ؛ فإن محلّه فيكم محلّ التابوت
والسكينة في بني إسرائيل . انظر الملل والنحل (١ : ١٩٩)
وثمار القلوب ٧١ .

٢٧١ ٩ « فُتِنَا » جمع فِتْنان بالكسر ، وأصل معناه غشاً يجعل للرحل من آدم . وأما أمر الحمام ، فَإِنَّ المختارَ لَمَّا وَجَّهَ إبراهيم بن الأشتر لحرب عبيد الله بن زياد ، دفع إلى قوم من خاصته حماماً بيضاً ضخماً ، وقال لهم : إن رأيتمُ الأمر علينا فأرسلوها في المعركة . وقال للناس ، إني أجد في محكم الكتاب ، وفي اليقين والصواب ، أَنَّ اللهَ ممدُّكم بملائكةٍ غِضَابٍ ، تأتي في صور الحمام دون السحاب ! فلما التقت الفئتان وكادت الدائرة تكونُ عَلَى عسكر ابن الأشتر ، أرسلت الحمام البيض ، فتصايح الناس : الملائكة ! الملائكة ! فراجعوا ، فأسرع القتل في أصحاب عبيد الله ، ثم انكشفوا ، ووضعوا السيوف فيهم ثم أفنؤهم . ثمار القلوب ٧١ . وانظر الملل والنحل (١ : ١٩٩) . وكان البيت في الأصل محرّفاً عَلَى الوجه الآتي :

وَأَنْ لَيْسَ كَالْتَابُوتِ فِينَا وَأَنْ سَعَتْ

سَنَامِ حَوَالِيهِ ، وَفِيهِمْ زَخَارِفُ

٢٩٤ ١٠ « المنكابات » في شفاء الغليل « بنكام : لَفْظ يوناني ، ما يقدر به الساعة النجومية من الرمل ، وهو معرَّب عربيّ أهل التوقيت ، وأرباب الأوضاع ، ووقع في شعر المحدثين في تشبيهه الخصر :

* وَخَصَرُهُ شَدَّ بِنَنكَامٍ * »

ثم قال : « وتقلبه العامة فتقول : منكاب ، وهو غلط . » فما ذكره الجاحظ هو عامية هذا الاسم ، وقد وجدت في العمدة (٢ : ٢٣١) وصفاً شعرياً للبنكام ويفهم منه أنه آلة مائية ، لا رملية كما قال الحفاجي .

عثمان الخياط هذا زعيم عصابة للصوص ، كانت في عصر الجاحظ ،
وإنما سُمي خياطاً لأنه نقب على أحذق الناس وأبعدهم في صناعة
التلصص ، وأخذ ما في بيته وخرج ، وسدَّ النقب كأنه خاطه ،
فسمي بذلك . ويظهر أنه قد شاع في هذا العصر اتخاذ التلصص
مهنةً لكسب العيش ، وجعل للصوص لها نظماً ، وأنشئوا
لأنفسهم ألقاباً ومراتب مختلفة ، فمنهم العين ، والمؤني ، والشاغل
والطرار . فالعين : الذي يلزم الصيارف ، ويتأمل كل مال
محمول ، ويأتي السفن فيتعرف موضع الخرز ، ويأتي دار قوم
فيطلب أن يتوضأ ، فيتعرف خزائهم والموضع الذي يقصدون
منه . والمؤني : الذي يتولى البيع والابتياح لهم ، ويجعل عند ذلك
كأنه أمير قرية ، أو زعيم محلة . والشاغل : هو الذي يشغل
القوم عن اللص والطرار ، إذا ظفروا به ، يجيء اللص فيضربه
ما لا يضر به السلطان ، ويقول : هذا والله صاحبي ، هو الذي
ذهب بمالي ، ويضربه ويحتال بذلك حتى يتشاغل عنه القوم ،
فإذا تشاغلوا عنه أفلته وتأسف مع القوم . والطرار : الذي يقطع
الهامين ويشقها .

والعجب أن تلك العصابات ، كانت في أكثر أمرها تلزم ضرباً
من ضروب الشهامة والنبل ، ورووا عن عثمان الخياط أنه قال :
« ما سرقت جاراً وإن كان عدواً ، ولا كريماً ، ولا كافأت
غادراً بغدره ! » .

وكانوا يحسنون لأنفسهم هذه الصناعة ، ويحتجون لها . قال عثمان

الحيّاط : « لم تزل الأمم يسبى بعضُها بعضاً ، ويسمّون ذلك غزواً
وما يأخذونه غنيمة ، وذلك من أطيب السكسب !! وأنتم في أخذ
مال الغدرة والفجرة أعذر ! فسمّوا أنفسكم غزاةً ، كما سمى
الحوارج أنفسهم سُراة !! » .

وقالوا : « اللص أحسن حالاً من الحاكم المرتشى ، والقاضى
الذى يأكل أموال اليتامى ! » .

وتجد أخبار هؤلاء القوم ونواديرهم ، مسهبه مفصّلة ، فى
محاضرات الراغب (٢ : ٨١ - ٨٤) .

كتبه

عبد الله محمد هادي

مصر الجديدة فى ٥ جمادى الثانية سنة ١٣٨٥
٣٠ سبتمبر سنة ١٩٦٥

أبواب الكتاب

صفحة

- ٥ باب احتجاج صاحب الكلب بالأشعار المعروفة والأمثال السائرة.. الخ
١٥ مسألة كلامية
٧٠ باب آخر في الكلب وشأنه
١٦٦ باب ما يشبه بالكلب وليس هو منه
٢٨٠ باب ما يحتاج إلى معرفته